كتاب

تاريخ دير البتول

في قرية صيدنايا

وبيان عدد من المعجزات التي ظهرت فيه

ونظرة في صيدنايا ومعابدها

وَ

تاريخ العظيم في الشهداء

القديس جاورجيوس

اللابس الظفر وعجائبه المشهورة

طبع على نفقة

الخوري اغابيوس الخوري

كاهن قرية صيدنابا

سنة ١٩٣٨

كتاب

تاريخ دير البتول

في قرية صيدنايا

وبيان عدد من المعجزات التي ظهرت فيه

ونظرة في صيدنايا ومعابدها

و

تاريخ العظيم في الشهداء

القديس جاورجيوس

اللابس الظفر وعجائبه المشهورة

طبع على نفقة

الخوري اغابيوس الخوري

كاهن قرية صيدنايا

سنة ١٩٣٨

صيدنايا

هي قرية واقعة شمالي دمشق الشام تبعد مسير خمس ساعات مشياً وهي تابعة لقضاء دوما الشام من اعمال حكومة سوريا · سكانها نحو خمسة آلاف نسمة بين ارثوذكس وكاثوليك واسلام · واما الارثوذكس فيبلغون الثلثين · ولعل كلمة ✻ صيدنايا ✻ مشتقة من الصيد وترجع عهد تسميتها بهذا الاسم الى ايام القيصر يوستينيانوس الروماني عند ما كان يصطاد فيها وظهرت له مريم العذراء — عليها السلام بهيئة غزالة

✻ مركزها : ✻

بنيت هذه القرية في سفح الهضبة المقام عليها الدير الان وازداد فيها عدد المساكن والدور التي بنيت فيما بعد فامتدت نحو الجهة الغربية منها ويلجأ اليها الكثيرون من الزائرين في الموسم السنوي الى درجة يضيق بها نطاق الدير فضلاً عن ان الكثيرين منهم يسرعون في اوقات مقدمة للعيد فيكترون الغرف الخصوصية التي تغص بالمستأجرين فيكون من هذا مورد غزير للسكان سواء من المكارين الذين ينقلون الزائرين ام من مستأجري المنازل ام من مبتاعي الاطعمة من خضر وفواكه ونحوها

ان التاريخ يخصص بالذكر بلدة صيدنايا عندما يورد ذكر كنيسة السيدة المقامة فيها والتي يرجع تاريخ بنائها الى الف واربعمائة سنة وهي من اعظم المعابد المقامة لاسم السيدة العذراء في سوريا كلها وقد كتب تاريخها قديماً بالعربية وترجم الى اللاتينية · وقد جاء في جريدة كتبت بالسريانية لعبد

يشوع في العدد الـ ٧١ ان بين الكتب العربية كتاباً عنوانه «تاريخ وعجائب ايقونة الطوباوية مريم العذراء في صيدنايا» واثبت ذلك السيد السمعاني في المكتبة الشرقية في المجلد الثالث والصفحة ٢٨٦ واضاف اليه قوله ان الكتب الفاتيكانية تشتمل على قطعة من ترجمة هذا التاريخ الى اللاتينية تحت العدد ٤٤ عنوانها «عجائب ايقونة العذراء بالقرب من دمشق» ولا نعلم ما اذا كانت هذه القطعة محفوظة هناك حتى الان ام لا

على ان صيدنايا كانت في القديم مدينة عظيمة ذات شان كما يدل على ذلك موقعها الحصين والاثار القديمة الباقية حتى يومنا هذا. ففي وسطها توجد بقايا برج قديم وهو على مقربة من كنيسة ماري موسى الحبشي مربع الشكل حسن البناء مشتمل على حجارة ضخمة يشير تاريخها الى بدء النصرانية وفيها خرائب كثيرة تدل بوضوح على ما كان لصيدنايا من الاهمية في غابر الازمان وفيها ايضاً تماثيل وكتابات يونانية محفورة على جوانب الصخر المبنية عليه كنيسة السيدة واحدى هذه الكتابات مؤرخة لسنة ٥١٠ للاسكندر الموافقة لسنة ١٩٨ للمسيح

☀ الكنائس التي كانت قديمة في صيدنايا ☀

ان صيدنايا كانت قديماً على جانب عظيم من الاهمية كما سبقت الاشارة والذي زادها اهميـة واعتباراً هو تشييد اسوار سيـدة الشاغوره فيها فكان ذلك داعياً الى اكثار عدد المسيحيين وتعددت الكنـائس حتى بلغ عددها سبعة عشرة كنيسة وهي: كنيسة القديس يوحنا. و كنيسة القديس بطرس و بولس. و كنيسة القديس توما و كنيسة القديس بابيلا. و كنيسة

القديسة بر باره · وكنيسة القديس مر يستيورس · وكنيسة القديس يوسف وكنيسة القديس اليعازر · وكنيسة العذراء · وكنيسة القديس ديمتريوس وهي مقامة في وسط الدير · وكنيسة القديس سابا · وكنيسة القديس جاورجيوس · وكنيسة جميع القديسين · وكنيسة الصعود · وكنيسة التجلي · وايضاً دير شاروبيم — وهو على اسم الشاروبين والكاروبيم — وهي الان كناية عن خرائب عظيمة غربي صيدنايا على قمة جبل عال يدل وجودها على قدمية عهدها وكلها صنع ايدي الانسان واما الكنائس الباقية من هذه جميعها فهي كنيسة سيدة الشاغوره · وكنيسة القديس يوحنا · وكنيسة القديس نيقولاوس · وكنيسة القديس جاورجيوس وكنيسة القديس اجيا وصوفيا وكلها تخص الطائفة الارثوذكسية واما كنائس الكاثوليك فهي كنيسة المجامع · وكنيسة القديس بطرس وبولس · وكنيسة اندراوس · وكنيسة القديس موسى الحبشي · واما المعابد التي خارج الدير المذكور فقد ضربنا كشحاً عنها لانها مهجورة خربة وبعضها اطلال دارسة ·

﴿ في بناء دير صيدنايا ﴾

ليعلم المطالع الكريم انه كما قلنا سابقاً في عام ٥٦٤ للميلاد وهو العام التاسع عشر لتملك يوستينيانوس على القسطنطينية وعلى اثر انتهاء المجمع المسكوني الرابع الذي ترأسه الملك المشار اليه قد جاء لزيارة الاماكن المقدسة وبمروره اليها امر بانشاء عدة معابد واديرة في الشرق — منها ما ذكر آنفاً مما خلد له الذكر الجميل الذي يتناقله الخلف عن السلف حتى يومنا هذا وهكذا سيبقى الى ما شاء الله واخص سعيه المبرور ببناء دير سيدة الشاغوره المقدم ذكره باعجوبة هي كما ياتي:

انه بينما كان الملك يوستنيانوس قائماً بزيارة الاماكن المقدسة اتفق مروره — بالهام الهي — ببستان الدير الحالي وهو واقع على مقربة منه وكان في ذلك الحين برية جرداء فنزل فيه مع جنوده ولما كان في سرداقة الرفيع القباب ليلاً حانت منه التفاتة نحو الدكة المحاذية له واذا في احد كهوفها نور يلمع فذهل الملك واطال النظر الى تلك الجهة واذا بالنور يزداد سطوعاً فامر حالاً احد جنوده بان يصطحبه وسار قاصداً مكان النور واذ بلغه لقي غزالة ذات عينين دعجاويتين تبعثان ذلك النور الساطع وهي تامة التكوين تعرب عن حكمة وقدرة القادر العظيم ·

فدنا منها الملك ليقبض عليها فاجفلت منه وفرت الى ناحية اخرى محاذية لخندقه فامر برميها بسهم فكان له ما اراد انما قد اخطأها الرمي مما استوجب انذهال الملك لعلمه بمهارته وقال في نفسه لابد من ان يكون في الامر سر عجيب · فما هذه الغزالة العجيبة ؟ وما عساها ان تكون وماسبب ظهورها في هذا الغار المظلم ؟ ومن اين لي ان اعرف كنه امرها ؟ وبينما هو على هذه الحال من الانذهال والتردد في الافكار تحولت فجأة تلك الغزالة الى فتاة بهية الطلعة يتدفق من وجهها النور الوضاح واحدقت بالقيصر وقالت : « انا مريم يايوستنيانوس مريم العذراء » · هي ام الاله قد ظهرت لك في هذا المكان لكي تبني لها ديراً على قمة هذه الرابية تقطنه العذارى المتواحدات اللواتي يؤثرن التنسك والانقطاع عن الدنيا وملاذها وغرورها » ·

فخر القيصر ذعراً ووقاراً وقد اخذت منه الرهبة مأخذها وغشي بصر هذا المشهد الرهيب الغريب واذا استوى منتصباً لمخاطبة العذراء غابت عن

نظره وخبأ ذلك النور المتألق فسبح الله هو ومن معه ومن تلك الدقيقة عقد النية على ابتناء دير فخم بلا تردد في الامر

وفي الصباح اوفد مفوضا ياتيه بمهندسين وبنائين من دمشق فاتى المهندسون ولم يحسنوا العمل ولم يجمعوا رأيا على تحديد موضع البناء بعد ان قضوا يومهم غير مهتدين على وجهة معينة يتفقون عليها ففي الليل تراءت لهم السيدة العذراء واومأت اليهم قائلة : اعتمدوا على الرسم الابيض الذي ترونه في الصباح وعولوا عليه في البناء فانه هندستي وسيكون قوام ديري

ولما طلع الفجر نهض البناؤون من نومهم فوجدوا تخطيطاً وهندسة بديعة وا كثروا العملة لكي ينجز البناء في مدة يسيرة فكان لهم ما ارادوا اذ تم بناء الدير في السنة نفسها ولا يزال حتى يومنا هذا قوي البنيان متين الاركان وقد اضيفت اليه مبانٍ اخرى حديثة بنوع انه اصبح من اهم الاديرة في سوريا

وبعد رجوع القيصر يوستينيانوس من اورشليم مرَّ بصيدنايا فوجد البناء تاماً على ما يروم ودعي باسم دير سيدة الشاغوره فعين جلالته مرتباً سنوياً ينفق عليه من الخزينة الملوكية اسعافا لنساكه كان يرسله تباعاً كل عام . وقد دخله كهنة وشمامسة عديدون وخدام يقومون بواجب الخدمة .

وقد نظر جلالته في الامر من جهة ثانية قائلا ان الانسان صائر بحكم الطبع الى الموت والى الفناء . وربما كان بعد موته انقطاع الاسعاف المرتب في حياته فتدارك الامر بان ابتاع املاكا للدير ثابتة واراضي فسيحة وعهد باستثمارها الى فعلة وفلاحين واهتم بجلب الماء الى الدير من نبعه الاصلي الامر الذي صير هذا المعبد مزاراً زاهراً عامراً يؤمه القاصي والداني حتى يومنا

هذا · رحم الله عمال الخير واسكنهم فسيح جنانه ·

﴿ تاريخ ايقونة العذراء في دير صيدنايا ﴾

ولما انجز بناء الدير وفتح يوستنيانوس القيصر ابوابه طفق الزائرون يتوافدون ذرافات ووحدانا بقلوب تشوقها زيارته والتماس بركة شفيعته فاتفق ان في سنة ٨٨٨ مسيحية جاء الدير زائراً في عداد الزائرين الاتقياء راهب تحلى بالفضيلة والتقوى يدعى الانبا تاوادوروس من بلاد المشرق فوصل صيدنايا مع القافلة الميممة اورشليم لشهود عيد الفصح المجيد في كنيسة القيامة ثم زيارة الاماكن المقدسة

وفي مدة اقامته في الدير تعهد مواضعه كلها وشاهد عظمته ولكنه شعر بافتقار الدير الى ايقونة السيدة المقدسة فرأى ان اكبر سانحة تخوله شرف اهداء الدير ايقونه العذراء هي زيارته القدس الشريف فاطلع رئيسة الدير التقية البارة مارينا عن عزمه على زيارة صهيون واختيار ايقونة جميلة لاهدائها الى مقام السيدة المقدس فارتاحت الرئيسة لهذا العزم واثنت على اخيها الراهب ودعت له بسفر ميمون وعود محفوف بالسلامة · فودعها وسافر فرحاً الى اورشليم · ولما بلغ الاراضي المقدسة اتم فروضه الدينية بورع وخشوع واقام المدة المعينة ثم قفل راجعاً مع القافلة · وقد سها عن باله ماوعد الرئيسة مارينا به وهو ايقونة العذراء وما ابتعد رمية سهم عن سور المدينة حتى سمع هاتفا به يقول : نسيت يا انبا تاوادوروس ما وعدت الراهبة مارينا به وما اوصتك عليه فاضطرب جنانه وفطن الى وعده وابى الا ان يؤوب الى المدينة ويشتري ايقونة العذراء حتى ولو تعذر عليه فيما بعد اللحاق بالقافلة مغادرا في الحال لا

يلوي على شيء حتى دخل السور ثانية فالتقى هناك ببائعي الايقونات المقدسة واختار ايقونة جميلة تفيض نوراً وقال هذه تصلح بان تهدى الى دير صيدنايا فابتاعها بلا مساومة وعاد مسرعاً يسابق الريح حتى ادرك رفاقه · وبعد مسير المرحلة الاولى طلب القوم الراحة من عناء السير · فهرع الراهب الى الايقونة واخذ بالامعان بدقة صنعها وما بذله الصانع من الاعتناء بها الى ان جاءت جميلة وجليلة ولشدة فرحه بها لفها بعصابة من القطن ووضعها طي همیانه وعند طلوع الشمس استأنف السير مع رفاقه ·

﴿ الايقونة واللصوص ﴾

بينما كان القوم سائرين يقصدون مواطنهم واذا بنفر من قاطعي الطرق اعترضوهم وهموا بسلب اشيائهم وما معهم من الامتعة ففتوا في اعضادهم وكادوا يستسلموا الى العدو واذا بصوت منبعث من الهميان يقول « لاتخف ياتاوادوروس فلا يمسك هؤلاء الاجلاف باذى » فايقن الرهب ان هذا الصوت هو صوت الهي فزال عنه الجزع واجتاز هو ومن معه بين اولئك الغزاة امنين لان قوة الهية صدت الاعداء فلم يقووا على الدنو من العائدين من مدينة الانبياء والقديسين والمتشحين جلابيب الخشوع والاتكال على اله الصلاح ·

﴿ الايقونة والاسد ﴾

ولما بلغ القوم مدينة نابلس انقسموا الى فئتين الاولى منهما تفضل السفر بحراً والثانية ترغب في مواصلته براً · واتفق في هذه الاثناء مرور جماعة

مسافرين الى الناصرة فسار الراهب برفقتهم وكان قد انتشر الخوف على تلك الطريق من وجود اسد هائل ضخم الجثة كريه المنظر يفترس الانسان والحيوان ولاشيء يرهبه من الناس . وما كاد الرهب ومن معه يجتازون نصف المسافة حتى اتاهم الاسد وقد اودى به الجوع وهم بافتراس من يلتقي به اولاً . فهلعت افئدتهم وجزعوا جزعاً شديداً ولم يكن للراهب ما يفرغ مجهوده للاحتفاظ به سوى الايقونة فادركت السيدة العذراء مبلغ ايمانه واوحت اليه « بان لا يرهبنك ياتاوادوروس وجل فاني معك » ثم تقدم ونشط جماعته وسألهم اتباعه واقصى عنهم الذعر من سيد الوحوش واكد لهم ان العذراء تنقذهم منه . وعندما تقدموا لم يروا الا وقوى الاسد قد وهنت وولى مدبراً . لان صوتاً كهزيم الرعد ذعره وكان شكيمة له فاجتاز المسافرون وقد فارقتهم الرهبة بساطة سيدة البرايا وحمايتها .

✵ الايقونة والعاصفة ✵

وبعد ان اتت هذه الايقونة المقدسة المعجزتين اللتين مر ذكرهما اشتد تمسك الراهب بها وقد حدثته نفسه باستبقائها له تبركاً بها فتفرج عنه الكروب وتمزق غياهب المخاوف وتزيل صنوف المكاره فابى الا ان يحتفظ بها وقد تحول عن الذهاب الى الدير لئلا تسأل الراهبة الرئيسة البر بوعده ولم يكن ليرغب بالخيانة وانما حبه للايقونة استهواه الى ابقائها في حوزته .

ففي الناصرة اقر المجيء الى عكا فجاءها ومنها ركب البحر على سفينة متحولاً عن صيدنايا وما اقلعت السفينة وبلغت مسافة عن الشاطئ حتى هبت ريح عاصفة اثارت حقد البحار على الراهب فكادت تغرقه بين طبقات

امواجها وتبتلعه بين اشداقها هو ومن معه فطفق البحار يطرح سلعهم في البحر ليخفف محمول السفينــة وقد تمثلوا الموت امامهم بصورته المجسمة فاستعدوا وهيأوا نفوسهم لمفارقة الحياة وودع كل منهم الآخر . وكان الراهب في تلك الساعة المخيفة غارقاً في التأملات وفي العجيبتين اللتين بواسطتهما تخلص من الخطر الفادح وكان على امل بان هذه المرة تكون نظيرها فيهدأ هيجان البحر وما طرأ على باله هذا الخطر حتى سمع صوتاً من خلال هدير الامواج التي كانت تصــارع السفينة يقول (لا ترتعب ياراهب فاني معك) وللحــال سكنت الريح وهدأت الامواج ولم يبق ثمة ما يعكر راحة المسافرين

فتأمل الراهب الامر وقال في نفسه لعل ما حدث من ثوران الطبيعة الآن هو عقاب لي انا الخاطئ الذي احرز صرف نقل ايقونة السيدة لاهدائها الى ديرها العظيم في صيدنايا وما اجدر بي ان اكون صادق العهد وثيق الذمة

ثم استرسل في نفسه ومعاتبتها وعذلها وعقد النية على ايصال الايقونــة الى الدير مهما كلفه الامر . وكأن الرياح ارسلته الام البتول . وارسلت في الحال رياح عاصفة قاومت مجرى السفينة واعادتها الى مرساها في مرفأ عكا حيث اضطر الركاب الى نزول اليابسة بعد تجشم الرعب والخوف فضلا عن الدوار الشديدة . وقد فهم الراهب الذي شعر بهذا العقاب ان لا مناص له من ايصال الايقونة الى مقامها المكرم على الرغم من كل محاولة بالفرار بها الى وطنه .

✵ الايقونة والندى ✵

نزل الانبا تاوادوروس من المركب الى المدينة وفي الغد برحها الى طبريه ومنها يمم دمشق فصيدنايا

فدخل الدير من جملة الزائرين المحتشدين فيه ولم يظهر نفسه للرئيسة التي غاب عن بالها معرفة شخصه لكثرة الزائرين ولم تتبين امره فبقي هو متكتماً يومه كله . ولما حان الليل حل اللفافة عن الايقونة فرآها مبتلة بندى تفوح منه رائحة زكية كالبخور فادرك انها نديت لقداستها فاعاد غشاءها الى ما كان عليه واودعها هميانه واقر ثانية على استبقائها لنفسه لانه وجدهــا معدن قداسة وطهارة .

﴿ الايقونة والباب ﴾

وقد بلغ المطمع من الانبا تاوادوروس مبلغاً قصياً دفعه الى الاحتفاظ بايقونة السيدة لنفسه وان يبرح الدير خلسة . بعد ان صمم النية على ذلك قصد الرئيسة مودعاً كباقي المودعين فدعت له بالسلامة لطفاً وكرماً منها وتحول من ثم نحو الباب ليخرج منه حيث الكثيرون يدخلون ويخرجون ذهاباً واياباً واذا اعترتــه حيرة اسدلت غشاوة على ناظرتيه وقامت حاجزاً كثيفاً اضله عن الخروج فعاد الى باحة الدير ووقف عن كثب مراقباً ظهور اخوانه فتبعهم الهوينا واذا به باقٍ ضمن حاجز داخل الباب وقد خرج الآخرون ولم يبق سواه في الداخل .

وكرر هذا العمل مراراً هاماً بالخروج ولا وسيلة اليه حتى اعياه امره فعاد الى غرفته وقد ثقلت عليه الاحزان وتجاذبته الهواجس وشق عليه كثيراً خساره ذلك الكنز الثمين وهو لديه اثمن الكنوز وبات وهو لا يستطيع الخروج الى ظاهر الدير ليفر بالايقونة ويعود الى موطنه غانماً .

اما الرئيسة فقد لاح لها بارق سر في داخل الراهب اذ رأته حائراً يقصد

الباب ويعود كئيباً ويرسل اليه الطعام فيأبى تناوله وقد توسد الهموم وتقسمته الغموم · فجاءتـه الرئيسة وامائر الاضطرب ظاهرة على وجهه واستوضحته كنه امره ووعدته الاخذ بناصره فيما اذا كان له حاجة يروم قضاءها او اذا كان في ضيق يرجوا فرجاً منه · فلم يعد بوسعه في تلك الساعة كتمان امره ولا التظاهر بما ليس في خاطره فاطلعها حقيقة الحال وقص عليها القصة المارة بحذافيرها ثم طلب عفوها واستغفر الله عما اجترمه من الذنب الذي شعر بعظمته وقد فصل لها ما جرى تفصيلاً تاماً اوقفها فيه على ما دفعه الى مزيد الطمع بالاحتفاظ بالايقونة لنفسه وكيف انه غلب على امره وفازت عليه فوزاً مبيناً نفدت دونه جميع الحيل التي ابتكرها وانتهت اخيراً بالمعجزة التي كانت حرمانه بخروج الدير ظالماً والايقونة محفوظة في هميانه ·

﴿ هيئة الايقونة ﴾

وبعد ان قص رايته العجيبة نهض واتى بالايقونة وازاح عنهـا الغشاء المتبلل بندى القداسة ودفعها الى الرئيسة بكل احترام وقال لهـا : « اسلمك بخشوع هذه الايقونة المقدسة ملتمساً منك ان تبدي مزيد العناية في خدمتها يومياً ولم يبق لي اصطبار على هجرها فالافضل ان استمر على الاعتناء بهـا والقيام بخدمتها والتبرك بها حتى انقضاء حياتي اذ لا خير لي في الابتعاد عن هذا الدير المبارك »

فاحتفل هو والرئيسة بوضع الايقونة في كوّة مرتفعـة قليلا وكان الندى يقطر منها فجمعته الرئيسة واودعته في اناء لكي تهبه للمرضى ولطالبي معونة السيدة من الزائرين وما زال الانبا تاوادوروس يتبارى في خدمـة

الايقونة لحتى ادركته الوفاة ·

وبعد مضي سنوات قبضت الرئيسة ايضاً الى لقاء ربها فقام من بعدها خلفاء بالغوا في العناية بالايقونة وهم من المتوحدين والمتوحدات الذين انقطعوا عن العالم وسكنوا هذا الدير منصرفين الى العبادة والتقشف وعمل البر ·

❊ الايقونة والكاهن ❊

ولما تولى شؤون الدير راهب متعبد يدعى الانبا يوحنا رأى ان ينقل الايقونة من مكانها الى مكان آخر اعده لها وهو المقام الحالي — فاتفق في ذلك الحين مجيء الانبا موسى اسقف الاسكندرية الى صيدنايا زائراً مقام العذراء المكرم · فالتمس من سيادته الاذن بنقل الايقونة الى الموضع الجديد الذي هيأه وهو جميل يليق بها فاذن له بذلك ثم ان الاسقف غادر صيدنايا وآب الى الاسكندرية مركزه ·

فعين الراهب موعد الاحتفال بنقل الايقونة يوم احد وطلب من كاهن البيعة ان يحضر الى مستودع الايقونة بعد تلاوة القداس الالهي فحضر وهو متشح الحلة الكنائسية وتبعه جموع كثيرة فاحتفل الراهب وساكنو الدير بنقل الايقونة الى الكوّة الجديدة اذ رفعها الكاهن مرقس بيديه بكل احترام ووقار وبين التهاليل والترانيم وبمشهد حافل بخاصة القوم وعامتهم ·

ولما كان الكاهن متزوجاً فقد نجم عن لمسه الايقونة اذ اعتراه ارتعاش واصابته قشعريرة وحدث في المكان هزة مؤثرة واضطرب الماء المجموع في صهريج هناك وشعر القوم بضيق شديد فخيل لهم انهم دنوا من اليوم الرهيب الاخير · فعجل الكاهن مرقس ووضع الايقونة في المقام الجديد وقد طارت

نفسه شعاعاً لهذا الحادث الذي جاء بمثابة زلزال شديد للغاية و بعد برهة شاء السجود ورسم اشارة الصليب فلم تـقو ركبتاه على الانحنـاء ولا يداه على الارتفاع اذ اصيب بشلل في يديه ورجليه واعتقل لسانه فبات ابـكم ولم يتمكن من تلاوة صلاة الختام و بعد ثلاثة ايام استأثر الله به مصابا بهذا الداء الفجائي القتال ·

فعظم مصابه على ذويه ودفنوه الدفنة المكرمة واجمع الانبا يوحنا ومن معه منذ ذلك الحـين على ان لا يدفن في الدير احد بعده وان لا يقبل في رهبنة هذا الدير الا الراهبة العذراء التي تتفرغ لتسبيح الله في صومعتها راضية بالدين عن الدنيا ومؤثرة العبادة والتقشف على كل شيء عالمي

ومنذ ذلك الحين لم يجرأ احد ان يمد يده فينقل الايقونة من مكانها الذي لا تزال فيه الى يومنا هذا وهي داخل باب من الفضة يؤمها ذوو الضمائر الحية ممن يتقون بقداستها فيغشى معبدها كل يوم مصابون بامراض مزمنة عجز عنها الأطباء فيعودون اصحاء سليمين هازئين بالعقاقير الطبية مسبحين الله وممجدين الام البتول التي لا ترد شفاعتها ولا تخيب امل اللاجئين اليها فتنطق الابكم وتسمع الاصم وتبصر الكفيف وتبرئ الاجـذم وتشفي المحموم وتطلق الاشل وتنقي سائر الاسقام المزمنة ولا فرق عندها في الملل والنحل سواء يأتي الى استغاثتها اليهودي او المسيحي او المسلم او الدرزي على تباين مذاهبهم وتشعب فرقهم · ومـما لا مشاحة فيه هو ان الكثيرين ابلوا من عللهم ونأت عنهم المـكارة وانتقلوا من محابس الاسر الى رياض الراحة والفرح وكلهم شواهد صادقة على المعجزات الخـارقة الطبيعة التي اتتها العذراء من اجلهم و بينهم

من لا يزال حياً يرزق يحدث بكرامة البتول الالهية وعظمتها الروحية على ما سنورده في التالي

❊ دير صيدنايا ❊

بناية بيضاء كالحمامة النقية متشامخة الاطراف تنبئ كبراً في الضخامة والقدمية وهي مشادة على هضبة مرتفعة جداً مؤلفة جزءاً من جبل رفيع الذرى اسوارها كثيرة التعوجات على ما اقتضته طبعة تلك الرابية الشاهقة بنتها ايدي الرومان بعد المسيح فهي ان لم تكن الهية كما يروي التاريخ القديم فانها احد هندسات تلك القرون التي لا تزال اثارها الى اليوم تحدث بعظمة وذكاء ابنائها · بناية ينم ظاهرها على انها معقل عظيم من معاقل الدول البائدة التي لا تزال اطلالها قائمة الى الان وانما هي دير على هذا الوصف ذو مدخل من الجانب الجنوبي وهو المدخل العام وآخر من الجانب الغربي

❊ مقام السيدة ❊

تطل على هذا الدير من موضع سحيق في الفضاء لشدة ارتفاعه فاذا ما بلغته رقيت الى مدخله العام بمراق حجرية عريضة فتلج باباً صغيراً وتجري في منعطفات مظلمة فتبلغ دائرة ضئيلة النور لانها مغشاة بسقف حجري واذا ما اجتزت هذه الدائرة تخرج الى عرصة الدير الكبرى المفشات بالبلاط فترى الى يمينك غرفاً كثيرة تؤلف رواقاً امام بيعة لوالدة الاله ذات ابواب في جوانبها الثلاثة والى يمين البيعة ممر ضيق مستطيل يفضي الى دائرة صغيرة قديمة من رخام جميلة الوضع ومن ضمنها مدخل يؤدي الى حجرة صغيرة تكاد تكون مستديرة تنبعث منها رائحة البخور الزكية رخامية القدم جدرانها

مغشاة بالمرمر وفي سقفها نيطت المصابيح الذهبية بسلاسل دقيقة الصنع وفي وسطها الشموع الضخمة النفيسة مركزها على صفائح نحاسيـة قديمة وفي صدرها قنديل لا يطفى نوره موقد امام كوة غير نافـذة مغشاة بباب صغير من الفضة يغلق و يقفل وضمنه إيقونة مقدسة جميلة اللون متألقة نور القداسة مضى عليها في هذه الكوة ما ينيف عن الف سنة وهي ايقونة السيدة الطاهرة مريم العذراء والدة الله يؤمها المتعبدون من كل اصقاع الارض للتبرك بها وقد اتت من المعجزات ما يعجز عنه الاحصاء وكلها مشهود بها من الاجيال المتتالية ومن ابنائها الاتقياء وعديدون هم الذين ينذرون الرقود في مقام السيدة فيغلق عليهم الباب لكي لا يدخله متعبد آخر وكثيرون هم الذين تراءت لهم ذات الطهر بانواع مختلفة بشكل حمامة نقية البياض او صبية جميلة الصورة بهية المطلع وعجوز بيضاء الشعر كاملة الصورة تحـادثهم وتومىء اليهم ان اصنعوا كذا و كذا او غير هذا مما راوه من يصرفون ليلهم في غرفة ام النور بايمان ونقى اما ذوو العاهات الذين نالوا الشفاء بين اجذم ومفلوج واشل وغيرهم من المصابين بامراض يتعذر زوالها فيفوقون الحصر . وقد نالوا الشفاء بالايمان على حد قول المخلص للمخلع : « قم واحمل سريرك وامش ايمانك خلصك » :

﴿ كنيسة السيدة ﴾

اشرنا الى الحنايا القائمة على يمين باحة الدير الكبرى المتصلة بها بيعة على اسم السيدة العذراء وان لهذه البيعة ابواباً قائمة في جوانبهـا الثلاثة مستطيلة رحبة جداً لا تنجو من مشابهة بكنيسة القديسة مريم (المريمية) الكاتدرائية الارثوذكسية في دمشق ببعض المشابهة

هي بيعة كثيرة الاثاث والمتاع النفيس فيها القناديل الثمينة والأواني والذخائر الرفيعة الأثمان وفيها من التقدمات والهدايا ما يمكنه ان يملئ بيعة أخرى مثلها تقام فيها الشعائر الدينية صباح مساء وايام الآحاد والاعياد واليها يأتي مسيحيو صيدنايا لانها تعتبر كنيسة القرية ويتناوب فيها خدمة القداس الالهي ثلاثة كهنة من القرية نفسها فيأتون في مواعيد الصلاة وبعد الفراغ منها يعودون الى منازلهم وفيها يقيم الراهبات واجباتهن الدينية مع رئيستهن والزائرين من المسيحيين

وان المحفوظ المخبوء من الحلى والأواني الثمينة اكثر من المعروض فيها لدى الانظار • وعلى الاجمال فكنيسة السيدة فخمة غنية جداً وذلك كله من فضل المحسنين من المؤمنين

يقرع الجرس قبل الصلاة فبالنظر الى مركزه في قبة شاهقة على رابية يبلغ صوته اقصى الفضاء وترددصداه النواحي المتجاورةوهذا الجرس الضخم الحجم القوي الصدى هو تقدمةمن البلاط الروسي الى الدير برسم هدية

﴿ مكتبة الدير ﴾

في الدير مكتبة عظيمة نفيسة للغاية قديمة العهد تضم عدداً كبيراً من الكتب المخطوطة والمطبوعة وفيها من الكتب المعتبرة كنوزاً ثمينة قد لا يعرف قدرها غير ذوي الافكار الثاقبة والادمغة المفكرة الذين يتعشقون مطالعة الكتب القديمة ويستفيدون من فوائدها الجمة

﴿ مباني الدير ﴾

تتألف بناية الدير من قصور شاهقة رحبةقديمة وحديثة الصنع والهندسة

فالقديمة منها الى زمن بناء الدير الحديثة قام بنفقاتها الموسرون المحسنون في المدن الكبرى كدمشق و بيروت وحمص وسواها وفضلاً عن هذه القصور فان عدد الغرف التي تغص بالزائرين في ايام العيد تناهز الثلاثمائة غرفة وهي على كثرتها قليلة جداً بالنسبة الى الخلق الذي يزدحم كل سنة في الدير فيملأ باحاته وغرفه ويشابه بتموجه تموج البحر الزاخر

و يضرب الزائرون في كل سنة سرادق للايواء اذ يضيق بالكثيرين الدير على رحب قصوره فيشابهون بهذا العمل معسكراً أوان الحرب يتأهب لاجراء مناورات حربية و بعض ابناء البلدان ينسب بعض مباني الدير فيقول — مثلاً — الدمشقيون ان القصر الفلاني هو ملكنا ولا يجرأ سوانا على امتلاكه في فرصة العيد و يقول مثلهم اهالي راشيا و كذا اهالي زحله وسواهم كثيرون ممن يدعون ملكية بعض الصروح في الدير اذ يعزون سبب بنائه اليهم ·

﴿ عيد السيدة ﴾

هو العيد السنوي الذي تحتفل به الامة النصرانيــة تذكاراً لميلاد والدة الاله من والدتها القديسة حنه في الثامن من شهر ايلول · ولما كان هذا الدير العظيم مشاداً على اسم السيدة ذات الطهارة وام النور فتؤمه الخلائق الغفيرة من كل جهات سوريا الى درجة يضيق بها الدير على رحبه كما ذكرنا آنفاً فيلجأ معظمها الى بيوت القرية التي يخلي اصحابها منازلهم لايوائهــا ليلة العيد وهم غير مبالين اذ يقضون ليلتهم بين اهازيج القوم وجلبتهم واطلاق العيارات النارية التي تدوي منها الامكنة المجاورة

يأتي المسيحيون من دمشق وضواحيها و بيروت وتوابعها وزحله ومــا

حواليها ووادي التيم وحمص وحماه وحلب ولبنان والالوف من المدن والقرى السحيقة والقريبة وكلهم شوق يحملهم على جناح اليمن الى دير صيدنايا وقد اعتادت رئيسة الديران ترسل وفداً مع راية الصليب المكرم لاقتبال الزائرين لدن اشرافهم على القرية في رأس العمود فيستأنفون المسير وامامهم الصليب في موكب تحف به المهابة والجلال بين بارود يلتهب في الفضا واصوات تتعالى وجماهير تتزاحم في الخلاء حتى يبلغوا الدير

اما ليل السابع من ايلول المعروف بليل العيد فهو بهجة الاوقات وعنوان الحظ وموضوع اللذات بل هو اعظم ليالي السنة يحظر فيه على الجفون الاغماض وتأبى القلوب الا الفرح فيصير الجميع اخوة واخوات اذ يجتمع في هذا الليل ما ينيف عن الخمسة وعشرين الف نسمة بين شاد وهازج وهاتف وضاحك وفرح وراكض وراقص ومتخطر وراشف كاس الراح تعلوها حباب الابتهاج وقلما يعكر هذا الصفاء اضطراب ·

لعمري ان ليلة العيد لأفضل ليالي العمر لمحبيها بين جماهير اتت مدفوعة بعامل الابتهاج في تلك الليلة التي صنعها الرب للفرح في دير عظيم مضى على تشييده فوق تلك الصخور ما ينيف على الف وخمسماية سنة وما زال كل سنة يزداد اتساعاً ونمواً بينما تجد سواه من الاديار القديمة يعود الى الوراء او اصبح اثراً بعد عين · ورد في دائرة المعارف البريطانية للطبعة الحاديـة عشر تحت عنوان الرهبنة هكذا «ولم يبق في سوريا سوى ستـة اديار تغلبت على صرف الدهر وبقيت قائمة الى يومنا هذا» وهذا الدير هو من عـداد الستة الاديار المشار اليها في فلسطين وسوريا

﴿ بستان الدير ﴾

وعلى بعد غلوة من صيدنايا بستان السيـدة المشهور وهو مطوق بسور ومغروسة فيه الاشجار المثمرة والخضر والاعشاب والاشجار العديدة الاجناس يروى بما تجري اليه من بئر محتفرة تحت الدير وهو بستان خصيب ذو مورد جزيل يؤمه الزائرون في الموسم والمصطافون قبل شهر ايلول لقتل الوقت والنزهة تحت ظلال اشجاره الباسقة و بين اعشابه المخضلة وازهـاره ذات الشذاء ونقام عليه الحراس يعينهم وكلاء الدير

﴿ طريق الزائرين ﴾

وقد كان الزائرون يلاقون بعض العناء على الطريق بقدومهم من دمشق غير ان الحكومة بمساعي رئيس الدير قد اصلحت الطريق العمومية واشتراك ماديًا باصلاحها فباتت عجلات الركوب تتمكن من الذهاب عليها والاياب بين دمشق وصيدنايا بكل اطمئنان وتوفرت بهذا للزائرين اسباب الراحة .

﴿ رئاسة الدير ﴾

من بنايات الدير قسم مختص بالرئاسة و يطلق عليه اسم (المرؤوسية) يشمل غرفة الرئيسة وقاعة الاستقبال التي يغشاها الطارقون في كل يوم وغرفاً اخرى احتياطية ومضجعاً كبيراً يقيم فيه الطهاة لاعداد الطعام للزائرين وفيه العذارى اللواتي يؤثرون التوحيد والتنسك للانخراط في سلك الراهبات فيقضى عليهن ان يتجردن للخدمة الجسدية سبع سنوات يرتدين في كل مدتهـا ثياباً زرقاء و يعددن الاطعمة للراهبات المتوحدات في مواقيتها المعينـة و يعملن في الدير بايديهن حتى تنقضي المدة المعينة ومن ثم يحصين في عداد الراهبات زميلاتهن

وفي هذا القسم ايضاً مخزن الدير الموذوعة فيه المؤنة السنوية وكلها من ارزاقه يوتى بها قناطير مقنطرة لسد العازة في كل سنة وقد يندهل من يشاهد هذا المستودع الكبير لما فيه من الاشياء المختلفة من حبوب وخضر وبقول وماسواها

وفي هذا القسم مستودع الفرش والرياش والاثاث معدة للضيوف مهما كثر عددهم في ليلة واحدة ولا سيما في ايام العيد · وللدير اربعة آبار ماء ·

قلنا : تقسم في هذا القسم الرئيسة المتوحدة مريم السمرا وهي دمشقية المولد وشقيقة الثالث الرحمات السيد ابيفانيوس مطران حلب الذي ادركته المنية بعد مرور زمن قصير على سيامته اسقفاً · وقد ابدت حضرة الرئيسة منذ توليها هذا المنصب الجليل كل عناية واهتمام بامر الدير وباخواتها الراهبات فتظهر لهن كل لطف ومراعاة وايناس ونحو الزائرين ايضاً وتعمل جهدها على تحسين الادارة واكثار الموارد مما يدل على حكمة وتيقظ وغيرة تشكر عليها ·

✻ راهبات الدير ✻

ويتصل بباحة الدير الكبير الى اليمين ممر يوءدي الى القسم الخلفي المطل على واد عميق في هذا المكان يقضي اوقاتهن الراهبات المتوحدات اللواتي اتممن زمن الخدمة التي هي سبع سنوات في مطبخ الدير في قسم الرئاسة فتقيم كل منهنَّ في غرفة تملكها فتعتني بفرشها وترتيبها طول حياتها وكل هذا القسم مبني من احجار متحاذية متجاورة ولكل غرفة منها نافذة واحدة فتصرف الراهبة نهارها وليلها في داخلها او على بابها ولا يسمح لهن باذن بان يتجاوزن القسم المختص بهن ففي الصباح والظهر والغروب يدعين بقرع الجرس الى المائدة فمنهن من يتناولن الطعام على هذه المائدة ومنهن من توءخذ لهن الاطعمة الى

غرفهن الخاصة مستقلة عن سواها · وفي الصباح يقرع جرس كنيسة السيدة فيهرعن كاهن الى الصلاة وهكذا عند المساء لاستماع صلاة الغروب وفي بحر النهار لا ينقطعن عن اتمام فروضهن الدينية و يقمن باشغال شتى يدوية كنسيج وتطريز وما شاكل ذلك مما يعود عليهن منه بعائد مادي يجمعنه وتفتخر الراهبة المتوحدة على رفيقاتها بالتوفير و بتكثير ثروتها التي تتركها للدير لتعزيزه وجعله ملجا عظيماً ·

﴿ الملك يوستينيانوس قيصر الروم ﴾

(مشيد دير صيدنايا)

ترجمته : ان مشيد دير صيدنايا فلافيوس اتوسيوس يوستينيانوس قيصر الملقب بالعظيم من قياصرة الرومان ولد في ١١ ايار سنة ٤٨٣ بعد المسيح في بلدة تسمى طورسيوم من اعمال دردانيا والظاهر انها مدينة سكوب وهو من البرابرة واما يوستينيانوس فهو اسم روماني منحه اياه عمه يوسيتيوس الاول الذي رباه وكان له الفضل في تقديمه على اترابه · ولما بلغ اشده جاء الى القسطنطينية (وكانت من قبل تدعى بزنطيه فحول اسمها قسطنطين الكبير الى قسطنطينية على اسمه وكان يتحين الفرص لاتيان الاعمال الخطيرة حتى اذا ما تبوأ عمه عرش القياصرة ارتقى هو بدوره الى عزة لا تناصب فتدخل بالسياسة ومد اليد الطولى الى الشؤون الكنائسية نائباً مناب عمه يستينوس الاول الهرم و زال مديراً الامور الراهنة بحكمة وحنكة حتى نظرت اليه المملكة نظرة و العهد وفي الاشهر الاخيرة من حياة عمه سمي شريكاً له في الملك فكان ثا القيصر ولما ادركت الوفاة عمه في سنة ٥٢٣ نودي بـه قيصراً مكانه وفي

٥٢٧ تزوج من تيودوره الشهيرة التي بصفتها قيصرة اشتركت مع زوجها في الاحكام وسائر الشؤون حتى توفيت عام ٥٤٧ ولشدة غيرة هذا القيصر الورع على المسيحية تمكن من بثها في اوروبا وآسيا وفي عهده تنصر سبعون الفاً من الوثنيين في اسيا الصغرى وحدها ونفي الوثنيين الى خارج العاصمة ولكن ذريتهم تمذهبت بالمسيحية لاختلاطها بالشعب المسيحي ·

وقد وصفه المؤرخون بانه كان ربعة القامة جميل الطلعة متورد الخدين ذو جلد غريب على الجوع والظمأ والارق وكان يصرف اكثر لياليه بالمطالعة والكتابة وكان كاتباً ضليعاً وله كتابات يحفظها له التاريخ حتى يومنا هذا وقد اشتهر وذاع اسمه في اقطار العالم وفي البلدان التي وطأتها قدمه · اذ ابتنى المعابد الشاهقة والاديار الباذخة التي انفق عليها الاموال الجزيلة فخلدت ذكره مدى الاجيال ولا تزال هذه الاديار والبنايات العظمى قائمة شواهد نواطق بفضله التي منها دير صيدنايا الذي نحن بصدده والمتقادم العهد ·

ومن آثاره الخالدة تجديده بناء كنيسة اجيا صوفيا في القسطنطينيه وهي الان جامع يقيم فيه المسلمون الشعائر الدينية ويعد من اعظم الجوامع في الدنيا وابتنى كنيسة مغارة المولد في بيت لحم ودير القديس سابا الناسك المشيد على مقربة من اورشليم وامر بتجديد البيع التي هدمها السامريون ايام ثورتهم عام ٥٣٠ وامر بتشييد بيعة على اسم العذراء التي كان شرع بتشييدها البطريرك ايليا في اورشليم وابتنى مستشفى للغرباء في اورشليم وامر ايضاً ببناء دير القديسة كاترينا في جبل سينا وكنيسة السيدة في جبل سينا ايضاً بعد ان كان شرع ببنائها البطريرك ايليا الاورشليمي وابتنى في انطاكية

كنيسة عظيمة بعد ان دمرت الزلازل كل المدينة ومنذ ذلك الحين اطلق عليها اسم نيوبوليس اي مدينة الله ولا يزال هذا اللقب مطلقاً على اسم انطاكية حتى يومنا هذا وامر ببناء دير القديس سمعان العجائبي الانطاكي وكنيسة اجيا صوفيا في جزيرة قبرص وسوى هذا قد اقام دياراً اخرى عديدة يقيم فيها المسيحيون الفروض الدينية ويذكرون امام مذابحها اسم مشيدها العظيم الذي ذهب لملاقاة ربه في الرابع عشر من شهر تشرين الثاني سنة ٥٦٥ مسيحية وكان عمره عند وفاته ٨٢ سنة ·

﴿ عجائب السيدة العذراء ﴾

حادثة الستين الشهيرة وتأثيرها في صيدنايا

اطل شهر تموز سنة ١٨٦٠ على ربوع سوريا بجر تحرق لوافحه فهصر الادمغة وبث في الصدور اوار الاحقاد فانتشرت ريح سمائمه المتقدمة بلفحات الاراء العاثرة وانقسم السكان المتآخون في ظل حاملة وطنية واحدة على انفسهم انقساماً دمر البلاد واباد العباد فثار الفريق الاكبر على الاصغر ناقماً ساعياً للاجهاز عليه تحت صبغ الدين فقام المسلمون والدروز على المسيحيين قومة واحدة اهتز لها البدو والحضر ولم يبق لهؤلاء مستجار يلتجئون اليه سوى الانسانية التي حركت عوامل الرحمة في قلوب العالم المتمدن فحولت نحوها انظارها

لما تفاقم في جو سوريا دخان الحرب والثورات والفوضى خاف اهالي صيدنايا وهرعوا الى الدير لاجئين محتمين ضمن اسواره من امام جماعات العدو المتألبة التي بلغهم نبأ تجمهرها حوالي دمشق فتوسلوا الى حامية الدير البتول باسباب الرجاء وكانوا اليها امر نجاتهم على انهم بالوقت نفسه آثروا التاهب

لمقاتلة العدو والثبات في موقفهم مدافعين .

كان العائثون في البلاد فسادا يبحثون عن المواطن الغنية التي يمكنهم امتلاك نفائسها فعلموا ان دير صيدنايا من اقدم واكبر المعاهد المشحونة بالذخائر والحلى والحجارة الكريمة فجمع دروز جبل حوران ووادي التيم على ان يحملوا عليه حملة شعواء فعقدوا لزعمائهم مشائخ القرى . وكان قد ترامى الى حشدا من اشد المتاولة في ضواحي بعلبك عقد الامير محمد الحرفوش واخوته لانتهاب دير صيدنايا فاغتنموا الفرصة السانحة وامتطوا جيادا تسابق الرياح وساروا نحو صيدنايا وخيموا في الرقاب المحدقة ببستان الدير وبعد قليل هبوا بحماسة وشوق لفتح الدير واغتنام ذخائره .

اما سكان صيدنايا المتمنعين ضمن اسوار الدير فقد اصلوا الاعداء نارا حامية لم تكن لتؤثر فيهم لان هؤلاء حملوا على الدير تحت نقع الشر وخبث النيات وكلهم عيون ترمق الدير وتطاير شرر الطمع واذا بحمامة بيضاء رائعة المنظر تخفق فوقهم وهي تطوف بالدير ثم تشرف فتذر في عيون الاعداء رمادا اوقعهم في يأس وقد هم بعضهم برمي الحمامة فلم تثبت الرماية ورماها بعضهم فاخطأها وقد استمروا سائرين حثيثا نحو الدير فلم يبلغوه فهالهم ما شاهدوه من امر الحمامة وعادوا القهقرى الى قرب البستان فصرفوا لياليهم في التفكير والتدبير ولم تمت مطامع العاطفين وبات الجميع على الطوى مقاسيا حتى يبلغوه وحبط مساعيهم القنوط . وفي اليوم الثاني جددوا شن الغارة على الدير فلم يكن لهم سوى حمامة الامس فحدرتهم بقوة الهية وذرت عليهم الرماد مرة ثانية فكان اشد عليهم من كرات المدافع وبعد ان ارتدوا مرات عن الدير في

ثلاثة ايام متوالية قالوا لقد اعيتنا عزراء النصارى فلا نقوى على نهب ديرها ولكننا سننهب الماشية المنتشرة في الرحاب الغربية ·

فعادوا يعثرون باذيال الخيبة والفشل وقد اودى بهم الجوع وظهرت على مطاياهم اماثر الاضطراب لانها لم تصب مرعى البستان واذ بلغوا قطعان الدير المنتشرة للمرعى في البرية احتاطوا بها من كل جانب طمعاً بكسبها غنيمة باردة فهموا بسوقها فلم تتحرك فانتهروها فكانت كالجوامد لا يؤثر فيها فادرك الدروز حينئذ ان لا نصيب لهم مما يخص الدير سواء كان في داخله اوظاهره· وقالوا فلندع الماشية وشأنها فان عذراء النصارى تحميها اياً كانت فجازوا عنها الى غيرها ففتحوها بلا عناء وذبحوا منها ما يسد جوعهم بعد حصار ثلاثة ايام حط من همتهم وقبض رجائهم وآلوا ان لا يهاجموا معابد النصارى باذى لان اولياءها ذوو كرامة عند ربهم فينجون هياكلهم من الخطر

☀ حملة المتاولة ☀

اما المتاولة فقد جهزوا الخيل على صيدنايا بقايدة الامراء الحرفوشيين محمد وعساف وخليل من قضاء بعلبك الذين عنت لهم تلك الجهات وكانوا فيها حكاماً مطاعين فلما بلغت جموعهم صيدنايا دخلوها من جهة رأس العمود وامامهم القائد الكبير محمد حرفوش على امل فتح الدير بسيوفهم وكسب ما غلا ثمنه وخف حمله فكانت انظار سكان صيدنايا اللائذين بالدير موجهة اليهم ومتأملة حركاتهم ولم تكن نارهم لتصد هجمة المهاجمين الغاشمين ·

ولما دنا الاعداء من منهل بالقرب من صيدنايا ظهر امامهم بغتة فارس رامح على جواد ازرق فتقدم على الامير وقال له (ادركتك الخيل يا امير

ادركتك الخيل ياامير) وهو يلتفت نحو الناحية المبسطة وراء نجدة رأس العمود حيث اقبلت جموع المتاولة فخيل للامير محمد في الحال ان النصاري اللبنانيين اقتفوا اثر رجاله وكادوا يدركونهم فارتاع جداً من تحذير الفارس الفجائي وصرخ في من حوله محذراً وامرهم بالاحجام فتراجعوا حالاً وما بلغوا الموضع الذي اشار اليه الفارس خواض الغمارات حتى ادركوا الحيلة واوحي اليهم ان لا يعودوا الكرة على صيدنايا فان اولياءها يحامونها من غارات العدو وظن الكثيرون ان ذلك الفارس (هو الخضر المشهور عند النصارى لان له ديراً في صيدنايا) وقد ظهر بغتة ولو كان من الناس لما تمكن من الظهور امام الامير الحرفوشي بجفلة ومشهد من هذا النوع ولما استطاع بكلمة اغراء ان يزلزل اقدام جيش جرار وقال بعضهم اعتذراء النصارى شديدة الكرامة ارسلت الينا ذلك البطل فالقى الرعب في قلوبنا واقصانا عن ديرها فما نال ولم يمنع بنت عمران فانها اقوى منا

فتلاشت قوى الامير محمود الحرفوش واعتاض بالفشل والاندحار عن نفائس الدير وحلاه ولا تزال تذكر فئة الستين بين قاطني قضاء بعلبك من الشيعيين في معرض الحزن لياسهم وفشلهم والاعجاب بكرامة اولياء الله

وقد روى احد قواد الحملة الدرزية المعتبرين تلك القوة التي صدت جموع المهاجمين لدن ظهور حمامة مطوقة ذرت رماداً في عيونهم وردتهم على اعقابهم خاسرين فقال انه رأى بام العين ماء الحوض المطرد الى البستان تحول الى اديم كانه دم فانف الجميع رشفة وقد اوهنهم الظما فادركوا ان تلك آية اخرى ظهرت لهم لتحملهم على معاودة اهلهم قانعين بما لحقهم من الهوان وقد عافوا الغنائم التي تجشموا كل عناء وخطر في سبيل اكتسابها فكان نكصهم الغير المألوف عبرة للمتوسم وعظة للمتفكر



سيرة

القديس جاورجيوس اللابس الظفر والعظيم في الشهداء

اعلم ايها القاريء العزيز وفقك الله الى معرفة عجائب الله في قديسيه . انه قبلما تريد ان تعرف تاريخ حياة القديس جاورجيوس وشهرته التي ذاعت في جميع اقطار المسكونة لا بد لك ان تعرف السبب لاجماع المسيحيين عموماً على تعظيم هذا القديس المجيد

اجماع المسيحيين على تعظيم القديس جاورجيوس

قد اشتهر هذا القديس العظيم الذي مات شهيد النصرانية عند العرب باسم جرجيس وعند المسلمين باسم الخضر وله عندهم كرامات عظيمة . وعند المسيحيين عموماً باسم ماري جرجس ولما تأيد الدين المسيحي بواسطة قسطنطين الكبير اول ملوك المسيحيين امر هذا الملك العظيم بتشييد كنيسة جليلة في مدينة اللد بفلسطين على قبر القديس نفسه

وقد وجد في كنيسة ببلاد حوران كتابة قديمة العهد مؤرخة سنة ٣٤٦

تذكر ان القديس جاورجيوس هو اعظم شهيد · ومنذ ذلك العهد الى الآن لا يزال المسيحيون في فلسطين يقيمون في كنيسته احتفالاً دينياً عظيماً اكراماً لماري جرجس يشترك فيه الوف كثيرة من سكان تلك البلاد وكان في القسطنطينية هيكل من اعظم الهياكل الوثنية فحوله قسطنطين الكبير الى كنيسة باسم ماري جرجس ونقل اليها بعض عظامه · وفي نحو ذلك الزمان بني بوغاز الدردنيل باسم ماري جرجس · وقد اشتهر هذا القديس العظيم بالكرامة والقداسة في جميع انحاء العالم المسيحي من قديم الزمان ففي سنة ١٢٢٢ عُقد في اكسفورد ببلاد الانكليز مجمع كنائسي وقرر ان يكون عيده يوم بطالة ببلادهم وفي سنة ١٤٧٠ انشا فردريك امبراطور النمسا رتبة من رتب الكافاليرية السامية وسماها باسمه وقد تسابق الملوك الى تسمية القابهم ورتبهم ووساماتهم باسمه · واكثر الدول احتراماً له الآن روسية وانكلترا فان الروسيين اتخذوا رسمه وهو راكب جواده يقتل التنين علامة يرسمونها على حصونهم وسموا اول رتب الجندية عندهم باسمه · ودولة بريطانيا العظمى تضرب رسمه على نقودها الذهبية دلالة على انه حامي بلادها · واما في الشرق فله مقام رفيع جداً فلا تكاد تخلو مدينة او عدة كنائس له · فلا عجب ان افتخر به الشرقيون واقاموا لاعياده مواسم حافلة

﴿ تاريخ ولادة القديس جاورجيوس ﴾

ولد هذا القديس في بلاد كبادوكية سنة ٢٨٠ للمسيح من عائلة عريقة في الحسب والنسب · وقد تربى تربية شريفة حقة ... تأصلت فيه منذ طفوليته الفضائل والصفات المسيحية الحميدة ولكنه قبلما بلغ اشده تيتم من

والده الكريم غاراتيوس الذي استشهد هو ايضاً من اجل الايمان بالمسيح ٠ فاخذته والدته الى مدينة اللد مسقط رأسها في فلسطين حيثما كان لها املاك كثيرة جداً ورثتها من اهلها ٠ ولما كان جاورجيوس جميل الخلقة حسن الخلق ونشأ شجاعاً محباً للحروب فقد انتظم في سلك الجندية وفي مدة يسيرة بلغ الى رتبة قائد الف فاشتهر في الحروب ببسالته وانتصاراته على الاعداء حتى لقب بالظافر فرقاه الامبراطور ذيوفلتيانوس قيصر رومية المشهور في التاريخ باضطهاد النصرانية الى رتبة المشيرية الخطيرة على غير علم منه بانه مسيحي

ولما بلغ جاورجيوس سن الواحد والعشرين توفت والدته وتركته يتيماً وكانت سلوته الوحيدة بعد فقد ابويه الجهاد في جميع انحاء البلاد في سبيل انتشار الديانة المسيحية في ايام الملوك عبدة الاوثان

﴿ انتقال القديس جاورجيوس من فلسطين الى نيقوميدية ﴾
(ومخاطبته للامبراطور ببسالة للدفاع عن الدين المسيحي)

ان القديس قصد مدينة نيقوميدية فوجد منشوراً صادراً من الجمعية الملوكية يقضي باضطهاد المسيحيين معلقاً على حائط احد المحلات العمومية فاقتلعه ومزقه بيده وقصد الجمعية الملوكية المنعقدة ودخل على الملك وخاطبه قائلاً " الى متى ايها الملك وانتم رؤساء الرومانيين تتمادون في وضع الشرائع الجائرة ضد المسيحيين الى متى تضطهدون الابرار وتظلمون الذين عرفوا الدين الحقيقي وتكرهونهم على التمسك بالدين الذي انتم انفسكم تعرفون انه غير حقيقي ٠ ان هذه الاصنام التي تعبدونها ليست آلهة فلا تخدعوا انفسكم بالضلال واعلموا ان المسيح هو وحده الاله الحقيقي فاما انكم تعترفون بالدين

المسيحي الشريف واما انكم على الاقل تتركون المسيحيين ولا تضطهدونهم بحماقة

فلما سمع ارباب الدولة هذا الخطاب دهشوا وانذهلوا ثم التفتوا الى الامبراطور ليسمعوا جوابه · اما الامبراطور فاحتدم غيظاً وغضباً ولكنه كظم غيظه واشار الى ماغنانتيوس احد مستشاريه الاخصاء بان يجاوب جاورجيوس بالنيابة عنه · فحينئذٍ دارت بين مغنانتيوس والقديس المحاورة التالية

— من هو الذي علمك ان تتكلم بجرأة كهذه ؟

— ان الذي علمني ذلك هو الحق

— وما هو الحق ؟

— انه المسيح الاله الذي انتم تضطهدونه

— فهل انت مسيحي ؟

— اني انا عبد للمسيح · وبحيث اني متكل عليه فقد حضرت اليكم لأشهد للحق

فحينئذٍ نظر الامبراطور الى القديس وخاطبه قائلاً « اني فيما مضى قد اعتبرت شرف اصلك وحسبتك اهلاً للوظائف السامية فرقيتك الى اعلى المراتب · والان اراك تتكلم بحرية زائدة آئلة الى ضررك · فمع ذلك حباً بفطنتك وشجاعتك انا انصحك بان لا تهمل نجاحك في الجندية ولا تعرض نفسك للعذابات المبرحة وانت في مقتبل العمر وابان الشباب · بل اشفق على حياتك وقدم ذبيحة للآلهة فترى مني ما يسر خاطرك

فاجابه القديس قائلاً « ليسر الرب الاله بانك انت ايضاً ايها الملك الجليل تعرف الاله الحقيقي وتقدم له ذبيحة التسبيح المرضية لجلاله تعالى

فيهبك اذ ذاك ملكاً غير فان اشرف كثيراً من ملكك هذا المعرض للفساد والزوال · اما انا فلا شيء في الدنيا كلها يقدر ان يتغلب على محبتي لله ولمخلصي يسوع ولا نوع من انواع العذابات يستطيع ان ينزع من قلبي ايماني بالمسيح وثقتي بمراحم الله تعالى

فلما سمع الملك هذا الكلام استشاط غضباً وامر الجنود بان يسوقوا جاورجيوس الى السجن بضرب الحراب فتم ذلك بالفعل · ولكن اولئك الجنود البرابرة لم يكتفوا بتعذيبه في الطريق بل حالما وصلوا به الى السجن مدوه على الارض واوثقوا رجليه ثم وضعوا على صدره بلاطة كبيرة جداً · فبقي على هذه الحالة المكربة الى صباح اليوم التالي · ولكنه كان متجلداً لا يكف عن تقديم الشكر لله تعالى

﴿ عذابات الشهيد المبرحة وانتصاره عليها ﴾

وفي اليوم الثاني احضروه الجنود الى ديوان الملك · فحينما شاهده قال له « اندمت ياجاورجيوس عما فرط منك ام لم تزل مصراً على الظلال · فاجابه القديس برزانة قائلاً « اتظن ايها الملك اني صرت نذلاً جباناً بهذا المقدار حتى ان عذاباً صبيانياً كهذا يجعلني اكفر بالحي واجحد عبادته الا تعلم انك انت نفسك ستمل من تعذيبك اياي قبل ان امل انا احتمال العذاب » فقال له ذلك الملك العاتي الغشوم اني ساذيقك من العذابات الصبيانية ما يعدمك الحياة عاجلاً · قال هذا وامر الجنود ان يأتوا بدولاب كبير مغروزة فيه سكاكين حادة وان يربطوا الشهيد عليه ويديروه بسرعة حتى ينثر لحمه فاتى الجنود بهذا الدولاب ومدوا القديس عليه وهو صامت كحمل وديع واوثقوه

به ثم اداروا ذلك الدولاب الجهنمي بقوة وسرعة زائدة فمزقت السكاكين جسد القديس ومع ذلك بقي صابراً على هذا العذاب المريع واحتمله بشجاعة غريبة بلا تشكٍ او تذمر . وكان يشكر الله ويستغيث بمعونته الالهية القادرة ثم هجع كانه مستريح على فراش ناعم

﴿ حضور صوت من السماء يشجع القديس ﴾

واذ ظن الملك الغشوم ان جاورجيوس قد مات ابتدأ يسبح آلهته الكاذبة ويتهكم على القديس بقوله اين هو الهك ياجاورجيوس « لماذا لم ينقذك من هذا العذاب الصبياني على زعمك » . ثم امر ان يرفعوا جسد القديس عن الدولاب وذهب الى معبد الصنم ابولون ليقدم له ذبيحة الشكر على فوزه باهلاك جاورجيوس ولكن بعد هنيهة من الزمان ظهرت في السماء سحابة كثيفة مصحوبة برعود قاصفة وسمع منها صوت عظيم يقول « لا تخف ياجاورجيوس فاني معك » . وبعد ذلك انقشعت تلك السحابة واصبح الجو صافياً كما كان قبلاً . واذ بشخص مرتدٍ بحلة بيضاء تنبعث من وجهه انوار ساطعة شوهد من الجميع بالقرب من الدولاب الذي كان القديس مطروحاً تحته : ثم تقدم الى القديس وعانقه قائلاً « السلام لك » . فلم يجسر احد ان يدنو من الشهيد الا بعد ان زالت تلك الروءيا وغاب ذلك الشخص الوقور . ولما دنوا منه رأوا وثاقاته محلولة ووجدوه صحيحاً معافى وهو يترنم بتسبيح الشكر لله القادر على كل شيء فاستحوذ عليهم جميعاً الاندهال والدهشة

﴿ مجاهرة اثنين من رجال الدولة بالايمان بالمسيح ﴾

فحينئذٍ اسرع الجنود الى معبد ابولون ليخبروا الملك بما جرى فتبعهم القديس

على الاثر ووقف امام ذيوقليتيانوس · فلم يشأ هذا الملك العاتي ان يصدق ما نقله له الجنود من اخبار الحوادث العجيبة التي رأوهـا وان الشخص الواقف امامه كان جاورجيوس نفسه لا خياله كما كانوا يتوهمون · فلما ظهر الحق استولت الدهشة على جميع الحاضرين فقام رجلان من رجال الدولة اسم احدهما اناطوليوس والآخر بروطولاون وكانا قبلاً قداستنارا بالدين المسيحي وعندما شاهدا العجب الباهر الصائر بالقديس امتلاءا ايماناً حياً وصرخا هاتفين « حقاً ان اله المسيحيين هو وحـده الاله الحقيقي » فما كان من ديوقليتيانوس الغشوم الا ان امر بان يؤخذا حالاً الى خارج المدينة ويقتلا بلا فحص ولا محاكمة وقد نفذ الحكم عليهما · وكذلك كثيرون غيرهما من الذين آمنوا بالمسيح بسبب تلك الاعجوبة قد كتموا ايمانهم ولم يجاهروا خوفاً من الموت · ولكن الملكـة الكسندره زوجة الامبراطور نفسه لمـا عرفت الحق وآمنت بالمسيح قد جاهرت بذلك علانيةً فبادر احد مستشاري الملك واتى بهـا الى قصرها قبل ان يلحظ زوجها شيئاً من ذلك واخذ يردعها عن فكرها فلم تلتفت اليه

طرح القديس في حوض مملوء من الكلس (الجير) الحي
(وخروجه منه سالماً)

اما الملك فلما رأى انه ليس في وسعه ان يخفي ما ظهر للعيان تكدر وانقهر · ولكي يشفي غليله من القديس امر الجنود ان يطرحوه في حوض مملوء من الكلس الحامي (بدون طفي) ويغرقوه فيه ليحترق ويتلاشى وان يقف الجنود لحراسته لئلا يأتي احد ويخرجه منه · وان يبقى جسـده ضمن ذلك

الحوض مطموراً مدة ثلاثة ايام بتمامها ليتلاشى · فحينئذٍ تقدم الجنود الى القديس وقادوه الى حوض الكلس فمشى معهم وهو يبتهل الى الله بصوت عظيم قائلاً « ياسلوة الحزانى ومعين المضطهدين ورجاء اليائسين انت يا الهي وسيدي استجب لتضرعاتي انا عبدك وانظر الي راحماً · يارب نجني من كمين العدو وهبني ان احافظ على الاعتراف باسمك القدوس الى النهاية بدون تغيير · ولا تهملني ياسيدي بسبب خطاياي لئلا يقول اعدائي اين هو الهه · فاظهر يارب قوتك واعلن اسمك ظاهراً في انا عبدك المسكين · ارسل لمعونتي ملاكك الحافظ ليحفظني انا الغير المستحق · انت الذي حفظت في بابل فتيتك الثلثة القديسين سالمين معافين بتحويلك لهيب النار الى ندى بارد · لانك انت هو المبارك » فناداه الصوت « لا تخف ياحبيبي جرجس انا معك ولكي ينفضح هؤلاء الكفرة المنافقون ها انا اعلمك انك ستكابد على الارض عذابات كثيرة واخيراً تنال اكليل الشهادة ويكون ذكرك شائعاً في جميع اقطار المسكونة كلها وبك يتمجد اسمي الى ابد الآبدين فلا تجزع فاني انا معك الآن وكل الايام » · فلما سمع هذا الصوت تشجع وعند وصوله الى حوض الكلس رسم نفسه بعلامة الصليب المقدس مسبحاً الله بابتهاج وهكذا طرح نفسه في الحوض الفائر غلياناً · واما جنود الملك فرجعوا اليه واخبروه بما حصل

ولما مضى ثلاثة ايام دعا الملك خدامه وقال لهم اني اريد ان لا يبقى شيء من فضلات جسد جاورجيوس التعيس الذي طرحتموه في حوض الكلس لاجل عناده ورداءته لئلا يحصل النصارى على بعض اعضائه فيجعلوها موضوع الاكرام والاحترام · فاذهبوا وافحصوا واذا رأيتم بقية من جسده

فاخرجوها وابيدوهـا حتى لا يبقى لها اثر · فلما سمع الجنود الامر الملوكي اسرعوا بالرجوع الى حوض الكلس ومعهم جموع غفيرة من الشعب ليروا ما حل بالقديس · ولما وصلوا و كشفوا عنه وجدوه حياً مرتدياً حلة بيضاء بهية · فحينئذٍ رفع القديس يديه الى السماء وقدم الشكر لله تعالى على ما انعم به عليه من جوده الالهي · ثم خرج من الحوض وهو سالم صحيح بالكلية · فلما شاهد الشعب هذا العجب الباهر اندهشوا وابتدأوا جميعهم بفمٍ واحد يمجدون الله و يقولون عظيم هو اله جاورجيوس · واذ بلغ الخبر الى مسامع الملك قبل ان يعود اليه الجنود امر باحضار الشهيد امامه · ولما مثل القديس بين يديه قال له « اخبرنا ياجاورجيوس باية واسطة انت تفعل هذه الشعبوذات واي صناعة تمارسها لذلك… اني ارى انك تستعمل صناعة السحر لكي تظهر ان مـذهب المصلوب هو الذي يصنع هذه الغرائب فتحمل بذلك الناس على الدهشـة والانذهال وتجعل نفسك عظيماً وتحتال بان تظهر الهك مها كانت صفاتـه كانه اعظم الالهة » · اما القديس الباسل فاجابه قائلاً « اني كنت اظن ايها الملك انكم لم تعودوا تقدرون ان تفتحوا افواهكم بالتجديف على ذلك الاله القادر على كل شيء الذي يخلص المتكلين عليه من جميع الشدائد والضيقـات ولكن لما كنتم قد تولاكم عمه البصيرة واستحوذ عليكم شيطان الضلال بالتمام حتى انكم لا تريدون ان تؤمنوا بالعجائب التي تشاهدونها باعينكم بل تسمونها شعوذات فانا بالحقيقة اندب عمى ابصاركم وعمه بصيرتكم واعدكم تعساء وغير مستحقين ان اجاوبكم جواباً آخر

﴿ تسمير رجلي الشهيد بحذاء من حديد محمي بالنار ﴾
(وجلده بسياط من اعصاب البقر)

فلما سمع ديوقليتيانوس هذا الكلام اجاب قائلاً نحن الان نعرف ان كنت تقدر ان تصنع امامنا عجائب مثل هذه وتعتبرنا غير مستحقين ان تجاوبنا . قال هذا وامر ان يؤتى بحذاء من حديد مع مسامير محمية بالنار ثم امر الجنود ان يلبسوا الشهيد ذلك الحذاء ويسمروه برجليه بتلك المسامير ولما نفذ الجنود امر الملك طفقوا يضربون القديس بالعصي لكي يجري امام الملك فاستهزأ الملك به قائلاً « يالك من ساعٍ سريع الجري ياجاورجيوس » اما الشهيد الباسل بينما كان في تلك العذابات الهائلة كان مبتهجاً يخاطب نفسه بقوله « اجر مسرعاً ياجاورجيوس لكي تدرك النهاية لانك اذا جريت هكذا لا تخيب املك » . ثم رفع عينيه الى السماء واستغاث قائلاً « اطلع يارب من سمائك وانظر الى تعب عبدك الحقير واسمع تنهده ان اعدائي قد كثروا وبغضاً ظلماً ابغضوني لاجل اسمك . ولكن انت يارب اشفني فان قد اضطربت عظامي وهبني الصبر الى المنتهى لئلا يقول عدوي قد قويت عليه » وكان الجنود يسوقونه وهو يكرر هذه الابتهالات القلبية حتى وصل الى السجن في حالة من الضنى ينفطر لها القلب بسبب تلك المسامير المحمية والمسمرة في رجليه . ومع ذلك فقد جتاز ذلك اليوم والليلة التالية وهو يترنم بتقديم الشكر لله تعالى

وفي اليوم التالي امر الملك باحضار الشهيد امامه واوعز الى الجنود بان يجلدوه بالسياط جلداً قاسياً جداً حتى يختلط دمه ولحمه بتراب الارض .

فاحتمل القديس هذا العذاب الوحشي بتجلد عجيب حتى انه لم تتغير بشاشة وجهه · فاندهش وقال اني ارى بالحقيقة ان هذا التجلد ليس صادراً عن الفضيلة والشجاعة والفضيلة بل عن صناعة سحرية · فقال له مستشاره ماغنانتيوس انه يوجد ههنا رجل يدعى اثناسيوس ماهر في صنعة السحر فاذا امرت باحضاره فلا شك انه يغلب جاورجيوس فيطيع اوامرك

﴿ الساحر اثناسيوس والقديس جاورجيوس ﴾

فامر الملك على الفور باحضار اثناسيوس الساحر · ولما مثل امامه قال له الملك ان جميع الاعمال التي فعلها جاورجيوس هي معروفة عند هؤلاء الحاضرين كافةً · وانما نطلب منك ان تبين لنا كيف استطاع ان يعملها · و إما انك تلاشي منه قوة السحر وتجعله وديعاً ومطيعاً لاوامرنا و إما انك تميته بواسطة الافعال السحرية نفسها · فوعد اثناسيوس باجراء هذا جميعه في اليوم التالي · فقادوا الشهيد الى السجن وطرحوه فيه · فشرع هناك يستغيث بالله قائلاً يارب عجب مراحمك فيَّ وقوّم خطواتي للاعتراف بك · وتمم مسعاي في الايمان بك لكي يكون اسمك مسبحاً في كل حين »

وفي اليوم التالي عقد الملك جلسة عمومية في مكان مرتفع حضر فيه اثناسيوس الساحر بمظهر الوقار وارى الملك بعض ادوية موضوعة في انية خزفية ثم قال له مر ايها الملك الجليل باحضار جاورجيوس لكي اجعله ان يشعر بمفاعيل ادويتي هذه بقوة الآلهة · واذا شئت ان يعود هذا الانسان طائعاً لكل ما تأمر به فما عليك الا ان تلزمه ان يشرب هذا الدواء · واما اذا شئت ان تشاهده ميتاً امام ديوانك هذا اشنع ميتة فمره ان يشرب ذلك الدواء

الآخر (قال ذلك مشيراً الى اناء فيه سم زعاف) فامر الملك باحضار القديس امامه · ولما حضر قال له " الآن صناعتك السحرية يا جاورجيوس اما انها تفقد قوتها واما ان تزول بالكلية " قال هذا وامر الجنود ان يسقوه ذلك الدواء المجهز من اثناسيوس · فاخذ القديس الاناء من ايدي الجنود ورسم عليه علامة الصليب وشرب كل ما كان فيه بلا خوف ولا وجل · فلم يظهر عليه ادنى تغير او انفعال كما كان الناس ينتظرون بل لبث مسروراً بملاشاة حيل الشيطان · فاستشاط الملك غضباً لاخفاق سعيه وامر بان يسقى القديس بالرغم عنه الدواء الآخر السمي بدون ان يرسم علامة الصليب ليموت · ولكن القديس لم يترك وقتاً للجنود ليغصبوه على شربه بل اخذه من ايديهم وقال لهم اشرب من اعلى او من اسفل او من على اليمين او من على اليسار (اشارة رسم الصليب بدون ان يعلم الجنود) وشرب كل ما فيه · ومع ذلك لم يلحقه ادنى ضرر بل بقي بقوة الله ونعمته سالماً معافى · فتعجب الملك ورجال دولته واثناسيوس الساحر معهم وخاب املهم · فقال الملك لجاورجيوس الى متى انت تحملنا بافعالك على التعجب والاستغراب اخبرنا كيف استطعت ان تستهزي بالعذابات المبرحة التي اصابتك وباية طريقة نجوت من فعل الادوية السمية التي تجرعتها فتكلم بحرية نستمعك بخام · فاجابه القديس قائلاً " لا تظن ايها الملك اننا نحفظ انفسنا بوسائط طبيعية بل اعلم ان حفظنا لا يتم الا باستغاثتنا بالمسيح الهنا وقوته القادرة على كل شيء · طبقاً لتعاليمه الالهية وارشاداته الخلاصية · فانه جلّ شأنه اذ سبق وعرف كاله اهتمامكم بتعذيب قديسيه قد سبق فاوصاهم ألّا يخافوا من الذين يقتلون الجسد و بالا يهتموا

بالامور الباطلة فقد قال لهم (ان شعرة من رؤوسكم لا تهلك (لو ١ : ١٨)
وتشربون السم القاتل فلا يضركم (مر ١٦ : ١٨) · واسمع ما وعدنا به الهنا
القادر على كل شيء فقد قال لنا « ان من يؤمن بي فالاعمال التي انا اعملها
يعملها هو ايضاً » (يو ١٤ : ١٢) فسأله الملك وما هي هذه الاعمال · اجابه
القديس « هي تفتيح اعين العميان وتطهير البرص وتقويم العرج وتفتيح اذان
الصم و خراج الشياطين واقامة الموتى وغير ذلك من اعمال القوة الالهية »
فالتفت الملك الى الساحر اثناشيوس وقال له « وماذا تقول انت عن هذه
الامور « فاجابه الساحر قائلاً « اني اتعجب كيف هذا يقابل حلمك
باختلاق الاكاذيب اذ يظن انه يقدر ان يخدع سطوتك بحيله الشيطانية · نحن
كل يوم ننال من الالهة الخالدة احسانات كثيرة وخيرات وافرة · ومع ذلك
نحن لم نشاهد قط في هذه الازمنة ان انساناً من الاموات قام حياً · واما هذا
الانسان فهو متكل على انسان مائت مصلوب بزعمه انه الاله الحقيقي و يشهد
بجسارته بانه يصنع عجائب · فمن حيث انه قد اعترف امامنا جميعاً بان الهه
يصنع عجائب كهذه و بانه ينجز مواعيده للمتكلين عليه بحيث انهم هم ايضاً
يصنعون كل ما فعله هو فليقم هذا امامنا واحداً من الاموات فحينئذٍ نحن
ايضاً نؤمن بالهه ونعترف بانه قادر على كل شيء · وانا اعرف انه يوجد في
الناحية التي امامنا قبر ضمنه ميت معروف عندنا جيداً وقد دفن هناك من
مدة يسيرة · فان اقامه جاورجيوس من بين الاموات ينتصر علينا جميعاً ·
فبعد ان افتكر الملك في هذه المشورة واستصوبها امر باجرائها

﴿ انهاض القديس للميت من القبر بقوة صلواته الى الله تعالى ﴾

واذا كان قبر ذلك الميت الذي ذكره اثناسيوس على بعد ستين خطوة من المجلس الملوكي . قال المستشار ماغنانتيوس لجاورجيوس . اظهر انت الآن اعمال الهك العجيبة واكتسبنا جميعاً للايمان به « فاجابه الشهيد قائلاً » ايها الامير العزيز اعلم هداك الله ان الهنا القدوس الذي خلق الاشياء كلها من العدم هو قادر ان يقيم هذا الميت بواسطتي ولكنكم انتم المخدوعين بضلالاتكم لا تقدرون ان تفهموا ذلك . ومع هذا كله فلاجل هذا الشعب الحاضر يصنع الله بي الامر الذي تريدون امتحانه لكي لا تقدروا ان تنسبوا هذا الفعل ايضاً الى صنعة السحر . مع ان الساحر الذي انتم تثقون به قد اعترف بانه لا يمكن ان ترد الحياة الى انسان ميت لا بقوة السحر ولا بقوة اله من الهتكم . فانا استغيث بالهي امامكم وعلى مسمع منكم لتتحققوا هذا الامر بانفسكم . ثم جثا على ركبتيه وتضرع الى الله بدموع قائلاً بصوت جهير « ايها الاله الازلي اله الرحمة ورب القوات كلها القادر على كل شيء انت الاله العظيم الذي لا يخيب رجاء من اتكل عليه استجب لي في هذه الساعة انا عبدك الحقير . يا من استجاب لرسله الاطهار في كل مكان وفي جميع العجائب واعط هذا الجيل الشرير الآية التي طلبها واقم الميت الموضوع في هذا القبر لكي يخزى الذين لا يعبدونك . ولكي يتمجد اسمك مع ابيك وروحك القدوس . اتضرع اليك يارب ان تظهر لهؤلاء الحاضرين ههنا انك انت وحدك الاله القادر على كل شيء وان جميع الكائنات هي خاضعة لامرك الالهي وان مجدك هو دائم الى الابد آمين» فحينما انتهى القديس من لفظة آمين سمع صوت عظيم ارتعدت له فرائص

الجميع ثم انفتح القبر الموضوع فيه الميت وخرج حياً . ولما شاهد الجمع هذه المعجزة الباهرة صار كثيرون منهم يعظمون المسيح الهنا ويسجدونه كانه اعظم . واما الملك واكابر دولته فقد تولتهم الدهشة ولكنهم لاجل عمه بصيرتهم لم يؤمنوا بل قالوا للشهيد انه اكبر السحرة وقد عمل هذا الامر بطريقة سحرية غير اعتيادية وذلك لكي يصدوا الحاضرين عن الايمان بالمسيح على انهم لما رأوا ذلك الانسان الذي كان ميتاً متقدماً نحو القديس ومجاهراً بالاعتراف بالمسيح الاله . وقعوا في حيرة شديدة ولم يعودوا يعرفون ماذا يقولون او يفعلون

﴿ ايمان الساحر اثناسيوس بالمسيح عند مشاهدته هذه العجيبة ﴾

اما الساحر اثناسيوس فاسرع الى القديس وانطرح على قدميه وصرخ بصوت عال قائلاً « ان اله جاورجيوس هو وحده الاله القادر على كل شيء » قال هذا وشرع يتوسل الى القديس ان يطلب الى الله من اجله ليغفر له كل ما ارتكبه من الذنوب من غير معرفة . واما ديوقلتيانوس العاتي فبعد برهة امر الجميع بالصمت واخذ يتكلم قائلاً أرأيتم خباثة هذين الساحرين انا كرين ان اثناسيوس الخبيث لكي يخدعنا لم يعط جاورجيوس الشراب المسموم ولذلك لم يلحقه ضر البتة . والان يظهر انهما اتفقا مع هذا الانسان الاثيم بان يتظاهر بانه قام من الاموات لكي يضل الحاضرين فلذلك حكم على اثناسيوس الماكر وعلى شريكه هذا المتظاهر بانه قام من الاموات بالاعدام بدون محاكمة وهكذا صار تنفيذ هذا الحكم الجائر على اثناسيوس وعلى رفيقه وامر الملك ان يساق جاورجيوس الى السجن الى ان تصير محاكمته الاخيرة فاخذوا الشهيد الى السجن وهو مكبل بالسلاسل ولكنه كان فرحاً ومبتهجاً يشكر الله ويمجده

قائلاً « المجد لك ايها الرب الاله الذي لا يخيب رجاء من اتكل عليه · اشكرك لانك صرت عوناً في كل شيء وقد انعمت على حقارتي باحسانات عظيمة جداً فانت يالهي اجعلني اهلاً لان انظر مجدك الالهي سريعاً ليخزى الشيطان و ينخذل بالكلية

وقد كان لحادثة اقامة الميت من القبر اعظم وقع واشد تأثير في قلوب سكان المدينة فشرعوا يتقدمون الى الايمان بالمسيح افواجاً افواجاً · منهم رجل اسمه غليكاريوس جاهر بايمانه ودار في المدينة يصرخ هاتفاً « عظيمٌ هو اله المسيحيين » فامر ديوقيلتيانوس بان يلقوا القبض عليه و يقودوه الى خارج المدينة و يقطعوا هامته فمات هذا الرجل شهيداً وهو يتوسل الى الله ان يقبله مصطبغاً بدمه عوضاً عن ماء المعمودية

حلم القديس وهو في السجن وتوصيته لخادمه (بنقل جسده الى فلسطين)

ان القديس بعد ان قدم في تلك الليلة صلواته الى الله نام نوماً عميقاً فرأى في الحلم ان الرب يسوع قد انهضه وعانقه ثم وضع على رأسه اكليلاً بهياً قائلاً له · لا تخف بل كن ناعم البال لانك قد اظهرت نفسك اهلاً لان تملك معي · فاذاً لا تتأخر بل تعال سريعاً لتشاهد الملك المعد لك » · فلما استيقظ من النوم قدم الشكر لله تعالى وطلب من السجان ان يدعوله خادمه الواقف خارجاً ولما دخل قال له القديس « ان الرب ياولدي قد دعاني اليه سريعاً وانا عن قريب سافارق هذه الحيوة فمتى تم ذلك فعليك انت ان تهتم باخذ جسدي الى المكان الذي كان مسكناً لنا في فلسطين وان تدفنه

هناك ثم تجري جميع الاعمال التي اوصيتك بها وكن ثابتاً في الايمان بالمسيح ومتمسكاً بالتقوى الى آخر نسمة من حياتك · ثم عانقه وصرفه من عنده بعد ان اخذ منه وعداً وثيقاً بان يتمم كل ما اوصاه به ·

وفي الغد عقد ديوقليتيانوس مجلساً حافلاً وامر باحضار جاورجيوس · فلما مثل امامه قال له بلطف وبشاشة « اني اعاملك بالحلم والانسانية ياجاورجيوس لانه يصعب عليّ ان تفقد حياتك وانت شابٌّ جميل الخلقة ومشهور بالفطنة والشجاعة في الحروب فقل لي ما هو رأيك الاخير · اجابه القديس اذا شئت ان تدخل مرة الى معبد آلهتك فهناك اقول لك ما هو رأيي الاخير · فلما سمع الملك هذا الكلام فرح فرحاً عظيماً ونهض مع اكابر دولته والشعب الحاضر ودخلوا المعبد فتهيأت المحرقات وصار جميع الحاضرين يتفرسون في وجه جاورجيوس ظانين انه مزمع ان يقدم الذبيحة للاصنام فما كان من القديس الا ان تقدم امام الصنم ابولون ومد يده نحوه صارخاً قائلاً له اتة ذبيحة تريد ان تقبل مني كانك اله · قال هذا ورسم علامة الصليب المقدس فحينئذٍ سمع صوت الشيطان الساكن في ذلك الصنم قائلاً · انا لست الهاً بل الاله الحقيقي الوحيد هو الله الذي تنذر به انت · وما نحن فلسنا الا ابالسة عصاة · فاجابه القديس قائلاً « فاذاً كيف تتجاسرون ان تلبثوا ههنا امامي انا العابد للاله الحقيقي » · فلما قال هذا سمع من افواه الاصنام اصوات ندب وعويل ثم تساقطت الى الارض وتحطمت كلها · فلما شاهد كهنة الاصنام هذه الحادثة هاجوا وماجوا وهيجوا الحاضرين فوثبوا على القديس واوثقوه بالقيود وصرخوا قائلين للملك الى متى تتوانى ولا تعدم هذا

الانسان الذي قد تمادى في التعدي حتى كسر معبوداتنا نفسها · واما الملكة الكسندره فعندما بلغها ما صنعه القديس لم تعد تخفي ايمانها بل خرجت بسرعة من قصرها وعندما شاهدت القديس مقاداً من الجنود ولم تقدر ان تدنو منه لكثرة الجموع صرخت عن بعد ياإله جاورجيوس اغثني لانك انت وحدك الاله القادر على كل شيء

﴿ مجاهرة الملكة الكسندره بايمانها بالمسيح وحكم الملك عليها بالموت ﴾

وبعد رجوع الناس من المعبد امر ديوقليتيانوس باحضار الشهيد امامه ولما مثل بين يديه ابتدأ يهينه بالكلام الجارح ويتهدده بالموت فاجابه الشهيد ببسالة الا تخجل ايها الملك من ان تعترف بان خلاصك هو من الهة كاذبة لم تقدر ان تحمي نفسها ولم تستطع ان تثبت امام واحد من عبيد الاله الحقيقي وفيما كان القديس يتكلم بهذا واذ بالملكة الكسندره قد اتت بغتة ووقفت في وسط المحفل وصرخت قائلة « ياإله جاورجيوس اعني لانك انت وحدك الاله القادر على كل شيء » فاحتدم الملك غيظاً وبعد ان وبخها بكلام مهين وسمع من فمها انها تلعن الاصنام وتحتقر من يعبدها حكم بالموت العاجل عليها وعلى القديس جاورجيوس

﴿ قطع هامة القديس جاورجيوس ﴾
(وموت الملكة الكسندره في السجن)

فحينئذ هجم الجلادون على جاورجيوس وشدوا وثاقاته جيداً وسحبوه الى خارج المدينة اما الملكة الكسندره فقد طرحت في السجن وفيه اسلمت روحها بيد الله فائزة باكليل الشهادة · ولذلك يعيد لاستشهادها يوم عيد

القديس جاورجيوس نفسه

ولما بلغوا بجاورجيوس الى المكان المعين لقتله رفع صوته بالصلاة الى الله تعالى قائلاً « مبارك انت يا الهي وسيدي لانك لم تسمح بان اسحق باسنان طالبي نفسي وان يشمت بي اعدائي بل خلصت نفسي مثل العصفور من الفخ . فاستمعني يارب واعني انا عبدك في ساعتي هذه الاخيرة وخلص نفسي من العدو الاعظم الروح الشرير وملائكته . وسامح هؤلاء الناس بجميع ما اعتدوا به عليّ وتعطف عليهم لكي يهتدوا ويحصل لهم ايضاً نصيب في ملكوتك مع مختاريك . ثم اقبل روحي مع قديسيك الذين ارضوك منذ الدهر . واغفر لي كل خطية صدرت مني بمعرفة او بدون معرفة واذكر يارب الذين يستغيثون باسمك العظيم لانك مبارك الى ابد الابدين امين

ولما انتهى من صلاته مد عنقه للجلاد فقطع هامته المغبوطة في مثل هذا اليوم المبارك الذي هو الثالث والعشرون من شهر نيسان (ابريل) سنه ٣٠٣ و ١٥ برموده فاهتم عبيده باتمام كل ما كان قد اوصاهم به ونقلوا جسده الطاهر الى مدينة لد في فلسطين حيثما شرف الله ضريحه بعجائب كثيرة . وقد بنى فوقه قسطنطين الكبير كنيسة جليلة وصار تكريسها في تشرين ثاني (نوفمبر) كما قد ذكرنا سابقاً . وفيما بعد توزعت عظامه المقدسة في اماكن كثيرة من العالم لتوضع في الكنائس المشيدة على اسمه التي لا يكاد يحصرها عد وقد اشتهرت عند جميع الطوائف والقبائل بكثرة العجائب التي يصنعها الله لدوام ذكر عجائبه في قديسيه

﴿ الفوائد الخلاصية التي يجتنيها الانسان من مطالعة سير القديسين ﴾

انه كلما طالعنا نحن المسيحيين سير القديسين ولا سيما اخبار جهادات الشهداء الابرار الذين قاسوا اشد العذابات المبرحة واخيراً سفكت دماؤهم الطاهرة في سبيل المحافظة على وديعة الايمان المسيحي الشريف يتحتم علينا ان نقدم الشكر للعزة الالهية لانها اهلتنا للحصول على هذه الوديعة الخلاصية التي اثبتت حقائقها اتعاب الاباء القديسين الملهمين من الله وايدتها دماء الوف من الشهداء الباسلين الابرار الذين من اعظمهم الشهيد المجيد جاورجيوس الملقب باللابس الظفر الذي سيرته جديرة بان تكون لنا مثالاً شريفاً نقتدي به في محبته لله وتمسكه بالايمان والتقوى · انظر يارعاك الله ان هذا الشهيد الطاهر قد احتقر في سبيل حبه لله تعالى مراتب الشرف ومواعيد الملوك وملذات الحياة وسائر الموجودات العالمية الزائلة · فعلينا ان نتمثل به في الشجاعة الروحية والثبات في الايمان والاعمال الصالحة المرضية لجلاله تعالى وان نلتجي اليه في شدائدنا وضيقاتنا لكي يتشفع فينا امام العرش الالهي لان شفاعاته مقبولة لدى الله ولذلك لا يخيب من التجأ اليه بايمان حار

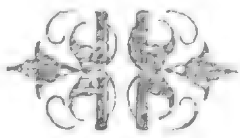
فعلى هذا المنوال ايها القاريء العزيز يكرم الله الذين يكرمونه ويمجد الذين يمجدونه بايمانهم واعمالهم الصالحة ·

وهذه كنائسه المقدسة تشهد بكثرة العجائب التي يصنعها للذين يستنجدون به في ضيقاتهم · وعليه ان نتمثل به في حرارة ايمانه ومحبته لله لكي نفوز برضاه تعالى ونحظى بالسعادة الدائمة في الملكوت السماوي بنعمة الهنا القدوس الممجد في قديسيه الى ابد الابدين آمين

ملحق

(حادثة قتل القديس جاورجيوس للتنين وانقاذه ابنة احد الملوك منه)

ان ماري جرجس شهيد النصرانية العظيم الذي كان فارساً مقداماً قد قتل بمعونة الله قبل استشهاده تنيناً مخيفاً وانقذ منه ابنة احد الملوك ولذلك يصوره المصورون راكباً جواداً مطهماً وطاعناً ذلك التنين في فيه . وتحرير الخبر ان تنيناً هائلاً عظيم الهامة له قوائم كقوائم الاسد وذنب كذنب الحية وجناحان كجناحي النسر كان يظهر عند خليج ماري جرجس شرقي بيروت وكان كلما ظهر ذلك التنين يقدمون له فتاة فيتلقفها ويأكلها . وكان ملك تلك البلاد قد جعل تقديم البنات بالمناوبة فلما وصل الدور الى ابنته ارسلها في الوقت المعين فوقفت عند الشاطئ تنتظر طلوع التنين فرآها جاورجيوس فسكن روعها ووعدها بانقاذها منه . ثم ركب جواده وتقلد رمحه ووقف مع الواقفين . حتى اذا رأى التنين خارجاً من البحر هجم عليه وطعنه بالرمح في فمه فخرج السنان يلمع من قفاه فسقط يختبط بدمه وارجع الفتاة الى ابيها ونجى البلاد من شره



ΔΙΔΑΧΗ ΤΩΝ ΔΩΔΕΚΑ ΑΠΟΣΤΟΛΩΝ

Διδαχὴ κυρίου διὰ τῶν δώδεκα ἀποστόλων τοῖς ἔθνεσιν

تعليم الرسل الاثني عشر

تعليم الرب للامم بواسطة الرسل الاثني عشر

عرَّبهُ ونشرهُ

الاب انطون صالحاني اليسوعي

(ظهرت في مجلة المشرق)



المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

١٩٣١

المقدمة

انّ الأثر الكتابي اليوناني المسمّى «دِيدَكِه» ، اي «تعليم» هو من اقدم الآثار الكتابية المسيحية المعروفة ، بعد اسفار العهد الجديد وقانون ايمان الرُسل .

في السنة ١٨٧٥ وقف على نسخة منه خطية المطران فيلوتاوس برينيوس ، متروبوليت نيقوميدية الارثذكسي ، وجدها في خزانة كتب دير القبر المقدس بالاستانة ، الخاضع لسلطة بطريرك اورشليم الارثذكسي . وكانت هذه النسخة قد نُقلت في السنة ١٦٨٠ من اورشليم الى الاستانة . الا انها اعيدت في ما بعد الى المكتبة البطريركية في القدس ، وهي موسومة بالعدد ٥٦ .

اما تاريخ كتابة هذه النسخة فهو سنة ١٠٥٦ ، كتبها لاون المسجّل .

في السنة ١٨٨٣ ، نشرها بالطبع المطران المشار اليه . ولم تكد تظهر هذه الطبعة حتى تهافت عليها العلماء ، ودرسوها ، ونقلوها الى اللغات المختلفة في جميع البلاد المسيحية وكتبوا عنها المقالات الواسعة ، لما لها من الاهمية العظمى . وقد نُقلت ايضاً الى العربية ، وطبعت في مطبعة المقتطف بالقاهرة في السنة ١٨٨٦ .

لهذا الكتيّب عنوان مزدوج . ففي بدئه نجد هذا العنوان : «تعليم ربّنا المُعلَن للأُمم بواسطة الرُسل الاثني عشر» . اما في آخر الكتاب قبل الفهرس فالعنوان هو : «تعليم الرسل الاثني عشر» . فالعنوان الاول هو الحقيقي . اما الثاني فهو مختصر الاول .

لا يُعرف مؤلف هذا الكتاب . والمظنون ان مؤلفه استفاد من تأليف سابق ادبي عنوانه «الطريقان» . كما استفاد منه غيره من المؤلفين في اوائل النصرانية . فكاتب «تعليم الرُسل» سبك كتاب الطريقين مع ما زادهُ عليه سبكاً محكماً متلائماً . الّا ان هذا الرأي ليس بثبتٍ . كما انه لا يوجد دليل على ان كاتب الطريقين كان يهودياً .

وما عدا النصّ اليوناني الذي طُبع في السنة ١٨٨٣ ، وُجدت ايضاً في خزانة كتب مدينة مِلْك (Melk) غربي ڤينّا بالنمسة ، نسخة خطية لجزء من تعليم الرسل في اللاتينية ، عنوانه « الطريقان » . وترتقي هذه النسخة الى القرن التاسع او العاشر للمسيح . وقد عُني العلّامة فونك بنشر هذه الترجمة اللاتينية بالطبع . كما ان العلّامة شلخت (Schlecht) نشر بالطبع نسخة خطية لاتينية قديمة من تعليم الرسل عنوانها «الطريقان» وجدها في مكتبة مونيخ[1] ، واكتشف ايضاً العلامة ازلين (Iselin) ترجمة عربية قديمة تحتوي الفصول الستة الاولى من « تعليم الرسل »[2] وهذه الفصول هي الطريقان .

يُقسم تعليم الرسل الى ثلاثة اقسام . فموضوع الفصول الستة الاولى ادبي يعلّم الموعوظين المستعدّين للعماد ما يلزمهم ان يعلموه ويعملوه او يتجنّبوه . نعلم انه موجّه للموعوظين لانه في الفصل ٧ : ١ نقرأ : « عمّدوا بعد ان تكونوا تمّمتم كل هذه الامور » اي بعد ان تبيّنوا للموعوظين كل ما ورد في الفصول الستة الاولى .

والقسم الثاني ، من الفصل السابع الى العاشر ، يحتوي على الليتورجية ، اي ما يختصّ بالعماد ، والافخارستيا ، والصلاة .

والقسم الثالث ، من الفصل الحادي عشر الى الخامس عشر ، يتكلم عن نظام الجماعة المسيحية ويذكر رؤساءها من رسل وانبياء ومعلمين واساقفة وشمامسة .

والفصل السادس عشر هو الختام ، فيحرّض على السهر وانتظار مجيء الرب ، ويصف ملك المسيح الدجّال ، ومجيء الرب على سحب السماء .

كان هذا الاثر الكتابي جزيل الاعتبار عند الاقدمين حتى ان بعضهم احصوه بين الكتب المنزلة . فاقليميس الاسكندري يؤكد صريحاً وجود هذا الكتاب ، لانه ليس فقط يقتبس منه كثيراً من الآيات ، لكنه في كتابه المعنون « ستروماتا » يذكر الآية ٥ من الفصل ٣ من تعليم الرسل « يا بُنيَّ لا

١) Fribourg, *1900*, *in-8°*

٢) *Texte und Untersuch. t. XIII. 1.* Leipzig, 1895.

تكن كذاباً لان الكذب يقود الى السرقة » وينسب هذه الآية الى الكتاب المقدس γραφη[1] « الكتاب »

اما اوسابيوس المؤرخ فانه يذكر تعليم الرسل بين الكتب غير القانونية[2]. والقديس اثناسيوس يذكر تعليم الرسل بين الكتب المستعملة في تعليم الموعوظين ويسميه « التعليم المدعوّ تعليم الرسل ». وهو بعد ان يعدّد اسفار الكتاب المقدس التي كانت الكنيسة في ايامه تقبلها كقانونية ، يقول : « ما عدا هذه الاسفار توجد غيرها لم تُحدّد انها قانونية . ويرى الآباء انه يمكن قراءتها للذين يرغبون في اكتساب العلم والتقوى . وهذه الاسفار هي حكمة سليمان ، وحكمة ابن سيراخ ، واستير ، ويهوديت ، وطوبيا ، وما يسمّى تعليم الرسل ، والراعي »[3]. وجدير بالاعتبار ان اثناسيوس يميز هـذه الاسفار عن الكتب الابوكريف التي ينسبها الى الهراطقة المُضلّين ويحرّم قراءتها .

ان بعض العلماء المحدثين الذين تكلموا عن هذا الاثر الكتابي النفيس عيّنوا لكتابته السنة ١٣٥ للمسيح . وبعضهم ارتأى انه وُضع في اوائل القرن الثاني للمسيح . والمطران برينيوس يقول ان رسالة برنابا وكتاب الراعي هرماس سبقا تعليم الرسل ، ويعين لظهوره الزمن ما بين ١٢٠ و١٦٠ للمسيح . وهذا هو ايضاً رأي هرناك . امّا العلامة فونك ومثله زهن ، وشاف ، ولايتفوت ، وسباتيه ، ودون كابرول ، فانهم يعطون السبق لكتاب تعليم الرسل ويعينون لزمان تأليفه اواخر القرن الاول للمسيح ، اي بين السنتين ٧٠ و٩٠ ، لا قبلًا ، يتضح ذلك من مضمون الفصول ٧ و ٩ و ١٠ و ١٥ : ١ و ١١ : ٣ ؛ قلنا لا قبلًا لانّ مؤلفه يعرف انجيل متى ، وانجيل لوقا ، وبعض رسائل الرسل ، خاصةً

---

١) مجموعة مين للآباء اليونان ، المجلّد ٨ ، العمود ٨١٧ .

٢) مجموعة مين للآباء اليونان ، المجلّد ٢٠ ، العمود ٢٦٩ .

٣) مجموعة مين للآباء اليونان ، المجلد ٢٦ العمود ١٤٣٧ . امّا قوله : « لم تُحدد انها قانونية » فلأنه في زمن القديس اثناسيوس لم تكن الكنيسة اثبتت قانونية هذه الكتب كما اثبتتها فيما بعد ، مع رفض قانونية كتاب تعليم الرسل وكتاب الراعي هرماس . الا ان اقوال الاقدمين تبين اهمّية هذين الكتابين ، وان غير قانونيين ، حيث يضمّونهما الى الكتب التي صرّحت الكنيسة فيما بعد بقانونيتها .

رسالة بولس الى الرومانيين والى الكورنثيين ورسالة بطرس ، لاننا نراه يشير الى هذه الاسفار من العهد الجديد (راجع ١:٢—٥ و ٢:٢و٣ و٥:١ و ٢ و٧:١ و٣ و٨:٢ و ١٠:٥ و ٦ و ١١:٧ و ١٢:١ و١٣:١ و ١٦:١ و ٥ و ٦ و ٨ .

ومما دار البحث عنه بين العلماء بخصوص تعليم الرسل شخصية مؤلفه وهل كان من المرتدين الى الدين المسيحي من الوثنية ام من اليهودية . فارتأى العلّامة فونك انه كان من المرتدّين من اليهودية ، لانه يذكر ما كان محرّماً اكله في العهد القديم ولا يستثني الّا اكل ما قُدّم للاوثان (٦:٥) ولانّه يطعن بالمرائين اي الفريسيين اذ انه كان عاشرهم وعرفهم . او اقلّه كان المؤلف عائشاً بين المسيحيين المرتدّين من اليهودية .

وبحث ايضاً العلماء عن البلاد التي كُتب فيها تعليم الرسل . فقال بعضهم انه كُتب في مصر . ولكن ينفي هذا القول ما جاء في الفصل ٩ الآية ٤ عن الخبز المجموع من الحنطة المنتثرة في الجبال . ومعلوم انه لا جبال في اراضي مصر تُنبت الحنطة . وقال البعض انه كُتب في فلسطين . ويوافق هذا الرأي ما ورد في الفصل ٨ عن الفريسيين المرائين ، لان المؤلف يظهر انه عاش بينهم وعرفهم . وقال آخرون ان تعليم الرسل كُتب في سورية يؤيد هذا القول اولًا لفظة « المسيحي » التي وردت في الآية ٤ من الفصل ١٢ وقد استعملت هذه اللفظة لاوّل مرة في انطاكية . ثانياً العبارة التي تنتهي بها الصلاة الربية « لان لك القوة والمجد الى الابد » ، وهذه العبارة استُعملت عند السريان . وفي ايامنا يختم السريان الكاثوليك الصلاة الربية بقولهم : « لأن لك المُلك والقوّة والتسبحة الى ابد الابدين . امين » . اما السريان اليعاقبة فيقولون : « لان لك الملك والقوة والمجد الى ابد الابدين . امين » وفي الطقس البيزنطي : « لانّ لك هو الملك والقوة والمجد . . . » .

ومهما يكن من حقيقة مؤلفه ، والمكان الذي كُتب فيه تعليم الرسل ، فانه يُلقي على اوائل الكنيسة المسيحية نورًا ساطعاً يظهرها لنا كما كانت في تعليمها وسلوكها وطقوسها وروسائها ونظامها ، فنعرفها ونعتبرها ونحبّها ونتمسك

بها ، فينتعش ايماننا .

نقلنا هذا الاثر المهمّ الى العربية عن نسخة يونانية لتعليم الرُسل ، كانَ عُني بطبعهـا ثانيةً في السنة ١٩١٠ الاب كايتانو رومانو اليسوعي ، والحقها بالترجمة اليونانية الحديثة ، وبالترجمات اللاتينية ، والايطالية ، والفرنسية . وعن طبعة العلّامة فرنسيس كسفاريوس فونك في كتابه « الآباء الرسوليون »١٩٠١ ، وقد بحث بحثاً واسعاً في كل مـا تهمّ معرفته من هذا الاثر النفيس « تعليم الرسل الاثني عشر » .

تعليم الرسل الاثني عشر

تعليم الرب للامم بواسطة الرسل الاثني عشر

١

١ يوجد طريقان واحدة للحياة وواحدة للموت[١] . الّا ان الفرق بين الطريقين عظيم . ٢ امّا طريق الحياة فهي اولًا ان تحبّ الله خالقك . ثم قريبك كنفسك[٢] . اخيرًا ان لا تصنع بالغير ما لا تُريد ان يصنعه الغير بك[٣] .

٣ ان تعليم هذه الاقوال هو : باركوا لاعنيكم وصلّوا لاجل اعدائكم . صوموا لاجل مضطهديكم لانه ايّ فضل لكم ان احببتم من يحبّكم ، أَليس ان الامم هكذا تعمل ? امّا انتم فأحبّوا من يبغضكم ولا يكون لكم عدوّ[٤] . ٤ امتنعوا عن الشهوات اللحمية والجسدية[٥] . ان لطمك احد على

---

١) يراد بالطريق نوع حياة الانسان وسلوكه . « قال الربّ هاءنذا اجعل امامكم طريق الحياة وطريق الموت » (ارميا ٢١ : ٨) . « ادخلوا من الباب الضيّق لانه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي الى الهلاك والداخلون فيه كثيرون . ما اضيق الباب واحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة وقليلون الذين يجدونه » (متى ٧ : ١٣ و١٤)

٢) متى ٢٢ : ٣٧–٣٩ ومرقس ١٢ : ٣٠ و٣١

٣) متى ٧ : ١٢ ولوقا ٦ : ٣١ : « كلّ ما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوه انتم بهم . فان هذا هو الناموس والانبياء »

٤) متى ٥ : ٤٤ و٤٦)

٥) يُريد بهاتين اللفظتين ان نُميت كل شهوات الطبيعة الفاسدة

الخدّ الايمن فحوّل له الآخر ، فتكون كاملًا . ان سخّرك احد ميلًا فامش معه ميلين . ان نزع احد ثوبك فاعطهِ ايضاً رداءك . ان نزع احد منك ما هو لك فلا تطالبه[١] . لانك لا تقدر[٢] . ٥ كلُّ مَن سألك فأعطه ولا تطالبه لانَّ الآبَ يريد ان نُعطي الجميع من مواهبه . طوبى لمن يعطي حسب الوصية فانّه بلا لوم . الويل لمن يقبل لانه ان قبل احد وكان محتاجاً كان بريئاً . امّا من يقبل من غير حاجة فانّه سيؤدّي حساباً لماذا قبل ولايّة غاية . وسيكون في القيود ويُسأل عمّا فعل ولا يخرج من هناك حتى يؤدّي آخر فلس[٣] . ٦ وقد قيل ايضاً في هذا الموضوع : لتعرق صدقتك في يديك الى ان تعرف لمن تُعطيها[٤] .

٢

١ وصية التعليم الثانية[٥] ٢ لا تقتل ، لا تزنِ ، لا تفسد الصبيان ، لا تفسق ، لا تسرق ، لا تعمل سحرًا ، لا تدُف سمّاً ، لا تقتل جنيناً في

---

١) متى ٥ : ٣٩ و ٤٠ و ٤٢ لوقا ٦ : ٣٢ و٣٣

٢) اي لا تقدر ان تفوز بحقّك بدون مخاصمة او بدون ان تلتجئ الى المحاكمة . الامر الذي لا يليق بالمسيحي كما قال الرسول : « أيجترئ المرء فيكم اذا كانت لـه دعوى على آخر ان يحاكمه لدى الظالمين لا لدى القديسين » (١ كور ٦ : ١)

٣) متى ٥ : ٢٦

٤) معنى هذه العبارة غير واضح . لعلّه يريد ان لا نُسرع في منح الصدقة بل نتأنّى الى ان نعرف من يستحقها بسبب احتياجه . او انه يريد ان نتعب ونكدّ لنحصل على ما يسهّل لنا اعطاء الصدقة .

٥) في هذا الفصل نجد شرح الجزء الثاني من الوصية « احبب قريبك كنفسك » . فانه في الجزء الاوّل اوصى بمحبة الله وفي الجزء الثاني اوصى بمحبة القريب . وجدير بالاعتبار انه في الجزء الاول اورد ما هو بالايجاب اي بصنع الخير مع القريب حسبما ورد في رسالة يوحنا الاولى (٤ : ٢١) : « من احب الله فليُحبب اخاهُ ايضاً » . امّا في الجزء الثاني فقد سلك بالسلب اي انه اوصى بالامتناع عمّا يضرّ بالقريب . كما فعل بولس الرسول في رسالته الى الرومانيين (١٣ : ٩) : « ان هذه الوصية لا تزنِ ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تشتهِ ، وما كان من الوصايا غير ذلك ، انّما هي متضمنة في هذه الكلمة ان احبب قريبك كنفسك » .

البطن ، لا تقتل طفلًا مولودًا ، لا تشتهِ ما هو لقريبك . ٣ لا تحنث ، لا تشهد بالزور ، لا تسبّ ، لا تتذكّر ما لحق بك من الاهانة . ٤ لا تكن ذا وجهين ولا ذا لسانين ، لانّ اللّسان المزدوج هو فخّ الموت . ٥ لا يكن حديثك كاذبًا ولا باطلًا ، بل ممتلئًا عملًا . ٦ لا تكن حريصًا ، ولا خاطفًا ، ولا مرائيًا ، ولا شرّيرًا ، ولا متكبّرًا ، ولا تَنوِ سوءًا لقريبك . ٧ لا تبغض احدًا ، بل وبّخ هؤلاء ، وصلِّ لاجل أولئك ، واحبب غيرك اكثر من نفسك .

٣

١ يا بُنيّ اهرب من كل شرّ ومن كل ما يشبهه . ٢ لا تكن غضوبًا لان الغضب يقود الى القتل ؛ ولا حادّ الطبع ولا خصومًا ولا شرسًا لانّه من كل هذا يتولّد القتل . ٣ يا بُنيّ لا تُطِع الشهوة لانها تقود الى الزنى ؛ ولا تكن فاحش الكلام ، ولا ترفع عينيك بجرّية مفرطة لانه من كل هذا تتولد انواع الزنى . ٤ يا بُنيّ لا تكن متطيّرًا لانّ ذلك يقود الى الوثنيَّة ؛ ولا راقيًا ولا منجّمًا ولا ساحرًا ولا ترضَ النظر الى هذه الاعمال لانه منها جميعها تتولّد الوثنيَّة . ٥ يا بُنيّ لا تكن كذّابًا لان الكذب يقود الى السرقة ؛ ولا تكن راغبًا في المال وفي المجد الباطل لانه من هذه كلّها تتولّد السرقات . ٦ يا بُنيّ لا تكن متذمّرًا لان التذمّر يقود الى التجديف ؛ ولا متعجرفًا ولا سيِّئ الظنّ لانه من كل هذه تتولّد التجاديف . ٧ بل كن وديعًا لان الودعاء يرثون الارض[1] ٨ كن صبورًا ، رحيمًا ، صادقًا ، مسالمًا ، صالحًا ، وراهبًا دائمًا الكلام الذي وُعظتَ به . ٩ لا ترفع ذاتك ، ولا تُسلم ذاتك للوقاحة . لا تعاشر المتكبرين ، بل ليكن تردّدك على الابرار والمتواضعين . ١٠ كلّ ما يحدث لك اقبله كانه خير لك عالمًا بانه لا يحدث شيء بدون الله .

---

١) متى ٥ : ٤ .

٤

١ يا بنيّ اذكر ليلًا ونهارًا من يكلمك بكلام الله . خفه كالرب لانه
حيث تكون السلطة فهناك الربّ . ٢ اطلب كلَّ يوم لقاء القديسين لكي
ترتاح الى حديثهم . ٣ لا تسبّب انشقاقاً لكن اسعَ في مصالحة المتخاصمين .
احكم بالعدل ، وفي التوبيخ على الزّلات لا تنظر الى وجوه الناس . ٤ لا تكن
مرتاباً في هل يكون الشيء ام لا[1] .
٥ لا تمدّ يدك للأخذ وتقبضها عند العطاء . ٦ أعطِ ممّا عندك من
تعب يديك كفّارةً عن خطاياك . ٧ لا تتردَّد في العطاء ولا تتذمّر فسوف
تعلم من هو المكافئ الصالح . ٨ لا تصرف وجهك عن المحتاج ، بل
اشرك اخاك بخيراتك . ولا تقل عن خير انه خاصّ الك لانّه ان كنتم شركاء
في الخيرات الابدية فانتم بالاولى شركاء في الزمنية .
٩ لا ترفع يدك عن ابنك ولا عن ابنتك ، بل من طفولتهم علّمهم مخافة
الله . ١٠ لا تأمر بمرارة نفسك عبدك او أَمتك اللذين يرجوانِ معك الاله
ذاته حذرًا من ان لا يهابا الاله المتسلّط عليهما . لانّه لم يأتِ ليدعو الناس محاباةً
للوجوه ، بل اتى ليدعو الذين اعدّهم الروح . ١١ امّا انتم ايها العبيد فاخضعوا
لسادتكم باحترام وخوف خضوعكم لصورة الربّ[2] .
١٢ ابغض كلّ رئاء وكل ما يسوء الربَّ . ١٣ لا تترك وصايا الربّ
بل احفظ كل ما قبلتَه بدون زيادة ولا نقصان . ١٤ اعترف بخطاياك في
جماعة المؤمنين[3] . ولا تقدُم على الصلاة بضمير اثيم[4] .
هذه هي طريق الحياة

---

١) لا يوضّح في اي شيء يلزم ان لا نرتاب . الا ان الراعي هرماس (الوصية ٩ الاعداد ١—٨) يُبين ان الكلام عن الصلاة حسب قول المسيح (مرقس ١١ : ٢٤) : « كلّ ما تسألونه في الصلاة فآمنوا بانكم تنالونه فيكون لكم » . (راجع متى ٢١ : ٢٢)

٢) افسس ٦ : ٥ كولوسي ٣ : ٢٢ تيطس ٢ : ٩ ١ بطرس ٢ : ١٨

٣) يعقوب ٥ : ١٦ ٤) عبرانيين ١٠ : ٢٢

٥

١ اما طريق الموت فهي هذه : قبل كل شيء هي رديئة ومفعمة بانواع اللعنة ، والقتل ، والزنى ، والشهوة الرديئة ، والفجور ، والسرقة ، وعبادة الاوثان ، والتنجيم ، والخطف ، وشهادة الزور ، والرئاء ، وازدواج اللسان ، والغشّ ، والكبرياء ، والخبث ، والعجرفة ، والبخل ، والخنى ، والحسد ، والوقاحة ، والعُجب ، والمباهاة ، وعدم التقوى[1] .
٢ [والسالكون فيها هم] مضطهدو الصالحين ، مُبغضو الحق ، محبو الكذب ، جاهلو مجازاة البرّ ، غير متبعي الصلاح ولا الحكم العادل ، الساهرون لا لعمل الخير بل لعمل الشرّ ، البعيدون عن الوداعة والصبر ، محبو الاباطيل ، متطلبو المجازاة ، غير الراحمين للمُعدَم ، وغير مشاطرين الحزين كربته ، غير العارفين خالقهم ، قاتلو الاطفال ، مُفسدو خليقة الله ، المعرضون عن المسكين ، الجائرون على المظلوم ، المحامون عن الاغنياء ، القاضون بالظلم على البائسين ، المرتكبون كل الخطايا . ايها الابناء ليتكم تخلصون من كل هذه .

٦

١ احذر من ان يحيد بك احد عن طريق التعليم هذه ، لانه يعلّمك في غير طريق الله . ٢ اذا امكنك ان تحمل نير الرب كلّه تكون كاملاً . وان لم يمكنك فافعل ما تقدر عليه . ٣ اما في ما يختصّ بالطعام فقُم بالعبء الذي لك قِبل به[2] ، لكن اثبت في الامتناع عمّا يُذبح للاوثان لان تناوله عبادة آلهة ميتة[3] .

١) راجع كثيراً من هذه الشرور في مرقس (٧ : ٢١ و ٢٢) ، وفي رسالة بولس الى الرومانيين (١ : ٢٩ و ٣٠)
٢) الكلام عن لحم الحيوانات المحرّم اكلها في العهد العتيق .
٣) راجع اعمال الرسل (١٥ : ٢٩) : « ان تمتنعوا ممّا ذُبح للاصنام »

٧

١ اما بشأن العماد فعمّدوا هكذا ، بعد ان تكونوا تممتم كل هذه الامور[١] ، عمّدوا بالماء الجاري[٢] باسم الآب والابن والروح القدس ٢ وان لم يكن لك ماء جارٍ . فعمّد بماء آخر . وان لم يمكنك بماء بارد فبماء سُخن .
٣ وان لم يكن لديك [ما يكفي من][٣] احدهما ، فاسكب ثلاث مرّات على الرأس ماءً باسم الآب والابن والروح القدس[٤] . ٤ قبل العماد ليصُم المعمَّد والمنوي تعميده ، ومَن امكنهم ذلك من الآخرين . واوصِ المستعدّ للعماد ان يصوم يوماً او يومين قبلاً .

٨

١ لا تتفقوا مع المرائين وقتَ اصوامكم[٥] ، فانهم يصومون في اليومين الثاني والخامس من الاسبوع ، اما انتم فصوموا يومي الاربعاء والجمعة .
٢ ولا تصلّوا كالمرائين ، بل كما اوصى الرب في انجيله هكذا تصلّون[٦] : ابانا الذي في السماوات ، ليتقدس اسمك ، ليأتِ ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . خبزنا كفافنا أَعطنا اليوم ، وسامحنا بدَيننا كما نسامح المَدينين لنا ، ولا تُدخلنا في تجربة ، لكن نجنا من الشرير[٧] ، لانّ

---

١) اي بعد ان تكونوا علّمتم الموعوظين كل هذه الحقائق حينئذٍ عمّدوهم .
٢) في اليوناني « الماء الحيّ » والماء الحيّ هو الماء الجاري .
٣) ان المعنى يطلب زيادة ما وضعناه بين معكّفَين .
٤) يتضح من هذه الآية ان المسيحيين الاولين كانوا يعتقدون ان العماد بالصبّ هو صحيح . راجع ما كتبناه عن العماد في كتابنا « الحقائق اللامعة في عقائد الكنيسة الجامعة » .
٥) يريد بالمرائين الفريسيين كما ورد في متى (٦ : ١٦ و٢٣ : ١٣ و١٤ و١٥ و٢٣ و٢٥ و٢٧ و٢٩) الا اننا نرتإي انه يريد هنا بالمرائين اليهود عامّةً .
٦) متى ٦ : ٥
٧) متى ٦ : ٩–١٣

لك القوّة والمجد الى الابد[١] ٣ هكذا تصلّون ثلاثًا كل يوم[٢]

٩

١ في ما يختصّ بالشكر اشكروا هكذا ٢ اولًا على الكأس : نشكرك ابانا لاجل كرمة[٣] داود فتاك المقدسة التي عرّفتنا اياها بواسطة يسوع ابنك. لك المجد الى الابد. ٣ ثم على كسر الخبز: نشكرك يا ابانا لاجل الحياة والمعرفة التي أَطلعتنا عليها بواسطة يسوع ابنك . لك المجد الى الابد . ٤ كما ان هذا الخبز الذي كُسر كان منتثرًا في الجبال[٤] وصار واحدًا عندما التأمت اجزاؤه ، كذلك فلتكن كنيستك مجموعة من اقاصي الارض للدخول في ملكوتك . لانّ لك المجد والقوة بيسوع المسيح الى الابد . ٥ لا يأكل ولا يشرب من قربانكم غير المعمَّدين باسم الرب[٥] ، فقد قال الربُّ نفسه في هذا الشأن: «لا تُعطوا القدسيات للكلاب »[٦]

١٠ (*

١ بعد ان تكونوا شبعتم[٧] اشكروا هكذا : ٢ نشكرك ايها

---

١) عبارة المجد هذه يتلوها السريان الى ايامنا ويختمون بها الصلاة الربّية. راجع العدد ٤ من الفصل ٩ من تعليم الرسل هذا . وما قلناه ايضًا بهذا الخصوص في الصفحة ٤ من المقدمة.

٢) ساعات الصلاة كانت الثالثة والسادسة والتاسعة ، كما يتضح من اعمال الرسل ٢ : ١٥ و٣ : ١ و١٠ : ٩ ٣) يؤكّد كليمنت الاسكندري واوريجنس انه بدم الكرمة يُراد دم سيدنا يسوع المسيح . ولا عجب ان يقدّم صاحب التعليم الكأس على كسر الخبز فان بولس الرسول هكذا عمل (١ كور ١٠ : ١٦) «كأس البركة التي نباركها أَليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسرهُ أليس هو شركة جسد المسيح » وفي الفصل ذاته الآيتان ٢٠ و٢١

٤) ان الخبز كان منتثرًا في الجبال اذ كانت حبات الحنطة في سنابلها قبل ان تصير خبزًا.

٥) المعمودية باسم الرب او باسم يسوع تمييزًا لها عن معمودية يوحنا ، فالمعمودية التي رتّبها السيد المسيح تُعطى باسم الآب والابن والروح القدس. راجع الفصل ٧ الآية ١ و٣

٦) متى ٧ : ٦ : «لا تُعطوا القدس للكلاب »

*) ان ما ورد في الفصلين ١٠ و١١ يكفي لاثبات قدم هذا التأليف وصدوره في العصر الرسولي ، اي قبل نهاية القرن الاوّل للمسيح ، لاننا نرى في هذين الفصلين الليتورجية في بدئها وبساطتها الاولى . وكذلك نظام الجماعة المسيحية نراه بسيطًا من رسل يجولون وأنبياء ومعلمين ، كما كان في ايام الرسل الاثني عشر. ٧) عندما ظهر كتاب تعليم الرسل كانت

الآب القدوس لاجل اسمك القدوس الذي أحللته في قلوبنا ، ولاجل العلم والايمان والخلود التي عرّفتنا اياها بواسطة يسوع ابنك . لك المجد الى الابد .
٣ ايها السيد الكلي القدرة خلقت جميع الاشياء لاجل اسمك ، ومنحت الناس طعاماً وشراباً يتمتعون بهما لكي يشكروك . اما نحن فقد منحتنا طعاماً وشراباً روحياً وحياةً ابديَّة بواسطة ابنك . ٤ فنشكرك خصوصاً لانك قادر . لك المجد الى الابد . ٥ اذكر يا ربّ كنيستك لكي تنجيها من كل شرّ وتجعلها كاملة في محبتك . اجمعها من الرياح الاربع[1] ، وقدّسها وأدخلها في ملكوتك الذي اعددته لها . لانّ لك القوة والمجد الى الابد . ٦ لتُقبل النعمة وليُدبر هذا العالم . هوشعنا لابن داود . اذا كان احد قدّيساً فليأتِ ، اذا كان احد غير قديس فليَتُبْ . ماران اتى[2] . امين ٧ اما الانبياء فدعوهم يشكرون بقدر ما يريدون[3]

١١

١ كل من يأتيكم ويعلّمكم جميع هذه الامور المذكورة فاقبلوه .
٢ امّا اذا كان المعلم ذاته ضالاً ويعلّمكم غير هذا التعليم لهلاككم ، فلا تُصغوا اليه . امّا اذا علّمكم معلّمٌ ليزيدكم برّاً ومعرفة الرب فاقبلوه قبولكم الربّ .
٣ في ما يختصّ بالرسل[4] والانبياء اعملوا كما امر الانجيل . ٤ كل

وليمة المحبة المسماة باليوناني « أغابي » ترافق تناول جسد الرب المعبَّر عنه بكسر الخبز . يؤيد حقيقة تناول جسد الرب ودمهِ ما ورد في العدد ٣ من هذا الفصل العاشر : « امّا نحن فقد منحتنا طعاماً وشراباً روحياً وحياةً ابدية بواسطة ابنك »

١) راجع متى ٢٤ : ٣١ « فيجمعون مختاريه من الرياح الاربع »

٢) كان المسيحيون الاولون يظنون ان مجيء المسيح الثاني كان قريباً وكانوا يصلّون ليتمّ ذلك . وهذا معنى « ماران اتى » اي « تعالَ ايها الرب يسوع » (رؤيا ٢٢ : ٢٠) وقال بولس ١ كور ١٦ : ٢٢ : « ان كان احد لا يحبّ ربنا يسوع المسيح فليكن مُبسَلاً . ماران اتى »

٣) الانبياء وحدهم كان يُسمح لهم ان يشكروا زيادة عما ورد هنا .

٤) ليس الكلام عن الرسل الاثني عشر ، بل عن اولئك الذين ، في اوائل النصرانية ، كانوا يتبعون اعمال الرسل بالتبشير . وهؤلاء لم يكونوا يستقرّون عند المؤمنين بل كانوا

رسول يأتيكم اقبلوه قبولكم للربّ. ٥ لا يمكث عندكم الا يوماً واحداً او يوماً آخر عند اللزوم . فان مكث ثلاثة ايام فهو نبيٌّ كاذب[١] ٦ عندما يمضي الرسول لا يأخذ معه شيئاً غير الخبز [الكافي] الى ان يدرك مبيتاً . فان طلب دراهمَ فهو نبي كاذب[٢] .

٧ كل نبيّ يتكلّم بالروح[٣] لا تجرّبوه ولا تدينوه . لان كل خطيئة تُغفر امّا هذه الخطيئة فلا تغفر . ٨ لكن ليس كلّ من يتكلم بالروح هو نبيّ بل من يسلك سلوك الربّ . فمن السلوك يُعرف النبي الكاذب والنبي الحقيقي . ٩ ليس من نبيّ يأمر بالروح بأن تُهيّأ المائدة ثم يأكل منها ، الا اذا كان نبيّاً كاذباً[٤] ١٠ وكل نبيّ يعلّم الحقيقة ان لم يعمل ما يعلّم فهو نبيٌّ كاذب[٥] ١١ كلُّ نبي مجرَّب حقيقي يعقد اجتماعاً لاقامة السرّ العالمي[٦] فان لم يعلّم بان يُعمَل ما يعمله هو فلا تدينوه انتم فانما دينونته لله لان الانبياء القدماء هكذا فعلوا ١٢ كل من قال بالروح اعطني فضة او شيئاً آخر فلا تسمعوا

عابري سبيل لانّ شغلهم كان مختصاً بالغير المؤمنين ينتقلون من موضع الى آخر ليكرزوا بالانجيل وينشروا الايمان بالمسيح كما كان يفعل بولس وبرنابا . وقد وُجد رسُل كذبة يجولون بين المؤمنين لمنفعتهم الذاتية كما صرَّح بذلك بولس الرسول بقوله (٢ كور ١١ : ١٣) : « امثال هؤلاء هم رسُل كذبة وعمَلة خدّاعون يغيّرون هيئتهم الى هيئة رسُل المسيح »

١) « قد كان في الشعب انبياء كذبة كما انه سيكون فيكم معلّمون كذبة » (٢ بطرس ٢ : ١) ٢) « لا تقتنوا ذهباً ولا فضّةً ولا نحاساً في مناطقكم . ولا مزوداً للطريق . . . لان الفاعل مستحقّ طعامه » (متى ١٠ : ٩ و١٠)

٣) التكلم بالروح هو التكلم عند الانخطاف بالروح : « وصرتُ في الروح يوم الرب فسمعتُ . . . » (رؤيا ١ : ١٠) . « صرتُ في الروح فاذا بعرشٍ موضوع . . . » (رؤيا ٤ : ٢) . « ليس احد ينطق بروح الله ويقول يسوع مُبسَلٌ ولا يستطيع احد ان يقول يسوع ربٌّ الا بالروح القدس » (١ كور ١٢ : ٣) . « ان الذي ينطق بلسانٍ لا يكلّم الناسَ بل الله اذ لا يسمع احدٌ غير انه بالروح ينطق بأسرارٍ » (١ كور ١٤ : ٢)

٤) لانّه يطلب منفعته لا منفعة الشعب المسيحي .

٥) « امّا الذي يعمل ويعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات » (متى ٥ : ١٩)

٦) ذهب العلماء الى آراء شتى في تفسير هذه العبارة « السرّ العالمي » . فلم ينجحوا ، وبقيت العبارة غير واضحة . ولعلّه اراد السرّ المقدّم في كل العالم ولاجل كل العالم اي ذبيحة الافخارستيا كما قال ملاخي (١ : ١١) « في كل مكان تقتَر وتقرّب لاسمي تقدمة طاهرة »

لهُ . اما اذا قال اعطوا لآخرين محتاجين فلا يدنِه احد .

١٢

١ كل من يأتيكم باسم الرب فليُقبَل وبعد اختباره تعرفونه[١] ، لانه
سيكون لكم فهم لتميّزوا اليمين واليسار[٢] ٢ امّا اذا كان الآتي عابر
سبيل فساعدوه بقدر ما تستطيعون . ولا يبقَ عندكم الّا يومين او ثلاثة ، اذا
اقتضى الامر . ٣ اما ان اراد المكوث بينكم وكان صاحب حرفة ،
فليشتغل وليقتنِ قُوتَه . ٤ وان لم تكن له حرفة فاعتنوا بفطنتكم ان
لا يعيش مسيحي في وسطكم بطّالًا[٣] . ٥ فان لم يرضَ ان يفعل بذلك فهو
متاجر بالمسيح . فاحذروا من مثل هؤلاء .

١٣

١ كل نبيّ حقيقي يرغب في الاقامة بينكم فهو مستحقّ طعامه[٤] .
٢ وكذلك كل معلّم حقيقي مستحق هو ايضاً طعامه كالفاعل . ٣ ومن
ثم تأخذُ كل بواكير نتاج المعصرة والبيدر والبقر والغنم وتعطيها للانبياء ، لانهم
بين ظهرانيكم رؤساء الكهنة[٥] ٤ فان لم يكن لكم نبيّ فاعطوا

ومّما يؤيّد تفسيرنا هذا ان المؤلّف في ما يلي (١٤ : ٣) يستشهد بآية ملاخي هذه المختصة بذبيحة الافخارستيا .

١) بعد ان تكلّم عن قبول الرسُل والانبياء في الجماعات المسيحية اخذ في الفصل **١٢** يتكلّم عن قبول الغرباء من المسيحيين . ويتضح من كلامه انه يلزم قبولهم قبل ان يُمتحَنوا .

٢) تمييز اليمين واليسار اي معرفة الاشرار منهم والصالحين .

٣) يريد ان المسيحي يحصّل قوته بتعبه وشغله . وهذه هي المرة الوحيدة التي يُذكر فيها اللفظ « مسيحي » في كتاب تعليم الرسُل . وهذه الكلمة لم يكن شاع استعمالها في العصر الاول للنصرانية ، فكان تبّاع المسيح يقال لهم المؤمنون ، الاخوة ، القديسون ، المعمَّدون .

٤) يتكلم عن الانبياء والمعلمين الذين كانوا يقيمون بين جماعات المسيحيين كرؤساء كهنة . انّ النبي كان يتكلم بالروح لا المعلّم . وكان النبي يُقدَّم على المعلّم . وحيث كان اساقفة وشمامسة كان الانبياء والمعلّمون يفوقونهم رتبةً .

٥) كان فُرِض في العهد القديم ايضاً على اليهود ان يُعطوا الكهنة بواكير البيدر والمعصرة (سفر الخروج ٢٢ : ٢٩ و٢٣ : ١٩ و٣٤ : ٢٦) . الا ان تعليم الرسل لا يذكر العشر الذي كان اليهود ملتزمين بتأديته .

للفقراء [1] ٥ ان صنعت خبزًا ، فخذ الباكورة ووزّعها بحسب الوصيــة . ٦ كذلك اذا فتحتَ جرّة خمر او زيت ، فخـذ الباكورة واعطها للانبياء . ٧ خذ الباكورة من الفضة واللباس ومن كلّ ما تملكه كما ترى موافقاً ، وأعطها بحسب الوصية .

١٤

١ لدى اجتماعكم يوم الرب اكسروا الخبز [2] واشكروا بعد ان تكونوا اعترفتم بخطاياكم [3] لكي تكون ذبيحتكم طاهرة . ٢ لا يحضر معكم من له منازعة مع صاحبه حتى يتصالحا [4] ، لئلّا تتنجّس ذبيحتكم . ٣ لان الرب قــد قال « في كل مكانٍ وزمانٍ تُقرّب لي ذبيحة طاهرة ، لاني ملك عظيم ، يقول الرب ، واسمي عجيب بين الامم » . [5]

١٥

١ أَقيموا لكم اساقفة وشمامسة جديرين بالرب ، رجالًا وُدَعاء غير محبّين للمال ، صادقين ، ومجرَّبين ، فهم يخدمونكم خدمــة الانبياء والمعلمين [6]

---

١) من هنا يتضح ان الانبياء لم يكونوا في كل الكنائس .

٢) كانوا يجتمعون يوم الرب ' اي يوم الاحد ' ويقيمون الذبيحة الالهية ويتناولون جسد الرب ودمه الكريم . راجع ما كتبه بولس (١ كور ١٦ : ٢) : « في كل اول اسبوع » . وما ورد في اعمال الرسل (٢٠ : ٧) : « في اول الاسبوع لما اجتمعنا لكسر الخبز كان بولس يفاوضهم وهو مزمع ان يسافر في الغد واطال الكلام الى نصف الليل » .

٣) يتضح من هذه الآية ان المسيحيين لدى اجتماعهم لحضور ذبيحة القداس وتناول جسد الرب ' كانوا يعترفون بخطاياهم . يلتزم المسيحي قبل التناول ان يعـترف بخطاياه ويتصالح مع اخيه .

٤) اورد باختصار ما ألزم به السيد المسيح المتخاصمين قبل ان يقدموا قربانهم (متى ٥ : ٢٣ و٢٤)

٥) « من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كل مكان تُقتّر وتُقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة لان اسمي عظيم في الامم قال ربّ الجنود » (ملاخي ١ : ١١) وهــذه الآية تدلّ دلالة صريحة على ذبيحة الافخارستيا .

٦) يريد الخدمة الروحية بتوزيع الاسرار والارشاد يتسمها اساقفة وشمامسة يُقيمون بين ظهرانيهم

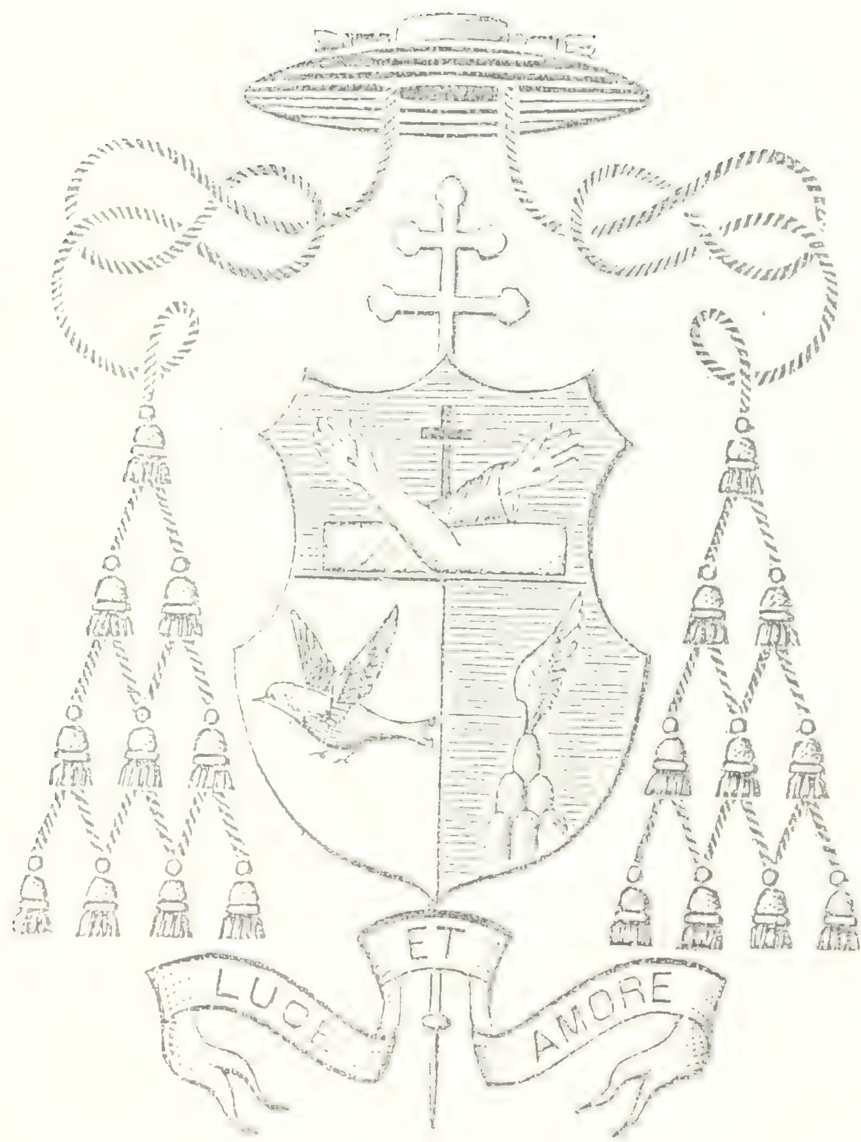
٢ فلا تحتقروهم ، لانهم هم المكرَّمون بينكم ، مع الانبياء والمعلمين .
٣ وبّخوا بعضكم بعضاً ، لا بغضب ، بل بدعة ، كما جاء في الانجيل
واذا أخطأ شخص الى آخر فلا يكلّمه احد ، ولا تصغوا اليه حتى يتوب
٤ صلواتكم وصدقاتكم وجميع اعمالكم افعلوها كما ورد في انجيل ربّنا [١] .

١٦

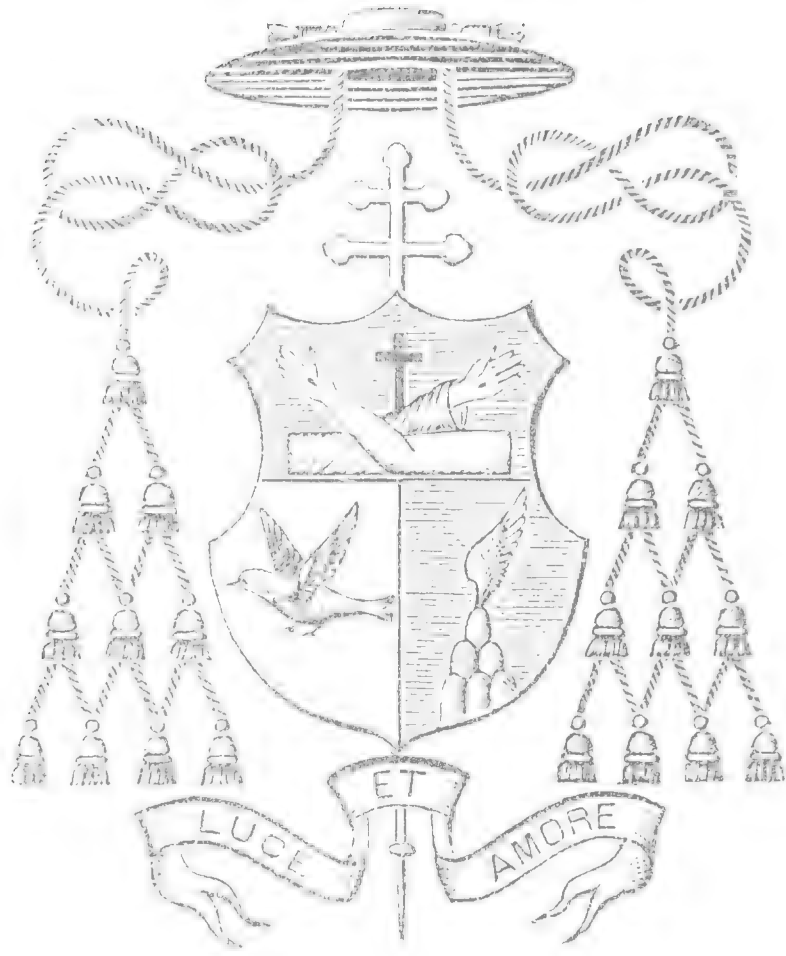
١ اسهروا على حياتكم . لا تنطفئ سُرجكم ، ولا ترتخِ احقاؤكم
بل كونوا مستعدّين ، لانكم لا تعلمون الساعة التي فيها يأتي ربّنا . [٢]
٢ اجتمعوا كثيراً لطلب الاشياء المفيدة لنفوسكم ، لان كل مدة
ايمانكم لا تفيدكم شيئاً ان لم تكونوا كاملين في اليوم الاخير . ٣ لانه في
الايام الاخيرة يكثر الانبياء الكذبة والمفسدون ، والغنم تتحوَّل الى ذئاب ،
والمحبة تصير الى بغض [٣] . ٤ واذ يزداد الاثم يبغضون ويضطهدون ويُسلمون
بعضهم بعضاً . وحينئذٍ يظهر مُضلّ المسكونة كانه ابن الله ويصنع آيات وعجائب
وتسلَّم الارض ليديه ويقترف آثاماً لم تُصنع قط منذ الدهر . ٥ وبعدئذٍ يأتي
الناس الى نار التجربة ويتشكك كثيرون ويهلكون ، فالذين يثبتون في ايمانهم
يخلصون من هذه اللعنة . ٦ وحينئذٍ تظهر علامات الحق ، فالعلامة الاولى
انفتاح السماء ، والعلامة الثانية صوت البوق ، والثالثة قيامة الموتى [٤] ٧ ولكن
ليس الكلّ ، [٥] بل كما قيل يأتي الربّ وجميع القديسين معه . ٨ حينئذٍ
يرى العالم الربَّ آتياً على سحُب السماء . [٦]

---

١) متى ٦ : ١-٤ ٢) لوقا ١٢ : ٣٥ و ٤٠
٣) في هذه الآية وما يليها يشير الى ما قاله السيد المسيح عن مجيئه الثاني ومنتهى الدهر
(متى ٢٤ : ٥-١٢ و ٣٠ و ٣١) ٤) ١ كور ١٥ : ٥٢ ومتى ٢٤ : ٣١
٥) بقوله « ليس الكل » يعني ليس الكل يقومون لقيامة مجيدة . كما قال بولس
الرسول (١ كور ١٥ : ٥١) « اننا سنقوم كلّنا ولكن لا نتغير كلّنا » ٦) متى ٢٤ : ٣٠



الاخ فريديان عبياني



الاخ فريديانه جياني

من الاخوة الاصغرين

بنعمة الله والكرسي الرسولي

رئيس اساقفة سرّس، النائب الرسولي على حلب والقاصد الرسولي في لبنان وسورية

احد احبار البلاط البابوي الجليس لدى العرش الحبري

الى الابناء الاعزاء الاكليرس والشعب اللاتيني في نيابتنا الرسولية تحية وسلام وتعزية بالرب

ايها الابناء الاعزّاء

اننا وقد بلغنا السنة الخامسة والعشرين لاسقفيتنا ولمزاولتنا المهمتين الموكولتين الينا اي النيابة والقصادة الرسولية في القطرين العزيزين لبنان وسورية نلتفت اليكم الآن داعينكم الى الالتفاف حول راعيكم لتأدية واجب الشكر لله تعالى. فعظيمة هي الاحسانات التي تنازلت رحمته غير المحدودة فاغدقتها علينا في اثناء هذا العهد الطويل.

ولا يمكننا الّا ان نكرّر اليوم على مسامعكم ما جاهرنا به، امام الجمع الكريم الذي جاد علينا في غضون الوليمة الفاخرة التي أقيمت احتفاء بيوبيلنا، بتقدماته وتهانئه وتمنياته، وهو اننا حين نعيد ذكرى تلك السنوات الخمس والعشرين من حياتنا، التي قضيناها فيما بينكم وهي سنوات ملأتها الحوادث التاريخية والمشاغل الرعائية والتعزيات المفرحة والهموم القتّالة، منها سنو الحرب العمومية المفجعة التي كادت ان تقضي على صحتنا قضاء مبرماً كما انها كانت قد قضت موقتاً على ارسالياتنا البالغة حدّ الازدهار وعلى مشاريعنا الثمينة، انّا حين نفكر في الضحايا غير المحصية التي افترستها في تلك الايام المجاعة والمشانق حيث كنّا، وابادها المنفى والمذابح الهائلة بالقرب منا، وخصوصاً حين نتذكر ان في ذلك العهد الذي تضايقنا فيه اكثر من اي وقت من حياتنا قد صانتنا نعمة الله من خطر التضحية بواجباتنا الروحية والاجتماعية على مذبح منفعتنا الذاتية، اذ منحتنا الشجاعة اللازمة لنحفظ دون لوم شرف الكرسي الرسولي وشرفنا امام المسلطين في تلك الايام، اننا حين نذكر هذه الامور وسواها مما قد يطول بنا سرد تفاصيله تصعد الى شفاهنا عبارة المرتّل القائل: «ماذا ارد للرب عن جميع ما كافأني به» فنردفها بما فاه به هو نفسه في المزمور ذاته «فلك اذبح ذبيحة الاعتراف وادعو اسم الرب» (مزمور ١١٥: ١٢ و ١٧)

والحق يقال «ان من عند الله تهبط كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة» (يعقوب ١: ١٧). هو الله سندنا في ايام المحنة لمّا أكرهنا على ان نهتف مع الرسول «انه لم يكن لجسدنا راحة بل كنا في ضيق من كل وجه، الحروب من خارج والمخاوف من داخل (٢ كور ٧ : ٥)، هو الله فرّج كربتنا بما اتاح لنا من اسباب التعزية والفرح في ساعة لم نكن لننتظرها، هو الله كان دائماً يتنازل، على حدّ ما قال القديس منصور ده پول فاصاب وابدع، ويتخذنا آلة، مع ما نحن عليه من الحقارة، لعمل بعض الخير، في كل حال، حتى الذين لم يكونوا ليريدوه. فالله نسبح ونمدح اولاً واياه نشكر سرمداً

على انه، لما كان ما يترتّب علينا من الدَّين للمحسن الاسمى يفوق كل تقدير وجب ان نعترف بعجزنا عن ايفائه كما ينبغي. فلذا حُملنا على ان ندعوكم

ايها المساعدون الاعزّاء والمؤمنون الاحباء الخاضعون لنيابتنا الرسولية وبالعموم يا جميع اصدقائنا في لبنان وسورية ، ان تتفضّلوا وتشاركونا في القيام بهذا الواجب . نطلب منكم بدل بعض الخدمات التي اتيح لنا تأديتها لكم ان تساعدونا على تقديم الشكر لله عزّ وجلّ على ما انعم به علينا نفساً وجسدًا في اثناء مهمتنا الطويلة العهد فيما بينكم وعلى التعزيات والافراح التي منحناها في آبان احتفالات يوبيلنا الفضي

وهناك دَين اخر اوجبه علينا يوبيلنا الفضي وقد اخذنا على عاتقنا ان نؤَديه وحدنا دون مساعدة احد وهو واجب عرفان الجميل نحوكم ونحو جميع الذين جادوا علينا ، في هذه الفرصة ، بدلائل اعتبارهم وعطفهم

لا تجهلون ان اللجنة الكريمة التي دفعتها عاطفتها الى تحمل عبء اعداد الاحتفال بهذا اليوبيل قد قامت بهمتها قياماً عجيباً

ان عيد اليوم الثامن من شهر كانون الاول لسنة ١٩٢٩ كان بهجاً للغاية وقد أثّر فينا أشدّ تأثير جميع ما جرى فيه اجماله وتفاصيله . ونودّ ان نعرب ثانيةً عن شكرنا وامتناننا لا للجنة الموقَّرة فقط بل لجميع الذين كان لهم فضل في نجاح العيد

فالى جميع رجال الدين والدنيا من سائر الطوائف : لاتينيين وموارنة وروم كاثوليكيين وسريان وارمن الذين ، بواسطة اللجنة او بالذات من قريب او من بعيد وباي نوع كان ، شاؤوا ان يشتركوا في احتفالات يوبيلنا ، نقدم الشكر مؤكدين لهم اننا لن ننساهم ابدًا ولاسيما في صلواتنا وخصوصاً في تقدمتنا ذبيحة القداس الطاهرة

* * *

بعد اسداء الشكر لله تعالى ولاصدقائنا شكرًا صادرًا من صميم الفؤاد يجب علينا ان نعترف ان التعزيات والافراح التي توافرت في يوبيلنا هذا قد اهاجت فينا خواطر لا تخلو من القلق

ان اعياد يوبيل قاصدٍ رسولي ، وهو حادث فريد في بابه ، لا يمكن ان تكون اعياد شاب في مقتبل العمر . الشيخوخة تتقدم سراعاً وتنذر بدنوّ

الاجل . وحين نرى شمس الحياة مائلة الى المغيب ولاسيا نحن المثقلين بعبء مسؤليات خطيرة ، العالمين حق العلم ان قد دنا وقت تأدية الحساب لسلطان الحياة والموت الاسمى ، كيف نستطيع ان لا نشعر بخطر الساعة . قد منّ الله علينا بان ندرك ما في هذا الامر من الاهمية فظهرت لنا ملاءمة الشروع بفحص ضمير جدّي .

* * *

الحكيم الوثني قد سبق واوعز بهذه الطريقة المفيدة اي فحص الضمير وكان يؤمل ان يدفع تلاميذه الى اصلاح نقائصهم والى الاستنارة بموجب قواعد الاداب السليمة باملائه تلك الوصية المكتوبة على واجهة هيكل مدينة دِلف وهي « اختبرنّ نفسك » .

لكنّ الذين ادخلوا في ذهن جميع اتباع المسيح ممارسة فحص الضمير هم معلّمو الحياة الروحية . وقصدهم بذلك ان يحملوا المسيحي على ان يتذكّر كل يوم وقائع حياته من الصباح الى المساء ويتساءل جدّيًا عمّا اذا كانت جميع افكاره التي افتكرها في يومه وجميع اقواله واعماله قد دفعته اليها نية حسنة ومستقيمة وعمّا اذا كانت منطبقة على واجبات كل مؤمن عموماً وعلى واجبات حالته خصوصاً ، او اذا كان بعكس ذلك قد أثم اكثر او اقل في امر من الامور عملًا او اهمالًا .

وقد اراد مؤلف كتاب الاقتداء بالمسيح ان يستجمع المسيحي الصالح افكاره للقيام بهذه المهمة مرتين في النهار قال: اقصد مقاصدك صباحاً وافحص سيرتك مساءً اي ماذا كان سلوكك في اقوالك واعمالك وافكارك لانك قد تكون اغظت الله وقريبك مرارًا في هذه كلها (الكتاب الاول ، الفصل ١٩)

ومما لا ريب فيه ان هذه الممارسة اليومية جزيلة الفوائد وان نفعها للنفس نفع الرياضة البدنية اليومية للمصارعين الذين يُعدّون لاظهار قوتهم وخفة حركاتهم في المضمار

على ان الاستفادة بفحص الضمير يُقتضى لها شروط هي: ممارسته على نور النعمة الالهية التي يجب التماسها بكل الحاح ثم اختتامه بندامة صادقة على

الخطايا المرتكبة في النهار والثبات على قصد تجنبها في المستقبل واخيراً الطموح الى الاقتراب من مثال الكمال اقتراباً متواصلاً . وقد وضع المعلم الالهي هذا المثال امام اعيننا حين قال : « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل هو » (متى ٥ : ٢٨)

نضيف الى ما سبق انه كما ان الاعترافات الاعتيادية هي أبعد من ان تحوّلنا عن التقدم الى الاعتراف العام المستوفي الشروط تقدّماً مفيداً — ولا يخفى ما في هذا العمل من جزيل المنفعة في بعض ايام حياتنا — كذلك فحص الضمير اليومي لا يمنعنا من ان نشعر ، في بعض الاحايين ، بالحاجة الى فحص ضمير اوسع نطاقاً يتناول الحياة كلها او بعضها تدعونا اليه اسباب خاصة واهمية اوفر

هذا ما جرى لنا بمعرض يوبيلنا . اسقفيةُ خمس وعشرين سنة وقيامٌ بمهام النيابة والقصادة الرسولية ، ان ذلك لعبءٌ ثقيل على عاتقنا . المجمع التريدنتيني يقول فيه « انه عبءٌ يرهب ملائكة السماء انفسهم » وهو يرهبنا بنوع خاص نحن المدركين ضعفنا من كل وجه . ولذا بان لنا انه من المناسب جداً ان نفحص ضميرنا فحصاً يتناول هذا القسم الطويل من حياتنا ففعلنا .

وما لبث ضميرنا ان اراحنا ، لحسن حظنا في نقطة شديدة الاهمية . اننا ربينا بنعمة من الله ولسعادتنا في اديرة القديس فرنسيس العزيزة على قلبنا ولم نبرحها الا منقادين لاشارة نائب السيد المسيح على الارض البابا بيوس العاشر قدّس الله ذكره . واشارة الحبر الاعظم كانت لنا بمثابة امر صادر من الله . فما كان علينا الا ان نطيعه . ان هذا الفكر يعزّينا كثيراً لاننا لو كنا حاولنا ان نصل بطريقة من الطرق الى مقامٍ ووظيفةٍ هما عبثان باهظان يصعب حملها ، لكان هذا التصوّر وقراً ثقيلاً علينا . غير ان هذا كله لا يكفي لاراحة بالنا تماماً . ان نفسنا تشعر رغماً من ذلك باضطراب وانزعاج كلّما تساءلنا عن موقفنا عموماً وتفصيلاً طيلة هذه الخمس والعشرين سنة من اسقفيتنا وخدمتنا الروحية كنائب وقاصد رسولي

ان شهادة ضميرنا المستنير بالانوار العلوية التي الحفنا في التماسها كانت موجبة لاطمئنان فكرنا في ما يختص باستقامة النية وقصد العمل الصالح . ولنا في

هذه الشهادة تعزية كبيرة جدًّا، الا انها ليست شهادة مستوفاة كالاولى لاننا نعلم اولًا ان النية المستقيمة لا قيمة لها بذاتها الا على قدر ما تكون الغاية المتوخَّاة حكيمة وصالحة من كل وجوهها، ثم ان الارادة الحسنة لا تكفي وحدها لتبريرنا الا اذا تعذّر علينا ماديًّا وادبيًّا ان نحقق ما يفرضه علينا الواجب. لذا تساءلنا مرارًا عمّا اذا كانت نيتنا المستقيمة في نظرنا قد رمت طيلة هذه الخمس والعشرين سنة الى غايات صوابية وصالحة من كل وجه وعمّا اذا كنّا بذلنا في كل وقت جميع ما بوسعنا وتوسلنا بالطرق الاوفر صلاحًا لاستثمار ارادتنا الحسنة في واقع الامر، لمجد الله الاعظم وخلاص النفوس ونجاح الكنيسة في الامصار الموكول امرها الى عنايتنا

لا نقصد الآن اعترافًا علنيًّا لكن كلمة الرسول الحبيب جازمة حاسمة: «ان قلنا ان ليس فينا خطيئة فانما نضلّ انفسنا وليس الحق فينا» (١ يو ١: ٨) وما فحص الضمير في ذاته سوى مناجاة النفس ذاتها في سرّها بحضرة الله تعالى وحده وليس للعامة شأن فيها. فلمعلّم اعترافنا اذن ولله وحده يجب ان نؤدي حسابًا عن نتائج تفتيشنا نفسنا

ومتى كانت المسئلة مسئلة حكم على القريب وسيرته وجب علينا ان نذكر دائمًا العبارة المملوءة حكمة الواردة في كتاب الحبريات الروماني التي فيها يُكلّف الذين يُسألون عن المرشحين للمدرجات المقدسة ان لا ينسوا كونهم خلائق ضعيفة وميالة للشرّ. ولا بدّ لنا ان نذكر ايضًا كلمة المعلم الالهي: «من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرميها بحجر» (يو ٨: ٧) على انه لما كان البحث يدور على شخصنا ذاتًا نتوسّل الى من كان له ان يؤاخذنا بتقصير هام او تافه بدر منّا في خدمتنا الروحية ان ينال لنا بصلواته نعمة اصلاح عملنا

ولم يكن اقل اقلاقًا لبالنا افتكارنا بوجوب تأدية الحساب لله تعالى عن خلاص مرؤوسينا الابدي على قدر ما يمكن ان يتعلّق خلاصهم بممارسة وظيفتنا

ان بوسويت الخالد الذكر قد فاه في خاتمة احد تأبينه المدهشة بهذه الكلمات العسجدية قال: اني بدلًا من ان انوح على موت الآخرين اريد منذ الآن ان اتعلّم ان اجعل ميتتي صالحة. يا لسعادتي لو اصغيت الى تنبيه المشيب

المنذر بقرب تأدية الحساب عن ادارتي فخصّصت لرعيتي المفروض عليَّ تغذيتها بكلمات الحياة ما بقي من نبرات صوت كاد يخبو ونشاط اوشك ان يهمد »

ان المشيب المنذر القاسي بالموت القريب لمشير جليل القدر ولاسيما لراعي النفوس . تُرى ما يكون خزي ذلك الراعي الغافل ساعة يمثل امام الراعي الصالح الاسمى والديان المنتظر الذي كان قد وكل اليه النفوس المفتداة بدمه ؟

ان هذا الفكر يذكّرنا بانذار النبي المفجع : الويل لرعاة اسرائيل (حزقيال ٣١ : ١) ويرعبنا في الوقت نفسه. فالادارة الروحية كثيرة المشكلات وواجباتها تكاد لا تُحصى. فكيف يمكننا ان نتأكد ، والحالة هذه ، اننا قد اتممنا في كل وقت كل واجبنا بكل تدقيق دون ان ننسى شيئاً منه . فما علينا الا ان نقرع صدرنا ونقصد قصداً ثابتاً ان نعوض على قدر استطاعتنا عمّا نكون قد ارتكبناه من الهفوات في مهمتنا الرعائية. واننا للحال نشرع بهذا التعويض مناشدين مرؤوسينا بالحاح ان يبادروا معنا وبارشادنا الى فحص ضمائرهم

وغايتنا ان نساعدكم في هذا الفحص في ما مرجعه تتميم واجباتكم الجوهرية . هذه هديتنا في يوبيلنا نقدمها لكم لقاء الادلّة المختلفة والمؤثرة للغاية المبرهنة على تعلقكم البنوي المبذولة منكم بمناسبة هذا اليوبيل . وانا نؤمل ان تكون هذه الهدية ، بنعمة الله ، ذات قيمة ممتازة في اعيننا واعينكم : امّا لنا فلانها توقينا من خطر الاضطرار الى ان نهتف يوماً « ويل لي لاني سكتُّ » (اشعيا ٦ : ٥) وامّا لكم فلانكم تعلمون فوائد فحص الضمير المتقن الذي يُجرى بالشكل الذي يلقّننا اياه آباء الحياة الروحية المسيحية

* * *

يلذّ لنا ان نلتفت اولًا الى المرسلين المؤلف منهم بحصر المعنى اكليرس نيابتنا الرسولية ثم الى اعضاء الجمعيات الرهبانية العزيزة رجالا ونساء ذوي اليد الطولى باتعابهم ومشاريعهم وصلواتهم في انجاح العمل الكهنوتي . واذ نرسل اليكم جميعاً تحيتنا ، ايها المساعدون والمساعدات الاعزّاء ، نرى من الواجب ان نصارحكم امام الله والناس بشكرنا الابوي الصميم على ما تقدّمون من العضد ، بالتبشير والتعليم والمثل والتفاني الذي لا يملّ ، للعمل العظيم الا وهو تقديس شعب

نيابتنا الرسولية المحبوب. اننا نشكر لكم ايضاً الخدمات التي تؤدونها من امد بعيد لسكان لبنان وسورية، الى اي طائفة او طقس انتسبوا، من الوجهة الدينية والادبية والاجتماعية والفكرية. ان عملكم العجيب جعل هذا البلد موضوع غَيرة لشعوب الشرق. اننا لنفتخر بالرب بكم وبعملكم. انكم كنتم في كل وقت ذراعنا اليمنى تبادرون الى معاونتنا مبادرة الابناء المخلصين. اننا نشكر لكم ذلك من صميم الفؤاد

انكم تعلمون اكثر مما نعلم ان الطموح الى ما هو اسمى ناموس من نواميس الحياة الروحية وان التوقف في منتصف الطريق انحطاط وربما موت. وتعلمون ايضاً ان عمل تقديس النفوس، وهو عملنا الاساسي، لا يمكن القيام به بنوع فعّال تجاه الآخرين ان لم نكن قد سبقنا ومارسناه بنجاح في نفسنا. ان القاعدة التي نوّه بها الشاعر اللاتيني القائل «ان أردت ان ابكي فابكِ انت اولًا» لا تتناول فنّ الشعر وحده بل انها تنطبق على حالتنا بنوع عجيب. أجل هي نعمة الله تقدّس النفوس، على ان معاونتنا على هذا العمل الفائق الطبيعة معاونة فعّالة، يُقتضى لها ان نرقى درجات سلم الكمال الانجيلي دون توقف ابدًا

ان ترويض النفس الروحي الذي به نواصل الارتقاء دون توقف حتى نبلغ ذروة الكمال ليكشف سرّ النجاح العجيب الذي كلّل اعمال العدد الوفير من المرسلين الذين رفعتهم الكنيسة على المذابح وجعلتهم بقرب الرسل الاطهار. وبعكس ذلك ان اهمال هذه الرياضة المقدسة قد انتج مرات التأسف المرّ على عقم العمل الكهنوتي في بلاد الارساليات كما في البلاد النصرانية ايضاً

ولذا قد اندفع البابا بيوس العاشر فوجّه، بمناسبة يوبيله الكهنوتي الذهبي في سنة ١٩٠٨، الى الاكليرس الكاثوليكي نداءً شديدًا قويًا مفعماً من التقوى والعذوبة في وجوب تقديس الاشخاص، المكرّسين لخدمة الله والكنيسة، نفوسهم وتهذيبهم الروحي الفائق الطبيعة

اننا نستسمحكم باعادة ما قد الفتنا اليه نظركم من قبل في احدى رسائلنا الرعائية السابقة وهو ان تقرأوا وتعملوا الروية في ذلك الارشاد الحبري الذي شاء البابا بيوس الحادي عشر المالك سعيدًا ان يذكّرنا به مؤخرًا في معرض

يوبيلـه ونحن نرغب اليكم ايها المساعدون الاعزاء في ان تستهلّوا به فحص الضمير الذي ندعوكم اليه وتختموه به

افتتح الحبر القديس ارشاده مؤكداً ان اهم مشاغل وظيفته الرعائيـة ان يرى الذين نالوا شرف الكهنوت على الحال الذي تتطلبه وظيفتهم ، ثم اشار الى الطريق الواجب على كل منّا ان ينشط لسلوكه بهمّة تشتد على توالي الايام حتى يصبح على حدّ قول الرسول « رجل الله » (١ تيمو ٦ : ٢) ويحقق آمـال الكنيسة المشروعة . ثم رسم لنا ببلاغة فائقة الخطة التي ينبغي انتهاجها مفتتحاً اياها بالالزام الاساسي المفروض على كل منّا الا وهو الحياة المقدسة حقاً ومسنداً هذا الالزام ، الى ادلة تمتاز بقوتها ووضوحها . واليكم هذه الادلّة :

على الاكليريكي ان يكون قديساً اولًا لانه نور العالم . نحن مسيحيون لنخلّص نفوسنا ولكنّا رهبان ومرسلون لنخلّص الآخرين . الكهنوت ومـا يلاحقه وظيفة عمومية أُنشئت لمنفعة العموم يقوم بها كلٌّ حسب درجته ، والسلطة التي خُوّلها الاكليريكيون هي موهبة منحت للخير العام . يجب ان نكون لله وبالله للقريب اكثر منّـا لانفسنا ولاسيما اكثر منّا لمنافعنا الزمنية . تلك حقيقة اوضحها سيدنا يسوع المسيح ذاتـه اذ شبه خـدّامه الاولين الرسل « بملح الارض ونور العالم » (متى ٥ : ١٣)

على الاكليريكي ايضاً ان يكون قديساً لان لـه بيسوع المسيح قديس القديسين علاقـات خاصة صميمية . وقد افهمنا ذلك لاسمه السجود حين قال لكهنته الاولين « لا اسميكم عبيـداً بعد . لكني سميتكم احبـائي » (يو ١٥ : ١٥) لان الصداقـة الخالصة الثابتة تمتاز بتوحيد ارادة الاصدقاء وموضوع بغضهم . فيسوع قديس القـديسين حين يسمينا اصدقاءه يريـد ان نكون على مثاله

ثم يردف البابا بيوس العاشر كلامه المملوء حلاوةً مقـدَّسة فيقول ان على الاكليريكي ولاسيما الكاهن ان يكون قديساً لانه خادم المسيح في تقـدمة الذبيحة السميا التي تُجدَّد دائماً لخلاص العالم . فينبغي لنا حين نقدّم القداس ان تدفعنا اليه تلك العواطف المقدسة التي كانت نفس يسوع المسيح مفعمةً بها لما

قرّب ذاته قرباناً لا عيب فيه الى ابيه السماوي فوق مذبح الصليب . القديس يوحنا الذهبي الفم كان يتطلّب ان تكون اليد التي تقسم هذا الجسد والفم الذي تملأه نار روحية واللسان الذي يصطبغ بهذا الدم الرهيب ، انقى من شعاع الشمس نفسه .

واخيراً على الاكليريكي ان يكون قديساً لانه نال من الله اجلّ النعم . كان القديس كارلوس بورماوس مصيباً في الحاحه الشديد في هذا الشأن ومما قاله « اننا لو كنّا نعتبر عظمة الاشياء التي استودعناها الله وقداستها لكان لهذا الاعتبار من القوّة ما يحملنا على الاستنارة سيرة تليق برجال الكنيسة . اي شيء لم يضعه الله بين ايدينا بعد تسليمه ايّانا ابنه الوحيد ، الازلي مثله ، والذي له ولابيه الجوهر ذاته ؟ انه سلمنا جميع كنوزه واسراره ونعمه . سلّمنا النفوس اعزّ شيء لديه . وقد فضلهن على ذاته في محبته لانه افتداهنّ بدمه . سلّمنا مفاتيح السماء نغلقها ونفتحها في وجه الآخرين . فهل يمكن ان يبلغ بنا الكفر بالنعمة نحن الذين اغدق عليهم مواهبه ونعمه العظيمة ، الى حد اغاظته وازدرائنا اياه وتدنيس جسد هو جسده وتحقير هذه المنزلة وهذه الحياة المكرّسة لخدمته ؟ »

✲ ✲ ✲

ولكن بمَ تقوم قداسة الاكليريكي ؟ حذارِ من ان نصغي الى اقوال الذين تدفعهم القحة الى الادعاء بان فضل الاكليريكي ينحصر في بذل كل ما بوسعه في سبيل القريب دون الاهتمام كثيراً او قليلاً باكتساب الفضائل التي يسعى الانسان في طلبها لتكميل ذاته . ان الحياة المخصَّصة للعمل ، ان لم تقترن بممارسة الفضائل الالهية والادبية ، ممارسة جدّية ونشيطة لا تلبث ان تمسي حياة طبيعية محضة لا تكاد تؤثّر فيها افكار الايمان ، غذاء الحياة المسيحية الجوهري . ويل للذي يدع نفسه تؤخذ بهذا الشرك . لكن على الاكليريكي ان يحذر من ان تحمله غيرته على كماله الذاتي الخالية من الفطنة على اغفال شيء من واجبات حالته ووظيفته المتعلّقة بخير القريب او اهماله اياها . ولنا مثل دائم هو سيدنا يسوع المسيح الذي مرّ على الارض محسناً الى الجميع

وقد ختم الحبر الاعظم بيوس العاشر ارشاده مشجّعاً ايانا مذكّرنا ان لنا واسطتين قويتين جدّاً لبلوغ القداسة الخاصة بحالتنا الكهنوتية وهما الصلوة التي تستمطر نعمه تعالى ثم تأمّل الحقائق الابدية الذي يحوّل نفوسنا عن الاهتمام المفرط المقلق بالمصالح الزمنية ويرفعها الى اعالي الحياة الفائقة الطبيعة

وأملنا ان موجز تعاليم البابا القديس ، وان خلا من الرونق والكمال المطلوب ، هو الذي انار سبيلنا في اجراء فحص ضميرنا. قيل عن القديس منصور ده پول انه كان يظهر ممتلئاً من روح السيد المسيح في جميع اقواله واعماله وبهذا امتاز جميع القديسين. فنتمنى ان يُقال هذا فينا جميعاً ايها المساعدون الاعزّاء ، ولا ريب انه سيقال فينا اذا اردنا ان نوفّق بين سيرتنا وارشاد بيوس العاشر هذا الذي اصبح مشهوراً عند الجميع

ولا حاجة للتصريح بان قولنا مساعدينا يشمل لا الكهنة فحسب بل جميع الذين تكرسوا لله بالنذور الرهبانية رجالاً ونساءً والذين لاشتراكهم بمعاونتهم في الخدمة الرعائية يلتزمون كالكهنة ان يجعلوا عملهم مخصباً في حقل الربّ بقداستهم الذاتية

فعلى مسامعكم اذن ولاجلكم ايها المرسلون الحقيقيون وايها الاخوة وراهبات المدارس والمياتم والمستشفيات المدعوون الى العمل في حقل نيابتنا الرسولية نعيد ، مع البابا بيوس العاشر ، ما صرّح به سيدنا يسوع المسيح نفسه : « ايها الآب القدوس قدّسهم . » وبما اننا بشر لا يمكننا ان نتقدس بقوتنا الذاتية نردف الصلوة السابقة بهذه : « ايها الآب القدوس قدّس راعي هذا القطيع المبارك » مكررين التوسّل الى مرؤوسينا جميعاً ان يتضرّعوا معنا الى الله حتى يستجيب دعاءنا

* * *

بقي الآن ان نوجه كلامنا اليكم ، ايها المؤمنون الاعزّاء . قد دعوناكم انتم ايضاً الى فحص ضمائركم فحصاً غير اعتيادي فنريد من ثم ان نساعدكم على ان تُحسنوه ما استطعتم . ان من الاوهام التي نأسف لانتشارها الواسع ، سواء كانت صريحة او ضمنية ، ان القداسة الذاتية لا شأن لها مع اهل العالم . وهمْ

قديم العهد كان قد انبثّ بين سكان القسطنطينية في عهد القديس يوحنا الذهبي الفم . فان هذا القديس القى يوماً خطاباً حمل فيه على التمثيل الخلاعي فخطر له اعتراض القائلين « وهل تريد ان تجعلنا رهباناً جميعنا » لان اسباباً حملته على ان ينسب الى بعض سامعيه ، ان لم نقل اليهم باسرهم ، التمسك بان حضور التمثيل الخلاعي ليس ، في كل حال ، سوى هفوة يُفرَض تجنّبها على الرهبان العائشين آنئذٍ في البراري بعيدين عن الناس . خطر له هذا الاعتراض ففنّده مبيّناً فساده وبطلانه ببلاغته المعتادة وهتف من على منبر الحقّ : « اني لا اوجب عليكم ان تعتزلوا في الجبال والبراري الموحشة ، بل ان تكونوا صالحين ، محتشمين ، اعفاء ، يا سكان المدن . ان الشريعة تشملنا وتشمل الرهبان معاً اذا استثنيتم وصية التبتُّل الذي لم تفرضه شريعة الهية بل يتقيّد به الانسان بمجرّد ارادته بناءً على دعوة الهية ». ومعلوم انه في ذلك الحين كان الرهبان وحدهم يتقيدون بهذا القيد . معنى ذلك ، ايها المؤمنون الاعزّاء ، ان الانجيل لم يُعط للرهبان فحسب بل لجميع البشر وانه يلزم الجميع ، معنى ذلك انه ، ما خلا واجبات الحالات الخاصة او الرهبانية او الاجتماعية ، يطلب الكمال الانجيلي الذي علمناه السيد المسيح ، من حيث جوهره ، من جميع المسيحيين علمانيين ورهباناً ، معنى ذلك اخيراً اننا نحن الاكليريكيين ، اليوم كما في ايام القديس يوحنّا الذهبي الفم ، حين نكرز بالحقائق الانجيلية نطمح الى جعل المؤمنين العاديين لا رهباناً بل مسيحيين حقيقيين يدركون ما هم وذوي ضمير مستقيم .

الى هذه الغاية يرمي الواعظون المكلّفون التبشير بالحقيقة الانجيلية بل جميع المؤمنين الذين يهتمون لخلاصهم الابدي . ذلكَ هو التعليم الذي تلقيه الكنيسة المقدسة المعصومة من الخطأ ، التي ترتاح الى رفع اهل العالم على المذابح كما ترفع الرهبان الاشد تقشفاً . مثل ذلك القديس لويس الجالس على عرش فرنسة ابهى عروش الغرب فانه بقرب القديس فرنسيس الاسيزي الذي بلغ حبه للفقر عروس نفسه المحبوب اقصى درجات التجرّد من خيرات هذه الفانية . القديس لويس كالقديس فرنسيس مع اختلاف حالتيهما قد دُفعا كلاهما بروح واحد هو

روح الانجيل .

فنحن نرغب اليكم ايها المؤمنون الاحباء ان تتساءلوا في تفتيشكم ضميركم تفتيشاً جدياً ، مستضيئين بنور النعمة الالهية ، عمّا اذا كان عرض لكم مرات ان ترتأوا ذلك الرأي الباطل المفسد الذي فنده القديس يوحنا الذهبي الفم وتزدروا اقتناع المسيحيين الحقيقيين وتعليم الكنيسة المقدسة . لا نريد ان نذهب انكم شاطرتم يوماً نظرية القائلين بعدم تقيّد غير الرهبان او عموم الاكليريكيين بما توجبه قوانين الاداب المسيحية . لكن صارحوا نفوسكم والله تعالى ، الذي يرى كل شيء ، بالحقيقة ، الم تتبعوا غالباً هذا الزعم الفاسد في مجرى حياتكم اليومية وفي علاقاتكم مع العالم ؟

فان اتخذنا كلمة « العالم » بمدلولها الادبي الذي علقه عليها السيد المسيح ، وهو المدلول الذي لا يزال مصطلحاً عليه في لغات الشعوب المتمدنة ، أُريد به العدوّ اللدود للحياة المسيحية الحقة . وانه لكذلك اولاً بمبادئه المضادة تمام المضادّة للمبادئ الانجيلية . العالم يعظّم سعادة الاغنياء والاقوياء بل ذوي الصلف وحديثي النعمة وذوي المطامع والذين يعرفون ان يتمتعوا بالحياة كما يرتأون . العالم يدعو طبعاً الى محبة الملذّات المفرطة والى التهتُّك . العالم يردد على المسامع هذه العبارات : « الا يجب ان نتمتع بالشبوبية وان يتنعَّم كلٌّ بحياته ، كثيرون يستسلمون الى هذه المعيشة ؛ لا يمكن ان يهلك الله جميع البشر ؛ من الضرورة ان نربح ما نعيش به . اللطيف الضمير في اشغاله لن ينال ثروة البتة . »

العالَم عدوّ بما ينشره من الاباطيل ويدعو اليه من الملاذّ . ان بعض الاجتماعات العالمية لا غاية لها سوى تملّق الرغبات الدنسة والملاذّ الحسية بل الفحش والدعارة . واهل العالم يسترون الرذيلة بستر التفكُّه والتنزهات ليجعلوها جذّابة خلّابة ويصفونها بالاداب مع انها قلّ ان تخلو من خطر . الفساطين الكاشفة عن العنق كشفاً مفرطاً ، التنانير التي لا تستر الركبتين ، انواع المراقص وخصوصاً بعض اشكالها التي كانما يقصد بها تسهيل النظرات والمخاصرات الخلاعية ، كل هذه يدعوها العالم تفكهات ادبية وينبغي ان يقيد الناس بها

زاعماً ان اللياقة تقضي بذلك وان سلطان الزيّ الغاشم يفرضه . ماذا نقول في بعض التمثيلات المسرحية والمشاهد التي تعرض على انظار الجمهور في قاعات الصور المشبّحة وفي غيرها وعن الكتب المفسدة الاداب التي تراها في واجهات المكاتب ؟

اخيراً العالم عدوّ بما يقدّمه من الامثلة الرديئة . حين يُرى هذا العدد العظيم من الشبّان يتلهون باي طريقة كانت والمتزوجين يخونون عهودهم وواجباتهم المقدسة والنساء الطائشات متبوعات في الاجتماعات العالمية ، والتجار واصحاب الاشغال ينالون الثروة متوسلين اليها بالطرق المحرّمة ، آنئذٍ تشتد التجربة على الناظر ويقوى الميل الى اتباع هذه السبل

زد على ما تقدم ان العالم بلغ ، في مجاراته الضعف البشري ، مبلغاً يحمل على الظن انه يشجع الناس على الاستسلام الى ما يوحي به . ففي نظر العالم الرجل المغوي على الرذيلة هو رجل ظريف كيّس ، والتاجر القليل الذمّة والمالي المختلس ماهر زلق ، والمفاخر بحرية الفكر المزعومة الذي يسعى في تسويد صحيفة الدين رجل طليق من الاوهام بل مستضيء بانوار العلم والضمير . وليس من يهتم اهتماماً جدياً في ما اذا كان للعلم علاقة ما بهذه الترّهات

واذا عجز العالم عن ان يجتذبكم اليه بتمليقاته واكاذيبه اخذ يحاول ان يتسلّط على افكاركم بتخويفكم من القيل والقال وهو خوف شديد الوطأة على الافكار مع ما هو عليه من السخافة . وهكذا يُبعد الجبناء عن ممارسة فروض ديانتهم بتهكمه عليهم تهكماً لطيفاً اذ يطلق عليهم لقب « متعبدين ومرائين وسذّج لا يستحيون من اضاعة وقتهم بمثل هذه الاضاحيك » وبازدرائه ربّات العيال اللواتي يثابرن على إلباس بناتهنّ الالبسة المحتشمة مستفهماً منهن عما اذا كنّ يؤمّلن ان يزوجن بناتهنّ مع استمرارهن على هذه الخطة ونحو ذلك من اساليب السخرية

فنسألكم الآن ايها الاعزّاء : اما انقدتم يوماً الى وساوس هذا الروح الشرير ، الى هذا التيّار العالمي الذي يجتاح النفوس اجتياحاً ؟ ايمكنكم ان تقولوا مع الرسول : « ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله »

(١ كو ٢ : ١٢) فان صح فيكم قول الرسول هنأناكم لان الروح الذي من الله يجعلكم مسيحيين حقيقيين ومخلصين كل الاخلاص لسيدنا يسوع المسيح ومدعوين الى التمتع بالسعادة الخالدة . بل هنأنا نفسنا نحن ايضاً لانكم ان سرتم في طريق الحق القويمة دون ما حياء بشري كنتم تعزية راعيكم الشيخ في هذه الحياة ، واكليل مجده في السماء

اما اذا كان الامر بالخلاف فاننا نتوجع لحالتكم متألمين . انتم اعلم منّا بما يحفظه العالم من اسباب المسرّة لمريديه . انها لا تُذكر بل يصحبها الندم دائماً ووخز الضمير غالباً . وهي في كل الاحوال سريعة الزوال تبتغون الحصول عليها ولو خسرتم الحياة الابدية !

احذروا ذلك لان الرسل يعلموننا صريحاً : « ان من آثر ان يكون حبيباً للعالم فقد صار عدواً لله » (غلاطية ١ : ١٠) « ولو كنّا نرضي الناس لما كنّا عبيداً للمسيح » (يعقوب ٤ : ٤)

بادروا اذن ايها المؤمنون الاعزاء ، اننا نناشدكم الله ، بادروا دون ابطاء الى المصالحة معه عزّ وجلّ ان كان نكد طالعكم جعلكم تلتصقون حتى اليوم بعدوّه اي العالم الفاسد والمفسد . سيروا منذ الآن على غير مبادئ العالم وامثلته راجعين الى القياس ذي الحدّين الذي وضعه القديس برنردوس القائل : امّا المسيح مخطئ، واما العالم في ضلال » ومستنتجين معه « ان من المستحيل ان تضل الحكمة الالهية » وبناءً على ذلك اقصدوا المقاصد الصالحة

ولتكن بنعمة الله هذه المقاصد نتيجة طيّبة لفحص الضمير الذي دعوناكم اليه ، بفرصة اعياد يوبيلنا . ان التقدمات وردت الينا من كل فج وصوب طيلة هذه الاعياد لكنّ ما نطلبه منكم اليوم هو اثمن واغلى هدية في نظرنا .

بقي ان نختم رسالتنا هذه بعودٍ على بدء .

ان ما حملنا على انتقاء فحص الضمير موضوعاً رئيسيًّا لرسالتنا الرعائية وعلى معالجته كما مرّ هو شعورنا الشديد بواجبات راعي النفوس الملتزم بصفته هذه ان يسعى كل جهده لتقديس ذاته وتقديس رعيته

أمّا أن تزول احتفالات هذا اليوبيل كما يضمحلّ الدوي وتتلاشى كالاباطيل

التي وصفها وصفاً مرّاً الملك الكلي الحكمة هذا ما لا نرضاه ابدًا بل اننا نرغب بعكس ذلك ان نغنم فرصة هذه الاعياد السعيدة لتجددنا الروحي نحن ومرؤوسينا الاعزّاء وهذا ما دعانا الى فحص ضميرنا والى الرجاء اليكم ان تفحصوا ضميركم معنا

فهل بلغنا الضالة المنشودة ؟ اما نحن فنشعر بما ينشطنا على الامل مأخوذاً عن اعتبار لطيف لفت نظرنا اليه القديس فرنسيس سالس في مقدمة كتابه الثمين «مدخل العبادة» حيث قال : بما اني اسقف اراد الله ان ارسم في قلوب البشر ليس الفضائل الاعتيادية وحدها بل عبادته المحبوبة والعزيزة للغاية فباشرت ذلك بطيبة خاطر تتميماً لاوامره وواجباتي واملاً انني برسمي هذه العبادة في الاذهان سيصبح قلبي ضرورة مشغوفاً به مقدّساً . فاذا ما رآني عزّ وجلّ ولهاً بها قرنني بها قراناً ابديّاً .»

وحين كتبنا هذه الرسالة عللنا النفس نحن ايضاً بان النعمة الالهية ستحقّق فينا هذا التجدّد الروحي الذي دعونا اليه مرؤوسينا الاعزّاء

اما انتم ايها المساعدون الاحبّاء والمؤمنون المحبوبون فاننا نعرف ان بينكم نفوساً بالغات حدّ الجمال لا يحتجن الى ارشاداتنا ليسعين السعي الجدّي النشيط والمستمرّ لتقديس ذواتهن . فانهن يسرن ، تسندهنّ نعمة الله ، في طريق الكمال القويمة بحسب ما تقتضيه حالتهن الخاصة . فاذا كان قد استكفى الله في ما مضى بوجود عشرة ابرار ، كما ورد في سفر التكوين ، ليشفق على مدينتين ملعونتين معدتين للدمار الا يكتفي الآن بالعدد العديد من النفوس الجميلة زينة نيابتنا الرسولية ليهبنا النعمة التي نلتمسها لجميع مرؤوسينا

تلك هي حقيقة الاسباب التي تدفعنا الى انتظار تتميم رغائبنا اي صلوات تلك النفوس الممتازة وشفاعتها وجودة مخلصنا الالهي الغير المحدودة واذ ننظر الى ذلك بفرح نباركم من صميم الفؤاد باسم الآب والابن والروح القدس . آمين

أُعطي في كرسينا في بيروت يوم عيد الغطاس الاقدس لسنة ١٩٣٠

الى معاونينا الاعزاء

١ : نأمر ان تتلى رسالتنا على المؤمنين دون ابطاء وان يعلّق عليها الشروح المناسبة عند اللزوم

٢ : نرى من واجبنا لفت نظركم الى التعليمات الاخيرة التي اصدرها مجمع الاسرار المقدس في ٢٦ آذار سنة ١٩٢٩ والتي وافق عليها صاحب القداسة الحبر الاعظم ومدارها على احتفال الذبيحة الالهية وتوزيع الاوخارستيا . انا نستحثكم لتطلعوا على هذه التعليمات وتحملوا مرؤوسيكم الموكول اليهم خدمة المذبح على ان يتقيدوا بها .

وبهذه المناسبة نوصيكم ان تحفظوا بدقة ما هو مرسوم بشأن اضاءة المذبح ونظافة الآنية والملابس البيعية ولياقتها

٣ : ان صاحب القداسة الحبر الاعظم قد تنازل في رسالته العامة الصادرة في ٢٣ ك ١ المنصرم واجاب المؤمنين الى رغائبهم المقدسة فمدّد حتى آخر حزيران المقبل اجل اليوبيل الممنوح بمعرض الاحتفال بمرور خمسين سنة على سيامته الكهنوتية مع ما علّق عليه من الانعامات والامتيازات الروحية فارضاً الشروط ذاتها

٤ : نوصيكم شديداً ان تعنوا عناية جدّية بمشروع كلّي الجمال والاجر هو مشروع نشر الايمان المقدس ، ونوجّه تهانئنا وشكرنا الى الذين استجابوا نداءاتنا السابقة وندعو بالحاحٍ الفاترين ان يقتفوا آثارهم

٥ : ان الصلاة المفروضة التي تتقدم تلاوة الرسائل هي تلك المخصصة « للبابا » . ونرخّص لكم ان تضيفوا اليها موقّتاً صلاة اخرى للاحتياجات الاضطرارية

بيروت ٨ ك ٢ سنة ١٩٣٠

✠ الاخ فريديان جيانيني

« البار بالايمان يحيا »

(عب ١٠ : ٣٨)

منشور بطريركي

في الايمان

لغبطة السيد الجليل كيريوس كيريوس

كيرلس التاسع

بطريرك انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق

الكلي الطوبى

سنة ١٩٣٦



مطبعة القديس بولس في حريصا

« البار بالايمان يحيا »
(غب ١٠ : ٣٨)

المجد لله دائماً

كيرلس التاسع

برحمة الله تعالى

بطريرك انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق

النعمة الالهية والبركة السماوية اللتان حلّتا على الرسل الاطهار في غرفة صهيون
تحلّان وتستقرّان على نفوس واجساد اولادنا الاعزاء مؤلّفي
طائفتنا الروميّة الملكيّة الكاثوليكيّة

باركهم الرب الاله بغزير بركاته العلويّة . آمين

ايها الابناء الأعزاء

في العام الغابر كانت كلمتنا اليكم في العمل الكاثوليكي الذي رتبه الله على كل من لبس المسيح ابنه الحبيب وانخرط في سلك جنديته، ليقرّ في القلوب عرش محبته وينشر فوق الجميع لواء سلطانه . واليوم كلمتنا اليكم في مبدإ ذلك العمل المقدس والروح

الذي ينفخ فيه الحياة فيوليه القوة والنشاط، ويزيـد تقديسنا نمواً ورسالتنا ازدهاراً . وما هذا المبدأ الحيوي الرفيع والروح المستقيم النشيط الّا مبدأ الايمان المقدس، والروح الفائق الطبيعة الذي به نحيا ونتحرك في الخلق الجديد، وبدونه نموت ولن نعـاين الحياة .
ولما كنّا برحمة الله خليفة لاولئك الآباء القديسين العظام، لنحفظ على مثالهم وديعة الايمان سالمة وننميها فينا وفي القطيع الذي اقامنـا الروح القدس على رعايته وحراسته، فخشية ان يتقلقل ذلك المبدأ الحيوي في نفوس كثيرين، في وسط هذا العصر المستعبد لصنم المادة والحس، رأينا من واجبنا الراعوي المقدس ان ندعو باشد ما فينا من الحب لله وللنفوس الى احياء ذلك الايمان الحار الذي بزغ نوره في شرقنا وهبّت روحه في الوف القديسين منا، فنما وانتشر وملأ الدنيا بأسرها، ولا يزال على ممر العصور والأجيال حياً في كنيسة الله الجامعة، يأتي بالثمار العجيبة والآيات الرهيبـة، رغم ما يُدبّر عليه من الحملات

ونحن واثقون ان اولادنا الاعزاء، ابناء الطاعة والايمان، يسمعون صوتنا ويحقّقون رغبتنا، بترتيب حياتهم وسلوكهم على نور الايمان، الذي به وحده يحيا ابناء الله، فائضين محبّةً ومستريحين في السلام، الى ان يبلغوا الوطن المحبوب حيث يتمزّق حجاب الايمان، فيظهر الله ببهاء لاهوته، وسناء مجده، فننظره وجهاً الى وجه، ونشبع من خيرات بيته ونرث الحياة

الايمان امر طبيعي في الانسان

الايمان امر طبيعي في الانسان، يلازمه في جميع اطوار حياته . هو صلة التعارف والتقارب بين البشر، ومبدأ الثقـة والصداقة،

واساس السلطة، والرابطة التي تؤلّف الجماعات . فالأولاد يؤمنون بوالديهم، والطلّاب يصغون الى معلميهم، ورب البيت يتناول الطعام من خادمه بثقة وطمأنينة، والمريض يسلّم ذاته للطبيب مؤمناً بمهارته، والركاب يضعون ارواحهم بين ايادي مدبري البواخر والمركبات واثقين بامانة سيرهم بهم، والصديق يكشف لصديقه سريرته مصدّقاً اخلاصه، والمرؤوسون يسلمون الى السلطة مقاليد امورهم، واثقين بحسن تدبيرها؛ وفي الحياة العقلية، اذا اشكلت علينا حقيقة تاريخية او علمية او ادبية، عمدنا الى آباء التاريخ وأساطين العلم والأدب واتخذنا اقوالهم حجّة لا مردّ عليها، لأنهم عالمون وصادقون

على ان هذا الايمان الطبيعي الذي ينشئ فينا الاعتقاد والطمأنينة، والذي يجب ان يكون فينا نحو الله ايضاً، اذ حاشا ان يكون تعالى احطّ قيمة من البشر لتُرذل شهادته أو يشك في حكمته وقدرته وأمانته، ليس هو موضوع كلامنا الآن، بل إنّما كلامنا عن الايمان كأصل شريف واسم كريم به ندعى ونفتخر نحن المؤمنين، كأعظم واقدس تراث خلّفهُ لنا الرسل والآباء، فيجب حفظه بكل كرامة واعتناء، كبذار سماوي أُلقي في نفوسنا يوم العماد، فصرنا بقوته تُبّاع «مبدئ الايمان ومتمّمه يسوع» . كلامنا عنه خصوصاً كهبة الهية هبطت علينا من السماء، لنتجاوز بها حدود الخليقة . فنتصل بعالم الالهيات الذي نطمنا فيه المسيح بموته مُعلّقاً على الصليب صك خطايانا ومصالحاً ايانا مع الله الآب

لا نتكلم عنه بهذه الصفة

نتكلم عن الايمان الفائق الطبيعة

فالايمان بصفته هذه هو فضيلة الهية فائقة الطبيعة، بها نؤمن بالله وبكل ما اوحى به الينا، لأنه هو الحق بالذات، وبكل ما

تحديده

هو واسطة

يعلمناه بصوت كنيسته، عمود الحق وقاعدته . اذن هو واسطة وحيدة لا بدَّ لنا من استعمالها لنصل في النظام الفائق الطبيعة الى معرفة كل ما يلاحظ الله ويربط المخلوق بالخالق، لنؤمن ونعمل به، حتى ننتقل من الموت الى الحياة، ونفوز بالراحة والمجد بعد التعب والجهاد

هو بصيرة

وهو، في حياة النعمة التي ترفع الانسان الى رتبة ابن الله، وتشركه في حياة الآب، بمثابة العين الحسية في الحياة الجسدية والعين العقلية في الحياة النطقية، يرينا الحقائق الابدية الفائقة، ويدخلنا قبل الاوان تحت الظل والظلمة الى ذلك العالم الغير المتناهي، الذي سيكون مكافأة ايماننا . لذلك دعاه الرسول الحبيب كاشف الالهيات « بصيرة جديدة أُوتيناها لنعرف الاله الحقيقي » (١ يو ٥: ٢٠)

ترى على نور المسيح

على ان هذه البصيرة لا ترى موضوعها الفائق الّا على نور فائق، ينير الحقائق ويضيء عقولنا، فنذعن لها طائعين صاغرين، بدون تردُّد ولا ارتياب . وما هذا النور الذي يسبي بصيرتنا الّا يسوع بالذات الذي قال عن نفسه : « انا نور العالم » (يو ٨: ١٢)، « انا النور قد اتيت الى العالم حتى ان كل من يُؤمن بي لا يمكث في الظلام » (يو ١٢: ٤٦)، والذي شهد له يوحنا قائلاً : « كان النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتٍ الى العالم » (يو ١: ٩) . لذلك اطلق عليه بحق اسم النور ولقبت والدته مريم القديسة بأمّ النور، وقد ادرك النبي الملك هذه الحقيقة بالروح فصرخ من بعيد : « وبنورك نعاين النور » (مز ٣٥: ١٠)

الذي يجمع بين الله والانسان

وكما ان النور هو الوسيط الوحيد الذي يجمع بين العين ومرئياتها فيرينا الاشياء، كذلك المسيح هو الوسيط الوحيد المشترك

في طبيعة الله والبشر، الذي يجمع بين الله والانسان فيرينا اسرار السماء، لذلك «صار جسداً وحلّ فينا» (يو ١ : ١٤). ولا احد يأتي الى الآب الّا بالابن» (يو ١٤ : ٦). «ومن يؤمن بالابن فله الحياة الابدية. ومن لا يؤمن بالابن فلا يعاين الحياة» (يو ٣ : ٣٦)

فيرينا اسرار السماء

وعلى نور كنيسته

وبما ان الكنيسة المقدسة هي توسّع شخص المسيح على الارض فقد اضحت على مثاله، بعد صعوده الى العلاء، الوسيط الشرعي بين الله والناس، والمنارة الكلية الضياء التي نهتدي بنورها الى ميناء الخلاص. لذلك من اراد ان تكون له الحياة، وجب عليه ان يستضيء بانوارها، ويؤمن بسلطتها ليدخل عن يدها الى ارض الميعاد

هو فضيلة الهية مفاضة عطية الله

فالايمان اذن هو باب العالم العلوي، ومبدأ الحياة. على ان الايمان هو فضيلة الهية مفاضة علينا من العلاء، لا تُكتسَب بقوى الطبيعة، وهبة مجانية، لم نكن لنستحقها بعمل من اعمال الصلاح. ذلك انا لا نستطيع ان نصدر عملاً فائق الطبيعة، إن لم يسرِ في عروقنا روح فائق الطبيعة، هو مصدر الالهيات. والحال ان الايمان هو اول الفضائل الالهية، ومبدأ الحياة المسيحية، واصل التبرير واساس الخلاص. اذن لم نستحقه باعمالنا على الاطلاق، بل إنّ النعمة تداركتنا، ويسوع الحبيب دعانا الى الايمان به واتباعه بمجرد رحمته وسخائه، كما يقول الرسول: «فانكم بالنعمة مخلصون بواسطة الايمان. وذلك ليس منكم، انما هو عطية الله وليس من الاعمال» (افسس ٢ : ٨ـ٩)

أجل انا نستطيع من تلقاء ذواتنا ان نؤمن بحقائق كثيرة تلاحظ الدين، وعقلنا نفسه يقدر ان يثبت بالحجج الدامغة الوهية

الايمان البشري بامور الدين ليس عطية الله

المسيح وموته وقيامته فنؤمن بها، بيد أن ايماننا هذا بشريّ، لا طاقة له على التبرير ولا يمكن ان يُدعى عطية الله، إن لم يتنازل الله ويعمل فيه، وتختمه نعمة الايمان، فيصير الهيّاً فائقاً ينفع للتبرير والحياة الأبدية . على انه لا ينفع للحياة الابدية الّا اذا كان فعلاً بشريّاً يصدره العقل محرَّكاً من الارادة تحت تأثير نعمة الله، وكان، حسب قول الرسول، «عبادة منا عقلية» (رو ١٢ : ١)

الايمان عبادة عقلية

ولمّا كانت التضحية من اجلّ مظاهر العبادة، فلكي يكون الايمان عبادة حقة، لا بد من التضحية بانوار العقل في سبيل ذلك الايمان . فان الله هو الذي يطلب منا هـذه التضحية، ولا غروَ، فانه سيد القلوب والعقول، فكما انـه يريد ان نضحّي له بارادتنا باخضاعها لوصاياه، يريد ان نضحي له ايضاً بعقولنا بسبيها للايمان . فبالايمان نضحي بانوار عقلنا ازاء انوار الحقائق الغير المدركة، كما انا بحفظ الوصايا الالهية نضحي بقلبنا وبكل ما فيه من الاهواء

جعلها الله اساساً للتبرير وشرطاً لسكب نعم التقديس والشفاء

وقد احب الله تضحية العقل بالايمان حبّاً عظيماً حتى انه جعلها اساساً للتبرير وشرطاً جوهريّاً لسكب نعم التقديس والشفاء، ولم يعفِ منها احداً حتى في الشريعة القديمة . ذلك لأن الايمان هو افصح اقرار بسلطانه السامي، واكبر ثقة بما اعده لنا في العالم الاسمى من المرجوّات والغير المنظورات وافضل شيء لارضاء الله . لذلك يشدّد

في الشريعة القديمة

الرسول بولس ويقول : « بالايمان قرب هابيـل ذبيحة لله . . . بالايمان نُقل اخنوخ لئلا يرى الموت . . . بالايمان نوح بنى لخلاص اهل بيته تابوتاً . . . بالايمان ابرٰهيم لما دُعي اطاع . . . بالايمان سارة ايضاً نالت قوة الحمل . . . بالايمان قرب ابرٰهيم اسحق حين امتُحن . . .

بالايمان بارك اسحق يعقوب وعيسو من جهة الامور المستقبلة ... بالايمان يعقوب بارك ابني يوسف وسجد على رأس عصاه... بالايمان لمَّا وُلد موسى اخفاه ابواه، بالايمان موسى ابى ان يُدعى ابناً لابنة فرعون... بالايمان ترك مصر، بالايمان امر بالفصح واراقة الدم... بالايمان جازوا في بحر القلزم كما في اليابسة ...» (عب ١١: ٤_٢٩) ويمكننا ان نضيف: بالايمان قبلت مريم البتول تبشير الملاك فحبلت من الروح القدس بكلمة الله

في الشريعة الجديدة

وابن الله نفسه، أبغير الايمان استجاب طلبة احد وشفى اسقام النفس والجسد؟ «ان استطعت ان تُؤمن فكل شيء ممكن للمؤمن» (مر ٩: ٢٢) «اذهب وليكن لك كما آمنت فشفي فتى قائد المئة في تلك الساعة» (متى ٨: ١٣) «ثقي يا ابنة، ايمانك ابرأكِ فبرئت المرأة منذ تلك الساعة» (متى ٩: ٢٢) «ولما رأى ايمان الرجال الذين حملوا اليه المخلَّع، قال للمخلَّع: يا رجل مغفورة لك خطاياك» (لو ٥: ٢٠). وقبيل صعوده اختصر تعليمه فقال: «اكرزوا بالانجيل للخليقة كلها، فمن آمن واعتمد، يخلص، ومن لم يُؤمن يدان» (مر ١٦: ١٥_١٦)

هذه التضحية معقولة لاستنادها الى سلطة الله المتكلم

على ان تضحية العقل هذه، لم تزل عبادة منا نطقية، اذ اننَّا لا نؤمن الَّا استناداً الى سلطة الله المتكلّم والهام الروح القدس الناطق بالانبياء، على حدّ ما كتب هامتا الرسل: «لانكم لما تلقيتم منا كلمة الله بالسماع، لم تقبلوا كلمة بشر، بل كما هو في الحقيقة كلمة الله الذي يعمل فيكم انتم المؤمنين» (١ تس ٢: ١٣). «لانها لم تأتِ نبوءَة قط عن ارادة بشر، بل انما تكلَّم رجال الله القديسون محمولين بالهام الروح القدس» (٢ بطرس ١: ٢١)

تكلم الله بالانبياء وبابنه الحبيب

وهوذا التاريخ البشري يشهد لنا ان الله تعالى تكلّم والقى تعاليمه ورسومه على البشر بواسطة انبيائه، واخيراً بابنه الحبيب، كما يشهد بذلك رسول الامم : «ان الله الذي كلّم الآباء قديماً في الانبياء، كلّمنا اخيراً في هذه الأيام في الابن الذي جعله وارثاً لكل الاشياء. وبه انشأ الدهور . وهو ضياء مجده وصورة جوهره وضابط الجميع بكلمة قدرته » (عب ١:١-٣) . وقد ثبَّت تلك التعاليم والرسوم بالآيات الباهرة، ولاسيا بتلك الاعجوبة الخالدة، التي ستبقى الى مدى الدهور اساس الدين المسيحي وسر انتشاره العجيب، اي ظهور الله على الارض وموت المسيح على الصليب وقيامته من بين الاموات، تحقيقاً لكل ما نشره على الأرض من تعاليم السماء . ثم

ثم برسله وبكنيسته

كلَّمنا برسله، ولا يزال يكلمنا بكنيسته المقدسة التي جعلها معلمة سامية وحارسة أمينة لكنوز الايمان، في شخص رئيسها الاعلى، لتبلغ بالعوالم الى ميناء الخلاص

واذا تكلّم الله، فمعناه انه يريد ان نؤمن بكلامه، وانَّ رفْض الايمان به احتقارٌ لسلطته واهانة لصدقه

سلطة الله تفترض العلم والصدق

على انّا نحن نقبل بسلطة الله، لأنه عليم، حكيم، جواد، قدير، وصادق في المواعيد . « الرب علم كل علم واطلع على علامة الدهر » (سي ٤٢ : ١٩) . « وفي المسيح ابنه، الذي كلمنا به في آخر الأيام، مكنونة جميع كنوز الحكمة والعلم » (كولسي ٢:٣) . « ليس هو انساناً فيكذب ولا كبني البشر فيندم » (١ مل ١٥ : ٢٩) . لذلك مهما تألبت علينا الأعداء فايماننا ثابت الى الأبد، « لان كلمة الهنا تبقى الى الابد » (١ بطرس ١ : ٢٥) « وحق الرب يدوم الى

الدهر » (مز ١١٦ : ٢) واعتقادنا راسخ لا يتزعزع، لأنه مرتكز على سلطة الله، ومن يزعزع سلطة الله ؟

موضوع ايماننا

اما ما نؤمن به فهو، بحسب قول ترتليانس، ما تسلّمته الكنائس من يسوع المسيح، وما تسلمه يسوع المسيح من أبيه . لان يسوع لم يعلّم الّا ما علِمَه من الآب، بموجب قوله : « ان تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني » (يو ٧ : ١٦) . « كما علّمني الآب كذلك اقول » (يو ٨ : ٢٨) . « والذي اتكلّم به فكما قاله لي الآب هكذا اتكلّم به » (يو ١٢ : ٥٠) . والرسل لم يخلّفوا الكنائسهم وديعة غير التي تسلّموها من معلمهم الالهي، ووديعة التعليم هذه المحفوظة في الكنيسة الجامعة تؤلف ما ندعوه موضوع الايمان . وهو الله والمسيح والكنيسة والانسان، وكل ما يتضمنه من التعاليم والرسوم والمعتقدات والواجبات

ما علّمه يسوع

هو محفوظ في الكنيسة الجامعة

هو الله وكمالاته

هو الله ابونا وخالقنا، الذي نحن صنعة يديه، بكمالات عظمته وقدرته الواجب ان نخشاها ونحترمها، ورحمته وجودته الواجب ان نباركها ونستعطفها، وحكمته وعدالته الواجب ان نتأملها

هو يسوع والخيه

هو يسوع الحامل الصليب، وهو انجيله المعلّم الكفر بالذات . يسوع ضياء مجد الآب، وشمس العدل الذي انار المسكونة باشعة السماء . يسوع الذي اتخذ مسكنتنا وتردّد بيننا ليفتح لنا طريق الحق والحياة . يسوع الذي مات وقام وصعد الى السماء، ولا يزال يقيم معنا على الارض في الاسرار الالهية، صديقاً يعزينا، وطبيباً يشفينا ، وغذاء روحياً يقوّينا في تيه هذه الحياة

هو الكنيسة

هو الكنيسة الجامعة الرسولية ، التي تكمل رسالة الفادي

الالهي، وتقودنا في طريق الخلاص على نور كتب الله وتقاليد الرسل والآباء. هي الام الملكة العظيمة، التي من الاتحاد بها نتقبل الحياة، وبالخضوع لسلطانها نرث ملكوت السماء

هو الانسان

هو الانسان، اصله وغايته وما يترتب عليه من الواجبات. فمن لا يقبل موضوع ايماننا الكامل، وما يشمله من الحقائق، صعبة كانت ام سهلة الادراك، اعجبتنا ام لم تعجبنا، من ينقص من تعليم المسيح او يزيد عليه، من يريد ان يطبقه على افكار العصر ومقتضياته، كأنه تعليم الناس او كأنه غير كامل منذ الابتداء، من يحذف كلمة من الانجيل، او يرذل تعليماً واحداً من تعاليم الكنيسة، لا يمكن ان يدعى مسيحياً، لانه يرفض ان يؤمن بكلام الله، مفترضاً ان الله قابل الغش والخداع، وبالتالي يجحد ايمانه، ويخرج من حضن الكنيسة الجامعة الواحدة. اذ ان الايمان هو سلسلة مستحكمة الحلقات تربط المتناهي بغير المتناهي، وتصل الارض بالسماء، والانسان بالله، فمن قطع حلقة واحدة قطع كل الحلقات، وفصل بين الارض والسماء. وهو بالحقيقة كلام الله ليس لبشر ان يناله بتغيير، ويتطلّب اذعان العقل بدون تجزئة او تفصيل

من لا يقبله كاملاً كما هو بدون تغيير

ليس مسيحياً

بل قد قطع صلته بالسماء

إنّا لا ننكر قوّة العقل وانواره الثاقبة. انه يرتقي الى طبقات الجوّ فيدرس طبيعة الشمس والقمر ويحصي عدد النجوم ويتتبع سيرها. يغوص في احشاء الارض فيكتشف اسرارها ويستخرج كنوزها. يكيّف المادة على ما يشاء، فيأسرها، او يعطيها اجنحة، ويدفعها، فتسبح كالطير محلقة في الفضاء. يخضع العناصر الجامحة، وينتهج سبيلًا في البحار، يصل العالم من قطب الى قطب بتموجات

قوة العقل لا تنكر

الكهرباء . كل يوم علم، وكل يوم اكتشاف، ولا غرو، فانه كان لا يزال ملك الطبيعة، لكنَّ ملكه لا يتجاوز حدود النظام الطبيعي . فلا يستطيع ان يكتشف بذاته غوامض السماء ويستجلي اسرار النعمة ويجد طرق الخلاص

انا في النظام الطبيعي وليس في عالم النعمة والخلاص

عندما يأخذ النوتي في الابتعاد عن الارض ضارباً في عرض البحار يستطلع النجوم ليستدل بها على طريقه، والّا يتيه في الاعماق . والمسيحي الذي يسير هو ايضاً في بحر مزبد خطر ليفتتح عالماً جديداً، اذ يتخطَّى حدود الارض، ويأخذ يتبيّن من بعيد عالم النعمة، عليه ان يرفع عينيه الى السماء ويستطلع نجمة الايمان ويتتبعها ليصل الى الوطن المحبوب، لئلَّا يتيه ويتدهور في لجج الضلال

للوصول الى هذا العالم يجب ان نستطلع نجمة الايمان

في هذا السفر الطويل الشاقّ يلزمه نور وغذاء : نور ينير العقل فيبدد غياهب الضلال ويضيء له الطريق، وغذاء يسند القلب ويقويه على الجهاد المستمر ليبلغ الغاية وينال الاكليل . وما هذا النور وما هذا الغذاء الّا الاعتقاد الراسخ والايمان الحيّ الخالص، قاعدة الحياة، بل روح النفس الذي يجب ان يسري كالدم في عروقنا ليحيي وينظم كل ما فينا من افكار واقوال وافعال . واذا سرى روحه في قلوبنا، فلا نحيا بعدُ نحن، بل المسيح يحيا فينا مفتكراً فينا، ومتكلّماً فينا، وعاملاً فينا وبواسطتنا . اذن هو وحده ينيرنا فيمحق الضلال . وهو وحده يقوينا، فننتصر على الضعف، ونغلب الجسد والعالم والشيطان

فهو نور يمحق الضلال

إن الضلال كان ولا يزال في العالم منذ الابتداء . وقد انتشر ظلامه الدامس في هذا العصر، فخبط كثيرون في ليل الحياة، حتى

اصبح عندهم البطل حقاً، والظلم عدلاً، والفساد ضرورة طبيعية لا ملام عليها، والقوة والغنى والنجاح مبرراً لكل ظلم وقحة وعدوان . ومما يؤسف له ان كثيرين من المسيحيين الاتقياء قد رنّ في عقولهم صدى هذا الضلال، فكادوا يخلطون بين الحق والباطل، والعدل والظلم، والخير والشر، واخذوا يتكلّمون كأنهم لا يؤمنون حقاً بالانجيل ولا بالكنيسة المعصومة عن الغلط في الايمان والآداب، والتي اخذت روح الحكمة وروح الحق لترعى قطيع البشرية الكبير المسلّم الى عنايتها من الله

ففي وسط ليل الاضاليل الدامس، ينتصب الايمان كمنارة تبدّد امامنا جيوش الظلام، فنرى على نوره مبدأ الحق وقاعدة الاعمال . ويبين لنا ان مبادئ العالم هي غير مبادئ الله، وأنّ روح العصر المتعجرف برقيّه المادي ومذاهبه الجديدة الخلّابة، هو غير روح الانجيل، وانّ طريقه تؤدي الى الهلاك، وان كل ما تعلمناه الكنيسة المقدسة الجامعة هو حق وحياة

ان الايمان هو من المؤمن كالنفس من الانسان . هو حياة عقله بالحق الذي ينيره به، وحياة قلبه بعواطف العدل واعمال الفضيلة التي يمليها عليه . فلكي يُصدِر هذه العواطف والاعمال يجب ان يعمل في القلب نفسه، منبثق العواطف الشريفة، ومصدر الاعمال الكبيرة . إلّا انه لا يعمل في القلب ما لم يعمل في العقل، ويعمل في العقل بالتأمل والافتكار، كما عمل في القديسين رجال التأمل والصلاة، بحيث ان عدم التأمل في الايمان يمنع بتاتاً او ينقص كثيراً تأثيره الخلاصي في النفس، على حدّ ما قال الروح القدس :

وهو حياة القلب

لا يعمل في القلب ما لم يعمل في العقل بالتأمل والافتكار

« قد خربت الارض كلها لأنه لا انسان يتأمل في قلبه » (ار ١٢ : ١١) .
والتأمل في حقائقه يبعث القوة والنشاط، فيقوي قلبنا ويشدد عزيمتنا للسير باستقامة في طريق الجهاد — حينئذ يقوينا

ولعمري ان حياة الايمان هي جهاد عنيف مستمر، حتى آخر رمق من الحياة، وصبر دائم على كل ما ينتابنا من البلايا والآلام. فحياة الايمان هي حياة بالروح بعكس ما تتطلبه وتنزع اليه الحواس. لذلك تتضمَّن ضرورة الكفر بالذات: « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني » (لو ٩ : ٢٣) حتى نصل بطريق الصليب الى مجد السماء. كفر بالجسد وتملقاته، كفر بالحواس واميالها، كفر بالقلب وشهواتِه، كفر بالعقل وانواره، كفر بالحرية، كفر بمحبة الذات، كفر بالمجد والكبرياء، كفر بالراحة والهناء، كفر بكل ما من شأنه ان يبعدنا عن سبيل الصلاح، من حين تمييزنا الخير من الشر الى آخر نسمة من الحياة. — في حياة الجهاد — التي هي كفر بالذات

ففي وسط هذا الجهاد العنيف، يقف الايمان ويدعم ضعفنا بما يقدمه لنا من الاسباب السامية المخوفة والمشوقة: تارة بالتخويف والتوعدات: اله منتقم، دينونة بلا رحمة، عذاب مؤبد، فمن لا يرتدع عن الشر، ويرتضي بالتضحيات والتقشفات لينجو من هذه المستقبلات الرهيبة؟ وتارة بما ينعشه من الرجاء ويقدمه لنا من الوعود الجميلة الحقيقية: حياة سعيدة في هذا العمر، ومجد أبدي في السماء — يدعم ضعفنا بالتخويف — والوعود الجميلة

هذا هو الايمان الذي الهب محبة الرسل والشهداء والسيَّاح والابرار وجماهير القديسين. هذا هو الايمان الذي « به قهروا الممالك، — هذا هو ايمان الرسل والشهداء

وعملوا البرّ، ونالوا المواعد، وسدّوا افواه الاسود، واطفأوا حدّة النار، ونجوا من حد السيف، وتقوّوا من ضعف، وصاروا اشدّاء في القتال، وكسروا معسكرات الاجانب، واسترجعت نساء امواتهن بالقيامة، وعُذّب آخرون بتوتير الاعضاء والضرب، ولم يرغبوا في النجاة ليحصلوا على قيامة افضل، وآخرون ذاقوا الهزء والجلد والقيود والسجن، ورُجموا ونُشروا وامتحنوا وقتلوا بحد السيف، وساحوا في جلود الغنم والمعز وهم معوزون مضايقون مجهودون، ولم يكن العالم مستحقاً لهم، فكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكهوف الارض» (عب ١١: ٣٣ـ٣٨). هذا هو الايمان الذي يصون كثيراً من القلوب الفتيّة من تملقات العالم واغواء

والشبان الاتقياء. الاهواء. هذا هو الايمان الذي يدفع الوفا من الشبان ليقطعوا ربط اللحم والدم فيقفوا نفوسهم لخدمة الله ومساعدة القريب. هو الذي يسند في الضيق، ويعزي في الحزن والبكاء

يسندنا في الآلام ان الآلام والعذابات في هذا العالم لأكثر جداً من اللذات والمسرّات: شقاء وتنهد وفراق، وحزن وبكاء، كأني بها ضحية عامّة من الآلام والدموع تصعد كل يوم الى السماء، وفاءً لدَين مقدس تلتزم به البشرية نحو الله. فلولا الايمان لكانت حالتنا من اتعس الحالات. فهو يتقدّم الينا بمرجوّاته الخالدة، يفتح ذراعيه لكل من يتألم ويبكي. يسوع مبدئ الايمان نزل من السماء ليصب زيتاً وبلسماً على جراح نفوسنا. يسوع الاله المتألم، الوضيع، الاله الفقير المكلل بالشوك، الذي شرب كاس العذاب حتى الثمالة، ينادي المتألمين: الى السماء. نعم ان السفر شاق، والعذابات قاسية، لكن

الطريق قصير والمركبة سريعة . قليل من الزمان وتدق ساعة الرحيل وتنفتح لنا ابواب السماء . «انا هو الطريق والحق والحياة . من آمن بي وان مات فسيحيا »

فلله، ما اقوى الايمان، وما اشد تعزيته، ومـا اسعد الذين يؤمنون ! فان هم ابتسموا في هذه الحياة، فعلى اعتقـاد انهم يبتسمون دائماً . وان بلّلت الدموع عيونهم، فعلى اعتقاد انهم سيجوزون قريباً وادي الدموع، وان هذه الدموع عينها يلتقطها ايمانهم الحي كجواهر ثمينة يقدمها لله

استصعاب الايمان لانه كفر بالذات

فبما ان حياة الايمان تقضي على صاحبها حتماً بالكفر بالذات، وكان الكفر بالذات صعباً عـلى الطبيعة الميّالة الى السوء، قال كثيرون « ان هذا الكلام صعب، من يستطيع سماعه » (يو ٦ : ٦١) فرجعوا الى الوراء ولم يريدوا ان يمشوا مع يسوع (يو ٦ : ٦٧) اي لم يريدوا ان يعملوا بالايمان

عدم الايمان به لا لغموضه

لم يؤمنوا اذن، لا لأن في الايمان غموضاً، اذ العقل البشري قاصر عن استجلاء ما ليس ضمن دائرته المحصورة، ويبهره تألق الحقائق الالهية، ولا لأن بين الايمان والعقل تناقضاً، اذ حاشا لخالق العقل

ولا لمناقضته العقل

ومتطلب الايمان ان يطلب منا المحال، بل ان المناقضة الكفرية، على قول ترتليانس، هي اخضاع الحقائق الايمانية لحكم العقل القاصر، والمحاولة الأثيمة في جعل هذا العقل مقياساً لعظمة الله، او ميزاناً لمقدار صدقه، لانه فوق العقل مثلما ان الله هو فوق الانسان . بل انهم لم يؤمنوا لفساد في القلب، وحرية كاذبة في الافكار والاعمال .

بل لفساد في القلب

قال بعض المفكرين العظام وكان قبلًا كافراً : « لا اكذب من

الكافرين في كفرهم ! فانهم ينادون بالكفر في خطبهم وكتبهم، ويدسّونه في مبادئ علومهم، بيد انهم عاجزون عن اقناع ضمائرهم بكفرهم، فهي تصرخ في دواخلهم ولكنهم يسكتونها ليشبعوا اهواءهم في هذه الحياة . وواحد من الكفار، اذ لم يكن له ما يقول ازاء الحقيقة المتجلّية، اشار بيده الى رسم حسناء وقال : «هذا الرسم يرغمني على البقاء في الكفر »

فالفساد هو منبت الكفر وعدم الايمان، لان الطبيعة الجامحة الى الشر ترى في الايمان الضاغط الوحيد الذي يغتصبها، وهي لا تريد الاغتصاب . وقد شهد احدهم بذلك فقال : «لم اكن كافراً الّا لأني كنت فاسداً، فقلبي هو احق من عقلي بالشفاء »

وانت يا هذا متى بدأت ترتاب في الايمان وتخلع عنك نيره اللطيف، الّا لمّا تفشّت في قلبك ذرات الفساد؟ ولو جاء في الايمان ما يحلّل لك الغرام المرتكز الى الرضى المتبادل او القوة الغاصبة، او الزواج الحر او الطلاق، او ما تحرمه الأمانة الزوجية وواجباتها، لكنت اول الخاضعين للايمان، ولكان نير المسيح عذباً على عنقك . اجل فان يقوم على الايمان عدو، لو لم يكن هو عدو الرذيلة والفساد

والحرية الكاذبة التي تهوى الاستقلال عن الله في جميع شؤون الحياة هي سبب آخر لعدم الايمان، وهي ام الفساد . انها تنادي بالاعتقاد بكل شيء والتدين بما تهواه الطبيعة، ما خلا الايمان . انها تنقض سلطة الله على الافراد والجماعات، وتعتبر ان السلطة من البشر لا من الله، وان الشرائع تستمد قوتها من عدد مناصريها لا من

والحرية كاذبة

عدالتها؛ فان تكلمت الاكثرية وجب على الله والكنيسة السكوت المطلق احتراماً لحرية الشعب . لذلك، وقد نقض العالم الدستور الاول للحياة، انتشرت الشرور وتفاقمت الجرائم، تزعزعت السلطة وهبّت علينا ثورة حرية مفرطة، نسفت الثقة المتبادلة بين الشعوب وذهبت بالسلام

انتشار الشرور والفوضى وذهبت بالسلام

يقول القديس كيرلس الاسكندري : « اذا نُزعتم الايمان من الكون رأيتم المجتمع البشري غائصاً في خضمٍ من الخرافات والاوهام، وخابطاً في ظلمة المبادئ والمذاهب، ومتقلباً بين مزيج مخجل من الرذائل والشرور » . ويقول الذهبي الفم: « ان الايمان ضروري للمجتمع البشري ليعلِّم الرؤساء العدل والمحبة، والمرؤوسين الطاعة ... والافراد عموماً حفظ الواجبات ... وهو سند السلطة يجعلها محترمة عزيزة الجانب، وذراع الشرائع في سيادتها على القلوب، وهو أساس الآداب التي بها تتعزز الدول، وضامن الاستقامة والثقة المتبادلة » . ولا بدع، فان الايمان الالهي هو بجوهره مبدأ اجتماعي، اذ يجعل من وصايا الله وشرائع كنيسته اساساً متيناً للتمدن الحقيقي، فحيث اشرق نوره كان التمدن الصحيح والحكم العادل، وحيث لا ايمان سادت الفوضى في الآداب وفي الأخلاق، وعدمت السلطة الحاكمة الاساس الاولي لهيبتها، وحرم الفرد المبدأ الاعلى لسيادته على نفسه . لذلك قال قداسة حبرنا الاعظم البابا بيوس الحادي عشر المالك سعيداً : « بسبب اقصاء الله والسيد المسيح من دستور الشرائع والحكومات، لم يعد مصدر السلطة من الله بل من البشر، فتقوّضت اسس السلطة بتقويض الركن الاولي الذي يستمد منه البعض حق

الأمر، والبعض واجب الطاعة، فكان لا بدَّ ايضاً ان تتضعضع اركان الهيئة الاجتماعية، بعد ان حُرمت كلَّ حماية قوية وضمانة ثابتة، فأخذت الاحزاب تتنازع السلطة لتسهر على مصالحها الخاصّة »
(الرسالة الاولى العامة ١٩٢٢)

وانهماك في امور الحياة واستهتار بالدين

وآخرون قد ابتعدوا عن الايمان لانهماكهم المفرط في امور الحياة، واستعبادهم لصنم المادة والحس، فقيدوا الى الاستخفاف بالدين والاستهتار بالايمان، فاهملوا عباداته والتزاماته، متعلّلين أن لا وقت عندهم للتفكير في الايمان وتتميم واجباته، في حين أنَّ عندهم اوقاتاً منظمة للشؤون المادية والاهواء الدنيوية، للولائم والمراقص، للالعاب والمقامرة، للتجمل والمواعيد، للزيارات والسينما، للمطالعات الخطرة وارتكاب الخطيئة. ونتيجة الاستهتار هي حتماً قتل الايمان في القلب، كما يعترف بذلك احد الكتبة العصريين، وكان قبلُ مستهتراً بالايمان: « انا الذي كنت قبلاً كافراً ثم مستهتراً، يروعني الآن استهتاري، اذ أرى نتائجه الفظيعة في قتل الايمان ونفي المسيح من المجتمع، وهو مصلح البشرية الاعظم. فاذا جاء هذا المصلح الالهي ليولد ثانية على الارض هل يجد في مجتمعنا العصري منزلاً ؟ انه يقرع ابواب عائلاتنا، فيجيب رب البيت : ان منازلي ملأى ! يقرع ابواب مسارحنا وملاهينا، فتجيبه : انَّا لا نعرف العفاف ! يقرع دوائر مؤلفاتنا ومجلَّاتنا، فتجيبه : ليس عندنا صفحة لاعلان اسمك ! يقرع ابواب ولائمنا واعراسنا، فتجيبه : ليس عليك ثوب العرس العصري والندماء العصريين ! يقرع ابواب مصانعنا، فتجيبه: ليس لنا بك نفع لانك فقير ! يقرع اخيراً ابواب شرائعنا فلا يُسمَع

له صوت ! ولما كنت مثل غيري رجلاً عصرياً، او بالحري مستهتراً، لم يكن يأتي عـلى لساني حديث اصلي وغايتي، وحديث الابدية وقصر الحياة، والمسيح وشرائعه الخلاصيـة، والكنيسة وتعاليمها، والفضيلة ونفوذهـا، بل كنت اتحدث بفصاحة وحماس عن سباق الخيل والاصطياف، وفنون الرقص والغناء، وتفنن المودة والسياسة، وعن الزراعة والبورصة، والولائم والالعاب والروايات ! امَّا شؤون الدين والايمان والواجبات المسيحية فكانت عندي بسبب استهتاري تافهة شائنة مكروهة ! ومع ذلـك فلم اذق طعم السلام الداخلي والتعزية الحقة، و كلَّما زدت استهتاراً زاد قلقي وروّعني شبح الموت، اتصوّره جاثماً بين افراحي الكاذبة وملذاتي المريرة . امَّا الآن وقد تفتَّح عقلي لانوار الايمان، فلا اعذب على قلبي من رؤية صليب المسيح مغروساً في قمته، واتمنى ان يكون رجوعي الى الحق امثولة لجميع المستهترين »

رغم ذلك لا يبرَّر الانسان بدون الاعمال

مع ذلك، ايها الابناء الاعزاء، نحن الذين تقبَّلنا نعمة الايمان، اذا كنا نود ان نكون حقاً مؤمنين، علينا ان نعمل بالايمان، على صعوبته وما يقتضيه من الكفر بالذات . فلا يبرَّر الانسان بالايمان النظري وحده، بل بالاعمال . فان الايمان النظري عقيم ناقص، بل ميّت بدون الاعمال، كما يقول يعقوب الرسول : « ان الايمان بغير الاعمال ميت » (٢ : ٢٠) . « وبالاعمال صار الايمان كاملاً » (٢ : ٢٢) . « والانسان يبرَّر بالاعمال لا بالايمان وحده » (٢ : ٢٤) . « لنعمل حتى يأتي ايماننا بالثمار ويستحق المكافأة، والّا يكون قبولنا نعمة الله بالباطل » (٢ كو ٦ :١)

والايمان بلا عمل ميت

الايمان نور، والنور يضيء ويهدي ويبدِّد الظلام، الّا انه ليس القوت ولا الحياة. مهما تألّق عليك من بهاء المناظر وجمال الانوار، يلزمك قوت لجسدك وقوت لنفسك، وبدون القوت تجف رويداً رويداً فتصل اليك يد الفناء . وقوت النفس هو الايمان الحي القائم بالافعال، كما يقول الرسول يعقوب : «كما ان الجسد بغير الروح - الذي يحييه - ميت، كذلك الايمان بغير الاعمال - التي تحييه - ميت» (٢:٢٦). ان الله لا يرتضي بالايمان الجامد، الغير المتحرك، الذي انّما يخفي في القلب فراغاً عظيماً، كأني به احسن واجهة لأجمل بناء لا يحوي في داخله سوى الخراب، او كحلية تستجلب الانظار، لكنها تستر فقراً شديداً هائلاً

العمل بالايمان لا يقوم بان نفرح به

لا يكفي ان نفرح بسماع الايمان، ونشترك في طقوسه الجميلة، بل ان نتمم بفرح وشكر ما يفرضه علينا الايمان . كثيرون يستعذبون سماع الايمان ويعظمون عقائده الشريفة، ويفتخرون بالكنيسة عمود الحق وقاعدته، ولكنهم عند العمل يضعفون ويفشلون . كأني بايمانهم ذلك «الزرع الذي سقط على ارض حَجِرة حيث لم يكن له تراب كثير، فللوقت نبت اذ ليس له عمق تراب، فلمّا اشرقت الشمس احترق، وحيث لم يكن له اصل يبس» (متى ١٣: ٥-٦) . ان فيكم ايها الابناء ايماناً، وبقوة الايمان تتردّدون الى الكنائس لحضور الحفلات واتمام واجبات العبادة وتقبُّل الاسرار، وسماع الوعظ والارشاد. ان فيكم ايماناً يستذرف دمعتكم بعض الاحيان، عندما يُؤثّر فيكم الكلام عن جودة الله ورحمته وآلام ربنا يسوع المسيح التي احتملها طوعاً لاجل خلاصنا . انّ بينكم

من يفقه اسرار الايمان وكثيراً ما تستفزّه الحمية الى دحض سفاسف الاعداء والانتصار للايمان مثل جنود شجعان امناء. لقد ذقتم عذوبته وتعزياته وشكرتم الله على ولادتكم فيه. ولكن اجيبوا ضمائركم: هل يخرج الايمان الذي في قلبكم الى حيّز العمل؟

بل بتتميم ما يفرضه ويمليه علينا من الواجبات

ان الايمان يريكم في القريب عضو السيد المسيح الكريم، الواجب ان تُفيضوا عليه كنوز المحبة، وكثيراً ما اخذتكم الشفقة على اوجاعه او مسكنته، ولكن عندما يقتضي اسعافه تضحية حقيقية، او يستلزم بعض التعب، كم نتعلل ونعتذر لنتملَّص من واجب الرحمة والصدقة؟ نردّد على الدوام بأن خيرات الارض عابرة، وما في الدنيا غير اوهام، وليس من سعادة في ملذات الارض، ونحن نتعلَّق بحطامها ونطلب الملذات بشغف عظيم ونتصيَّد اعجاب الناس ومديح العالم! نعرف يقيناً بأنا نحن اعضاء المخلص، وان رأسنا مكلل بالشوك وحامل الصليب، وان لا خلاص لنا في هذه الحياة بغير الذل والعذاب، واذا مدّ الرب يده علينا وضربنا فننفر ونتذمّر، واذا تركنا الناس او خاننا الاصدقاء، او خاب رجاؤنا او فقدنا بعض الخيرات، فأي حزن واضطراب؟ ألا يخيَّل الينا انا فقدنا اعزّ الاشياء وخسرنا كل سعادة وهناء؟

تناقض بين الايمان والاعمال

انه لتناقض دائم في نفوسنا بين الايمان والاعمال، يضر بالدين ويسلّح علينا الاعداء. واذا كان من تجديف على الايمان، ومن هزء بالدين، فما ذلك الّا من ضعفنا الهائل بالروح واهمالنا العمل بواجب الايمان. فأي عذر نقدم في اليوم الاخير لله، نحن الذين اشرق عليهم نور عظيم وسمعنا دعوة الآب؟

يسبب التجديف على الايمان

المسيح يدعونا الى اعادة الايمان أجل ان المسيح الذي باسمه اعتمدنا يدعونا بأنّاتٍ لا توصف الى احياء روح الايمان ونفخه في كل اعمال الحياة . الدم الكريم المهراق لأجلنا فوق اعالي الجلجلة تمسي اراقته باطلة، ان لم نحيَ بالايمان . والأسرار وكل وسائل الخلاص لا نفع لنا منها بدون الايمان .

الى الله لنُعِد الايمان الى الله، فنعتبره السيّد المطلق الذي بيده نسمة حياتنا، وله وحده الحق بان يأمر ويطاع، ونحترمه ونخشاه في كل اعمالنا، فهو مالك الكل، وسيناقشنا الحساب .

الى النفس والجسد لنعد الايمان الى النفس، فنحفظها نقية جميلة على صورة الله، والى الجسد فنحترمه ونقدسه ونزينه «لا بتجعيد الشعر والتحلي بالذهب والثياب الكثيرة الثمن، بل على مقتضى الحشمة والتعقل» (١ تي ٢:٩) لأنه «هيكل الله» (١ كو٣:١٦) .

الى السلطة لنعد الايمان الى السلطة، «ولنخضع لها فانه لا سلطان الّا من الله، والسلاطين الكائنة انما رتبها الله» (رو ١٣:١) «ولنوفِ لقيصر ما لقيصر وما لله لله» (مر ١٢:١٧) .

الى الكنيسة لنعد الايمان الى الكنيسة، فمن يسمع كلامها يسمع كلام الله، (لو ١٠:١٦) ومن يطع حبرها الأعظم يطع المسيح بالذات .

الى الرؤساء الكنسيين لنعد الايمان الى الرؤساء الكنسيين، فنرى فيهم ممثلين حقيقيين لله، ونتقبّل اوامرهم وارشاداتهم كأنها ارادة الله .

الى العائلة لنعد الايمان الى العائلة، فيقدس الزواج ويقيه الشرور المتفاقمة، ويعلِّم المتزوجين ان يحفظوا المضجع طاهراً، ولا يضحوا بالابوّة النامية على مذبح اللذة الأَثيمة، ولا يهيئوا بايديهم نعشاً لجنينهم بل سريراً .

الى البيت لنعد الايمان الى البيت، بالحياة الطاهرة، والامثلة الصالحة، والتربية المسيحية التي تؤسس في قلوب الاولاد محبة الايمان واحترام

الواجبات، ولاسيما بقراءة الكتب المقدسة والكتب الطقسية التي كانت نعيم آبائنا وأجدادنا في قديم الايام. لنعد الايمان الى المدرسة، فنضع فيها اساتذة الفضيلة والعلم، اذ لا أصلح من المعلّم لبذر الخير او الشر في قلوب الأطفال والشبان، ولا نقدم لهم غذاءً سوى التعاليم الصحيحة والكتب الجيدة التي تثبت الفضيلة، وتدفع الى الخير والصلاح. لنعد الايمان الى كنائسنا، فنأتي اليها كلنا بورع واحتشام لاقامة الصلوات والحفلات بروح العبادة وخوف الله. لنعد الايمان الى مدننا، فننفي منها بيوت العهارة وملاجئ الرذيلة، وكل ما من شأنه ان يذهب بالفضيلة، ويقتل الدين والآداب ولا نتردّد اليها على الاطلاق. لنعد الايمان الى شرائعنا، فلا نرى فيها مع العدل والمساواة الّا ما يعزّز عبادة الله ويصون حقوق الافراد والجماعات. لنعد الايمان الى القريب فنتمثل فيه عضو المسيح، ونحترم شخصيته وحقوقهُ، ونصون عرضه وفضيلته، واذا كان فقيراً او متألماً نمد له يد الاسعاف والاحسان، ونضمد جروحه ببلسم التعزية والسلوان. ما أتقى عمل ابنائنا الاعزاء، الذين يؤسسون الاعمال الخيرية وينشئون الاوقاف، ويعتنون بالمهملين والمرضى والفقراء!

الى المدرسة

الى كنائسنا

الى مدننا

الى شرائعنا

الى القريب

لنؤمن بصوت المسيح القائل: «ان لي خرفاناً أخر ليست من هذه الحظيرة فينبغي ان آتي بها ايضاً وستسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد» (يو ١٠ : ١٦). وليساعد كل مؤمن جهد استطاعته باذلاً فلسه بكل غيرة وسخاء، ولاسيما الذين أوتوا الثروة من العلاء لتمجيد الله وخير الانسان. فالحاجة ماسَّة لتشييد الكنائس والأناطيش والمدارس، واعاشة المرسلين الذين يضحون بكل شيء

الى الرسالة

الى الموتى

ليبشروا بكلام الله . لنؤمن بموتى سبقونا، يستغيثون بصلواتنا وصدقاتنا، ولاسيما قداساتنا نحن الاحياء، «ليحلّوا من الخطيئة» (٢ مكا ١٢: ٤٦)، كما فعل يهوذا المكابي في ذلك الزمان، «اذ جمع من كل واحد تقدمة فبلغ المجموع الفي درهم من الفضة، فارسلها الى اورشليم ليقدم بها ذبيحة عن الخطيئة، وكان ذلك، كما يشهد الكتاب، من احسن الصنيع واتقاه لاعتقاده قيامة الموتى» (٢ مكا ١٢: ٤٣) . ويسرنا ان نعلم ان قد ابتدأ مثل هذا الجمع المقدس ونودّ انتشاره في كل الابرشيات . قصارى الكلام : لنؤمن بحياة اخرى ابدية هي رائد الاعمال . بعدم الايمان دخل الموت الى العالم، وبالايمان ندخل الى الحياة . لنؤمن بابن وحيد لله الآب تجسَّد على الارض «واخذ عاهاتنا وحمل اوجاعنا، جُرح لأجل معاصينا وسُحق لأجل آثامنا، فتأديب سلامنا عليه وبشدخه شفينا» (اش ٥٣: ٤ـ٦) «وقد مات عن الجميع لكي لا يحيا الاحياء لانفسهم فيما بعدُ، بل للذي مات وقام لاجلهم» (٢ كو ٥: ١٥) «ليسود على الاموات والاحياء» (رو ١٤: ٩) . فبقيامته المحيية المجيدة، ركن الدين وعمدة الايمان، نهنئكم من صميم الفؤاد ايها الابناء الاعزاء، مستمطرين عليكم وعلى عيالكم فيض النعم والخيرات، ونبارككم ثانياً وثالثاً بربنا يسوع الناهض من بين الاموات

الى المسيح ابن الله المتألم من اجلنا

والمائت عن الجميع ليحيوا للذي مات وقام من اجلهم

✠ كيرلس التاسع

بطريرك انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق

صدر عن ديواننا البطريركي في القاهرة في ١٨ مارس سنة ١٩٣٦ وهي السنة الحادية عشرة لبطريركيتنا

سيرة

القديس المعظم في الشهداء

افسطاثيوس

وزوجته وولديه

تذكارهم في ٢٠ ايلول

اورشليم سنة ١٩٣٤

المطبعة التجارية - القدس

سيرة

القديس المعظم في الشهداء

افسطاثيوس

وزوجته وولديه

تذكارهم في ٢٠ ايلول

اورشليم سنة ١٩٣٤

المطبعة التجارية القدس

سيرة

القديس المعظم في الشهداء افسطاثيوس الذي يدعى ايوب الثاني

لانه قد ماثله في الاحزان والمصائب

وزوجته ثاوبيستي وولديه اغابيوس وثاوبيستوس الشهداء

(تذكارهم في ٢٠ ايلول)

ايها المسيحيون المباركون . ان التجارب والمصائب التي تحصل للبشر . قد تحصل لهم لثلاثة أسباب . اولا . تحصل المصيبة امتحاناً من الله . اي ليعرف اذا كان ذلك الانسان يحب الله في السرآء والضرآء . اي في الخير والشر . ام يحبه في السرآء فقط . . . ثانياً تحصل بسماح من الله . اعني ان الله يسمح بمصيبة ذلك الانسان تأديباً له على ما صدر منه من الجرائم . . . ثالثاً تحصل المصائب للانسان عن اهمال تام من الله . والمصائب التي تحصل هكذا اي عن اهمال تام . هي مثل رذل اليهود واهمالهم . ورذل يهوذا الاسخريوطي . الذي لاجل إلحاده وكفره قد رذله الله بهذا المقدار حتى انه شنق نفسه بيده . والمصائب التي تحصل بسماح من الله هي اذا سقط الانسان في خطيةٍ ما . فيسمح الله بمصائبه لاصلاحه كما انه قد سمح باسر العبرانيين في مصر لاصلاحهم وتوبتهم . كما انه يسمح بمصائب الكثيرين لاصلاحهم ومغفرة خطاياهم . والمصائب التي تحصل امتحاناً من الله . هي مثل التي حصلت لايوب الصديق البار الذي كان انساناً شفوقاً لا عيب فيه صديقاً صدوقاً امام الله والناس . وكان له سبعة بنين وثلث بنات . وكان له من الغنم سبعة الاف ومن الجمال ثلاثة الاف ومن الفدادين الحارثة خمسمائة زوج ومن الخيل خمسة الاف ولكن عندما سمح الله للشيطان ان يمتحنه ذهب بالجميع

اعلم ان الامتحان من الله يحصل ليس ليعلم الله حال ذلك الانسان

حاشا وكلا . لان الله تعالى عالم الخفايا وفاحص القلوب والكلى . بل يحص
الامتحان له من الله . لكي يظهره للبشر ممتحناً مختاراً . فعندما يرونه يقتدون
به . . . فعندما سمح الله للشيطان ان يمتحن عبده ايوب . في مدة وجيزة لم يـ
له شيء . حتى ان اولاده البنين والبنات قد ماتوا . وبقي هو وزوجته في حـ
يرثى لها وبهذا المقدار قد نزل به البلآء حتى انه ضرب بالبرص من قمة رأسه
قدميه . واذ لم يبق له معين بشري . ولا بيت يتوارى فيه . جلس خارج المد
على المزبلة مهاناً محتقراً مرذولا حتى من اعز أصحابه . واصبح فقيراً جداً . ـ
انه لم يعد له شقفة خزف ليحك بها جسمه . ويمسح القيح السائل من جسد
ولم يكن له من يعطيه كسرة خبز ولا جرعة مآء . بل كانت زوجته تد
وتتسول (اي تشحذ) له خبزاً وهكذا كانت تأتي وتطرح له ذلك الخبز من
بعيد . وكانت تعيره وتقول له . الى متى تلبث جالساً هنا مهاناً مشتوماً . قل
ضد الله واشتمه لعلك تموت . فتنجو من هذه العذابات الاليمة الشريرة . فالتـ
ايوب وقال لها . لماذا تتكلمي كاحدى النسآء الجاهلات . اننا قد قبلنا الخير
من يد الله بسرور والآن ألا نحتمل هذه الشرور . وهكذا في مثل هذه المصا
القاسية قد أبتلى ايوب البار . ومع هذا لم يقل ولا كلمة واحدة على الله . فـ
للبشر انه صديق بار . ولذلك قد منحه في آخر حياته اموالا ومقتنيات اكثر
قبل وكذلك وهبه بنين وبنات أيضاً . وصار في حالة أحسن من حالته الاو
فهذه المصيبة قد حصلت لايوب امتحاناً . لان الشيطان قد حسده وطلب من
ان يمتحنه . لينظر اذا كان ايوب يحب الله في التجارب والمصائب أيضاً .
كان الله عالماً بان ايوب لا يقول ولا كلمة شر عليه . ولا يشتمه . ولكن
بامتحانه لنعلم نحن ونسمع عنه ونقتدي به . في احتمال التجارب والطاعة لله .
وكذلك بما اصاب القديس افسطاثيوس الذي قد تركه وسمح الله تعالى بتجـ
بهذا المقدار حتى انه قد عدم كل مقتناه وأخيراً عدم ولديه وزوجته أيـ
ومع هذا كان محتملا التجارب بكل شجاعة وصبر ولم ينطق بكلمة على

ولاجل هذا بعد ان جربه الله لنتعلم نحن وتماثله . قد كافاه ووهبه ان يلتقي بزوجته وولديه . ومنحه خيرات وافرة . والآن اسمعوا واستوعبوا أخبار سيرته من اول امره

انه في زمان الملك ترايانوس ملك رومية . الذي كان بعد المسيح بتسعين سنة وكان وثنياً . وكان هذا القديس افسطاثيوس قائد عسكر عنده . وقد حصل على هذه الرتبة السامية . ليس من غناه او من كثرة أمواله او من شرف حسبه ونسبه . بل من زيادة شجاعته وبسالته وثباته في الحروب حتى انه قد اشتهر اسمه وكان شجاعاً جداً . وقد غلب كثيرين من أعداء الملك واخضعهم لاوامره . ومع هذا كان شريفاً حسيباً غنياً جداً . وكان يدعى اسمه بلاكيداس . وكان يهابه كل من سمع باسمه من الاعدآء ومن الذين في الديوان الملوكي أيضاً . نظراً لشجاعته وحسن رأيه ومعرفته . وكان رهيبا على الاعداء . وبمقدار ذلك كان من ذات طبعه لاجماً شهوات جسده وضابطا نفسه عن الشرور . وكان مقنعاً بالعفة والعدل . شفوقاً سخياً بالصدقة على المحتاجين وهكذا كنت تراه مزيناً ومجملا بالشجاعة والسخاء . وكان لا يقصده احد من البائسين الا ويسد عوزه . ومع انه كان وثنياً الا ان سذاجة طبعه ووفور صداقته كانت متزايدة جداً . وكان له زوجة شبيهة به مزينة ومجملة بالصفات الادبية والفضائل الممدوحة اسمها تاتياني . وقد اعطاها الله تعالى ابنين وربيا تربية حسنة جدا وشبا مثل ابيهما على الشجاعة والسخاء وشدة البأس والعفة . واسم الاول اغابيوس واسم الثاني ثاوبيستوس وهذان الاسمان قد سميا لهما وقت العماد كما سنذكره . ومن شدة بأس بلاكيداس هذا كان كل من سمع باسمه يرتعد منه . وكنت لا تجده وقت الحرب الا مستعداً بجيشه لقهر الاعداء . ووقت السلم ما كان يترك جيشه يتفرق بل كان يذهب بهم الى البرية لصيد الوحوش الكاسرة وذلك ليعودهم على عدم الاكتراث بالموت . . . وهكذا في وقت من اوقات السلم اخذ جيشه ومضى به الى البرية حسب عادته . وعندما وصلوا الى الفلاء الواسع امرهم ان

يمضي كل واحد منهم الى جهة . ولبث بلا كيذاس وحده . فاجتاز في تلك البرية وقطع الوادي لينظر ما يصطاده هو أيضاً . و بينما كان يبحث عن صيد يوازي تعبه نظر واذا امامه أيل بجسم كبير وقرنين مرتفعين وكان ينظر اليه . فللوقت قال في فكره وان لم يكن هذا من صيدي فاتبعه واقتله وبعد ابحث عن صيد يستحق تعبي . وهكذا عزم على انه يريد ان يتبعه . فقفز الايل الى قدام بعيداً عنه ثم التفت اليه واقفاً فاذ رآه على تلك الحال اطلق العنان لحصانه وتبعه فقفز امامه أيضاً وكان كلما بعد عنه يقف له ليدركه وما زال راكضاً ومقتفياً اثره حتى تعب حصانه جداً . وللوقت وصل الى حفرة واسعة كبيرة . فالايل قد قفز من الجانب الواحد الى الآخر . وبلا كيذاس قد حاول ان يقفز بحصانه . ولكن بما انه كان قد اعيا من التعب ما امكنه . فوقف مفكراً من اين يجتاز الى ذلك الايل ليصطاده خوفاً من ان يرجع خائباً . وفيما هو يتطلع هنا وهناك اذ قد شاهد بين قرني ذلك الايل صليباً جميلا جداً يفوق الشمس لمعاناً . وكان مصلوباً على ذلك الصليب الرب يسوع المسيح . وسمع صوتاً من ذلك الصليب قائلا له يا بلا كيذاس لماذا تضطهدني وتطردني . فها انا ذا قد ظهرت لك على الصليب في هذا الايل . انا هو المسيح الذي لا تعرفه . ومع هذا فانت تكرمني . ان حسناتك وصدقاتك التي تعملها مع الفقرآء والبائسين هي امامي . ولاجلها قد ظهرت لكي اقتنصك واصطادك بمحبتي للبشر . لانه من عدلي ان لا اتركك متهوراً في ظلام عبادة أصنام صماء خرسآء واترك جميع صدقاتك وحسناتك تذهب سدى . فلاجل خلاص الجنس البشري . قد اتيت انا قبلا الى الارض . كما تراني الان . لاخلص أعمال يدي من سلطة الشيطان . فاذ سمع بلا كيذاس هذه الاقوال . خاف ودهش وسقط عن حصانه الى الارض . وبعد ان افاق على ذاته تشجع ونهض متطلعاً هنا وهناك لينظر من اين اتاه الصوت . واذ لم يعاين احداً . صرخ بصوت عظيم قائلا : ما هو هذا الصوت الذي اسمعه فمن تكون انت الذي تكلمني . اظهر لي ذاتك لكي اومن بك . فقال له الرب . اعلم يا بلا كيذاس

انني انا هو المسيح الذي خلق السماء والارض . وابدع النور وفصله عن الظلام . انا هو الذي جعل الشمس تنير نهاراً . والقمر والنجوم ليلا . انا الذي جعل الاوقات والازمنة وقسمها الى نهار وليل . انا الذي ابدع الانسان من العدم الى الوجود . وقد جبلته بيدي . وفيما بعد لما اهانني ولم يعرف خالقه بل سقط في الاثام . نزلت من السماء لاجل خلاصه وتجسدت من بتول نقية . واحتملت الصلب والموت والدفن ثلاثة أيام ونهضت غالباً الشيطان . ولما سمع بلا كيداس هذه الاقوال سقط على وجهه وقال . اني اومن بك يا ربي . انني اومن انك انت الذي ابدع العالم بأسره . انني اومن انك انت الاله الحقيقي . ولا يوجد اله آخر سواك . فقال له الرب . ان كنت تومن بي فاذهب الى الاسقف الذي يعمد المسيحيين واعتمد منه . قال له بلا كيداس . يا سيدي أتأمر ان اخبر زوجتي وولديَّ بذلك ليؤمنوا أيضاً بك . فقال له الرب . اخبرهم يا بلا كيداس وبعد ان تعتمدوا وتتطهروا تعال انت وحدك اليَّ الى هنا لاخبرك بما هو مزمع ان يصيبك . وهكذا قد غاب ذلك الايل عن عينيه . وبلا كيداس اعتلى حصانه ورجع الى جيشه . وعادوا جميعاً الى منازلهم . وبعد ان تناول العشاء مع زوجته وولديه قال لهـا يا قرينتي المحبوبة انني بينما كنت اتصيد في هذا النهار وجدت المسيح مصلوباً بين قرني الايل . وخاطبني اقوالا لا توصف ولا يلفظ بها . فقالت له زوجته . يا سيدي انت رأيت الاله الذي يؤمن به المسيحيون . ان هذا هو الاله الحقيقي . هذا هو الاله الذي يخلصك ويخلصني ويخلص ولدينا . هذا هو الاله وقد رأيته انا أيضاً الليلة الماضية وقال لي غداً هلمَّ الي جميعاً لتعرفوا انني انا هو الاله الحقيقي . والان بما انه ظهر لك مصلوباً بين قرني الايل فهلم بنا نمضي هـذه الليلة الى الاسقف ونعتمد منه لان المسيحيين يخلصون بالمعمودية . قال لها بلا كيداس وهكذا قال لي الذي ظهر لي ان اعتمد . ثم جلسا يتخاطبان مع بعضهما بعضاً . وعند نصف الليل اخذا ولديهما واخذا بعض الخدم أيضاً ومضوا الى الكنيسة . وعندما وصلوا تركا الخدم خارجاً وولجا هما داخلا وأخبرا الاسقف برؤياهما وطلبا منه ان يعمدهما وولديهما .

فاذ سمع الاسقف تعجب ومجد الله الذي لا يشآء موت الخاطي بل يريد الجميع ان يخلصوا والى معرفة الحق يقبلوا . ثم عمدهم بسم الآب والابن والروح القدس ودعي بلاكيذاس افسطاثيوس وزوجته تتياني ثاوبيشتي وولديهما اغابيوس وثاوبيستوس . ومعنى افسطاثيوس الحسن الثبات . وثاوبيستي المؤمنة بالله . واغابيوس حبيب . وثاوبيستوس المؤمن بالله . . . ثم ناولهم الاسرار الطاهرة وقال لهم ربنا يسوع المسيح يكون معكم ويهبكم الملكوت السموي . وانا اعرف جيداً ان يد الرب معكم فعندما تتنعمون في الفردوس اذكروني انا الخاطيء يوحنا الاسقف ساجدين لله . نعم انني اتضرع اليكم يا عبيد الاله الحقيقي ان تذكروني ثم اطلقهم بسلام الى منزلهم . وعند الصباح اخذ القديس جيشه حسب عادته وخرج به الى البرية . وقال لهم انتم اقتنصوا هنا ما تجدون وانا اتقدم الى الامام لعلي اجد صيدة اكبر وهكذا تركهم وتقدم الى تلك الحفرة التي رأى عندها الرؤيا فنزل عن حصانه وسقط على الارض باكياً وقائلا : انني اؤمن بك ايها المسيح الآن قد تأكدت انك انت الاله الحقيقي . الآن قد عرفت جيداً انك انت مبدع المنظورات وغير المنظورات . فالآن اتضرع اليك أظهر لي ما وعدتني به فسمع صوتاً بدون ان ينظر احداً قائلا له : انك لمغبوط يا افسطاثيوس اذ انك قبلت المعمودية المقدسة وقد طرحت عنك خطـــايـاك وتسربلت بالتقديس والاستنارة . الآن قد غلبت ابليس الشرير . الآن قد ضحكت على ذلك الشيطـان الذي كان يضحك عليك الى الان وكنت مؤمناً به . الان دست قوته . والان بما انك قد تركته وآمنت بي اعلم جيداً انه قد انقهر منك ومن حسده لك يحاول ان يطرحك في تجارب صعبة قاسية . وانا اسمح له بذلك لتمحص وتصفى مثل الذهب المحمي بالنار فكن شجاعاً لاحتمال هذه التجارب فتنال الاكليل السموي وانت الى الآن قد حزت على الشرف الارضي الزائل وفقت بالشجاعة على اقرانك ولـكن هذه ستعدمها كلها لـكي تنال الشرف الذي لا يزول في ملكوتي فتشجع الآن وثق ولا تندم على المجد الارضي الزائل ولا ترجع الى عادتك الاولى . وكما

انك الى اليوم عندما كنت تحارب البشر كنت تظهر غالباً ظافراً لترضي الملك الارضي البالي كذلك تأيد الآن وتشجع لتغلب العدو العقلي الشيطان الشرير. لترضي الملك السموي لانك في هذه الازمنة ستكون ايوباً ثانياً في احتمال المصائب والتجارب وهكذا تظفر بعدوك الشيطان فاحترز من ان تضع في افكارك اقوالاً تجديفية لانك ان تواضعت وخضعت للتجارب بصبر فأنا أعيدك الى حالتك الاولى . فالاجود لك ان تقبل الان هذه التجارب الوجيزة من ان تعذب ابدياً . فأجابه افسطاثيوس بدموع غزيرة وقال انني اتضرع اليك يا ربي ان كان لا يستطاع ان تعبر عنا هذه المصائب فالافضل ان تصيبنا في هـذا العالم الفاني . وأتضرع اليك أيضاً ان تثبتنا وتعطينا قوة لنحفظ ما امرتنا به ولا تسمح ان يدخلنا فكر رديء يزعزعنا عن الايمان القويم . قال له الرب ثق وتأيد يا افسطاثيوس لان نعمتي تكون معك ومع اهل بيتك ومنزلك وتحفظ انفسكم من كل شر ومضرة . وهكذا صعد الرب الى السموات اما افسطاثيوس فرجع الى منزله واخبر زوجته بكل ما رأى فسقطا الاثنان على الارض وتضرعا الى الرب بدموع غزيرة حارة وقالا لتكن ارادة الرب . وهـذا ما جرى له قبل حلول المصائب به ايها المسيحيون المباركون . والآن اتضرع اليكم ان تصغوا الي بسمعكم لتعلموا ما أصاب هذا القديس من التجارب وكيف احتمل كل ذلك بجلادة وكيف انه قد عاد الى حال احسن من حالته الاولى وتمجد من الله ومن البشر أيضاً

فبعد أيام من اعتماده قد حدث في بيته وباء أصـاب جميع خدامه فماتوا كلهم . وقد عرف القديس ان هذه من جملة التجارب فكان يشكر الله متضرعاً الى زوجته ان تحتمل ذلك بجلادة ولا تضجر . وفي الوقت نفسه قد أصاب الوبأ جميع خيله ومواشيه فمات الجميع وبقي القديس وزوجته وولداه وقـد احتملا أيضاً هذه الضربة بكل جلادة وخوفاً من ان تضجر زوجته قد اخذها ومضى بها وبولديه أيضاً الى مكان هناك لاجل تسليتهم وتعزيتهم . فطمع اللصوص الى

منزله وسلبوا كل ما كان له ولم يتركوا ادنى شيء . وقد أصبح القديس وعائلته لا يملكون شيئاً وصار في غاية الاحتياج وفي فقر مدقع . . . وبعد ايام كان عند الوثنيين موسم عظيم جداً وفي هــذا الموسم كان لا بد من وجود الملك وقائد عساكره فلم يحضر القديس الى هذا الموسم حسب عادته في السنين الماضية . وبعد ان انتظروه طويلا ولم يحضر ارسلوا يطلبونه واذ لم يجــدوه حزنوا عليه جداً وتبدل فرحهم بحزن لانهم كانوا قد عرفوا المصائب التي أصابته ولم يعرفوا اين هو . وبعد ان مضى ذلك الموسم قالت له زوجته يا سيدي الى متى تلبث هنــا هزءاً وسخرية للعالم . فهلم بنا نمضي الى مكان آخر لا يعرفنا فيه احد فنكون مجهولين من الجميع . قال لها زوجها الى اين نمضي . قالت له زوجته . اظن انه لا يوجد اوفق لنا من ان نمضي الى اورشليم حيث يوجد قبر المسيح . فارتضى ان يتوجهوا جميعاً الى اورشليم . وفي تلك الليلة قد اخذ زوجته وولديه ومضى الى جهة مصر . وبعد سفر يومين وصلوا الى البحر فركبوا مركباً وتوجهوا الى حيثما كانوا قاصدين . وقد كان قبطان ذلك المركب شريراً جداً هائماً بالنسآء فعندمــا ابصر ثاوبيستي دهش من جمالها ووضع في فكره ان امكنه يغتنمها وعرف ان زوجها فقير جداً . فعندمــا وصلوا الى أحد الشواطيء طلب القبطــان من افسطاثيوس اجرة مضاعفة عن كل واحد منهم فصار افسطاثيوس يتضرع اليه ان يأخذ منهم حسب العادة واكد له انه لا يوجد معه سوى الاجرة التي اتفقوا عليها فامتنع القبطان وعنفه والزمه ان يدفع جبراً فصار افسطاثيوس يتشكى له بدموع ونحيب ان يشفق عليهم ويأخذ كل ما يوجد معهم وان لا يطلب زيادة على ذلك فلم يقبل القبطان وانتهر القديس وقال له بما انك لا تستطيع دفع الاجرة فها انا استبقي زوجتك عندي وآخذها لي وانت اذهب بولديك . فصار القديس يبكي على هذه المصيبة العظيمة ويتوسل الى القبطان بان يشفق عليه . ولكن ذلك القبطــان الرجس الشرير قد أمر الملاحين ان يطرحوه في البحر . فهجم عليه هؤلاء ورفعوه وارادوا ان يقذفوا به في تلك اللجة . فلمــا رأى كلا الامرين

صعباً سلم امره لله خوفاً على ولديه فاخذهما ونزل من ذلك المركب باكيا ومفارقا [illegible] قائلاً لولديه الويل لي ولكما يا ولدي ان امكما قد اخذها غصبا رجل شرير فاجر . الله يكون معها . فسار بولديه ببكاء وعويل الى ان وصل الى نهر كان لا بد له ان يجتازه فحار ماذا يعمل وأخيرا التزم ان يترك الواحد على الشاطي وقطع بالثاني الى الشاطي المقابل وتركه هناك ورجع ليجيء بالآخر . وفيما كان راجعا في وسط النهر تطلع الى الشـــــاطي لينظر ابنه واذا بأسد يزمجر قد هجم على ابنه وحمله بفمه وهرب به . ثم التفت الى الوراء واذا بذئب هائل قد هجم بشراسة وخطف الابن الآخر بفمه وهرب . فيا لها من ساعة محزنة ويا لهـا من لحظة مرعبة ويا لها من مصيبة مريعة ويا له من قلب حزين ومن فؤاد منكود . ومن اب يرثي له . ايها المسيحيون المباركون تأملوا كيف كانت حالته تلك الساعة الهائلة . القبطان قد اغتصبه زوجته والوحوش اختطفت ولديه وقد عدم كرامته وخسر غناه وأمواله وانهدمت منازله . واضحى غريباً وحيداً بدون سلوة ولا تعزية ولم يكن معه درهم الفرد . في تلك الحالة التي صار اليها اتاه فكر ان يطرح ذاته في ذلك النهر فيختنق ويخلص من تلك الحياة التعيسة . وهذا الفكر كان من حيل الشيطان لكن النعمة الالهية لم تسمح بهلاكه . وللوقت ساعدته وخرج من ذلك النهر . وقد كان رعاة من جهة النهر الواحدة فلما رأوا الاسد والولد في فمه اطلقوا عليه الكلاب وادركوه وهكذا بمعونة الله قد انقذوه حياً من فمه . وكذلك من الجهة الثانية كان حراثون وعندما شاهدوا الذيب والولد في فمه هجموا عليه بالاصوات والصياح وبمعونة الله انقذوا الثاني حيا . وقد كان الجميع من مدينة واحدة واذ لم يكونوا يعرفون لمن الولدان فكل ولد اخذه اناس وربوه . اما افسطاثيوس فلم يعرف هذا الامر بل كان يظن ان ولديه قد صارا فريسة للوحوش الكاسرة . وحينما خرج من النهر جلس على حجر عال وصب [illegible] ويقول الويل لي قد كنت [illegible] والآن قد تعريت . الويل لي قد كنت ذا كرامة جزيلة مهاباً . والان قد اضحيت غريباً

منفردا مثل اسير . الويل لي قد كنت قبلاً مخدوماً من جنود وعساكر وافرة العدد . والآن قد عدمت زوجتي وولدي أيضاً . لكن انت يا رب لا تتركني الى النهاية ولا تتغاضى عن دموعي . ولا تغفل عن تنهدي يا رب . انت قلت لي اني اصير مثل ايوب والآن قد أصابنا زيادة عنه . نعم ان ذاك قد عدم وخسر كل قنيته وامواله ولكنه قد وجد المزبلة ساوة له التي كان يجلس عليها . واما انا فليس لي مكان أحني فيه رأسي . بل انا غريب وفي الغربة فماذا اعمل . ان ذاك قد أصابته المصائب ولكن أصحابه قد اتوه وعزوه في مصائبه . واما انا المنكود الحظ فمن اين لي التعزية . زوجتي قد اغتصبها مني الرديء وولداي قد صارا فريسة للوحوش . نعم ان ذاك وان كان قد عدم الفروع والورق . الا ان الشجرة بقيت له وكان ينظرها فيتعزى بها اعني زوجته . واما انا فاني قد تعريت من الاصول والفروع ولم يبق احد من اهلي ولكن يا رب لا تضجر مني انا عبدك لكثرة كلامي . ولا تزدني لاني اتكلم بهذا من احزان قلبي واوجاعي اجعل يا رب حافظاً لفمي وباباً حصيناً على شفتي . لا تمل قلبي الى كلام الشر ولا تقصني من وجهك . أعطني صبراً وامنحني قلباً ثابتاً لاحتمل هذه التجارب . وبعد ان مسح عينيه نهض يمشي فانتهى الى قرية تدعى فاذيسوس ولم يشأ ان يخرج من هناك لانه ما عاد يمكنه السفر اذ لم يكن عنده من لوازمه شيء ولم يكن يعرف مكاناً ولا أحداً فلبث هناك يعتاش من شغله بالحراثة والحصاد . فمضى سنة على تلك الحالة . واذ لم يعد يمكنه ان يحرث ويحصد من كثرة الاحزان اخذ يتضرع بدموع الى اهل تلك القرية فاقاموه ناطوراً على أثمار حقولهم وبقي على هذه الحالة أيضاً خمس عشرة سنة . وقد ذكرنا ان ولديه قد عاشا في قرية واحدة بدون ان يعرفا بعضهما وبدون ان يعرف احد انهما اخوة . وأما ذلك القبطان الذي ذكرناه انه قد اخذ زوجته فقد اخذها الى وطنه . وبما ان جميع هذه الحوادث قد صارت امتحاناً له فالاله لم يشأ ان يتدنس عرضها من ذلك الشرير بل بعد أيام وجيزة مات ذلك القبطان ولبثت ثاوبيستي في بيته

وحدها عابدة الله بدموع حارة . وفي تلك الايام حصل هيجان من اهل تلك الجهة التي كان فيها ثاو بيستي وعصوا على الملك طرائيانوس فحار الملك في امره ماذا يعمل بهم . وحينئذ تذكر قائد عسكره وكيف كان يكل اليه أمره في مثل هذه المهمة . وانه كان اينما توجه يغلب . وكيف مضى ولم يعد يسمع عنه شيئاً فأراد ان يرسل جنوداً مع بعض القواد الى اولئك العصاة فقال له الجميع اننا لا نجسر ان نمضي الى مثل هذه الحروب بدون رئيس عسكرنا وقائدنا بلاكيداس المشهور في الحروب . فان كنت ايها الملك تريد ان تقهر اعداءك فأرسل أناساً يفتشون على فارسنا ويحضرونه وبحسن درايته يغلبهم ويكفيك شرهم . فأعجب الملك هذا الرأي وللوقت أرسل اثنين الى كل موضع ليفتشوا باجتهاد على بلاكيداس افسطاثيوس وكان من هولاء المرسلين انطيوخس وأكاكيوس اللذان كانا من أعز أصحاب القديس وقد ذهبا معاً ليفتشا على صاحبهما وبمعونة الله قد جاء طريقهما على تلك القرية التي كان فيها افسطاثيوس ناطوراً . وبينما كانا مقبلين من بعيد ابصرهما القديس فعرفهما من هيئتهما وملابسهما وللوقت دمعت عيناه وقال ايها الاله الرحيم يا من تنقذ من كل حزن الذين يرجونك . كما انني على غفلة قد رأيت صاحبيّ هذين انعم علي ان اشاهد عبدتك ثاوبيستي لانني متأكد ان الوحوش قد افترست ولديّ لاجل خطاياي وأملي ايها الرب الهي الرحيم يا يسوع المسيح الاله الحقيقي ان اشاهدهما في اليوم الاخير . وبينما افسطاثيوس يقول هذا سمع صوتاً يقول تشجع وثق يا افسطاثيوس لانك في هذه الايام ترجع اليك كرامتك الاولى وتجد زوجتك وولديك وفي القيامة العتيدة ستنال خيرات عظيمة وافرة جداً وسيكون اسمك عظيماً الى الابد . فاذ سمع القديس هذا الصوت ارتعد وجلس . ولما رأى ان الجنديين قد اقتربا منه حالاً نزل من مكانه وانتصب في طريقهما . وعندما وصلا اليه تأكد معرفتهما . اما هما فلم يعرفاه اولاً لان البسته كانت مغيرة وكذلك هيئته لكثرة الاحزان والاتعاب وقد نحل جسمه . فقالا له السلام لك يا صاحب . فقال لهما

القديس السلام لكما يا اخوي . فقـــالا له أتعرف في هذه القرية رجلاً غريباً ومعه زوجته وولدان لهما . فان كنت تعرفه ارنا اياه ونحن نعطيك مهما طلبت . قال لهما القديس ولماذا تفتشان عليه . فقالا له انه صاحبنا ونريد ان نشاهده لاننا لنا زمان طويل ما رأيناه . فقال لهما القديس ان هذا الانسان ليس هو في القرية ولكنني ارجوكما اجلسا هنا قليلاً في هذا المكان لانني انا أيضاً غريب لتستريحا ثم تمضيا بخير . فجلسا ليأخذا راحة والقديس مضى الى صاحب له في تلك القرية وطلب منه دراهم قرضة الى ان يقبض الاجرة وبعده يعطيه ويحسب له الفائظ أيضاً . فأعطاه مطلوبه فمضى القديس واشترى خبزاً وخمراً وبعض أشياء ورجع قدم لهما ذلك فجلسا يأكلان وصار هو يخدمهما . وحينئذ تذكر كرامته الاولى فتحرك به الحزن وتنحى عنهما وبكى ثم مسح عينيه ورجع اليهما وقد فعل ذلك مرتين بدون ان يشعرا ولا خطر ببالهما ان هذا هو المطلوب . ثم لما صار يروح ويجيء أمامهما بسرعة اخذا يتفرسان فيه ويستعرفان عليه . ثم التفت انطيوخس الى اكاكيوس وقال له سراً على حسب ظني ان هذا هو الذي نفتش عليه . فقال له اكاكيوس نعم وانا افتكر ان هذا هو بعينه ولكنني اعرف جيداً ان بلاكيداس مجروح في عنقه جرحاً خفيفاً من ضربة سيف . فالان يجب ان نمعن النظر جيداً ان كان توجد فيه هذه العلامة فيكون هو بذاته والا فلا يكون هو المطلوب . فتفرسا فيه جيداً فوجداه هو بذاته ففرحا جداً واعتنقاه وصـــارا يقبلانه قائلين له انت هو بلاكيداس قائد العسكر . فاذ سمع القديس هذه الاقوال فاضت الدموع من عينيه وقال لهما لست انا القائد يا اخويّ . واما هما فلم يصدقا بل كانا يقسما انه هو بذاته وقد اخبراه عن زوجته وولديه وعن حالته الاولى . فلما سمع القديس منهما ذلك لم يعد يستطيع ان يخفي ذاته بل اعترف الصدق وقال لهما ان زوجته وولديه قد ماتوا . وقد شـــاع هذا الخبر في تلك القرية فخرج الجميع لينظروا قائد العسكر . وعندما ابصروه معروفاً من الجنديين اندهشوا وقالوا في ذواتهم عجباً الى اي درجة تنازل هذا الرجل العظيم عندنا وكم احتمل من

الاتعاب . ثم اراه الجنديان الامر الملوكي والبساه البدلة الرسمية وآخذاه ليذهبا به الى رومية . وقد ودعوهم أهالي تلك القرية وشيعوهم خارج القرية لان القديس لم يخليهم ان يبتعدوا اكثر . ولما سارا في الطريق اخذ القديس يخبرهما كيف ابصر المسيح وماذا قال له وكيف ذلك القبطان قد اغتصب زوجته منه وكيف الوحوش قد خطفت ولديه وافترستهما والحاصل انه اخبرهما بكل ما أصابه . وبعد خمسة عشر يوماً قد وصلوا الى الملك الذي لما سمع ان بلاكيداس قد وجد وانه آتٍ قد خرج بذاته لملاقاته واعتنقه مقبلاً اياه ومقدماً له الاكرام اللائق وسأله لماذا تركه كل هذه السنين . فأخبره القديس جهاراً أمام الجميع كيف انه آمن بالمسيح ووضع في فكره ان يتوجه الى اورشليم وكيف خسر زوجته في المركب وعدم ولديه اللذين افترستهما الوحوش . ففرح الملك جداً وجميع جنوده لوجود قائد عساكرهم الشجاع . وقد طلب منه الملك ان يقبل منه ويرجع الى رتبته السامية ويتردى بلباس الشرف . وبعد الجهد قد قبل القديس ذلك لان هذه هي مسرة الله . والى هنا قد انتهت مصائب وتجارب هذا القديس .

والآن اسمعوا كيف وجد زوجته وولديه . واخيراً انظروا كيف انهم كلهم قد نالوا اكليل الشهادة لاجل اسم المسيح . فأقول بعد ان مسك القديس زمام رتبته قد وضع في فكره ان يعد جيشه فأحصاهم واذ لم يجدهم كفوءاً ارسل اوامر ملوكية الى كل الجهات الرومانية ليجمعوا عساكر . وبارادة الله قد وصل بعض هذه الاوامر الى تلك القرية التي كان فيها ذانك الاخان اللذان خطفتهما الوحوش وقد انقذهما أهالي تلك القرية كما ذكرنا قبلاً . اعني بهما ولدي قائد العساكر بذاته لكونهما غريبين قد كتبوهما في العسكرية وكانا جميلين جداً عاقلين . ولم يكن احدهما يعرف الثاني . ولما حضرت العساكر من الجهات اجتمعت كلها امام القائد ومن الجملة ولداه . فرتب الجميع كما اراد كلاً حسب استحقاقه . ولما وصل الى ولديه تحرك قلبه ونظراً للطافة اخلاقهما ورصانة عقلهما قد جعلهما خدمان مائدته . وهكذا قد قاد جنده وتقدم في اوطم الى

اولئك البربر الذين عصوا على الملك . وانتصب الحرب بينهم فقهرهم واسترجع تلك المدن والقرى التي كانت أُخذت وقتل الذين لم يدخلوا تحت الطاعة . وتقدم الى نهر خريسيس وقهر أيضاً جميع البربر الذين هناك . ولما رأى ان الله قد اخذ بيده واينما توجه يغلب فتقدم الى قدام أيضاً وكان يقهر الجميع ويدخلهم تحت الطاعة ويفرض عليهم الجزية للملك طرائيانوس الى ان انتهى الى تلك القرية التي كانت فيها ثاوبيستي كما ذكرنا قبلا عنها وقد نزل بجيشه في تلك القرية ونصبوا خيامهم هناك في بستان ليأخذوا راحة . وبالتقادير نصبت خيمته بجانب المسكن الذي كانت فيه زوجته وذلك لان البستان كان واسعاً جداً وكان للقبطان الذي تقدم ذكره . فمكثوا هناك للراحة ثلاثة ايام هم وخيلهم . وفي اثناء ذلك قد مضى الاخان باطعمة لتصلحها وتطبخها صاحبة ذلك المنزل بدون ان يعرفا انها امهما . فدفعا لها الاطعمة لتطبخها وجلسا خارجاً ينتظران نضج الاطعمة . واذ كانا جالسين وحدهما قال الاصغر كم لنا يا اخي في خدمة سيدنا ولم يسأل احدنا الآخر من اين انت . فقال له الاكبر وانا أيضاً كنت أحب ان استخبر منك ولكن لعدم الوقت لم اسألك . فالان كل واحد منا يخبر الآخر من اين هو . فانا غريب هنا واتيت صغيراً وقد ولدت في مدينة رومية وكان والدي قائد عسكر عند الملك . وكانت والدتي جميلة جداً . وكان لي اخ اصغر مني ذو شعر اشقر مثلك جميل جداً . فوالدي قد اخذ والدتنا واخذني انا واخي أيضاً ولست اعرف الى اين كان مراده ان نتوجه . فركبنا في مركب ولما نزلنا منه لم تنزل والدتنا ولست اعرف لاي سبب قد بقيت فيه . بل اعرف ان والدي قد اخذني انا واخي وخرج من المركب وترك والدتنا هناك . وسرنا في الطريق حتى وصلنا الى نهر . ولما كنا صغاراً ولم يمكنا ان نقطع ذلك النهر التزم ابونا ان يقطعنا واحداً فواحداً . فاخذ اخي الاصغر اولا واجتاز به الى الجهة الاخرى وتركني انا مكاني . ولما رجع ليأخذني ويجتاز بي الى جهة اخي . وهو في وسط النهر هجم ذيب على اخي وافترسه . وانا هجم علي اسد وخطفني . اما انا

فانقذني الرعاة الذين كانوا في ذلك الوادي وربوني في تلك القرية التي كنا فيها كما تعرف انت . ولست اعرف ماذا اصاب والدي ولا كيف جرى باخي . فاذ سمع الاصغر هذه الاقوال كاد يطير من الفرح وقال له وقدرة المسيح اننا نحن اخان . انت اخي وانا اخوك وقد تأكدت الامر من هذا الذي قلته لي . ان ذئباً خطفني لان الذين ربوني كانوا يقولون لي دائماً انهم خلصوني من فم الذئب . وحينئذ قاما وقبلا بعضهما بعضاً بفرح وسرور . فلما ابصرتهما والدتهما يقبلان بعضهما بعضاً وكانت قد سمعت حديثهما تحركت جوانحها وارادت ان تكشف لها حقيقة الامر ولكن لم يكن معهما وقت لان وقت الاكل قد حان ولا سيما انهم طلبوها لترتيب المائدة . فاخذا الاكل وذهبا سريعاً وأصلحا المائدة لسيدهما فأكل . وفي اليوم الثاني توجهت ثاوبيستي الى الخيمة لترى ذينك الاخوين وتكشف لهما امرها فلم تنظرهما لانهما كانا مشغولين في خدمة سيدهما . فرجعت وفي طريقها وجدت القديس القائد جالساً في ظل شجرة . فلما لحته مال قلبها نحوه وأرادت ان تخاطبه فتقدمت اليه وقالت له انني اتضرع اليك يا سيدي ان تسمع لي انا أمتك . انني انا من مدينة رومية وقد أُحضرت الى هنا اسيرة فارجوك ان تأخذني معك الى وطني . وكانت تخاطبه وهي تتفرس به جيداً . فلاح لها انه هو زوجها ولكنها هابت ان تكشف له امرها او تسأله من انت . واخيراً عندما تأكد في بالها ان هذا هو زوجها سقطت على رجليه وقالت له انني اتضرع اليك يا سيدي ان لا تغضب علي بل ارجوك ان تخبرني عن حالتك الاولى . لانني انا اظنك انك انت قائد العساكر بلاكيداس الذي اهتدى الى الايمان بالمسيح عندما ابصره مصلوباً بين قرني الايل . وبما ان الله قد سمح بان يجرب أصابته المصائب الاليمة . وأخيراً اراد السفر الى اورشليم فاخذ زوجته التي هي انا واخذ ولديه الذين هما اغابيوس وثاوبيستوس وتوجهنا في طريقنا فركبنا مركباً . وبما ان القبطان كان شريراً جداً قد اغتصبني من زوجي واخذني طامعاً بي . ولكن أشهد علي سيدي يسوع المسيح وجميع الملائكة القديسين انني

ما تنجست به ولا دنست عرضي لا مع ذاك القبطان ولا مع احد غيره . بل انا الى الآن حافظة عرضي بدون ان اتنجس مع رجل غريب . فعندما سمع القديس منها هذه الاقوال ومارآه من العلامات فيها تأكد انها هي زوجته وحالا وقف على رجليه وصرخ بصوت عظيم والدموع تفيض من عينيه وقال المجد لك يا الهنا المجد لك . انني انا هو ذاك الرجل الذي تقولين عنه . فاعتنقا بعضهما بعضاً بقبلة قديسة شاكرين وممجدين الله . فقالت له زوجته يا سيدي اين ولدانا . فاجابها والدموع ملء عينيه ان الوحوش قد افترستهما . قالت له و كيف ذلك . اجابها باكياً . انني لما تركتك في المركب وخرجت حزيناً عازماً ان اذهب في طريقي قد صادفت نهراً كبيراً فاخذت الصغير واجتزت به الى الجهة الثانية وتركته ورجعت لاخذ الثاني . واذ كنت في وسط النهر نظرت واذا الذئب قد خطف الاصغر . والاسد قد خطف الاكبر وهكذا قد صارا الاثنان فريسة للوحوش الضارية . فقالت له زوجته يا سيدي اعط مجداً لله . ان ولدينا هما في قيد الحياة الى اليوم وهما في خدمتك ومعك . وانا البارح قد سمعت منهما هذه الاقوال التي قلتها انت الان يا سيدي . وان كنت لا تصدقني فاحضرهما الان واسمع منهما بذاتك . فاحضرهما القديس وقال لهما اخبراني من اين انتما . فقام الاكبر وحكى سيرته حسبما كانا فاطناً لها كما ذكرنا . وحينئذ تحقق القديس وزوجته ان هذين هما ولداهما . فيا له من فرح لا يوصف قد استحوذ على القديس . ويا له من حبور لا ينعت قد استولى على قلب زوجته القديسة ثاوبيستي . ويا له من ابتهاج وسرور دخل على قلبي الاخين . يا لسرور وفرح العساكر بوجود قائدهم ومرشدهم وجميع عائلته . قد قامت الافراح بين اولئك الجنود سبعة أيام . ليس فقط لانهم قد غلبوا الاعداء بل لانهم قد وجدوا مولاتهم وولديها . فالقديس من فرحه قد مجد الله قائلا « انني اشكرك ايها الرب الهي لانك لم تتركني ان أُجرب الى النهاية انا عبدك الذليل الخاطي بل انك قد شفقت علي واعطيتني الراحة من هذه التجارب والهموم . اني امجد اسمك

العظيم لانك كما سبقت وعزيتني هكذا قد صنعت معي فالان استلم روحي مني لانني قد نظرت زوجتي وولديَّ» . وهكذا قد وجد زوجته وولديه . والان باختصار نذكر كيف صار استشهادهم . . . فبعد ان غلبوا العصاة واخضعوهم لطاعة الملك عادوا الى رومية . وبينما كانوا في الطريق راجعين مـــات الملك طرائيانوس وتبوأ عرش الملك مكانه الملك ادريانوس سنة ١٣٦ الذي قد بنى مدينة ادريانوبلس ودعاها باسمه . وهذا الملك كان وثنياً عدواً شديداً للمسيحيين فلما سمع ان بلاكيذاس قائد عساكره قادم خرج لملاقاته واستقباله لان هذه عادة الملوك الرومانيين في تلك الايام . ولما عرف انه وجد زوجته وولديه فرح جداً وعزم ان يضحي لاوثانه اولا لانه ظفر باعدائه . وثانياً لان قائده وجد عائلته . فمضى الى هيكل الصنم ابولون وقدم الضحية وطلب ان يحضر قائد العسكر . فلم يقبل بل لبث في مكانه . فاستدعاه الملك ادريانوس اليه وقال له . لماذا يا بلاكيذاس ما اتيت لتضحي للآلهة العظيمة التي قد انعمت عليك بالحياة ومنحتك ان تغلب اعداءك . ووهبتك ان تجد ولديك وزوجتك . فقال له القديس . يا ايها الملك السعيد الطويل العمر انني انا اضحي للمسيح فقط . وله وحـــده اضحي الى آخر حياتي لانه هو الذي قد انعم علي بالحيـاة . وهو الذي ايدني وخولني ان اغلب اعدائي . وهو الذي قد جاد علي واراني ولديَّ وزوجتي . وانا لا اعرف الهـاً سواه ولا اومن بغيره لانه هو الذي خلق السماء وما فيها . والارض وما عليها . فلما سمع الملك هذا الكلام أمر حالا ان تخلع عنه منطقة الشرف والنيشان . وان يوقف هو وزوجته وولداه مثل محكوم عليهم امام الملك . ولما رأى الملك ان عزمهم ثابت لا يتحول أمر أيضاً ان يقيموهم في سهل واسع . فأقاموهم واطلقوا عليهم أسداً هائلا مرهباً كان جائعاً جداً . فهجم عليهم ذلك الاسد من بعيد حتى ظن الحاضرون انه لا بد من ان يمزقهم أرباً أرباً . ولكن يا لله من عجب عندما وصل اليهم ذلك الاسد قد احنى لهم رأسه بخضوع وابعد عنهم . فلما ابصر الملك ان الاسد لم يفترسهم امر ان يحموا خلقيناً من نحاس كان مصنوعاً على هيئة ثور

حتى يتزايد لهيبه جدا ليطرحوا القديس مع عائلته . وقد ازدحم جمهور وافر جدا من المسيحيين المختفين ومن الوثنيين أيضاً ليشاهدوا كيف يطرحونهم في ذلك الخلقين . ولما حمي الخلقين وتزايد لهيب النار وارتفع شرارها تقدم العسكر ليطرحوهم . فتضرعوا اليهم ان يمهلوهم قليلا ليصلوا . ثم رفعوا ايديهم الى السماء وشخصوا بابصارهم الى فوق من حيث تأتيهم المعونة وتضرعوا الى الله بخشوع قائلين . ايها الرب يسوع المسيح ربنا . يا اله القوات العقلية . يا من لم يرد أحد . واما نحن فرأيناك . استجب لنا في هذه الساعة ما نطلبه منك لانك قد استجبت لنا وتقبلت صلواتنا وجمعتنا مع بعضنا فلك المجد والشكر ايها الرحيم . وكما حفظت قديماً الثلاثة الفتية في الاتون البابلي ولم تمسهم النار ولم تضرهم . هكذا انت ايها السيد احفظنا الان من هذه النار التي سنطرح فيها لاجل اسمك الاقدس . مجدنا في ملكوتك يا رب واعطِ أجسادنا نعمة حتى ان كل من يتضرع اليك بنا ينال غفران خطاياه ويرث الملكوت السموي . وينال هنا التعزية عن مصائبه . وكل من التجأ اليك بنا نتضرع اليك ايها السيد بان تسرع الى معونته ان كان على اليابسة او نهر او في بحر . انت ايها الاله اسرع الى معونته وانتشله من أخطاره ومصائبه . نعم ايها الرب يسوع المسيح كن معيناً لكل من يلتجي اليك بنا . اصنع معنا هذه الرحمة أيضاً لا تترك هذه النار ان تحرقنـــا ولا تضرنا بل انت استلم ارواحنا في يديك الطاهرتين . وأما أجسادنا فأحفظها لتوضع في مكان حسب مسرتك . وحينئذ صار صوت من السماء لاولئك القديسين قائلا : ليكن لكم كما طلبتم . وزيادة عليه ترثون الملكوت الابدي لانكم قد جاهدتم في حياتكم الجهاد الحسن واحتملتم المصائب وكابدتم التجارب لاجل اسمي . وبمـا انكم صادمتم الشيطان بجلادة ولم تنغلبوا منه فهلم الآن لترثوا النعيم السموي وتنالوا اكليل الغلبة . وعوض تلك المصائب التي احتملتموها على الارض هلم تمتعوا بالفرح السرمدي . فعندما سمع القديسون هذا الصوت حالا بكل جلادة ورضى قفزوا الى ذلك الخلقين النحاسي وكان لهيبه مرتفعاً . وبعد ان بقوا فيه مدة ولم تؤذهم

النار البتة أسلموا أرواحهم في يد الله بدون ان تمسهم النار ولا احترقت شعرة واحدة من رؤسهم . وعند ذلك ذهل الملك من هذا الامر كيف ان أجسادهم لبثت سالمة ولم تقدر طبيعة النار ان تحرقها . ومن شدة غيظه قد امر ان يغطوا ذلك الخلقين وان يداوموا اضرام النار تحته ثلاثة ايام . وهكذا صار . وبعد الثلاثة الايام حضر الملك لينظر كيف جرى باجسادهم وبامره فتحوا ذلك الخلقين . ولما شاهد أجسادهم صحيحة سالمة ظنها انها حية أيضاً . فأمر فأخرجوهم خارجاً . وعندما شاهد الحاضرون هذه الآية الباهرة دهشوا وصاحوا بصوت عظيم : عظيم هو اله المسيحيين لانه هو الاله الحقيقي وحده وليس اله سواه . وحينئذ ارتعب الملك وتركهم ومضى . فاتى بعض المسيحيين ليلا خفية واخذوا تلك الاجساد المكرمة ووضعوها في مكان يليق بها . وبقيت الى ان كف ذلك الاضطهاد عن المسيحيين وتبوأ عرش الملك قسطنطين الكبير الحسن العبادة فاقاموا لهم هيكلا في رومية . وقد وضعوا أجسادهم الشريفة فيه . وصاروا كل سنة يعيدون لهم في العشرين من شهر ايلول .

فهذه هي سيرة هؤلاء القديسين المجيدين ايها المسيحيون المباركون فانهم قد كابدوا كل هذه العذابات حباً بالمسيح . قد جاهدوا ليرضوا المسيح الملك . قد صبروا على التجارب . قد احتملوا الضيقات واحتقروا الاوجاع واحتملوا كل ذلك خوفاً من ان ينكروا اسم المسيح . واما نحن فبالاسم فقط ندعى مسيحيين لاننا بدون ادنى تجربة وبدون مصيبة وبدون ضيقة ننكر اسم سيدنا الاله . وكيف ننكره . نعم ننكره عندما نحلف باسمه باطلا . ننكره عندما نحنث بيميننا ونكون جاحديه أيضاً . فيكون لنا العذاب الذي لا رحمة فيه . وقد قال النبي زخريا في نبوته ص ٥ عد ٢ انه قد ابصر منجلا حاداً بارزاً من أمام الله عرضه عشرة اذرع حالاً في منزل ذلك الانسان الذي يحلف باسم الله باطلا . أرأيتم ايها المسيحيون المباركون مقدار غضب الله على من يحلف بأسمه باطلا . فلنر تعد ونبتعد من هذه العادة ولنهرب من الاقسام والايمان . يقول البعض انني

ان لم اكذب واحلف باطلا لا يمكنني ان انقذ حياتي من ايد اعدائي . فماذا تقول يا ايهـــا الانسان . أتخاف من الانسان وتحلف باطلا . واما من الله فلا تخاف . أما تسمع ماذا قال الله بذاته . لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالارض ولا بشيء آخر . ولا تحلفوا برؤوسكم أيضاً . لاننا لا نقدر ان نجعل شعرة واحدة بيضاء او سوداء . فكيف نخالف كل هذه ونقسم ونحلف بالاله ذاته . بالحقيقة ايها المسيحيون المباركون ان من يحلف هو قاتل نفسه أيضاً . ألعل الكنيسة قد أُسست لكي نحلف بها ونعظم الايمان . كلا بل الكنيسة قد أُسست لكي نصلي فيها من اجل اعدائنا . لكي نتضرع الى الله لمغفرة خطايانا . فأن كان المسيح يوصينا في انجيله ان لا نحلف . فكيف انت ايها الاخ تمسك الانجيل بيدك وتحلف به . أما تخاف من سخط الله . أما ترتعد من رجزه . أما تعرف انك ان خلصت من عدوك هنا لا يمكنك ان تخلص من الله . أما تفتكر انك اذا هربت هنا من دين وقتي فلا تستطيع ان تهرب من العذاب الابدي . أنظرتم ايها الاحباء هذا الخبر العجيب كيف ان الله يعين الذين يصبرون ويمجدهم ويجعل ذكرهم مؤبداً . وان اعترض احد من سخيفي العقل وقال : ان اولئك كانوا قديسين فيحتملون ذلك وأيضاً كانت تظهر لهم العجائب . اقول لك ايها المتحذلق بهذا الكلام قل لي هل انهم ولدوا قديسين . أما هم أناس مثلنا فلا يليق بك ان تتعلل بهذه العلل . ان اولئك من صبرهم وفضائلهم وعملهم بالوصايا الالهية قد اعانهم الله وصاروا قديسين . فكيف تفلت انت من حكم الله . اذا كانت الصلوات قائمة وانت خارج مع الابالسة . ويكون مجمع المؤمنين الاطهار مجتمعاً لمطالعة الكتب وتعليم وصايا الله وانت تسمع كلام الله كالحكايات . وتسافر يوم الاحد والعيد وتستحل الصيامات المقدسة ولا تذهب الى الكنيسة الا بطريق الصدفة . تعطي الله الفضلة من ايامك وباقي الايام تصرفها بهواء نفسك . وتحقد على اخيك ان عمل معك ادنى سبب وان طلب منك السماح فلا تسامحه . وانت مهتم بامور الدنيا فكيف تقدر ان ترضي الله وكيف الله يسمع منك .

وديانتك ضعيفة جداً من ادنى تجربة تكفر وتبتدي، تعترض على أحكام الله قائلا ماذا عملت ما هي خطيتي حتى ابتلاني الله بهذا المرض مثلا او بهذه المصيبة . فلا تتكلم الا بالسب واللعنة والشتم وثلب العرض والنميمة حسب ما قال عنك داود النبي فمه مملوء لعنة ومرارة وغشاً تحت لسانه . فكيف تجسر ان تدعو الله اباك . فالله يريد الخير للجميع وانت تحسد أخاك المسيحي على كل شيء له فكيف لا يبتعد الله منك يا شقي . قال سليمان الحكيم : الرب يبتعد أبعد البعد من الخطاة ويقلب حياة الملحدين . والى الان تجسر وتقول اولئك كانوا قديسين ونحن خطاة . قل لي من جعلك خاطئاً . هل الله خلقك خاطئاً . حاشا الله من ذلك . لانك ولدت طفلا صغيراً باراً نقياً لكن من افعالك الشريرة صرت خاطئاً . لانه كلما كثرت رغبتك في العالم تتأصل فيك الخطية وترسخ في قلبك بسبب ميلك الردي نحوها . اما لو كنت من صغرك جنحت نحو الفضائل لكانت تأصلت فيك الفضيلة وصرت باراً . ومن عدم رأيك ايها الخاطي قد احببت الخطية اكثر لكي تزج في زمهرير جهنم وقانا الله منها جميعاً . فاذا اردتم الخلاص ايها الاعزاء استنيروا كهولاء الشهداء الذين استحقوا ان ينالوا الاكاليل التي لا تبلى التي نطلب من الله عز وجل ان نحصل عليها كلنا . بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي يجب له كل مجد واكرام وسجود الى دهر الدهور

آمين



رحلة

اوّل شرقيّ الى امركة

وهي سياحة الخوري الياس ابن القسّيس حنا الموصلي

من عيلة بيت عمون الكلداني

١٦٦٨ الى ١٦٨٣

نقلاً عن النسخة المحفوظة في الدار المطرنية السريانية بحلب

نشرها بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيها

الاب انطون ربّاط اليسوعي

ظهرت اولاً في مجلة المشرق

وأضيف اليها ستة فهارس بالعربية والافرنسية

طُبعت في بيروت

في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

سنة ١٩٠٦

رحلة

اوّل شرقيّ الى امركة

وهي سياحة الخوري الياس ابن القسيس حنا الموصلي

من عيلة بيت عمون الكلداني

١٦٦٨ الى ١٦٨٣

نقلاً عن النسخة المحفوظة في الدار المطرنية السريانية بحلب

نشرها بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيها

الاب انطون ربّاط اليسوعي

ظهرت اولاً في مجلة المشرق

وأضيف اليها ستة فهارس بالعربية والافرنسية

طُبعت في بيروت

في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

سنة ١٩٠٦

المقدمة

الشرقيُّون مغرمون بالاسفار . امر يشهد بهِ التاريخ القديم والحديث وتثبتهُ الرحلات العديدة التي الَّفوها واصفين بلاداً تكاد ان تكون مجهولة حتَّى في ايَّامنا . لكننا لم نكن نعرف ان احداً منهم ساح منذ قرنين ونيف في اكثر البلاد الامركيَّة وزار مدنها وولاتها وشعبها وتفقَّد احوالها ولم نعثر قطّ في المكاتب على ما يُستشفّ منهُ ذكر سياحة كهذه

ففي اواسط ايَّار من سنة ١٩٠٥ بينما كنَّا نطالع المخطوطات المحفوظة في مطرانية السريان بحلب استلفت نظرنا كتاب عربي عنوانهُ « سياحة الخوري الياس الموصلي » فاختلسنا اويقات الفراغ لقراءتهِ واخذنا العجب لمَّا رأينا كاهناً شرقيًا قد زار اكثر الانحاء الامركيَّة في القسم الثاني من القرن السابع عشر ووصفها وصفاً لا يخلو من اللذَّة فعوَّلنا على تعريف الكتاب ونشر اهمّ فصولهِ . ولمَّا عرضنا فكرنا على سيادة الحبر الجليل العلَّامة ديونيسيوس افرام نقاشه مطران السريان الكاثوليك في الشهباء اذن لنا باستنساخهِ ونشرهِ وكان قبولهُ لطلبنا شاهداً لنا جديداً على ما ازدان بهِ من لطف الشمائل وكرم الطباع الذكيَّة . واثنى على همتنا كما اعتاد الثناء على كل عمل يؤول الى تعريف الشرق المسيحي ونشر تاريخهِ . فليتنازل سيادتهُ ويتقبَّل خالص شكرنا

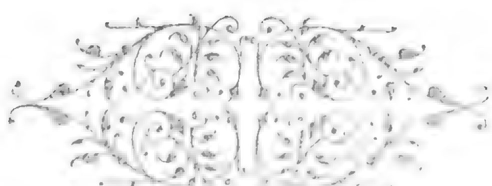
(تعريف السائح) هو الخوري الياس ابن القسيس حنَّا الموصلي الكلداني من عائلة بيت عمون . ولقد نظرنا في الكتب المطبوعة والمخطوطة التي بين ايدينا فلم نصل حتَّى الان الى زيادة تعريف . وليس في رحلتهِ ما ينبئنا بشيء عنهُ خلا انهُ ذكر ابن اخ لهُ اسمهُ يونان انجز في سنة ١٦٧٠ دروسهُ في عاصمة الكثلكة ومنها رجع الى حلب

(الرحلة) في سنة ١٦٦٨ سافر الخوري الياس الموصلي من بغداد لزيارة القدس الشريف وبعد ان قضى مدَّة في حلب ابحر من اسكندرونة الى البندقيَّة وايطاليــة وفرنسة واسبانيــة والبرتغال وجزيرة صقليَّة ثم عاد الى اسبانية وركب البحر من قادس الى امركة فرَّ على جزائر كناري ووصل الى قرطجنة في امركة الجنوبيَّة ثم ساح في جهات باناما ومنها تتبَّع المدن والقرى والمناجم غربي امركة الجنوبيَّة فزار البــلاد التي تدعى الان كولومبيــة وخط الاستواء والپيرو وبوليفية الى اعالي بلاد الحكومة الفضيَّة وشيلي . ومن هذه البلاد عاد على الاعقاب الى ليما من اعمال الپيرو سنة ١٦٨٠ وهناك كتب القسم الاوَّل من رحلتهِ . وما لبث ان سار الى البــلاد التي يسميها ينكي دنيا اي المكسيك وامركة المتوسطة وبعد مدَّة قضاها في مكسيكو قفل راجعاً فركب البحر وعاد الى اسبانية فرومية وتشرَّف بمقابلة الحبر الاعظم . قال في ختام رحلتهِ: « فانعم عليَّ البابا اينوسنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن اهلاً لها . والحمد لله الى الابد امين » . ولم يذكر سبب رحلتهِ جليًّا لكنهُ يستشفّ من غضون كلامهِ انهُ ذهب ليجمع حسنات المسيحيين لفائدة اهل جلدتهِ . والله اعلم

(صفات السائح) هو كاهن كلداني كاثوليكي ذو ايمان بسيط وتقوى صادقة قليل الالمام بالانشاء والكتابة لكنهُ يكتب ما يراهُ ببساطة ودقّة وصدق . وقد تتبّعنا سفرتهُ على خارطة كبيرة فرأيناهُ لم يغفل بلدة ولم تخنهُ ذاكرتهُ الّا نادرًا . لكن انشاءهُ ركيك ووصفهُ خالٍ من التفنن خلا بعض فصول وشذرات . ومع ذلك فقد قرأناهُ بلذّةٍ لما يذكر من الامور الغريبة والتنقلات من مكان الى مكان ومن حال الى حال . وفي كتابهِ اغلاط نحويّة كثيرة اصلحنا اهمّها تاركين لهُ سذاجة تراكيبهِ . ولا تخلو مطالعتهُ من فائدة يلتذّ بها السوريون المقيمون في البلاد التي زارها اعني وصف ما كانت عليهِ تلك البلاد ومقابلتها بما صارت اليهِ الان بفضل التمدُّن والدين . وكل يعلم ان الشعوب التي كانت في ادنى درجات الهمجيّة اصبحت بفضل المرسلين في اعالي سلّم الحضارة . وهناك فائدة اخرى للامركيين انفسهم فانَّ الرحلات وان لم تندر لكنها مع ذلك لا تشفي الغليل وقد قابلنا بين رحلتهِ ورِحَل بعض معاصريهِ فوجدنا رحلتهُ اهلًا لان تنتظم في مصافّها

(وصف الكتاب) هو كتاب مخطوط مجلد تجليدًا قديمًا طول الوجه ٢١ سنتيمترًا في ١٥ س عرضًا وفي كل وجه ٢١ سطرًا . وهو مكتوب بخط جلي غير متقن يحتوي ٢٦٩ صفحة فمن ١ الى ١٠٠ رحلة المؤلف يليها الى صفحة ٢١٤ سبعة عشر فصلًا نقل فيها الرحّالة تاريخ افتتاح امركة واخبار ولاتها وشعوبها وليس في هذا القسم الثاني كبير فائدة وسنكتفي بنشر الرحلة ونقل بعض شذرات من هذا القسم الثاني . ومن صفحة ٢١٤ الى الاخير رحلة سعيد باشا سفير الدولة العليّة الى فرنسة في سنة ١١٣٢ هجريّة وهي رحلة معروفة باللغة التركية والافرنسيّة لم نجد ترجمتها العربية في غير هذا الكتاب كما انّنا لا نعرف للكتاب نسخة أُخرى في مكاتب اوربّة

وليس الكتاب من خط المؤلف وهو خلو من تاريخ ينبئ بزمن نقلهِ امّا عنوان الكتاب فهو: « صياحت (كذا) خوري الياس الموصلي وهو كتاب – وهنا محي الاسم وحكّ لكنّا قرأنا « حنّا بن دياب الماروني في حلب » ويليهِ: « جبرائيل بن يوسف قرمز في ٥ كانون الثاني سنة ١٨١٧ »





خارطة امركة القديمة
لرحلة اول شرقي الى امركة
١٦٦٨ - ١٦٨٣
خليج المكسيك
مكسيكو
بحر الانتيل
الانتيل الصغرى
غويانا
نهر امازون
البرازيل
باراغواي
امركة الشمالية
افريقيا
امركة الجنوبية
الاوقيانوس الاتلنتيكي
الاوقيانوس الباسيفيكي
حدود البلاد الحالية
طريق صاحب الرحلة

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

ديباجة الكتاب

الحمد لله الذي خلق البرايا بحكمتهِ · واخترع الموجودات بامرهِ وكلمتهِ · وصوَّر الانسان على شبههِ ومثالهِ · وسلَّطهُ على سائر المخلوقات بفضلهِ وانعامهِ · ونهاهُ عن ثمر لا يأكلهُ لئلَّا يموت موتًا · فهذا المخلوق الضعيف لمَّا خالف امر خالقهِ واكل من المنهيّ عنهُ تجرَّد من النعمة التي كان متسربلًا بها وصار مطرودًا مع ذرّيّته من فردوس عدن الى ارض الشقاء والحزن · الى ان تحنَّن عليهِ سبحانهُ وتعالى وشاء اعتاقهُ فارسل ابنهُ الحبيب الاقنوم الثاني وكلمتهُ الازليَّة الى بتول عذراء طاهرة واشرف المخلوقات وحلَّ في احشائها حلولًا لا يدرك ولبس منها جسدًا كاملًا وصار انسانًا ما خلا الخطيئة وتردَّد بين العالم وصنع الآيات بشفاء المرضى وقيام الاموات ثمَّ اختار له تلاميذ اناسًا سذَّجًا صيَّادين وشرع لهم نواميس وقوانين وامرهم ان يجولوا بكل العالم ويبشروا بكرازة الانجيل الطاهر قائلًا لهم (متَّى ٢٨ : ١٩) : امضوا واكرزوا وعمدوا باسم الآب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن · وقال لهم ايضًا (متَّى ١٨ : ٥) : فمن قبلكم فقد قبلني · ووعدهم ايضًا عند صعودهِ انهُ يرسل لهم الروح المعزّي ليمنحهم نعمة وحكمة · فبعد صعودهِ وجلوسهِ عن يمين الآب ارسل لهم الروح البارقليط فحلَّ عليهم كألسنة نار فصاروا يتكلَّمون بسائر اللغات المختلفة فانتشروا في سائر اقطار المسكونة جائلين مبشرين بالانجيل وكانت آياتهم شاهدة لاقوالهم فقومٌ منهم حصلت لهم بلاد الشرق والبعض ذهبوا الى الغرب والبعض الى القبلة والبعض الى الشمال فتمّ بهم قول داود النبي القائل عنهم (مز ١٨ : ٥) : في كل الارض ظهرت بشارتهم وسُمعت اصواتهم في اقطار المسكونة · كانوا عائزين متضايقين مطرودين متجولين لابسين جلود الحملان (عبرانيين ١١ : ٣٧) وكانت اشعَّة انوارهم تشرق وتنير تلك الاقاليم المظلمة حتى انهم بكرازتهم طهَّروا المسكونة من عبادة الاوثان وارجعوهم من الضلالة والطغيان وأختاروا لهم تلاميذ واخلافًا وخوَّلوهم تلك المواهب وإنعام الروح

القدس لكي يتولوا من بعدهم الرئاسة والتدبير جيلاً بعد جيل متداومين الى انقضاء العالمين

فاماَّ الكنيسة المقدَّسة عروس السيد المسيح التي جُعل مار بطرس الصخرة رأسها ومدبرها من بعد صعودهِ المجيد ومن بعدهِ للذين يخلفونهُ فلم تزل تمتدّ اطنابها وتتوسَّع اكنافها حتى انهُ لم يخلُ مكان واقليم من اربعة اطراف المسكونة الَّا وتجد فيهِ كرازة الانجيل وصحَّة الايمان المستقيم بين طوائف مختلفة ولغات متفرّقة . واماَّ اللعين الثلاَّب . عدوّ الخير والثواب . فلم يزل مجتهدًا ومحترسًا على ترعزع ضمائر المؤمنين حتى يطغيهم ويطرحهم من احضان الكنيسة امهم . فنصب لهم شباكهُ وفخاخهُ وزرع في قلوب البعض منهم زوان الحسد والكبرياء والعصيان . حتى ان بعض طوائف الناس انكروا الطاعة للكنيسة الرومانيَّة ولرئيسها ومدبرها الذي هو الحبر الاعظم وراعي الرعاة العام . وجعلوا لهم رؤساء مختلفين مضادّين بعضهم بعضًا حتى انهُ تبارك وتعالى سلَّط عليهم اعداءهم فثبت قول السيد المسيح في انجيلهِ المقدَّس على لسان مار لوقا البشير في الفصل الثاني والخمسين مخاطبًا اليهود قائلًا (١ : اذا رأيتم ابراهيم واسحاق ويعقوب وكل الانبياء في ملكوت الله فها هوذا يكون الاولون آخرين والآخرون اوَّلين . فلمَّا تفرَّقت الطوائف المذكورة من احضان الكنيسة المقدَّسة شاء السيد المسيح ان يدخل عوضهم أُناسًا مختلفي الاجناس والطباع . غريبي الالسن واللغات قاطنين في البراري والجبال ساكنين بعيشة وحشيَّة لا فرق بينهم وبين البهايم معذَّبين ومنقادين بضلالة الشيطان فقومٌ منهم عبدوا الحجارة وطائفة عبدت الوحوش وآخرون عبدوا الاشجار وغيرهم كانوا يقدّمون ذواتهم ذبيحة للشيطان اللعين وكانوا ساكنين في الاقليم الرابع الذي كان مخفيًّا عن الابصار ومستورًا عن الافكار حتى انَّ القديس العظيم معلّم الكنيسة المقدَّسة مار اغسطينوس كان يظنّ انَّ هذا الاقليم هو غير مسكون من البشريين . فسبيلنا ان نبرهن ونبيّن رجوع هذه الطوائف المذكورة الى الايمان الحقيقي واحتضانهم للكنيسة المقدَّسة حتى ان كثيرين منهم بعد دخولهم في الايمان بالمسيح حُسبوا من جملة القديسين . واماَّ هذا الاقليم الذي قصدنا التكلم عنهُ فهو ممتدّ الطول

---

١) متى ٨ : ١١ لا كما جاء خطأً . ولا عجب من تعيينه ٥٢ فصلًا في انجيل القديس لوقا لان تقسيم الفصول كان يختلف مع البلدان والازمنة الى ان انتشر التقسيم الروماني المعروف

والعرض وهو اكبر من الثلاثة اقاليم الأُخرى المعروفة باسيا وافريكا واوروبا طولاً وعرضاً وقد جعلوا لهُ اسماً جديداً وسمُّوهُ ميريكا مساوياً (١ وسوف نتكلَّم عنهُ في مكانهِ ونحرّر سبب كشفهِ وبيانهِ ونرقم كل شيءٍ في حينهِ واوانهِ . ونستعين بالله على الزيادة والنقصان والسهو والنسيان لانَّ ذلك يوجد في كل انسان والحمد لله دائماً الى الابد



سياحة الخوري ايلياس ابن القسيس حنا الموصلي
من عيلة بيت عموده الكلداني

يخبر بهِ عن بلاد الهند المغرب وسبب فتح تلك البلاد من السبنيوليين وايضاً عمّا نظر بعينهِ في مدَّة اثنتي عشرة سنة التي مكث فيها هناك في مملكة ينكي دنيا (٢ وفي بلاد البيروه (٣ وقد استخرج ايضاً من كتب تواريخ المعلمين المثبوتين بعض اخبار وترجمها من السبنيوليَّة الى اللغة العربيَّة (٤ بنظمهِ وترتيبهِ في تاريخ سنة الف وستماية وثمانين المسيح في بلد ليما في البيروه

---

١) بقولهِ ان « اسم امركة مسلوب » يريد ان الاقليم الرابع الذي وصفهُ كان حقُّهُ ان يُسمّى باسم مكتشفه كريستوف كولومب . قال في الصفحة ١٠٢ من هذا الكتاب حيث يذكر تاريخ الاكتشاف : « وكان في رفقة المكتشفين رجل اسمهُ ميريكو (Améric Vespuce) من بلاد ايطالية من مدينة فلورنسة وكان نوتياً في المركب ذا تدبير وعلمٍ وعقل . فشخّص تلك الارض وهندوها على ورقة (خارطة) وعرضها على ملك اسبانية فحينئذٍ سُمِّيت تلك الارض ميريكا . . . وبالحقيقة كان الواجب ان تدعى باسم كولون (كولومب) لانهُ كان المبتدئ والمجتهد في هذا الامر . لكن بعد ما انتشر هذا التكني في افواه الخلائق وشاع على مسامع الناس جميعاً لم يكن ممكناً ان يتغير فبقيت تسمى ميريكا »

٢) ينكي دنيا كلمة تركية معناها العالم الجديد وقد اراد المؤلف بهذا الاسم بلاد المكسيك وضواحيها التي كانت تسمى اسبانية الجديدة ومعلوم ان الثمر المعروف عند الافرنج باسم (nèfles du Japon) يسمّى عندنا ينكي دنيا نسبةً الى اصلهِ الاميركي

٣) البيروه (Pérou) بلاد معروفة في امركة الشمالية

٤) قسم المؤلف رحلته الى قسمين ذكر في الاول سفره من بغداد الى بلاد الفرنج وبلاد امركة وعودته الى اوربة وهذا ما عنينا الان بنشره . وفي الثاني وصف في سبعة عشر فصلاً تاريخ اكتشافها واخبار ملوكها القدماء والفاتحين لها من الاسبانيين متتبعاً الاخبار نقلاً عن التواريخ الاسبانية وسنلخص بالايجاز مجموع اخباره . وقد كتب هذه الاخبار في ليما عاصمة البيرو كما جاء في المتن سنة ١٦٨٠ لكنهُ اعاد فيها النظر وزاد عليها ما جرى لهُ حتى عودته الى اوربة



فاقول انا الحقير في الكهنـة اني في تاريخ سنة الف وستماية وثمانية وستين للسيد المسيح خرجت من مدينة بغداد قاصدًا زيارة قبر المسيح في رفقة الطوبجي باشي المسمَّى ميخائيل آغا (١ ثم انا سرنا في درب القفر . ففي نصف الدرب خرج علينـا لصوص مقدار مائة نفر وصـار بيننا حرب فظفرنا بهم . وكان ذلك نهار عيد القيامة . ونحن كان عددنا اثني عشر نفسًا . لكن بقوَّة آلات الحرب من التفنك (٢ انتصرنا عليهم . ومن هناك اخذنا دربنا وسرنا الى مدينة الشام ومن الشام قصدت القدس الشريف وتشرَّفتُ بزيارة تلك الاماكن المقدَّسة

ثمَّ ذهبتُ الى مدينـة حلب . وبعد ايام انحدرت الى ميناء البحر الذي يسمَّى اسكندرونة فمن هناك ركبت في مركب انكليزي وسرنا قاصدين بلاد اوروبَّة . فجزنا الى جزيرة قبرص وهناك زرت قبر القديس عازار واختـهِ مريم ومرتا (٣ ومن هذه

١) ننقل عن الصكوك والاوراق الخطيـة المحفوظة في مكتبتنا ما نعرفهُ عن هذا الرجل : هو مخائيل كوندوليو (Condoleo) طوبجي باشي او مدير الطوبخانات الشاهانيـة في الشام وحلب وبغداد الخ . ولد في كريت وسكن دمشق الشام وكان يجول في البلدان بامر الحكومة السنيـة ليتفقد احوال الطوبخانات وقد ذكره مرارًا المرسلون في رسائلهم لِما كان عليهِ من الثبات في الدين الكاثوليكي والعيشة المسيحية وكان لهم اعظم نصير بالمساعدة المادية والادبيَّة وكان كثير الثروة واسع الجاه متقد الغيرة . وقد ذكره بالثناء مرارًا الاب يوحنا اميو Amieu رئيس الرسالة اليسوعية سنة ١٦٤٦ وألمح الى اسفاره الى بغداد . وكان لمخائيل آغا اولاد وكلَ بهم الاب هيرونيموس كيرو (Queyrot) المرسل اليسوعي في دمشق الشام ليتلقنوا منهُ التعليم المسيحي والعلوم الادبيَّة ويدرسوا اللغة اليونانية التي كان يلقنها عندئذٍ الاب كيرو المذكور لتلامذته العديدين من الروم الملكيين

٢) التفنك كلمة تركية معناها قصبة ثم جرى استعمالها باللغـة التركية والعربية في حلب وما بين النهرين بمعنى البارودة او البندقية وهذا المعنى دارج في البلاد الداخلية الى الان

٣) يعرف القرَّاء ان مكان قبر مريم المجدليـة ومرتا ولعازر من المشاكل التاريخية التي لا يزال المؤرخون يتباحثون في حلها فالفرنساويون وسكان اقليم پروڤنسة خاصَّةً يذهبون الى انهم عاشوا بعد قيامة المخلص وماتوا في ضواحي مرسيلية ودفنوا على قُلَّة يحجُّ اليها الزوَّار متبركين وهي قلَّة سنت بوم (Sainte-Beaume) امَّا سائر المؤرخين لاسيَّما الحدثين فانهم ينكرون حقيقة هذا الخبر ولا يسلمون بهذه الذخائر . ومن البراهين التي يثق بها الفرنسويُّون تقليد يعزونهُ الى رهبان جزيرة قبرص جاء فيهِ ان مسيحيي الشرق يعتقدون نقلًا عن تقليد قديم انَّ لعـازر ومرتا ومريم دُفنوا في ضواحي مرسيلية وقد ذكر العلماء البولنديون في المجلد الخامس عشر بتاريخ ٢٢ تموز هذا الراي استنـادًا الى رسالة بعث بها الاب يوسف بسّون (Besson) اليسوعي بتـاريخ ١٧ نيسان

الجزيرة رحلنا . وبعد ايام جزنا على جزيرة قريطش التي تسمَّى كريد . ومن هناك وصلنا الى جزيرة زانطية وهي في حكم البنادقة مع جزيرتين أُخريين قريبتين منها تسمَّيان كورفو وسافولونية وهما ايضاً في حكم البندقية التي تسمَّى باللسان التركي واناديك (١ المعروفة في كل الدنيا ومن هناك سرنا

وبعد ايام عبرنا الى ميناء البندقية المذكورة . وكانت عدَّة الأيام التي بقينا فيها على وجه البحر سبعين يوماً من خروجنا من اسكندرونة الى أن دخلنا الى هذا الميناء (٢ ثم اخرجونا من المركب وجعلونا في بيت التطهير الذي يسمَّى نازاريت (٣ باللسان الطلياني فمكثنا هناك واحداً واربعين يوماً كالرسوم . وهذا نازاريت هو خارج عن المدينة وذلك عادة في بلاد النصارى خوفاً من الطاعون . ففي تمام الواحد والاربعين يوماً اتى الحكيم باشي لينظرنا هل بيننا احد مريض . فبعد ذلك اعطونا دستوراً ان نخرج من نازاريت . فخرجنا ودخلنا الى البلدة المذكورة وبقيت هناك عشرين يوماً متنزهاً وزرت كنائسهم والغنى الذي نظرتهُ في كنيسة مار مرقس الانجيلي (٤ هو شيءٌ لا يوصف

ثمَّ من بعد تلك الأيَّام توجهت الى مدينة رومية العظمى وسكنتها ستَّـة اشهر وزرت الاماكن المقدَّسة خصوصاً كنيسة مـار بطرس الرسول الفريدة في المسكونة لحسنها . وبعد ذلك خرجتُ قاصداً بلاد فرنسة فمرّيت على ارض امير يسمَّى كران دوكه

١٦٦٠ الى الاب دي غوردان رئيس اليسوعيين في إس (Aix-en-Provence) لكننا نرى رحَّالتنا يذهب مذهباً آخر يتناقلهُ اليوم اهل قبرص الروم وهم يكرّمون قبر القديس لعـازر في كنيستهم الكبرى . والله اعلم بالصواب

١) واناديك اسم البندقيَّة او ڤينيسية باللغة التركيَّة

٢ كانت السفن في القرن السابع عشر تقطع راساً المسافة بين اسا كل سوريَّة والبندقيَّة بثلاثين يوماً وقد كانوا يبلغونها بخمسة عشر او عشرين يوماً اذا ساعدتهم الريح لكن العواصف والحاجة الى الوقوف في موانئ جزائر البحر المتوسط كثيراً ما كانت تؤخر وصولهم الى شهرين او اكثر

٣ نازاريت بالطلياني (Lazaretto) والفرنساوي (Lazaret) المكان الذي فيهِ يقضي القادمون من البـلاد الموبوءة حجرهم الصحّي مدَّة اربعين يوماً والكلمة مشتقَّـة من اسم لعازر (Lazare) وبهِ سمّيت في الاجيـال المتوسطة مآوي المصابين بالبرص فيكون معناها الاصلي مستشفى البرص (Léproserie) وكان هذا المستشفى خارج البندقيَّة يُدعى سانت ماري دي نزارت (Ste Marie de Nazareth) ولهذا سماهُ المؤلف نازاريت لا لازاريت

٤ هي الكنيسة الكاتدرائية الشهيرة في البندقيَّة

توسكانا (١ وهو يسكن بلد فلورنسة · وهذا الامير هو غني جدًّا ذو مال وخزائن · ومن فلورنسة انحدرت الى ميناء البحر الى بلدة تسمَّى ليغورنة من حكم هذا الامير المذكور· وبعد ايَّام قليلة سافرت الى بلدة جينوا ميناء البحر وهي تحت حكم امير يحكم على ذاتهِ · وهذا البلد شريف بالعمارات غني بالاموال

٢ سياحته في فرنسة

ومن هناك ايضاً سافرت في البحر فوصلت الى ميناء بلد مرسيلية من حكم فرنسة ثمَّ خرجنا الى الارض ومشينا الى مدينة اوينيون التي هي تحت حكم سيدنا البابا (٢ وهذه البلدة هي في فرنسة لكن ملوك فرنسة القدماء كانوا اهدوهـا مع بعض قرى الى كنيسة مار بطرس· ومن هنـاك ركبنا في سفينة على النهر والخيل كانت تسحب السفينة ضدَّ جريان المـاء · فوصلنا الى بلد ليون وهذا البلد من اعظم بلاد فرنسة من بعد مدينة باريس بلد ملك فرنسة

ثمَّ اني اجتمعتُ هناك مع رجل قديس يسمَّى موسيو بيكيت (٣ فهذا الرجل

---

١) وبالفرنسية (Le Grand Duc de Toscane) وكان اسمهُ اذ ذاك الدوك فردينان الثـاني (١٦٢١–١٦٩٠) وكان لامراء توسكانا قنـاصل في حلب والاساكل في ذلك العهد

٢) مدينة اڤينيون وما حولها من القرى اشتراها البابا اكليمنضس السادس من حنة ملكة صقليَّة وكونتس پروڤنسة سنة ١٣٤٨ واقام فيها الاحبار الرومانيون من سنة ١٣٠٩ قبل مشتراها الى سنة ١٣٧٧ ولبثت بعد ذلك تحت حكم الاحبار الرومانيين يدبر شؤونها باسمهم نائب رسولي الى زمن الثورة الافرنسيَّة فاغتصبها الثائرون سنة ١٧٨٩ وتملكوا عليها

٣) فرنسوا پيكيت او پيكه (François Picquet) ولد في ليون ١٢ نيسان ١٦٢٦ وجعل قنصلًا لدولة فرنسة وهولندة في حلب سنة ١٦٥٢ حيث عاش عيشة تقويَّة مثال الفضيلة والغيرة وخدم الدين والدولة احسن خدمة واشتهر بمساعدتهِ للكاثوليكيين نخصّ بالذكر ما صنعـهُ لاقامة اندراوس بطريركًا كاثوليكيًا على السريان . وقد اجمع المرسلون والشعب على حبـهِ واكرامهِ لما ازدان بهِ من السجايا. وفي سنة ١٦٦٢ عاد الى بلاده فاقام فيها ثماني سنوات ثم سيم اسقفـاً على سزاربوليس (Césarople) ثم على بابل ونائباً رسوليًّا على العجم واختارهُ لويس الرابع عشر سفيرًا لهُ لدى جلالة شاه العجم فعـاد الى سوريَّة ومنها ذهب الى العجم حيث خدم الكنيسة والشرق المسيحي خدمـة مشكورة . توفاه الله في مدينة همذان من اعمـال العجم في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥ (اطلب حياتهُ باللغـة الافرنسيَّة Vie de Messire F. Picquet par Mgr. d'Antelmy évêque de Grasse) اطلب ايضاً كتابنا الافرنسي المعنون (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, t. I. chez A. Picard et fils à Paris, Luzac et Co. à Londres et Harrassowitz à Leipzig.) صفحة ٩٦ و١٠٣ و١٠٤ الخ)

الشريف كان سابقاً قنصلاً في حلب وبعد رجوعهِ من حلب ارتسم اسقفاً على مدينة بغداد وكانت وفاتهُ في العجم في بلد امادان (١. وما لنا زمان لنتكلّم عن فضائلهِ وحسن سيرتهِ. ثم بعد ايّامٍ خرجتُ من ليون وسرت الى مدينة باريس تخت ملك فرنسة فدخلتها ورحتُ زرت الملك المنصور لويس فاكرمني ثم اني زرت اخاهُ امير اورليانوس (Duc d'Orléans) واهديته سيفاً وقدّست لهُ في الكنيسة التي في سرايتهِ. فاكرمني زائد الاكرام. ثم رحت زرت اميرًا يسمّى سانتنيان (S^t Aignan) ودفعت لهُ مكتوبًا كان اعطاني اياه عمهُ البادري حنّا الراهب الكبوجي (٢ الصالح الذكر الذي كان رئيساً في حلب فعمل لي عزًّا واكرامًا جزيلاً لاجل وصيّة عمهِ البادري المذكور

ثم اني نزلت في المكان وبقيت اتنزّه في هذه البلدة العظيمة التي لا مثيل لها في كل الدنيا بحسنها وعدالة حكمها واستقامة شرعها وزيادة محبّة اهاليها للغرباء. وقد نظرت امرًا يستوجب الذكر والمدح لفعلهم هذه الخيرات والاحسان وذلك عدّة نساء عددهنَّ سبع عشرة امرأة من الاشراف بعضهنَّ عذارى وبعضهنَّ ارامل. اما العذارى فقد تزهدنَ عن الدنيا وتركنَ كل نقدهنَّ في الشركة المباركة وتسمّى هذه الشركة باللسان الفرنساوي شاريته (charité) (٣ اعني مجمع الخيرات. هذا قد اسّسوهُ من القديم. وايضاً الارامل قد تركنَ مقتناهنَّ في هذه الشركة. وجميع هذه الاموال التي قد اوقفنها الى هذا المجمع هي مؤمَّنة عند اناس الربح (٤ وفي كل سنة تربح مليونين اي عشرين كرّة من المال. ثم تجتمع هؤلاء النساء المباركات في الجمعة مرّة ويقسمنَ هذه

---

١) يريد همذان من حواضر العجم

٢) هو الاب يوحنّا دي سنت اينيان (Jean-Baptiste de S^t-Aignan) الكبوشي كان مرسلاً تقيًّا وغيورًا خدم الكنيسة في رسالة حلب والموصل سنين طويلة باجتهاد لا يعرف الملل وكتب معاريض لا تزال محفوظة في مكاتب باريس وقد استنسخنا بعضها. ومن معاصريهِ الكبوشيين الغيورين الاب سلفستروس دي سانت اينيان ونظنهُ اخاه. وقد وجدنا توقيعهما مرارًا في الرسائل المقدَّمة للكرسي الرسولي وللوزارة الافرنسيَّة مع توقيع الاب نقولا بوارسون Poirresson رئيس اليسوعيين ومع رؤساء الكرمليين الاب يوحنّا بطرس والاب يوسف ملاك

٣) هي جمعيَّة راهبات المحبَّة التي اسَّسها القديس منصور دي بول فانتشرت في كل انحاء المسكونة معطرة الغرب والشرق بعرف فضائلها وخدمتها للمساكين

٤) يريد المصارف

الدراهم المذكورة على الفقراء والمحتاجين وعلى الكنائس والاديرة وايضاً على المرضى والغرباء وعلى الذين يكرزون بايمان المسيح في بلاد الشرق · وايضاً ينقدن لبعض بنات فقراء ويزوّجنهنّ من هذه الصدقة · ونظرت اشياء كثيرة واجبة للمدح والوصف في هذه المدينة العظيمة

ثمّ وفيما انا هناك والّا اقبل قاصد من عند السلطان محمّد خان الى الملك لويس وهذا القاصد يسمّى باللسان التركي والفارسي ايلجي (١ فانا رحت زرت هذا الايلجي عدّة مرار لاجل اللسان التركي ثم طلب مني ان ابقى في باريس ولا اروح فبقيت ثمانية اشهر

٣ اسبانية وايطالية

ثمّ بعده خرجت من هناك قاصداً بلاد اسبانية فجزت على بلد عظيم يسمّى اورليانوس (Orléans) ومن هناك رحت الى مدينة تسمّى بوزراس (٢ ومن هناك الى مدينة بواتيه ومنها الى مدينة تسمّى بورديوس (Bordeaux) التي هي على شاطئ نهر كبير· وقد قطع الملك لويس المذكور الجبال وخلط البحرين في بعضها واصبحت المراكب تسير بسهولة في هذا النهر المذكور من بحر الاوقيانوس الى بحرين ارضيين (٣

ومن هناك سافرت الى اسبانية وجزت على بلاد وقرى لا تحصى حتى بعد اثني عشر يوماً انتهيت الى نهر وهذا النهر هو الحدّ بين حكم فرنسة واسبانية وهناك قلعة تسمّى سان جوان دي لوا (S^t Jean de Lux) من حكم فرنسة

---

١) هذا السفير العثماني هو سليمان آغا سفير السلطان الاعظم محمد الرابع وصل الى طولون في ٤ آب سنة ١٦٦٩ حاملاً رسائل جلالة السلطان الاعظم الى الملك لويس الرابع عشر فسار في موكب عظيم الى باريس وقابل المسيو دي ليون وزير الملك ثم حظي بمقابلة الملك في حفلة عظيمة · وبقي في باريس · مدّة كان فيها المسيو دارڤيه (d'Arvieux) رفيقاً له · اطلب Vandal : Mis de Nointel p. 24 et Mémoires d'Arvieux t. IV

٢) لا نعرف مدينة اسمها بونراس بين بوردو وبواتيه ان لم يكن تصحيف تور (Tours) او امبواز (Amboise) او بلوا (Blois) فهذه المدن الثلاث على شاطئ نهر اللوار على طريق سائحنا من بوردو الى بواتيه

٣) يشير الى الاشغال التي أنجزت بامر لويس الرابع عشر ليسهل على السفن العبور في نهر الجيروند (Gironde) وقد جمع بين ذراعي النهر الممتدّين حول الارض المسماة « ما بين البحرين » « Entre-deux-mers »

ثم جزنا النهر ووصلنا الى قلعة من حكم اسبانية تسمَّى فونته اربيا (Fuenterabia) وجانبها بلدة صغيرة تسمى ايرون (Irun) ومن هنـاك قصدت بلدة تسمَّى سان سبسطيان وهي ميناء في البحر الغربي ومن هناك سافرت في الارض الى مدريد تحت ملك اسبانيـة وعبرت على بلدة تسمَّى بوركوس (Burgos) ونظرت هناك ديرًا لرهبان مار اوغسطينوس وكان في كنيستهم مذبح فيهِ صلبوت السيد المسيح الذي يسمى في اللسـان السبنيولي كريستو ده بوركوس (Cristo de Burgos) (١ ويظهر منهُ عجائب كثيرة وايضًا نظرت هنـاك في دير الراهبات قبر ملك سيس الارمني (٢ الذي كان يسمى اوانيسي تاكا (?) وكتابة قبرهِ باللسان الارمني · ثمَّ من هناك سافرت وجزنا على مدن وقرى لا تحصى حتى اني وصلت الى مدريد تحت الملك ففي ذلك الحـين كانت تحكم الملكة امرأة الملك (٣ فيلييه الرابع لانهُ كان قد توفي الملك وخلف ابنًا صغيرًا يسمَّى كارلوا الثاني · ثم اني قدَّمت لها مكاتيب البابا اكلمندوس التاسع فأمرتْ ان يعطوني الف غرش (٤ من حاكم سيسيلية والف غرش من حاكم نابولي ثم اني اخرجت من يدها امرًا على تحصيل الدراهم

فخرجت من مدريد قاصدًا ارض ايطالية · فدخلت الى كورة اراكون (Aragon) ووصلت الى بلدة تسمَّى سراكوزا (Saragosse) حيث يتوَّج ملوك اسبانية ويشرطون على انفسهم حفظ القوانين الواجبة للحكم المحدود مثل السابق القديم · حينئذٍ نظرت هناك اخا الملك يسمى دون خوان ده اوستريا · وهو اخ طبيعي لهذا الملك ثم زرتهُ فاكرمني · ومن هناك سافرت قاصدًا البحر · فوصلت الى مدينـة تسمى برساونا (Barcelone) وهي من كورة كاتالونية (Catalogne) وهي ميناء البحر الشرقي فسافرت منهـا في البحر مع جكتريات (٥ ملك اسبانية وبعد يومين عبرنا الى ميناء

---

١) هو الصليب المنسوب الى القديس نيقوديموس ويكرم في اسبانية من عهد قديم

٢) لا نعرف عن هذا الملك شيئًا

٣) هي مريم حنَّة النمساويَّة (Marie - Anne d'Autriche) امرأة فيلبس الرابع المتوفى سنة ١٦٦٥ وكان لكارلوس الثاني ابنهِ اربع سنوات فقط فاقيمت امهُ على ادارة المملكة لكن جوان (Juan d'Autriche) اغتصبها الادارة مدَّة ولمَّا مات عادت المملكة الى الحكم الى ان بلغ كارلوس اشدَّه

٤) كان الغرش عندئذٍ يعادل الدينار (écu) قيمةً

٥) جكتريه او بالحري جكدريه كلمة تركية معناها السفن

يسمى كاتا كيس (Cadaquès) حيث يخرج المرجان · وبقينا هناك خمسة وعشرين يوماً بسبب العواصف الكائنة في البحر في الكولفو ده ليون (Golfe du Lion) لانَّ المجاز من هناك خطر عظيم

ثم بعد زمان نهار الاحد قدَّسنا وأقلعنا وفتحنا الشراع وسافرنا · فبعد يوم وليلة جزنا ميناء طولون من حكم فرنسة ومن هناك سافرت الى رومية فنظرت ابن اخي الشمَّاس يونان (١ قد ختم قراءَتهُ في المدرسة وهو قاصد ان يخرج من رومية ويرجع الى البلاد بعد ان جهزهُ المجمع المقدَّس من كتب واشياء أُخر لازمة · ومن هناك وصلت الى نابولي وقدَّمت امر الملكة الى وزيرها الذي كان يحكم هناك الذي يقال لهُ وي الري (٢ فقرأَه وجاوبني قائلًا : اذهب الى سيسيلية وحصل الالف غرش فسافرت الى جزيرة سيسيلية ودخلت مدينة تسمى باليرمو (Palerme) حيث وزير الملكة الحاكم الذي يقال لهُ ايضاً وي الري · فعرضت عليهِ الامر ان يعطيني الالف غرش فوعدني انهُ يعطيني ايَّاها · وبعد شهرين قال لي : لا اقدر اعطيك · ثم اني ارسلت من هناك الشماس يونان ابن اخي الى حلب · وانا لمَّا نظرت ان ليس لي رجاء من هذا القاسي القلب ان يعطيني الالف غرش بعد تعب القلب الذي حصل لي في سفرتي رجعتُ الى نابولي لاحصل الالف غرش الاخرى من الوزير الاوَّل مثل ما كان وعدني فهذا ايضاً جاوبني قائلًا ما اعطى حاكم سيسيلية الالف غرش ولا انا اعطي شيئاً ولا عندي دراهم

ثم اني رجعت مرَّة أُخرى الى اسبانية خائب الرجاء حتى ارجّع الامر الى الملكة فرجعت الى رومية ومنها الى ميناء ليغورنة وركبت في البحر ووصلت الى مدينة برسلونة المذكورة · ومنها جئت الى سراكوزا ورأيت هناك اخا الملك المذكور فاخبرتهُ بما جرى لي من الاتعاب والخسائر لاني صرفت اربعمائة غرش في الرواح والمجيء · فشقَّ ذلك عليهِ وكان صحبتي واحد رومي من اولاد حلب يخدمني اسمهُ يوسف القتَّال · ثم اني رجعت الى مدريد وعرضت حالي على الملكة فصعب عليها ذلك بسبب عدم قبول امرها ثم بعد اني ارجعت لها امرها خرجت من مدريد قاصداً بلاد البرتكال · وفي ذلك الزمان كان ملكهم موجوداً في جزيرة تسمى ايزلا ترسيرا (Isola Terceira) وكان

---

١) لا نعرف شيئاً عن هذا الشماس ونظنهُ درس في مدرسة البروباغندة

٢) وبالاسبانيَّة (Vey El Rey) اي نائب الملك (Vice-Roi)

هناك مسجونًا . وفعلوا بهِ ذلك لقلَّة عقلهِ وعدم نسلهِ وبعد ان ثبتت معهُ امرأتهُ ثلاث سنين واما هذه الشقيَّة فكانت فرنساويَّة وزوجها الاوَّل كان يسمى الملك دون الونصو (Alphonse VI) ولكن هذا زوجها الثاني كان يسمى دون بيدروا Don Pedro فمع انهُ جلس في مكانهِ لكن لم يسمُّوهُ ملكًا لكن اميرًا بسبب ان اخاه كان باقي في الحياة . وبعد ان تزوَّجها رُزق بنتًا . ثم اني ذهبت الى عند هذا الامير وتكلَّمت معهُ وبقيت في هذا البلد سبعة اشهر وزرت جميع كنائسها وديورتها واما سكَّان هذه البلدة فمنهم أُناس اجواد كرماء وكاثوليكيُّو الايمان . وايضًا يوجد هناك نصارى جدد وهم من ملَّة اليهود المتنصرين وهم معلومون عند الكل وما يتزوَّجون من النصارى القدماء والبعض منهم بالحقيقة ناكرو دين المسيح . فلمَّا يتحقَّقون امرهم انهم كذلك يحكم عليهم ديوان الايمان بالحريق . واما هذه المدينة ليزبونا (Lisbonne) فهي ميناء البحر . ومنها تسافر المراكب الى هند الشرق الى بلاد كووا التي من حكم البرتكال

٤ اهبة السفر الى امركة

وبعد ان بقيت هناك سبعة اشهر رجعت الى بلدة مدريد المذكورة وسكنت في دار امير يسمى الدوكه ده اوبرو . وصار لي من هذا الرجل ومن بقيَّة الاصحاب اكرام زائد واحدى السيدات تسمى ميركيزا ده لوزوبلاس التي ربَّت الملك عملت لي اكرامًا عظيمًا وطلبت من الملك دستورًا ان اقدّس لهُ فكان معي شماس روميوكنت علَّمتهُ يخدم قدَّاسي . فدخلت كنيسة الملك وقدَّست امامهُ وامام والدته ثم بعد ذلك امرت الملكة مربيةَ الملك ان تسألني اي شيءٍ اطلب حتى تهبني . فاخذت منها مهلة ورحت شاورت بعض الاصحاب فأشاروا عليَّ ان اطلب اجازةً وامرًا قاطعًا حتى اتوجه الى بلاد هند الغرب (١ فصعب عليَّ هذا الامر لكن جعلت الحملة على الله واتكلت عليهِ وطلبت الامر . لانهُ لا يقدر غريب ان يجوز الى بلاد الهند ان لم يكن معهُ امر من الملك . وكان في ذلك الزمان النونسيو الذي هو رسول البابا في مدريد يسمى الكردينال ماريسكوتي . وهذا المبارك ساعدني بنصائح

---

١) كانوا يسمون بلاد امركة الهند الغربية ليفرقوها عن الهند الشرقيَّة

ثم اني اخرجت الامر من الملكة ففرح بعض الاصدقاء لهذه النعمة التي انعمت بها عليَّ . فاما الامير الذي كنت نازلًا عندهُ في الدار فجهزني بكل ما اعتازهُ في السفر واعطاني مكاتيب وصيَّة الى بعض اصدقائه والامر الذي اخرجتهُ من الملكة كان وصيتها عليَّ الى الوزير والى المطارنة والاساقفة والحكّام في كل بلاد الهند على مساعدتي . ثم اني تقوَّيت بالربّ واعتصمت باسم والدتهِ مريم العذراء وخرجت من مدريد قاصدًا مدينة قادس (Cadix) التي هي ميناء على البحر المحيط . فمن بعد سفر اثني عشر يومًا في البرّ دخلت اليها فرأَيت مراكب الهند مهيئة ومستعدَّة للسفر . وفي هذه الاسكلة يقام ديوان مدبري المملكة فقدَّمت امر الملكة فسجّلوهُ لي واعطوني امرًا ثانيًا بموجبهِ

ولمَّا كان اليوم الثاني عشر من شهر شباط سنة الف وستماية وخمس وسبعين من المسيح قدّمت امري مع المكاتيب الى جنيرال الغلايين (١ دون نيقلاوس ده كوردووا . فحبَّني واستقبلني بكرامة عظيمة واعطاني كامره اي اوضة في مركبهِ فادخلت حوائجي في الاوضة وقفلت الباب . وهذا الغليون هو الرئيس على سائر الغلايين . وقد اخذت معي من قادس شماسًا من طائفة الروم مولودًا في اتينس لاني ما وجدت احدًا من ملَّتي ومن اولاد بلادي . فصار عندي ندم عظيم بسبب اني كنت سرَّحت ابن اخي الشماس يونان الى بلاد الشرق . ولكن ما عادت الندامة تفيد فنصحني البعض من الاصحاب قائلين لي ان هذا الرومي عند وصولك الى بلاد الهند سوف يتمرَّد عليك ويخرج من عندك . فعند وصولي جرى لي كقولهم

ثم اننا في ذلك اليوم المذكور قلعنا ونصبنا الاقلاع وسرحنا . وكان عدد الغلايين ستَّة عشر غليونًا . فتودَّعوا من الاسكلة بضرب المدافع ودقّ الابواق ونصبوا الاعلام والرايات

٥ السفر الى امركة الجنوبية

سافرنا وكان المسافرون قوم منهم في فرح واناس في حزن على فرقة اهاليهم . وهذه رفقة المراكب تسافر كل ثلاث سنين مرة واحدة الى بلاد الهند التي تسمى البيروه والتي تبعد الف وخمسمائة فرسخ داخل بلاد ينكي دنيا لكي يحضروا من هناك

---

١) جمع غليون اي السفن (Galion)

خزنة الملك . وايضاً التجار يوسقون الغلايين من كل اجناس البضايع ويبيعونها في تلك البلاد ولا يدعون انساناً غريباً عن الجنس السبنيولي يرافقهم لا تاجراً ولا كاهناً ان لم يكن معهُ امر من الملك مثلما ذكرنا سابقاً . وهذه هي الى اليوم قوانين ونواميس موضوعة من ايام كارلس الخامس من ملوك اسبانية وبلاد المجر حيث على عهدهِ فتحوا بلاد الهند . وهذه الغلايين تعود بالغنايم الفضة والذهب بقيمة عشرين او خمسة وعشرين مليوناً وكل مليون قدرهُ عشر كرات . وبعد خروجنا من قادس بثلاثة ايام حدث اضطراب عظيم في البحر ودام ذلك علينا ثلاث ساعات فكان برفقتنا رجل شريف يسمى دون نيقلاوس انيفانته وكيل الملك فمن كثرة الخوف الذى دخل عليهِ مات في تلك الليلة . فربطوا برجليهِ جرار مملوءة ماء وحدفوهُ بالبحر لكي يغطس الى اسفل ولا يعوم على وجه الماء وتاكلهُ الحيتان . فلما حدفوهُ ضربوا لهُ ثلاثة مدافع وهذا المذكور كان ذاهباً مقدم ديوان كيتو (Quito) (١ ومن بعد ثلاثة ايام اشرفنا على جزيرة اسمها كنارياس Canaries (٢ من حكم اسبانية ولا زلنا مسافرين والارياح تلعب بنا ونحن في نصف الدرب فصادفنا مركباً انكليزيًّا موسوقاً من العبيد السود عددهم سبعمائة نفس قد جاءوا بهم من بلاد برازيل (Brésil) من حكم البورتكال حتى يبيعوهم في بعض جزائر الهند

٦ الوصول الى امركة

وفي اليوم الرابع (٣ كشفنا على ارض من اراضي الهند ووصلنا الى مكان اي ناحية في البحر . فتأمل النواخذة (٤ في الماء . فلما نظروا لونها متغيراً علموا انها ماء النهر وعرفوا في اي مكان وصلوا لانهُ ينحدر من تلك الارض نهر كبير واسع مقدار اربعين فرسخاً ولانحدارهِ وعزم قوته الشديدة يشق البحر ويجوز فيهِ نحو اربعين فرسخاً . ثم

---

١) عاصمة بلاد الاكواتور او خط الاستواء

٢) هي الجزائر الخالدات غربي افريقية الشمالية قبال بلاد مراكش

٣) اليوم الرابع بعد التقائهم بالمركب الانكليزي ولعله تصحيف اليوم الرابع والاربعين بعد سفرهم من قادس

٤) نواخذة كلمة فارسية مفردها ناخذاة ومعناها ملّاك السفينة او رئيسها

الى هذا الحد تتخلط ماءهُ في البحر ولا يوجد مثلهُ نهر في الدنيا (١ ثم من هناك كشفنا على ارض تسمى كراكس (Caracas) (٢ ومن هناك جزنا في جزيرة تسمى مركاريتا (Marguerite) (٣ من حكم اسبانية · وذكروا لنا عن الجزيرة انها من مدة عشرين سنة كان الغطاسون يغطسون في هذا البحر قرب الجزيرة وكانوا يخرجون صفد اللؤلؤ البليغ في الكبر والشريف باللون · فذات يوم بينما كانوا يستخرجونهُ نذروا على انفسهم ان اول شيء يخرجونهُ في ذلك النهار من اللؤلؤ يدفعونهُ الى كنيسة العذراء فلما نظروا انهم اخرجوا لؤلؤاً كبيراً غالي الثمن ندموا بذاتهم وقالوا ان غداً يكون على اسم العذراء وايضاً غطسوا ثاني يوم واخرجوا اللؤلؤ فوجدوهُ احسن وابلغ من الاول · فطمعوا كذلك وقالوا نهار غدٍ نفي نذرنا الى العذراء · ثم في اليوم الرابع انحدر الغطاسون كعادتهم ليخرجوا اللؤلؤ فما وجدوا شيئاً ابداً والى يومنا هذا ما بقيوا يجدون لؤلؤاً في ذلك البحر

٧ السير حذاء شطوط فنيزويلا

فنرجع الى قولنا · فمن هناك سافرنا ووصلنا الى ميناء يسمى كومانا (Cumana) من حكم اسبانية · فمن هذا الميناء يقدرون ان يمشوا في البر الى كل بلاد البيروه · لكن المانع هو خوفهم من الجنود الجلالية (٤ ومن الجبال العالية والانهر والاحراش والوحوش الضارية فلاجل ذلك يسافرون في البحر · فرسينا في ذلك الميناء واكتفينا من الفواكه والهدايا التي اهداها لنا حاكم البلد · ومن بعد يومين سافرنا من تلك الاسكلة وجزنا على جزيرة تسمى كوراصون (Curaçao) وهي من حكم الاولنديفر (الهولنديين)

---

١) هو نهر الاورينوك (Orénoque) العظيم في شمالي امركة الجنوبية لكنه ليس باعظم من نهر الامازون

٢) كاراكاس عاصمة بلاد الفنيزويلا (Vénézuéla)

٣) مرغريتا جزيرة صغيرة من جزائر الانتيل الصغيرة (Petites Antilles) تجاه كاراكاس وهي شهيرة بصيد اللؤلؤ ولما حل المكتشفون في ضواحيها في اواخر سنة ١٤٩٩ اشتروا من سكانها اللؤلؤ بالكيل مقايضين عليهِ بابرٍ ودبابيس وقد سمي جوارها خليج اللؤلو (Las Perlas)

٤) الجلاليه لعلّها كلمة (Guérillas) ومعناها العصائب التي تقاتل قتالاً غير قانوني

ثم ان حاكم هذه الجزيرة ايضاً ارسل لنا شختوراً ملآن فواكه وبوزه لاجل المشروب وضرب لنا من القلعة سبعة مدافع ونحن ايضاً ردّينا عليهم السلام بسبعة مدافع · ومن هناك سرنا وجزنا على جزيرة تسمى ترتوكا (Tortuga) وهذه الجزيرة غير مسكونة لان فيها زلاحف كبيرة ازيد من ذراعين طولاً وعرضاً · والمراكب تروح وتتصيد من هذه الزلاحف وتملّحها لاجل زوادة (١ · وفي هذه الجزيرة وجدنا مركباً صغيراً فرنساوياً · وكان في ذلك الزمان حرب بين اسبانية وفرنسة ونحن كنا سبعة عشر غليوناً · ولما رأى الفرنساوية اننا احطنا بهم هربوا للبر في الجزيرة وتركوا المركب فارغاً فاخذت مراكبنا المركب فرأيناهُ موسوقاً زلاحف مملحة · واما الناس الذين هربوا وخلّوا المركب كان لهم مركب آخر في جانب آخر من الجزيرة نحو تسعة اميال فراحوا واجتمعوا بذلك المركب فمن بعد شهرين حصنوا لهم مركباً بعدة من الرجال والآلات الحربية لينتقموا من اعدائهم

٨ وصف قرطجنة

ومن هناك سافرنا الى بلدة تسمى كرتاخينا (قرطجنة الجديدة Cartagène) (٢ وكان السفر الذي سافرناهُ سعيداً لاننا بخمسة وخمسين يوماً دخلنا الى هذه الأسكلة حيث ترسي الغلايين · وكان وصولنا الى هذه البلدة يوم مبارك وهو يوم خميس الفصح المقدس · ثم خرجنا ثاني يوم للبر نهار جمعة الآلام واسترحنا من اتعابنا · وايضاً تشرفنا بالزياحات المقامة يومئذٍ لآلام المسيح · وفي هذه البلدة قوم اكابر اغنياء جداً وديوان

---

١) سميت هكذا لوفرة الزلاحف التي كانت تغطي ارضها عند ما بلغها المكتشفون سنة ١٥٠٣

٢) قرطجنة بلدة عظيمة بسكانها وتجارتها لانها تعتبر مرفا امركة الجنوبية اليها تاتي السفن التجارية ومنها تقلع محملة كنوزاً وبضائع · وقد كانت عندئذٍ سوقاً عاماً للرق ياتي النخاسون بالعبيد المساكين من الكونغو والفويان وغيرها من بلاد افريقية فيبيعونهم بيع المواشي ولذلك سعى المرسلون ان يخففوا آلام العبيد ويفكوا قيودهم ما استطاعوا وينيروا عقولهم بنور الانجيل ليكون صليب المسيح عزاء لهم ورجاء في حالتهم التعيسة . وقد اشتهر بين ذوي الغيرة المسيحية على هؤلاء المنكودي الحظ القديس العظيم بطرس كلافر اليسوعي الذي قضى نحواً من نصف قرن بخدمة العبيد في قرطجنة فكان لهم اباً حنوناً اكتسب منهم الى المسيح عدداً لا يحصى وقد عمد بيده ثلاثمائة الف ونيف ومات سنة ١٦٥٤

من ديوانات الملك وكنائس وقسوس وديورة رهبان وراهبات . وسكان هذه البلدة كاثوليكيون محبو الغرباء وهم اسبنيوليون حقيقيون وكان حاكم هذه البلدة رفيقنا في المراكب وقد عمل لي عزاً عظيماً واكراماً جزيلاً . فرسينا في هذه البلدة اربعين يوماً حتى جاءت الكاتيب مع الاولاق (١ من بلدة ليما التي هي تحت لوزير الملك وللتجار الاغنياء الذين من البيروه فخرجنا من هذه الاسكلة وسافرنا الى اسكلة تسمى بورتو بلّو (٢ وفي هذه الاسكلة يصير البيع والشراء لما يرجع تجار البيروه من البحر القبلي . فبقينا نستناهم نحو شهرين حتى وصلوا الى عندنا واحضروا معهم من الفضة والذهب خمسة وعشرين لكّا (٣ وصار البيع والشراء بين التجار والهنود وبين التجار السبنيولية اربعين يوماً . ففي ذلك الحين جاء المركب الفرنساوي السابق ذكرهُ وقنصر (٤ . وفي ليلة من الليالي طفّ على الشختورات الاسبنيولية واخذ المال الذي كان فيها وكانت عدة المال مايتين الف غرش . فالصبح لما سمع اصحاب مراكب الحرب خرجوا وراءهم فما صادفوهم . فراحت على من راحت وراح الصيادون الفرنساوية المذكورون وهم يزمّرون ويدقون بالدفوف . ويوجد في هذه الاسكلة التي تسمى بورتو بلّو شيء من جنس الدبابات اصغر من البرغوث ويُسمى في اللسان الهندي بنكشوا (٥ . فهذه الدبيبة اذا تغافل عنها الانسان تجوز في جسدهِ ومن بعد اربعة او خمسة ايام تكبر وتصير قدر الحمصة فيلتزمون ان يكشفوا بصنعة ويخرجوها بابرة من غير

---

١) اولاق كلمة تركية معناها السعاة

٢) بورتو بلّو وقد كتبها سائحنا مرارًا بورتو ويلو على اللفظ السبنيولي (Porto Belo) وتسمى ايضا (St. Philippe de Porto Belo) بلدة صغيرة على برزخ باناما بالقرب من نهر شاغر (Chagre) وهناك يهتمون الان بثقب ترعة باناما لتمر السفن من بحر الى بحر

٣) اللك كناية عن عشرة ملايين

٤) قنصر هي كلمة (ancrer) اي ارسى وردت في رسائل بعض معاصري السائح

٥) نظنه يريد الدبيبة المعروفة عند علماء الطبيعيات باسم (Sarcopsylla penetrans) فان وصفها عندهم يطابق ما جاء بهِ الكاتب (اطلب Traité de Parasitologie du Dr. Moniez p. 612) . وقد وصف دون دولوا (Dom d'Ulloa) مرضاً جلدياً شبيهاً سماه الحية الصغيرة (Culebrilla) يصيب سكان باناما قال انه دملة تداوى بالشق باخراج الجلد البالي فتيلاً يشابه الحية وزاد ان سكّان قرطجنة وبورتو بلو يذهبون انهُ بالحقيقة حية او دبيبة صغيرة . وقد ثبت الان انه دبيبة تعرف باسم (Filaria Medinensis) (ibid. p 319)

ان يفقئوها ويحطونها على بصة نار فتطقّ مثل الفرقوعة . واذا ما اخرجوها بصنعة وفقئوها فتقع ميتة على لحم الانسان فيتورَّم ويفقع ويموت ذلك الانسان . وايضاً في ذلك البلد يحصل خُفّاش الليل كبير يجي الى الانسان وهو نائم ويبدأ يفصده ويمص دمهُ ويستفرغهُ وبجناحهِ يهوي على ذلك الانسان ليطيب لهُ النوم . ولا يزال يفصد ويتقيأ الدم الى ان يفيق الانسان نصف غشيان من كثرة الدم الذي خرج منهُ (١ وقاسينا في تلك البلدة من الحر والمطر مدة اربعين يوماً والتجار يبيعون بضائعهم . فلمَّا ادخلوا خزينة الملك الى هذه الاسكلة ارسلني الجنرال حتى اتفرَّج عليها فرأيت شيئاً لا يحصى من الفضة والذهب

٩ تجارة باناما

ومن بعد ذلك قصدتُ ان اركب سفينة واتوجه الى بلاد صانتافه (٢ التي يخرجون منها هناك حجارة الزمرد لان من بلد كرتاخينا (قرطجنة Cartagène) يسافرون في النهر وهم صاعدون الى هذه الارض المذكورة معادن الزمرد . لكن جنرال الغلايين نصحني ومنعني عن ذلك قائلاً انَّ في تلك الارض يوجد بعض حيات مسمومة تقتل الناس وايضاً المسافة بعيدة فانا اشور عليك بالمحبة الالهية ان لا تروح وتضيع وتموت في تلك البلاد . ثم اني طاوعت شوره وقصرتُ عن الرواح . ثم من بعد اربعين يوماً طلعنا من بلد كرتاخينا وسافرنا صحبة الغلايين . ومن بعد عشرين يوماً وصلنا الى ميناء يسمى سان فيلبه ده بورتو بلو . فلما وصلنا الى هناك ورسينا في هذا الميناء مستنظرين المراكب التي تجي من بلاد البيروه في البحر القبلي الذي يسمى مارسوريچوا الى اسكلة تسمى باناما وفيها حاكم رئيس عسكر واسقف وديورة رهبان وراهبات . وهذه البلدة لطينة جداً . ومن هذه الاسكلة المذكورة الى اسكلة بورتو بلو ثمانية عشر فرسخاً في جبال وحرش ما بين البحرين بحر القبلة وبحر الشمال . وهذه الارض دروبها صعبة نذكرها فيما بعد . فنزّلوا خزينة الملك محمّلة على بغال الى بورتو باو وايضاً احمال التجار والمسافة دون ثلاثة ايام ويأخذون الكروة ثلاثين غرشاً على كل بغل ويصير موسم التجار

---

١) هو وصف الخفّاش المسمّى Vampire

٢) صانتافه Santa Fé de Bogota عاصمة بلاد غرناطة الجديدة وهي الان عاصمة كولمبية والنهر المذكور هو نهر (Magdalena)

اربعين يوماً ويتسوقون البضايع التي مع الغلايين فخزنة الملك كان عددها خمسة وعشرين مليونًا وكل مليون عشر كرات وكل كرةماية الف غرش. فاما هذه الخزنة ما تجي كلها الى اسبانية بل يقسمونها علائف (١ على ارباب الوظائف والى الجنود الحارسين الجزائر والقلاع الكائنة في بلاد الهند المنسوبة الى بلاد البيروه . ومن هذه الخزينة يصرفون ايضاً على الغلايين المنسوبة الى الملك وعلى جنودهم. وهذا الميناء هو ارض حامية جداً وكثيرة الامراض . ففي تلك السنة ما صار مرض عظيم . فلكن مات من الطرفين مقدار الف نفس والباقي مرضوا وانا مرضت لكن الرب شفاني بواسطة ملكة القديسين مريم العذراء ومار الياس الحي . ثم من بعد ذلك باع تجار اسبانية بضايعهم الى تجار البيروه وتسلموا الفضة والذهب . فرجع تجار البيروه الى سبيلهم والغلايين اخذوا الفضة والذهب وبعض من البضائع مثل صوف التفتيك يسموهُ بيكونيا (٢ وايضاً كاكاو الذي يشبه القهوة بالرائحة والطعم لكن زائد الدسم (٣ فيخرجون من هذه الاسكلة راجعين الى كرتاخينا ومن كرتاخينا يسافرون الى جزيرة لاوانا (٤ وهي جزيرة حصينة وفيما بعد نذكرها

١٠ السفر الى باناما

فاما انا الحقير قصدتُ مرافقة هؤلاء التجار للبيروه. فاستكريتُ ثلاثة بغال بتسعين غرشاً اما الحاكم فما اراد يخليني ان اروح وحدي لسبب الجبال التي يوجد فيها نوع من الحشيش يشبه الخيزران الرفيع. فلما يمر عليهِ رجل ابيض عابر الطريق يرتفع من الارض مثل عود السهام ويدقر (يمس) الانسان. ولا يشفى المصاب بهذه الدقرة الى الموت لكنَّهُ لا يدقر الهنود العبيد ولا يضرهم. فلما حكى لي الحاكم بهذا الشيء قلتُ لهُ لا اصدق ان لم ارَ بعيني فقام ارسل معي خادمه وهو احمر حتى يريني ذلك الحشيش. فلما وصلنا الى الموضع الذي يوجد فيهِ هذا الحشيش جاء الخادم الى جانب فرسي واختفى فما رأيت هذا الحشيش وهو بعيد عشرة اذرع عن الدرب الَّا وارتفع وامتد ان يجي يلدغني .

---

١) العلائف جمع عَلُوفة الرواتب والاجور

٢) صوف التفتيك (بيكونيا) لعلهُ يريد النبات المعروف باسم بيتيونيا او بيكونيا وهو انواع ومنهُ نوع قطني   ٣) سياتي وصفه

٤) يريد مدينة لاهافانا (La Havana) من اعمال جزيرة كوبا (Cuba)

فخرج الأحمر وصاح عليهِ « دونك يا كاب » فلما صاح عليه وقع على الأرض · وانا شاهدت ذلك بعيني (١ · وايضاً في هذا الجبل رأيت اغصاناً ساوية معدلة من غير ورق · وفي كل غصن ثلاثة جوزات مثل القطن · فاذا انفتح جانب الجوزة رأَيت داخلها حمامة بيضاء بجناحها كاملة ورجليها ومنقارها احمر وعيونها سود فهذه يسمونها زهرة الروح القدس وكثير من حكام السبنيولية ارادوا ان يحضروا منها ويزرعوها في اسبانية فما قدروا (٢ · فمن بعد خروجنا من بورتو بلو عبرنا في نهر صغير قليل الماء لكنهُ مُحجر فمشينا فيهِ ثلاث ساعات (٣ · ومن بعد ذلك صعدنا الى راس جبل لنرقد تلك الليلة · وهذا المنزل يسمى بوركارفون · وثاني يوم سافرنا ورقدنا في منزل آخر يسمى جاكري · ومن ذلك المنزل دخلنا الى البلدة التي تسمى باناما الجديدة لان من سابق عام كان قد احترقت باناما القديمة (٤ ولما وصلتُ الى البلد رأَيت كل البيوت معمرة من خشب · وثاني يوم نزلت عند اسقف هذه البلدة فرأَيته رجلًا قديساً فصار لي معهُ صداقة عظيمة حتى تخاوينا مع بعضنا البعض فهو اعطاني خاتمهُ وانا ايضاً اعطيتهُ خاتمي · وهذا الاسقف الشريف كان اسمهُ دون انطونيو ده ليون واعطاني عكازته الصغيرة التي كان يمسكها في يدهِ · وبقيتُ في هذه البلدة مقدار شهر

١١ من باناما الى غواياكيل في بلاد البيرو

ثم ركبتُ في مركب وسافرنا في بحر القبلة الذي يسمى البحر الازرق قاصدين بلاد البيرو وكان قبال هذه الاسكلة باناما جزيرة صغيرة مسكونة تسمى تابوكا (Taboga) قريبة من الاسكلة المذكورة ثلاثة فراسخ ففي الحين صادفتُ برفقتنا في المركب رجلًا

---

١) نستغرب هذا الوصف فقد طالعنا رحلات المعاصرين ونقرنا في كتب العلم فلم نرَ اثباتاً لما ادعى صاحبنا انه رآه مرأى العين وقد يكون هناك خزعبلة اراد بها الحاكم ان يمنع السائح عن السفر اللهمَّ ان لم نؤوّل كلامه فنعزوه الى وصف الثمرة المعروفة باسم (Hura crepitans) التي اذا ما نضجت تفرقعت بدويّ كدوي اطلاق بارودة

٢) لعلَّها الزهرة المسمَّاة (Polygala) مع المبالغة في وصفها

٣) هو نهر شاغر (Chagre)

٤) اغار القراصين الانكليز بقيادة زعيمهم مورغان (Morgan) سنة ١٦٧٠ على باناما فنهبوها واحرقوها فاعاد الاسبانيون عمارها قبل وصول سائحنا بمدة قصيرة

خيّراً يدعى قبطان فرنسيسكو من بلد طروخيليو . فلما وصلنا الى هذه الجزيرة وكان دخل من الليل ساعتان قال لي القبطان بان نمضي ونرقد في البر لان حاكم الجزيرة هو صهري فطاوعتهُ ونزلنا على كالك صغير حتى نطلع للبر وهذا الكالك هو خمس خشبات فلما اقتربنا من المركب قاصدين الارض انقلب الكالك والوقت ليل وعتمة . فانا لما نظرت روحي في الماء خبطتُ وتعلقتُ بالكالك بتلك العكازة التي كان اعطاني اياها الاسقف . وهكذا اعاننا الرب ووالدته مريم العذراء حتى انّنا خرجنا ثلاثة انفار الى الارض بغير ضرر البتة . وسكنّا هنا ثلاثة ايام الى ان حمل مركبنا ماء للشرب ثم بعد الايام المذكورة سافرنا في البحر والارض كانت قريبة من شمالنا . وايضاً يوجد في هذا البحر في دربنا مكان يسمى كوركونا (Gorgone) يعني دوار البحر فاذا وقع مركب هناك يبقى خروجه امر عسير الى وقت ما تأتيه ريح عاصفة تخرجهُ من هناك والّا يهلك اناسه من الجوع . وهذا البحر السفر فيهِ مخاطرة بسبب شدة امواجــهِ يسمى البحر العجاج المتلاطم بالامواج لان العابر فيهِ مفقود والخارج منهُ مولود (١ فاولا عناية الله الذي اعاننا حتى اننا خلصنا من شر امواجهِ لبقينـــا على وجهِ الماء مقدار شهر الى ان سهل لنا الباري عز وجل اسمهُ فوصلنا الى مينا يسمى سانتا ايلينـــا (Ste - Hélène) يعني قديسة هيـــلانة . ثم رسينا هناك وكان في رفقتي ثلاثة رجال كوماء رائحين ليحكموا كل واحد في منصبهِ . فبعد ان حصلنا في الارض وبقينا خمسة ايام من خوفنا من شر البحر قصدنا ان نمشي في البر ولو صار لنا تعب عظيم لبعد الدرب

حينئذٍ اخبروني في هذا المينـــاء عن رجل من الهنود عمرهُ ماية وخمسون سنة فقصدتُ ان اروح ازورهُ فنظرتهُ صحيح الجسم عتيق الايام . فابتدأ يحكي لـــنا عن الايام السالفة وذكر لنا قائلًا ان بالقرب من هذا الميناء بفرسخ واحد يوجد مغارة كبيرة وهناك مدفونون أُناس من الجبابرة وايضاً اخبرني بان والدهُ كان حكى لهُ ان لمّاً وصلت مراكب السبنيولية الى تلك البلاد واكتسبوها كان الهنود يظنون ان المراكب هي حيتان البحر وقلاع المراكب كانوا يظنونها جناح الحيتان لان الى ذلك الحين ما كانوا رأوا مركبًا . ولمّا كانوا ينظرون الى الخيل وراكبيها كانوا يظنون ان الفرس وراكبها

---

١) كأَن الكاتب يذكر ما قرأه في كتاب الف ليلة وليلة فنقل هذه الفقر بحروفها

شقفة واحدة . ثم اني لمّا سمعتُ عن الذي جرى في تلك البلاد وعن الجبابرة المدفونين هناك صار لي رغبة ان انظر ذلك عياناً فاخذت معي رفقاء من الهنود اثني عشر نفراً مستعدين بالسلاح ورحنا قاصدين تلك المغارة لننظر الذي سمعناه . فعند وصولنا اليها اشعلنا الشمع الذي كان معنا لخوفنا ان نضيع داخل المغارة فعبرنا والشمع بيدنا وفي كل عشر خطوات اوقفنا رجلاً في يدهِ الضوء حتى لا نضيع درب الباب . وانا تقدمتهم وسيفي مسلول في يدي . ثم اني وصلتُ حيث موضوعة العظام فنظرتها ثخينة واما الجماجم فهي كبيرة جداً فقمتُ قلعتُ من احدى الجماجم سنّاً اي ضرساً كان هذا قدّ كبره حتى انهُ كان يزن مائة مثقال لثقلهِ . وايضاً تأملت في عظم الساق وقست احدها فكان طولهُ خمسة اشبار . ففي بعض البلاد عمل احد المصورين قياساً وتخميناً لهذا الجسم فوجد ارتفاعه خمسة وعشرين شبراً . ثم خرجنا من المغارة متعجبين جداً مما نظرنا وانا اخذتُ معي الضرس المذكور (١

١٢ وصف التمساح المعروف باسم قيمان (Caïman)

ومن هناك توجهنا الى الميناء واستكرينا خيلاً وخرجنا مع الهنود قاصدين كورة غواياكيل (Guayaquil) وهي ايضاً ميناء البحر الازرق وهي درب اربعة ايام . والدرب حرش واشجار وبعض انهر صغار ويوجد فيها حيوان كمثل التنين يسمى قيمان كالتمساح وفمهُ واسع وطويل مقدار خمسة اشبار وطول جسدهِ خمسة اذرع . هذا اذا صادف انساناً يبتلعهُ في الحياة ولكن الانسان الميت لا يأكلهُ فيخرج من الماء ويطوف قرب النهر فاذا وجد انساناً ام حيواناً بالحياة يبتلعهُ ويركض على يديهِ ورجليهِ كمثل يدي السباع . فاذا جاء فرس ام ثور يشرب ماء من النهر فيطف عليهِ ويسحبهُ من مناخيرهِ ويوديهِ فيجتمع عليهِ البعض من هولاء الحيوانات ويقطعونه ويأكلونه . فاذا اراد الكلاب ان يشربوا ماء ينبحون اولاً على حفة النهر فيسمع هذا الحيوان صوتهم فيخرج

---

١) ذكر مراراً السائحون في البيرو عظام الجبابرة القدم . قال كوريال من معاصري رحّالتنا في سفرته الى ضواحي غواياكيل : « وقد ذكر لنا الهنود ان قوماً من الجبابرة كانوا يسكنون ارضهم فنزل شاب من السماء وابادهم بالنار وقد لجأ بعضهم الى المغاور والكهوف فماتوا فيها حريقاً » وذكر غيره انه قاس سنّاً فكان عرضها ثلاث اصابع وطولها اربع اصابع . وهذا يثبت كلام سائحنا . لكنها عظام بعض الحيوانات القديمة لا عظام بشرية

ليبتلعهم . فعند ذلك يرجع الكلاب هاربين وراكضين الى مكان آخر ليشربوا الماء لعلمهم ان القيان هو في المكان الذي نبحوا. هكذا يتحايل الكلاب على القيان . واما الحيلة التي يصطاد بها الهنود هـذا الحيوان فالاولى هي انهم يأخذون عوداً قدرهُ نصف ذراع ورأسا العود منحوتان نحتاً رفيعاً ويربطون في نصف العود حبلاً متيناً . وهذا العود يشوونهُ ويصقلونهُ مثل السيف حتى يبقى صلبـاً مثل الفولاذ ثم يروح احد الهنود ويجلس كامنـاً على جانب النهر فلما يخرج هذا الحيوان وينظر الهندي يقصد ابتلاعه ويفتح فاهُ ليبتلعهُ حينئذٍ يدفع الهندي ذلك العود المنحوت في فم الحيوان وهو ماسكهُ بيدهِ فلما يقصد ان يطبق فاهُ ينغرس في فمهِ من الطرفين وكلما يعضّ عليهِ ينغرس في لحمهِ ثم يسحبونهُ بعزم شديد الى الارض ويجاهدون ان يقلبوهُ على ظهرهِ ليمنعوهُ عن المشي حينئذٍ يقطعونهُ شقفاً . واما الحيلة الثانية التي يصطادونهُ بها فهي ان احد الهنود ينزل في النهر وفي يدهِ حبل ويغطس تحت الماء ويصل الى هذا القيان وهو طائف على وجهِ الماء ويرمي خربوتة (كبّة) الحبل على نصف ظهرهِ وهو تحت بطنه يحكحك لهُ وهو لاطٍ الى بينما يرتبط في بطنهِ بالحبل من نصفهِ ثم الهندي يسبح هارباً منهُ لان هذا الحيوان لا يقدر ان يفترس شيئاً تحت الماء لكن خارج الماء فاذا خرج الهندي من النهر حينئذٍ يجتمع الرجال ويسحبون هذا الحيوان المربوط الى خارج الماء ويقتلونهُ وانا نظرتُ بعيني لمّا اصطادوا اثنين منهم بسبب ان واحداً من الحيوانات كان قد ابتلع صبيّاً من رفاقنا ونحن راكبون في الكلك . وهذا الصبي كان خادم خوري هذه الكورة . فصعب على الخوري وامر ان يجتمع الهنود لصيد هذا الحيوان فاصطادوا اثنين منها فشقوا بطونها فوجدوا شقف جسد الصبي المذكور فاخرجوها واخذها الخوري فدفنهـا . وهؤلاء الحيوانات كثيرة العدد وفي بعض الاوقات يخرجون من النهر ويضجعون بجانبـهِ على الارض وفمهم مفتوح الى الهواء فيأتي عصفور صغير ويدخل في فمهِ ويبدأ ينقر من وسخ اسنانهِ فيشبع العصفور ويرجع طايراً والحيوان يطيب لهُ بتنظيف اسنانهِ

١٣ من غوايا كيل الى كيتو

ثم وصلنا بعد اربعة ايام الى بلدة غوايا كيل المذكورة . وهذه البلدة مسكونة من الهنود والاسبنيول وصار لنا من اناس هذه البلد اكرام زايد ولا سيما من رهبان مار عبد الاحد . وبعد ان مكثنا هناك عشرة ايام خرجنا قاصدين قرية تسمى بابا (Baba)

مسكونة من الهنود والسبنيولية وهي ارض سخنة . ويوجد هناك بساتين فيها جنس اشجار كاشجار التوت تحمل ثمرة تسمى كاكاو (Cacao) يعملون منها الچيكولاتا (Chocolat) وهذا الثمر تراهُ مثل البطيخ متعلقًا وملتصقًا على جسم الشجرة . فلمَّا يبلغ ويصفرّ يأخذونهُ ويقطعونهُ ففي داخله يخرج الثمر وهو حبوب اخشن من الفستق ثم ييبسونهُ حتى ينشف وبعد ذلك يقلونه فتراه كالقهوة في اللون والطعمة والريحة لكن كثير الدهن ومن دسامتهِ يصير مثل العجين ويضيفون اليهِ من السكر على قدر الحاجة وكذلك ايضًا من القرفة والعنبرخام ويجبلونهُ عجينًا ويجعلونهُ اقراصًا وينشفونهُ بالفيء . ومن هذه الاقراص يغلون الچيكولاتا ويشربونها مثل القهوة . وهذا الثمر هو سالك عند الكل في جميع بلاد النصارى يأتون بهِ من هناك ويبيعونهُ

ثم خرجنا من هذه القرية قاصدين بلدة تسمى كيتو (Quito) فسرنا وجزنا على قرية اخرى تسمى بوتيكاس دى سان انطوان فيوجد بهذا الدرب جنس قصب ارتفاعه اربعون ذراعًا وثخن القصبة اغلظ من مطواية نول الحايك ومن عقدة الى عقدة ذراع . فهذا القصب يجعلونهُ صواري اعني غطاء لسقف البيوت والبعض منهُ ممتلئ ماء ابيض وحلو وانا شربتُ منهُ . ثم اني امرتُ المكاري ان يقطع منهم ست عقد تكون مملوءة ويحملها على بغل (١ . وايضًا يوجد في هذا الدرب اجناس وحوش كمثل السعدان والميمون الوان واشكال . وايضًا من قسم الطيور يوجد الدرَّة التي تتكلم وطير آخر يسمى باكامايا وهو بقدر ديك كبير لكن ريشهُ ملون شيء عجيب . ثم جزنا على قرية تسمى كوانليو . ومن بعد اربعة فراسخ عدَّينا على قرية تسمى انبات وايضًا يوجد في هذا الدرب جبال محاطة بالثلج . ومن راس احد هذه الجبال يخرج نار بولكان (٢ . ففي احدى السنين خرج من هذا الجبل نار كثيرة كرعد عظيم وصار دخان زائد ورماد حتى غطى الجو وما بقي تبان السماء ولا الشمس مقدار ساعتين ومن بعد ذلك انحدر هذا الغيم وحرق كل شيء وجد من الحشائش على وجهِ الارض وعكَّر الانهر ومن هذا الشيء صار طاعون في جميع جنس الحيوان لعدم قوتهم . ثم اننا وصلنا

---

١) ذكر دولوا (d'Ulloa) هذا القصب في سفره من غواياكيل الى كيتو ووصفهُ موافق لما قال الكاتب

٢) هي جبال (Cotopaxi) و (Chimborazo) وفيها قمم بركانية . والبولكان كالبركان

الى قرية تسمى نشبت ومنهـا رحنا الى قرية اخرى تسمى لاتاكونكا La Tacunga وفيها دير راهبات من طائفة الكرملتانيين قد بناهُ رجل صالح وهو اسقف بلد كيتو وصرف على عمارتهِ واقامتهِ مايتين وخمسة وعشرين الف غرش. وهذا الاسقف يسمى دون الونصو بينيامونتنه نيسكره . وبهذه القرية جاء الى ملاقاتي اربعة رهبان من رهبنة مار عبـد الاحد ارسلهم رئيسهم فاخذوني الى بلد كيتو وانزلوني في ديرهم لان رئيسهم كان سمع ان معي امر تثبيت هذا الرئيس من جنرالهم الذي في رومية

١٤ كيتو وضواحيها

ثم اني استقرّيتُ في ديرهم مقدار ساعتين فسمع حاكم هذا البلد عن قدومي وترولي في الدير فخلّى سرايته وجاء سريعًا زارني وهو مغتاظ وعاتبني على ذلك . فقلت لهُ تعلم ياحبيبي ان الرهبان خرجوا لملاقاتي قناقين (١ واتوا بي الى ديرهم .قل للرئيس وخذني الى سرايتك . فما رضي الرئيس ان اطلع من الدير لكن تشارطوا مع بعضهم وفرضوا ان اكون طول النهار مع الحاكم واتغدى معهُ وفي الليلِ مع الرئيس وارقد في قلايتي انا وخادمي . لان هذا الحاكم المبارك كان رفيقًا معي من اسبانية وجئنا جملة في مركب واحد وكلما كانوا يضيفوني في المركب من الطعام المفتخر كنتُ اوجّبهُ وصرنا اصحابـًا بالصدق . وهذه البلدة حيث يسكن الاسقف هي غنيَّة بالاموال ومزخرفة بالكنائس والديورة . والاسقف المذكور كان غنيًّا جدًّا لكن عديم الكرم بخيلًا في العطاء . واما الماء الذي يشربونهُ في هذه البلدة فهو عاطل . فتجد اكثر الناس يصير لهم مثل غدة كبيرة نازلة تحت حلوقهم . ويسكن في هذه البلدة هنود وايضًا سبنيول فبقيتُ فيها شهرين . واما ذلك الضرس المذكور الذي كنتُ اخرجتهُ من عظـام الجبابرة الذين بمغارة سانتا ايلينا فكان لرجل من اصحـابي بنت في دير الراهبات فجاء تدخّل عليَّ حتى يريه لبنتهِ . فانا طاوعتهُ كصاحب وسلّمتهُ الضرس فلمَّا رأتـهُ الراهبات فمن يد واحدة الى يد اخرى مضيعوهُ (اخفوه) وما عدتُ وجدتهُ . ورمى اسقف البلد حرمًا حتى يظهروهُ فما صار ذلك ممكنًا . وكانت في هذا الدير راهبة في مرض تزيف الدم ثماني سنين . فلما اضافني الاسقف عندهُ طلب مني ما هي منفعة الماء الذي يخرج

---

١) قناق (قُونَق) كلمة تركية معناها نزل السفر او المرحلة بعد قطع السفر

من ذلك القصب المذكور اعلاه فقلتُ لهُ : انا قرأتُ في بعض الكتب وفهمت ان ماء القصب نافع للذين بهم تزيف الدم . فطلب مني ان اهدي هذه الراهبة من ماء القصب فاهديتها وشربتْ منهُ سبعة ايام فبرئتْ من علتها . وايضاً رأيتهم يصنعون في هذا البلد جوخاً مثل جوخ اللوندرا (١ . وايضاً حكوا لنا عن جبل عندهم ان منهُ خرجت من مدة سنين نار كمثل الرعد واصعدت هذه النار بعزم قوتها حجارة محرقة وحذفتها بعيداً عن الجبل مقدار اربعين فرسخاً (٢

وذكروا لنا ايضاً ان من مدّة سنين بينما كان احد الهنود يفلح الارض وجد ايقونة مريم العذراء مطمورة في الارض وهي عجيبة جداً في الرؤيا فاخذها الى بيتِهِ واخفاها في صندوق لهُ . فلمّا جاء ثاني يوم الى الحقل ليفلح وجدها في الحقل فاعادها ثاني مرة الى بيتِهِ . فثالث يوم جاء ايضاً ليفلح فوجدها هناك . ففعل كذلك عدّة مرار وما امكنهُ ان يضبطها في بيتِهِ . ثمَّ انهُ اعلم بذلك اسقف البلد فخرج حينئذٍ الاسقف واستقبلها باكرام وأخذها بزياح الى مكان قريب من البلد وبنى لها كنيسة شريفة واسكنها هناك . وتسمّى كنيسة مريم العذراء جكيكواه على اسم تلك الضيعة ويقصدونها من كل النواحي للزيارة . ولمّا يحدث في هذه البلدة طاعون يأخذون هذه الصورة ويخرجون بالزياح الى بلد كيتو فتبقى عندهم تسعة ايّام بكل اكرام ووقار وبواسطة هذه الشفيعة ينقطع الطاعون عن البلد . ثمَّ يرجعونها ايضاً بزياح الى كنيستها في الضيعة المذكورة

وايضاً ذكروا لنا ان خارجاً عن هذه البلدة درب اربعة وعشرين فرسخاً نهر يخرج من تلك الجبال . وعندما يزيد يرمي على الارض من قلب الجبل رملاً مخلوطاً بذهب . فهناك اناس يعرفون الزمن الذي ينقص فيهِ النهر فيذهبون ويغربلون النهر ويعزّلونهُ من الذهب . فانا نويت ان ابصرهُ بعيني . فأشار عليَّ اناس ان لا اروح لان السلوك في هذا الدرب

---

١) هو الجوخ العادي المصنوع اولاً في لندرا ثم في جنوبي فرنسة وقد اشتهرت في القرن السابع عشر والثامن عشر معامل اللنغدوق (Languedoc) في فرنسة التي كانت توفد الى الاساكل الشرقية في كل سنة نحواً من خمسة عشر الف قطعة او ثوباً ثمن القطعة او الثوب مايتـا فرنك . اطلب Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVII Siècle par Paul Masson

٢) هو جبـل بيشنشا Pichincha وقد انفجر انفجاراً مهولاً سنة ١٦٦٠ فاحرق كل الضواحي

صعب جدًّا لاجل ذلك قصّرت المسير اليهِ لكني اشتريتُ من ذلك الذهب في بلد كيتو ثمَّ اني بعد ما بقيت في هذه البلدة شهرين خرجتُ قاصدًا قرية تسمّى اوطاوالو وفوق هذه القرية خيط يسمَّى في حكم الافلاك باللسان الفرنجي لينيا (Linea) (١ وتجد سكان هـذه القرية عديمي اللون مورّمي البطون · وذكروا انَّ في بعض الايام تسقط من الجو طيور ميّتة · وهناك ما يوجد فيْ غير ظل الاشجار والشمس دائمـة لا تغيب · وايضًا ذكروا لنـا ان خارج هذه البلدة كيتو بمقدار خمسة وعشرين فرسخًا يوجد هنود من الكفرة وهناك يروح قسوس يكرزون بايمان المسيح فاحضروا معهم من تلك الاراضي زهر اشجار القرفة · ولكن ما يوجد اناس يفهمون تربية هذا الدارصين واصلاحه مثل الدارصين الذي يجيُّ من هند الشرق لانهُ حادّ يحرق والهنود لا يريدون أن يكتشف عليهِ السبنيول حتى لا يأخذوا بلادهم · وايضًا ذكروا لنا انهُ يوجد هناك جوز الطيب والهنود يجمعونهُ وهو اخضر مثل الزيتون الكبير ويرسلونهُ الى كراكس (Caracas) وهناك يبيعونهُ للانكليز والاولنديز ولا للسبنيوليَّة · وايضًا في تلك الكورة دائمًا صواعق وامطار شديدة

١٥ من كيتو الى كوانكا — وصف عيد الثور

ومن هناك رجعتُ الى بلد كيتو ومنها خرجتُ قاصدًا القرية لاتا كونكا (La Ta-cunga) ومن هناك الى قرية انبات (Hambato) التي تبعد عشرة فراسخ من كيتو · ومنها الى بلدة تسمَّى ريوبانبا (Riobamba) وهذه بلدة جميلة العمائر ولطيفة الكنائس واناسهـا اغنياء واشراف فنزلتُ في دير مـار عبد الاحد وقبلوني بفرح عظيم مع زائد الاكرام · وقدَّستُ هناك · وعوائد قدّاس هذه الرهبنة تشاكل لبعض عوائد قدَّاسنا فلهذا السبب انشرح خاطرهم عند استماع قدَّاسي (٢ وانا بعد ذلك بقيتُ هناك ثمانية ايَّام · ثمَّ خرجتُ قاصدًا بلدةً تسمى كونكا (Cuenca) فبعد سبعة ايَّام وصلنا اليها

---

١) معنى لينيـا الخط يريد بهِ خط الاستواء (Ligne de l'équateur) الذي ينصّف الكرة الارضيَّة الى قسمين متساويين شمالًا وجنوبًا

٢) لرهبان مار عبد الاحد (الدومنكان) بعض طقوس قديمـة في ليتورجية القداس خاصة بهم تقترب من عوائد الشرقيين وهي لا تزال مرعية عندهم الى ايَّامنا

وكان دربنا جبالًا وثلوجًا وتسمّى هذه الجبال بارامو (Paramo) لشدّة البرد الذي هناك. ففي هذا الدرب يوجد نهر منحدر من الجبال التي يسكنها الهنود الكفرة فذكروا لنا ان من مدّة سنين كان اولئك الهنود عملوا لهم خمسة سنابك صغار وركبوا فيها وانحدروا الى أن وصلوا الى الدرب الذي يمر بهِ التجار السبنيوليّة. فبينا كانوا ذات يوم مجتازين من هناك ومحمّلين ثقلًا من البضائع خرج عليهم الهنود المذكورون فترك اناس القفل احمالهم وانهزموا لخوفهم من القتل. ثمَّ انَّ الهنود فتحوا الاحمال واخذوا من البضائع الذي اختاروا وتركوا لهم عوضها اقراصًا من ذهب. فاتى أهل القفل واخذوا ذلك الذهب عوض متاعهم

وامّا انا فبعد وصولي الى هذه البلدة كونكا المذكورة صار مزاجي ضعيفًا وبقيتُ مطروحًا في الفراش عشرة ايام معالجًا من الاطباء. لكن شافية المرضى مريم العذراء اعطتني العافية. وحاكم تلك البلدة كان صاحبي لانهُ كان رفيقنا في المركب لما سافرنا من اسبانية فاراد أَن يعمل لي فرجة لاجل انشراحي وهذا المفترج يسمّونهُ في بلاد اسبانية عيد الثور ويلعبون على هذا النوع: اولاً يحوّطون ساحة برفوف وخشب ثمَّ يضعون خوانات شيئًا فوق شيء يعني كمثل الدرج ويجتمع الناس ويجلسون فوق هذه الخوانات ويستكرون كل واحد منهم لاجل الفرجة. وبعد ذلك يأْتون الى تلك الساحة بثور من الثيران البرّيّة الوحشية ويكون ذلك الثور مسجونًا. فعند ما يفلتونهُ على غفلة في تلك الساحة المحاطة بالناس يجري الثور جازعًا وما ينظر لهُ دربًا ينفذ منهُ. فبعد ذلك يدخل اليهِ خيّال وفي يدهِ رمح ويتلاعب مع الثور والثور يهجم عليهِ فيهرب منهُ وبعد ذلك يقتل الثور. والثور ايضًا بعض احيان يقتل الفرس وفارسها بقوة قرونهِ. وهذا العيد والمفترج في كل ملك اسبانية اعتادوا ان يصنعوهُ في موسمهِ كل عام

١٦ معادن الذهب

ومن بعد ذلك خرجتُ من هناك قاصدًا قرية تسمّى خاوخا (١ فسرنا في صعوبة الامطار ليلًا مع نهار مقدار ثلاثة ايام ودخلنا الى خاوخا وبقيت هناك يومًا وليلة من شدّة البرد وكثرة الامطار وثاني يوم خرجتُ منها قاصدًا الجبال التي هي معدن الذهب

---

١) هكذا في الاصل واسم هذه المدينة في الخارطات التي بيدنا لوخا (Loja)

الى قرية تسمَّى صارونا (Zaruma) فصرنا في درب عسر المجاز بين الجبـال مقدار ثلاثة ايَّام . ووصلتُ الى تلك القرية المذكورة وهي على راس جبل وحولهـا المعادن الذهبيَّة . فنظرتُ جميع تلك الصنائع التي بها يستخرج الذهب من الحجارة . اولاً يُطلعون الحجارة من المعدن ويسحقونها بطاحون الماء وحينئذٍ يغسلون ذلك التراب المسحوق ويقطعون منهُ الذهب بتصويلهِ في الماء . ثمَّ يذوّبونهُ ويسكبونهُ اقراصاً . وانا اشتريتُ من ذلك الذهب اربع مئة مثقال لان ما كان زمان شغل كل الطواحين . وبعد عشرة ايام اردتُ ارجع الى دربي لكن خوري تلك الضيعة قال لي ان يوجد درب آخر وهو احسن من دربك لكنَّهُ درب قفر خالٍ من الناس والقرى فتحتاج أَن تأْخذ معك زوادة كفاية خمسة ايَّام . فوقفتُ اشورهِ وطعتُ لقولـهِ وحملتُ معي ما احتاج من الزوادة واخذتُ معي رفيقين اعني مكاريين الواحد منهما هندي والآخر مستيسو يعني ممزوج امهُ هنديَّة وابوهُ اسبنيولي

١٧ اسفار واخطار

ثمَّ سرنا في درب عاطل بين الجبال يوماً وليلة . فاراد الشيطان ان يطغي ذلك المكاري المستيسو لانـهُ كان قد نوى قتلي لكن الله تعالى كشف نيَّته على يد خادمي فاخذتُ منهُ السلاح وبقيتُ متحذراً على روحي الى وقت ما وصلنا الى ثلاث قرى مقتربة لبعضها الواحدة تسمَّى باسيليكا والثانية جونجوناماه والثالثة واكاناما فلمَّا نظرني سكان هذه القرى الذين هم هنود تحيروا مني قائلين : كيف دخلت في هذه الدروب العسرة امَّا انك نبيٌّ او قدّيسٌ . وقسوسهم ايضاً هنود مثلهم لكن هنود تلك البلاد ليس لهم ذقون بل بعض شعرات ثابتة في حنكهم . وانا لاجل اني كنتُ رجلاً كامل اللحية فكانوا يتعجبون مني قائلين انني ذو شجاعة شديدة بحيث جزتُ تلك البلاد .

ثمَّ ثاني يوم خرجنا من هناك مسافرين وقاصدين قرية تسمَّى طاپيه (Amotapé) فبينما ذات ليلة وانا نائم تحت الخيمة عمل رفيقـاي الاثنان المذكوران ما بينهما شوراً وتدبيراً على قتلي وانا كان معي صبيٌّ صغـير من اولاد الهنود وكان يعرف اللســان السبنيولي وهذا الصبي قام في الليل والَّا سمع كيف انهما تشاورا على قتلي . فاسرع الصبي مرتعشاً اليَّ وفيَّقني واعلمني بذا الامر لكن بتوفيق الله تعـالى انفرد تلك الليلة بغلٌ من البغال وظلَّ هارباً بين الجبال . فاخذ رفيقي المستيسو المذكور يركض

خلفهُ طول الليل ورجع بهِ عند طلوع الشمس · فذلك الوقت اخذتُ منهما اسلحتهما لان ما كان معي سلاح ومن خوفي من مكرهما اخذتُ السيف بيدي وناديتُ المستيسو وقلتُ لهُ: ابرك (١ على ركبتيك وأصدِقني كيف طغاك الشيطان على هذا الفكر اعترف امامي بالصحيح · فاقرَّ معترفًا وطالبًا مني ان اغفر لـهُ واسامحهُ · ثمَّ بعد خمسة ايَّام وصلنا الى تلك القرية المذكورة · فمن قبل دخولنا الى القرية بين الاشجار هرب هذان الخائنان من خوفهما وتركا بغالهما فجاء خوري الضيعة واقتبلني باكرام · ثمَّ اني حكيتُ لهُ عن الاحوال التي عرضت فقال لي: الله نجاك من شرّهم لان اخي هكذا قتلوهُ في هـذا الدرب · وهذه القرية يجري بجانبها نهر يسمَّى نهر كولان (Fleuve Colan) وفيهِ سمـك زائد وهو كنهر الدجلة · فذاك اليوم جزتُ هذا النهر ووصلتُ الى بلد يسمَّى كولان (Ville de Colan) كلهُ هنود · ثمَّ نزلتُ في بيت الخوري وكانت ليلة عيد مار يعقوب اخي الرب · فعزمني الخوري ان اقدّس ثاني يوم وكل النذر الذي يتقـدَّم للخوري يكون لي انا · فقدّست ثاني يوم وحضر جميع الهنود قدَّاسي وكان عددهم اربعة آلاف نفر · وبعد خلوص القدَّاس جلستُ على كرسي وعملتُ بركة اعني خبزًا مباركًا · فبقيَ النـاس يجيئون يبوسون يدي ويأخذون البركة ويرمون النذر في الصينيّة · فبعد خلوص ذلك نظرتُ اجتمع من النذر مقدار مائتين وخمسين غرشًا

١٨ مغارة الذهب في بيوره (Piura)

فبعد يومين كتبتُ الى حاكم بلد بيوره ان يرسـل لي تختروان الذي يسمَّى بلسان السبنيولي ليتيرا (٢ لان هذا الحاكم كان مرافقنـا من اسبانية مع عيالهِ · ففي حال وصول مكتوبي اليهِ أرسل لي التختروان · لان في تلك الارض يصير تعب عظيم للذين يروحون راكبين الخيل بسبب الحر والرمل · فجزنا الى ميناء على ساحـل النهر يسمى بايتـا (Payta) وهي بعيدة من كولان فرسخين ومنها سافرنا بالليل الى بلدة تسمَّى بيوره درب اربعة عشر فرسخًا · فنزلتُ في دار الحاكم واقتبلني بزائد الاكرام · وهذه البلدة ساكنوها اسبانيولية مع هنود اغنياء وبها كنائس مزخرفة ومحتشمة

---

١) اي اجلس وهي كلمة حلبية

٢) Litera وبالفرنسويّة Litière وتختروان كلمة فارسية مركّبة من لفظتين معناها سرير السفر

وذكروا لنا ان من مــدَّة خمس عشرة سنة كان رجل من اشراف الهنود يسمى كاسيكي وكان غنياً وما لهُ سوى بنت واحدة. فيوماً من الايام سافر ابوها الى غير بلد. فالبنت المذكورة نظرت رجلاً لابساً ثياباً حقيرة فقالت لهُ: ما بالك لابساً هذه الثياب الدنيَّة. فاجابهــا قائلاً: لشدَّة فقري وعازتي. فاجابتهُ قائلة: ان كنت تكتم السر فانا اعطيك من الخيرات حتى ارضيك واغنيك. فقال لها: نعم هكذا يكون. فوعدتهُ هذه البنت ان لمَّا يحين الليل يجيءُ ينتظرها في المكان الفلاني فتأخذهُ الى مغارة ابيها التي هي خارج البلد ثمَّ انهــا اخذت ذلك الرجل بعد ان ربطت عينيه وقادتهُ الى المغارة المذكورة كضرير. فلمَّا وصلا الى المغارة حملتهُ من اقراص الذهب على قدر مــا يقدر حمله ورجعت الى قرب البلد وفكت الرباط عن عينيهِ واطلقتهُ بسبيلهِ. فلمَّا جاءَ ابوها من سفرهِ قصد ذات يوم المسير الى المغارة ونظر في باب المغارة اصل دوسة مداس فعلم ان ذلك الكشف صار من بنتهِ فسقاها سمّاً وماتت وهو ايضاً مات على غفلة والى اليوم يستقرون المغارة وما قدروا ان يلاقوها

١٩ من بايتا الى طروخيليو

وبعد أن مكثتُ هنــاك عشرة ايَّام خرجتُ قاصداً قرية تسمى ليلموا فسرنا في درب مقفر عديم المــاء وكلهُ رمل مثل ارض مصر وكل أَهل هذه القرية هنود لكن قسيسهم فقط اسبنيولي فالبعض منهم نصارى حقيقيون والبقيَّة نصارى من خوفهم. وثاني يوم خرجتُ قاصداً بلدة للهنود تسمَّى لمبايك (Lombayeque) وهذه البلدة كبيرة يسكنها هنود اغنياء وبعض من السبنيولية. فعزمني وكيل الاسقف الذي هناك الى دارهِ وطلب مني ان اقدّس يوم الاحد واكرز على الهنود باللســان السبنيولي. فقدست نهــار الاحد وكرزت عليهم وكان في الكنيسة خمسة وثلاثون قسيساً ومقدار ثلاثة الاف نفس من العوام فصار لهم انشراح عظيم من تلك الكرزة وكانوا يتعجبون مني بسبب الذقن وتغيير الثياب وكانوا كلهم يكرموني ويتباركون مني لاني وهبتُ لهم مسابح وصلباناً من القدس. ثمَّ بعد خمسة ايام خرجتُ من هناك قاصداً بلدة تسمى سانيا (Sagna) وهذه بلدة كبيرة يسكنها هنود واسبنيول. وفي جانب هذه البلدة يسلك نهر كبير وكنتُ اسافر في الليل لشدة الحر وانا راكب في ليتيرا اعني تختروان فذات ليلة تغافل المكاري ونعس فضلَّ البغال عن الدرب ودخلت في الحرش بين

الاشجار وهذا الحرش داخلهُ عظيم لا لــهُ اول ولا آخر . فلما فقت على ذلك امرت خدَّامي ان ننزل هناك لئلا نتيه ازيد عن الدرب ونهلك مثلما جرى لآخرين . فلمَّا صار الصبح قلتُ للمكاري الهندي ان يعمل نارًا كثيرة ودخانًا عظيمًا . فامَّا رفقاتنــا فكانوا سبقوني الى المنزل . فلمَّا نظروا اننــا تعوّقنا علموا اننا تهنا عن الدرب فارسلوا اناسًا ليفتشوا علينا . فانا قلت للمكاري ان يصعد الى راس شجرة عالية وينشر علمًا ابيض يعني بيرقًا فثاني يوم قريب نصف النهار وصل الينا اولئك المفتشون فرأونا هناك على نيشان ذلك البيرق واغتاظوا على المكاري كيف انهُ حاد عن الدرب . واكثر اشجار ذلك الحرش من اشجار القطن ما لهم اصحاب وهو خشن جدًّا قدر الرمان وحبــهُ قوي صغير لكن شعرة هذا القطن طويلة كالصوف وكل من يريد من الهنود يروح يأخذ قطنًا على قدر حاجتهِ . وينسجون منهُ ميازر للنساء وغيرها من الحوائج اللازمــة . فوصلنا بعد يومين الى البلد المذكور الذي يسكنــهُ اسبنيول وهنود وحاكمهم يسمى جنرال . فبقيتُ هناك اربعة ايَّام بعز واكرام من الجنرال ومن وكيل الاسقف . ثمَّ خرجتُ من هناك قاصدًا بلدًا يسمى طروخيليو (Trujillo) فسرنا درب عشرة ايَّام وهو درب عسر قليل المنازل وعديم المعاش وكنتُ قد اخذتُ معي ما احتاز اليهِ من قسم الاكل والشرب وكان لي حصان وبغلــة يدك (١ لمَّا يكون الوقت بروده كنتُ اركب عليها واذا وغلت وتعبت من الركب كنتُ ادخل الى التختروان . فجزتُ الى هذه البلدة المذكورة وهي كبيرة يسكنهــا اسقف وكان حينئذٍ الاسقف قد توفي وبقي الكرسي خاليًا . وفي هذه البلدة رهبان من رهبنة مار افرنسيس ورهبنــة مار اينياسيوس اليسوعيّة وايضًا قسوس وخوارنة جميعهم مقدار الفي كاهن . فعزمني رهبان مار افرنسيس ان اقدس عندهم وكان نهار عيد مار افرنسيس الذي دائمًا يحكم في ٤ تشرين الاول . فرحتُ قدّست هناك فكانت الكنيسة ملآنة من الناس فانشرحوا كثيرًا من قداسي لان كان معي آلة القداس والبدلة التي كان انعم عليَّ بهــا سيدنا البابا . وكان نيشانهُ وختمهُ مرسومًا عليها . وكان الناس يأتون ويتباركون منها

٢٠ السفر الى ليما

فمن بعد أن بقيت في هذه البلدة عشرة ايَّام رجعتُ قاصدًا بلد خاماركا (Cajamarca)

---

١) يدك كلمة تركية يراد بها دابة ثانية يستعملها الخيال عند الحاجة

التي هي في راس جبل وكان يسكنها ملك الهنود الذي كان يسمى اينكارسوف . وسنتكلم عن خبر هذا الملك العظيم . فبقيت هناك ثلاثة ايام واروني كل ما صار على هذا الملك وكيف قتلهُ الاسبنيولية . واليوم الرابع خرجتُ من هذا البلد قاصداً بلدة ليما (Lima) حيث يسكن وزير الملك الذي يحكم على تلك البلاد فنزلتُ من الجبل قاصداً البلدة المذكورة ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى نهر يسمى سانتا (Santa) . فهذا النهر زائد الماء وما لهُ مجاز فيجوزونهُ بشدَّة وخوف . لان الهنود اخترعوا شيئاً للمجاز يسمى بالصا (Balsa) يعني كلكاً فيجمعون قرعات يابسات ويربطونها ببعضها مثل كلك ثمَّ يجعلون عليها خشباً وفوق الخشب حشيشاً مثل عروق الشجر ويحملون الاحمال عليها ويفوّتون الناس من جانب الى جانب . والدواب تقطعهُ سباحة بالماء . فجزنا هذا النهر بخشوع وطلبات الى الله ووالدتهِ مريم العذراء ومن هناك بقينا مسافرين وجزنا على اراضي قصب السكر وعلى المعامل التي فيها يشتغلون الجوخ . وكان في رفقتي رجلان فقيران كل واحد ناقصة لهُ يد . فالاول كان جندياً وانقطعت يدهُ بالحرب مع الهنود والآخر كان لدغتهُ حيَّة في يدهِ فقطعوها لهُ

٢١ الاقامة في ليما

فمن بعد ثمانية ايَّام وصلنا الى مدينة ليما (Lima) المذكورة ونزلت في بيت الانكيجيدور (Inquisidor) اعني رئيس ديوان الايمان لانهُ كان صاحبي من اسبانية . وكنت ديَّنتهُ الف واربعماية غرش في مدينة بورتوويلو فاعطاني فائدة عن كل ماية غرش اربعين غرشاً مثل ما يسلك بين التجار في تلك البلاد . ثم بعد ان ارتحت من تعب الدرب رحتُ قابلت الوزير وقدمت لهُ امر الملك ومكاتيب الوصيَّة التي احضرتها معي من اسبانية . وهذا الوزير كان رجلاً مباركاً اسمهُ دون بغدسار ويلا كوكونده ده كستيليارو مركيز ده ماراكون من اكابر اسبانية . فقبلني بفرح عظيم ووعدني انهُ يساعدني في جميع الذي اعتازهُ . ثم اني دخلت زرت امرأتهُ فاقتبلتني ايضاً بالاكرام . وهذا الوزير المبارك كان قد تزوج منذ اربع عشرة سنة وما رُزق ولداً وسنأتي بعد هذا بحكايتهِ . ثم اني رجعت فزرتُ كبير الكهنة الذي يسمَّى ارشيدياقون مع جملة ارفاقهِ الكهنة لمَّا كانوا مجتمعين في الكنيسة للصلاة . واما مطران هذه البلدة فكان قد توفي وبقي الكرسي خالياً من مطران . ولهذه المطرنة مدخول في كل سنة خمسين

الف غرش وتحت يدهِ مائة وعشرون خورياً وكانوا منتظرين المطران الجديد الذي كان آتياً من اسبانية · وبعد ان بقيت في هذه البلدة عشرين يوماً وقعتُ مريضاً في الفراش بمرض شديد وكان حكماء الوزير يعالجوني · فشفاني الرب من مرضي بعد عشرين يوماً بشفاعة ام الرحمة مريم العذراء · فقمتُ ورحت عند الوزير وتلاقيت معهُ ثاني مرة فقبلني بفرح وعز واكرام · ولمَّا كنت مريضاً كان يرسل عندي خزنداره يزورني مع احمال من الحلاويات المفتخرة وكان يسأل عن حالي كل يوم مرتين · وفي ذلك الحين جاء رجل من اصحاب المعادن وقال للوزير انهُ يقدر يستخرج الفضة من الحجر من غير ان يضيف اليها زيبقاً · فلمَّا امتحنوا صنعتهُ وجدوها اختراعاً كاذباً · وانا كنت حاضراً ونظرت ذلك عياناً

وقبل ان تملك السبنيولية هذه البلاد ما كان احد يعرف الاله الحقيقي وكان البعض يعبدون الاصنام والبعض كانوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم وما كان لهم احرف ولا كانوا يعرفون القراءة والكتابة · لكن لمَّا يريدون ان يقدموا عرض حال الى ملكهم كانوا يصورون تصاوير في منديل على حسب شكاوتهم · وكان في زمان فتح هذه البلاد ملكان اخوان الواحد يسمى وداواليا والاخر يسمى وسكارانيكا · وكان بينهما الحرب وكانت آلة سلاحهم وعدتهم القوس والسهام ورماح ومقاليع لحذف الحجارة · وما كان لهم مواشي اعني مثل افراس وبغال وحمير ولا ثيران ولا بقر ولا غنم ولا دجاج سوى جنس حيوان شبه الجمل بقدر الحمار وحدبتهُ في صدرهِ يحمّلون عليهِ ويأكلون لحمهُ لكنهُ ما يسافر بعيداً · وكل يوم قناقهُ اربعة فراسخ لا غير فلمَّا يتعب ينام ويزبد ويتفل على اصحابهِ · وهؤلاء الهنود لمَّا كان يموت احد منهم كانوا يصنعون لهُ قبراً عالياً علو ذراعين وطول ثلاثة اذرع وكانوا يضعون في قبرهِ آلة صنعتهِ مع شربة من خمر الذرة

٤٢ وصف ليا

وفي هذه البلدة يصير زلازل كثيرة وشديدة · ثم ان الوزير وعدني ان يقف بخدمتي طول ما انا بالهند · وكتب الى جملة البلاد والقرى التي تحت حكمهِ يوصيهم عليَّ بالاكرام · وفي ليا عدَّة ديورة وكنائس اولها الكنيسة الكبيرة التي هي كرسي المطران وغير كنائس للقسوس واربعة ديورة لرهبان مار افرنسيس وثلاثة ديورة لرهبان مار

اغستينوس وثلاثة ديورة لليسوعية وثلاثة ديورة لرهبان المرسي (Merci) واربعة ديورة للراهبات وفي كل دير يسكن الف راهبة (١. وايضاً اربعة ديورة لراهبات الفقراء مثل ايتام وارامل ومنقطعين وديران باسم مار يوحنا لمداواة المرضى اي الغرباء والفقراء واسبيتال يعني مارستانا كبيراً على اسم الملك لان الملك يصرف عليه ويسمى مار اندراوس وكانوا يعزموني لاقدّس في الكنائس والديورة ويكرموني غاية الاكرام. وبقيت في هذه البلدة مقدار سنة في بيت رئيس ديوان الايمان المذكور اعلاه يسمى دون خوان باتيستا ديلا كانترا يعني يوحنا المعمدان من بلد كانترا . وهذا المبارك كان رجلاً كاهناً وما اراد ان اصرف شيئاً على المأكول والمشروب . وهذه البلدة غالية المعاش بهذا المقدار حتى ان الدجاجة تساوي غرشاً ونصف غرش. وبعد اني تعافيت من مرضي زارني جميع رفقة الكهنة الذي يسمى كبيلدو (Capildo) (٢ يعني ديوان الكنيسة من حيث اخذوني في الرفقة الى الكنيسة بالزياح وعند دخولنا الكنيسة حيث يمكث المطران والخوارنة اجلسوني جانب كرسي الارشيدياقون الذي بجانب كرسي المطران اكراماً لي. ثم طلبوا مني ان اقدس فارسات واحضرت من الدار آلة القداس فقدست لهم قدّاساً باللسان الكلداني يعني السرياني الشرقي فصار عندهم انشراح زايد لاستماع قداسي . فثاني يوم صنعوا ديوانا باياتهم (مع بعضهم) وارسلوا اليّ الف غرش. وكذلك ايضاً في باقي الكنائس والديورة من الرهبان والراهبات كانوا يرسلون اليّ شيئاً كثيراً وانا كان لي عجلة يعني عرباني (٣ باربعة بغال مع عبد اسود خادمها

٣٣ السفر الى خوان كاباليكا (Guancavalica)

ومن بعد السنة طلبت اجازةً من الوزير لاروح الى جبال الفضة والذهب فطاوعني الوزير واصغى لطلبتي وكتب لي مكاتيب الى جميع حكام البلاد وابرشية القرى الذين تحت حكمه وصية عليَّ بان يعزّوني ويكرموني وارسل رفيقاً رجلاً من جنوده لكي يسبقني في الدرب ويهيّ لي ما احتاج من المأكول والمشروب والمنزل في بيت حاكم القرية. فخرجنا من ليما وهذا الرجل برفقتي قاصدين بلدة تسمّى خوان كاباليكا

---

١) مبالغة او خطأ من الناقل

٢) وبالافرنسية (Chapitre)

٣) او عربة كلمة فارسية بمعنى مركبة

(Guancavalica) ثم سرنا يومين بدرب سهل وصعدنا في اليوم الثالث الى جبل الثلج ولا زالت الارياح والبرد شديدًا · فابتدأت تتغيَّر امزجتنا وتقيَّأنا من سبب اننا خرجنا من ارض شديدة السخونة وجزنا عاجلًا الى ارض باردة · ثم بعد ما صعدنا الى اعلى الجبل سرنا من مكان يسمَّى بولده برياكا كا جي زمرية السكر (؟) ومن هناك سافرنا فرسخين فتلاقيت مع رئيس رهبان مار فرنسيس الذي يُقال لهُ بروفنسيال (Provin-cial) فسألني عن الدرب فحكيت لهُ ما جرى علينا من تغير المزاج فعند ذلك افترق منا ورحل من درب اخر · ووصلنا في ذلك النهار الى نهر يسمَّى نهر بوني وعليهِ جسر ممتد من جانب الى جانب منسوج من حبال القنب ومربوط بالاشجار فقطعنا عليهِ بصعوبة واخذوا الخيل الى درب آخر مجردات وادخلوها النهر · ومن بعد عشرة ايام وصلنا الى البلدة المذكورة خوان كاباليكا وهي بلدة صغيرة فنزلت في دير اليسوعيـة · وفي هذه البلدة تختلف الارياح ثلاث مرات في النهار ووقت العصر دائمًا تمطر · وهي ارض قليلة العافية لاختلاف الاهوية ولسبب الجبل الذي فيهِ معدن حجر الزيبق لانـهُ مسلط على البلد

٣٦ معادن الزيبق

ثم اني رحت لانظر المعدن مع حاكم البلد فرأيت هذا المعدن وعظمتـهُ ونظرتُ ايضًا ان الفعلة يقطعون الحجارة ويخرجونها من تحت الارض الى فوقها · ثم اروني كيف يخرجون الزيبق فادخلوني الى بيت جعلوا ارضهُ الخاشًا (ثقوبًا) ملصوقة بعضها موضوعًا في كل منها برنج (١ والبرانج مصفوفة ومنصوبة صفوفًا صفوفًا ولها فم واحد منصوب الى فوق والفم الاسفل مسدود وغير مفتوح كمثل اجران · فيضعون حجارة الزيبق بصنعة مصطفة فوق البرانج كمثل عمـل الفاخوري في افران الخشف (الخزف) وكذلك ايضًا يضعون الحجارة على البرانج · وهذا البيت لهُ سقف مغطى لكن قوي عالي وفيهِ الخاش لاجل منفذ الدخان · ثم يضعون الحطب فوق تلك الحجارة ويضرمون بهِ النار فيشعـل وتسخن الحجارة سخونة قويَّة ويجري منها الزيبق هاربًا ومنحدرًا داخل تلك البرانج · فعند ذلك يفهم معلمو الزيبق فيهدّئون النار ويخاونـهُ يومًا وليلة حتى يبرد وبعده يرفعون الحجارة والرماد ويكبونهُ (يلقونهُ) خارجًا ويطالعون الزيبق من تلك البرانج · وهناك وكيل من

١) البرنج كلمة فارسية معناها النحاس ونظنُّها بمعنى الخابية والبرنية

جانب الملك يضبطهُ للملك. وهو يفي لاصحاب المعدن اثنين وخمسين غرشاً حق كل قنطار وقنطار هذه البلاد هو ستة امنان خندكاري (١ ويبيع وكيل الملك القنطار بتسعين غرشاً لاصحاب معادن الفضة لاجل استخراج الفضة من الحجارة وسوف نتكلم عن ذلك ايضاً. ثم اني قدست هناك على هيكل لهم في وسط المعدن وباركت عليهم وعلى معادنهم (٢ وقدم لي اصحاب المعادن بشكاس (٣ مقدار خمسين قنطاراً من الزيبق وقالوا لي اصبر الى شهر بينما يخرجون الزيبق من الحجارة ويعطوني المبلغ المذكور. فمن سبب الاهوية المختلفة خفت فتركت هناك وكيلاً ليستلم منهم الزيبق وقتما يستخرجونهُ لكن عليهِ يسق (٤ من الملك ان لا احد من اصحاب المعادن يقدر يبيع زيبقاً ولا احد يقدر يشتريه. وان تجاوز احد هذا الشرط ينهبوا مالهُ ويحل عليهِ القتل

٣٥ مياه محجِّرة — وصف الصبّير

وفي هذه البلدة يوجد جنس ماء لونهُ اسمر يجعلونهُ في وسط صناديق ويبقى ثمانية ايام في الهواء فيجمد حينئذٍ ويصير حجراً يعمرون بهِ البيوت وانا نظرت ذلك عياناً. واذا وضعوا في وسط هذا الماء خشبة وبقيت اربعين يوماً فيخرجونها من الماء نصفها حجر صوان والذي يبقى فوق الماء من الخشبة يبقى على حالهِ خشبة وانا اهداني احد رهبان اليسوعية صليباً من هذا الجنس (٥

---

١) الخندكار لفظة ماتة بالفارسيَّة معناها السلطان

٢) قرأنا في كتب الاب فوليه (Feuillée) المرسل الفرنسيسي في البيرو من معاصري صاحب الرحلة وصفاً مسهباً لهذه المناجم قال: «ان مناجم الزيبق الشهيرة في كل اميركة الجنوبية محفورة في جبل واسع بالقرب من غوانكاڤاليكا (Guancavalica) وهي ممتدَّة تحت الجبل وفيهِ حفر منازل ودروب ومعبد. والمناجم مضاءة بعدد لا يحصى من الشموع». ثم وصف استخراج المعدن وصفاً لا يكاد يفترق عمَّا جاءَ في متن رحلتنا سوى انهُ قال ان سعر القنطار ثمانين غرشاً

٣) بشكاس لعلها باش كاس ويظهر من القرينة انَّ معناها الهديَّة او البخشيش

٤) يسق كلمة تركية معناها مانع او محذور

٥) ذكر الاب فوليه المذكور هذه المياه المحجّرة قال: ان ماء هذا النبع غاية من السخونة حال خروجهِ ويتحجَّر سريعاً اذا ما سال في الحقول. ومن حجارهِ يبني البناؤون المنازل جاعلين المياه في قوالب مخصوصة حسب رغبتهم وحاجة العمارة ولا يتعب الحفارون ونقَّاشو التماثيل اذا ارادوا نقش تمثال فاذا ما اتموا القالب وسكبوا فيهِ الماء جاءَ التمثال حجراً بديعاً ينحتونهُ قليلاً زيادة في لمعانهِ

وبعد عشرة ايام خرجت من هذه البلدة وصحبني اربعة عشر رجلاً خرجوا يودعوني الى خارج البلد ثم افترقوا مني ورجعوا. وانا اخذت دربي قاصداً بلدة تسمى اكوامانكا (Guamanca) . وفي هذا الدرب يوجد اشجار مختلفة الاجناس واكثرها اشجار يسمونها توكال اوراقها في سمك كفين وما لها اغصان لكن الاوراق مشوكة وفي طرف الورقة تصير الثمرة ويسمى في لسان الهنود تونس وهذا الثمر كقدر بيض الدجاج لكن اصلب وداخلهُ حاو كطعم التوت وهو مسهل ومبرد فمن خارج الثمرة يصير شوك ناعم فيلتزم الانسان ان لا يمسكها بيدهِ الَّا بعد ان ينظفها من الشوك وهذا ممتلئٌ منهُ البر والجبال في ذلك الاقليم (١

٢٦ الوصول الى اكوامانكا

ثم بعد اربعة ايام وصلنا الى البلدة المذكورة ونزلنا في دير اليسوعية لان رئيسهم كان رجلاً صالحًا وكان قد ارسل لهم مكاتيب يوصيهم على ان ينزلوني عندهم . وفي هذه البلدة كان اسقف غني جدًّا لانهُ كان اولًا رئيساً لديوان الايمان ويسمى الاسقف دون كريستوفلو دي كستيلو . وبعد ان استريحت في الدير تلك الليلة جاءني في الغد قسيسان من جانب الاسقف يهنئاني بوصولي. فثاني يوم باكرًا رحت انا زرتهُ فقام هو ايضاً بنفسهِ والتقاني وسألني عن حالي وعزمني الى دارهِ حتى اتغدى ذلك اليوم معهُ فطاوعتهُ وتغديت معهُ . ومن بعد المأكول انعم عليَّ بخنزير ذهب يسوى مايتي غرش . فلمَّا سمع اكابر البلد بالاكرام الذي عملهُ لي هذا الاسقف المبارك جاءوا جميعهم زاروني. ومن بعد اربعة ايام خرجت مع راهبين يسوعيين ورحت زرتهم واوفيتهم زيارتهم كعادة تلك البلاد . ثم الاسقف ارسل لي رفقة ليدلوني على بيوت الذين جاءوا زاروني لان اليسوعية كانوا قد كتبوا اسماء الذين زاروني واحدًا واحداً. وفي هذه البلدة كنائس وديورة غنيَّة جدًّا . فمن بعد ما زرتهم وارتحت ثمانية ايام رسم هذا الاسقف ان يعملوا كوميديه يعني تقليد القديس رجل الله الروماني الذي يسمى باللسان الفرنجي سان اليليسوا (Alexius) وفي العربي مار ريشا . وهذه الكوميديه هي تشخيص ما عمل هذا القديس وكيف اعطى خاتمهُ لعروسته وشقَّ الحيط وطلع راح يسيح في الدنيا (٢ .

---

١) هو وصف شجرة الصبّير المعروفة

٢) اخبار مار ريشا مشهورة . (اطلب المشرق ٨ : ٦٥٠)

فحضرنا هذا التقليد وانشرح خاطرنا وكان اناس هذه البلدة يكرموني للغاية بسبب ان الوزير كان قوي صاحبي وبقيت في هذه البلدة عشرين يوماً في غاية ما يكون من الانشراح

٢٧ السفر الى كوسكو

ثم خرجت من هناك قاصداً بلدة تسمى كوسكو (Cusco) . وخرج حاكم البلد ورئيس اليسوعية مع رفقائهِ وغير اصحاب ليودعوني فسافرنا نصف فرسخ ثم تودعنا وافترقنا فهم رجعوا الى البلد وانا ظلّيت مسافراً . ومن بعد يومين وصلنا الى نهر يسمى بوريتا (Apurimac) وكان على هذا النهر جسر ممتد منسوج من عروق الاشجار والاغصان عرضهُ ذراع اقل ام ازيد وطولهُ عشرين ذراعاً . فجزناهُ بصناعة عظيمة مع خوف شديد لان الاحمال يحضرونها عن البغال ويدخلها الهنود على ظهرهم الى جانب الاخر واحداً بعد واحد . واما البغال فينزلطونها من جلالاتها ويجيزونها الجسر فاذا سقطت رجل البغل بين الخشب الممتد على ذلك الجسر حينئذٍ يخاون رووس الخشب فيسقط البغل من ذلك العلو الى وسط الماء ويسبح ويفوت الى الجانب الاخر . فبهذا التعب العظيم جزنا بسبب ان الجسر يتجوجح وينهز كالمهد لمّا يدوس الانسان عليهِ . فلمّا حصلنا في ذلك الجانب شكرنا الباري تعالى على خلاصنا . فاما الهنود بسبب انهم يعرفون السباحة فاذا سقط احدهم في الماء يخرج سالماً . ومن هناك سرنا في الدرب فوجدنا اجناساً من الحيوانات منها خيل وافراس وحشية وبقر إيل وبغال وحمير وغير اجناس أُخر وهي تعيش في تلك الجبال المقفرة وما لها اصحاب . وجنس حيوان آخر يسمى بيكونيا وهو كصورة الغزال لكن بلا قرون . فهذا الحيون قوي انيس لمّا ينظر اناساً ام دوابّ مجتازين ينحدر من الجبل ليتفرج عليهم . وعددها كثير . وانا كان عندي كلاب للصيد وبندقية فقتلت بعضاً من هذه الحيوانات ولحمها لا يأكلهُ غير الهنود وصوفها ناعم كالحرير يصنعون منهُ البرانيط اي الشبقات وهو شبه التفتيك (١ لكن لونهُ عسلي

---

١) الشبقة هي البرنيطة ولعلها تعريب (chapeau) امّا التفتيك فهو نوع من الصوف الناعم

كلون الغزال (١ وفي بطن هذا الحيوان يوجد حجر البازهر بين كُلْيَتَيْهِ . فيخرجونهُ ويبيعونهُ بثمن غالٍ لانهُ نافع للسموم (٢

٣٨ السفر الى شبنكاي او ابانكاي (Abancay)

وبعد ثلاثة ايام دخلنا الى مزرعة قصب السكر وتسمّى الارض شبنكاي . وهذه الارض هي لليسوعية ويخرجون منها كل سنة ثلاثين الف خندكاري من السكر . والفلاحون الذين يفلحون كلهم عبيد سود ويشتغلون في عمل السكر

ومنها سرنا الى البلدة المذكورة بعد ثلاثة ايام فوصلنا اليها . وهذه البلدة كان يسكنها ملك الهنود المسمّى وازاواليا انيكا اخو الملك واساريكا المذكور فلمّا وصلنا قريبًا من البلد وسمع الرهبان اليسوعية خرجوا امامي واخذوني الى ديرهم بالترحيب . وهذا الدير كان قديمًا قصر الملك المذكور ووسع هذا الدير مع بستانهِ قدر نصف بلد . ودير الراهبات ايضًا هو داخل القصر . ووجدنا هناك من الحجارة المنحوتة من الهنود القدماء بغير آلة الحجّارين الحديديَّة . وهي مشغولة بغاية الرستاق (٣

وسكان هذه البلدة يومئذٍ اربعة الاف بيت سبنيوليين وثلاثة الاف بيت هنود

---

١) قد جاء وصف هذا الحيوان المسمّى (la Vicuna) او (le Guanaco) في كثير من الاسفار الاميركيَّة وكانوا يستخدمونهُ لنقل المعادن في الطرق التي يتعذر على الدواب سلوكها

٢) البازهر او الپازهر كلمة فارسيَّة معناها الترياق (من پاو = نظف وزهر = سم) وقد اشتهر هذا الدواء بين اطباء العرب وامتدت شهرتهُ مع اسمهِ الى المغرب فيقال (Bezuar) باللغة البرتغالية او (Bezoard) بالافرنسية . قال التيفاشي : « هذا الحجر بايدي الناس صنفان احدهما حيواني والاخر معدني ومعدنهُ بين جزيرة ابن عمر والموصل وهو هناك كثير ويوجد منهُ حجارة كبار وهو حجر رخو ابيض الحكاكة . واماّ الحيواني فهو المقصود بالكلام في هذا الحجر والباب هو حجر خفيف هش اصفر منقط نقطا خفيفة وهو ذو طبقات بعضها على بعض وينحل سريعًا اذا حُكَّ ومَحَكُّهُ الى البياض واعظم ما يوجد منهُ من مثقال الى ثلثة مثاقيل يؤتى بهِ من بلاد فارس من تخوم الصين . والحيوان الذي يوجد فيهِ البازهر هو الايل الذي يكون بتلك البلاد واسمه مجمعي اصله في لغة الفرس پادزهر اي منفس السم من الجسد وخواصه النفع من ذوات السموم باجمعها وهو يخرج السم بالعرق ويخلص من الموت . الخ » وقد اعتبر في القرون الماضية كاعظم الادوية وذلك خرافة لم يثبتها العلم

٣) الرستاق او الرزداق السطر من النخل والصف من الناس معرب راست التي معناها الخط القويم بالفارسيَّة وتأتي في اللغة العاميَّة بمعنى ترتيب ونظام

ولهم اسقف رجل صالح مع بقية طوائف رهبان ومدارس لاجل اولاد السبنيولية ومدرسة اخرى بناها اليسوعية لاجل اولاد الهنود . ومن قبل ان اجوز في هذه البلدة بمقدار ميل كان خرج لاستقبالي قسيسان من طرف الاسقف وحاكم البلد مع اليسوعية المذكورين واخذوني الى البلد بمقدار ميل والاسقف كان قاصداً اني انزل في داره لكن اليسوعية ما تركوني بل انزلوني عندهم . وقصد حاكم البلد ان ينزلني في داره لكني ابيت من الاسقف ومن الحاكم الذي كان صاحبي وجئنا من اسبانية رفقة . وهذا الحاكم لما وصلنا الى ليما تجوز (تزوج) مع بنت اعطته نقداً ماية وخمسين الف غرش كعادة بلاد النصارى ان البنت تعطي نقداً للرجل حسب حالها والاشراف كشرفهم . وفي اليوم الثاني جاء اسقف البلد زارني وجاء ايضاً باقي الاشراف ورؤساء الديورة . ومن بعد اربعة ايام خرجت انا واثنان من الرهبان اليسوعية في عرباني واوفيت زيارتهم

٣٩ وصف ابانكاي

ثم طلبوا مني ان اقدس في الكنيسة الكبيرة في حضرة الاسقف والقسوس والاعيان وباقي العوام فقدست لهم قداس باللسان السرياني الشرقي . وايضاً اهل الديورة والكنائس بقوا يجيئون ياخذوني حتى اقدس عندهم وكان عندي شماسان يخدمان قداسي وكنت عندهم بعز وكرامة وكانوا يهدوني هدايا من ديورة الراهبات ومن غير اماكن . وارسل لي ديوان القسوس الذي للكنيسة الكبيرة هديّة لائقة وارسل لي ايضاً اسقف البلد هدية بذلك المقدار وكان بعض اصحاب اعطاني عرباني لاخرج الى خارج البلد واتفرج على عمائر الهنود القدماء . فمن جملة ما نظرت قبور الهنود الذين في زمان كفرهم كانوا يدفنون ميتهم على وجه الارض ويعمرون فوقهُ قبراً مرتفعاً جداً بعلو ذراعين وعرضهُ ذراع ونصف وطولهُ ثلاثة اذرع وهذه القبور منفردة عن بعضها كل واحد على جانب

وفي تلك الايام صار زلزلة عظيمة خارج البلد على نحو فرسخين وكان هناك جبل منصوب على نهرٍ جارٍ فسقط الجبل من تلك الزلزلة في وسط النهر وسد جريان الماء فطاف ماء النهر على الارض واهلك مزارع ثلاث قرى وفي سقطة الجبل في ذلك الحين وتلك الساعة صارت ايضاً زلزلة في بلدة ليما وخرج الناس من البلدة لخوفهم لانهُ سقطت منازل كثيرة مع بعضها كنائس

وفي ذلك الحين جرى امر من ملك اسبانيــة في عزل الوزير صاحبي المذكور وانا بقيت خمسة اشهر في هذه البلد الكوسكو المذكورة وكان ذلك بسبب عرض الشتاء وزادت الانهر العديمة المجاز

٣٠ هنود بوقرتنبو (Paucartambo)

ثم بعد هذا الزمان المذكور خرجت من تلك البلدة متوجهاً الى بلدة تسمى بوقرتنبو وبعد سفر ستة ايام وصلنا اليها . وفي الستة الايام المذكورة كنت انام كل ليلة في ضيعــة وعند دخولي الى هذه البلدة خرج بعض اناس مع رهبان مار عبد الاحد وحاكم البلــد للاقاتي . فاخذوني الى داخل البلد بالترحيب فنزلت في بيت الحاكم لانــهُ كان خادم الوزير صاحبي . وهذه البلدة هي ستر يعني حدًا ما بين الهنود الكفرة والسبنيولية . والهنود يأخذون الرجال والنساء والاطفال الى ارضهم ويستعبدونهم ولما يكون عندهم عيد ام عزيمة يذبحون واحدًا من السبنيولية ويشوونهُ ويا كلونهُ . وعند هؤلاء الهنود يوجد جنس حشيش اذا علكوهُ يسكرهم ويعطيهم شجاعــة وقوة كشراب الخمر يسمى ذلك الحشيش كوكا (Coca) (١ . وما يوجد عندهــم لا قمح ولا شعير سوى درر مصر (الذرة) (٢ ويجعلون من هذه الدرر بوزه ويشربونها فتسكرهم كالعرق . وهؤلاء الهنود كثيرو العدد وشديدو القوة وما يقــدر السبنيولية ان يقاوموهم لانهم ساكنون في جبال شامخة وعليهم امير مدبر وهو الذي يحكم عليهم

٣١ معادن الفضة

ثم بعد ثلاثة ايام خرجت من هذه البلدة متوجهاً الى معدن الفضة المسمَّى قندونوما (Condonoma) وبعد يومين وصلنا اليهِ . فمن زيادة البرد وشدة الزمهرير ما قدرت امكث هناك غير ثلاثة ايام وبعد ذلك رحت الى معدن آخر يسمى قليوما وهو درب

---

١) الكوكا حشيشة لها خاصة معروفة لتقوية اعضال الجسم وقد اشتهر الان استعمالها في العقاقير . قال احد الرَّحلة المعاصرين لكاتبنا : ان الوطني في ضواحي كوسكو يمتنع عن الطعام ولا يمتنع عن مضغ حشيشة الكوكا فانهُ يجد فيها طعاماً وشراباً ودواء

٢) درر ولعلها درا مصر اسم للذرة على لسان العوام حتى في ايامنا ولعل ذلك لاشتهار الذرة المصرية

يوم عند جانب قرية صغيرة يخرجون هناك الفضة · وفيها تفرجنا على اخراج الفضـة وكيف يطحنون الحجارة مثل التراب ويجعلونها في الماء كالطين وبعد ذلك يمزجون فيـهِ الزيبق وطول النهار يحركونهُ مقدار عشرة أيام او اثني عشر يوماً والزيبق يجمع الفضة ويلتصق بها · ومن بعد الايام المذكورة يغسلونـهُ في حوض مجلّد بجلود البقر والماء ياخذ التراب ويوديه · والفضة ترسخ (ترسب) الى اسفل · هذه الصنعة تفرجت عليها عياناً

ومن هناك خرجت الى قرية تسمى لانبا (Lampa) وبعد يومين وصلت اليهـا ونظرت هناك الهنود يعمرون كنيسة جديدة وقسيسهم اسبنيولي لهُ عندهـم مقدار ثلاثين سنة · وهذا القسيس غنيٌّ جداً فخرج (صرف) على عمارة تلك الكنيسـة مايتي الف غرش · ومكثت تلك الليلة هناك وثاني يوم رحت الى معدن اخر يسمى بونو

٣٢ مقتل احد المتمولين ظلماً

وصاحب المعدن بونو رجل غني اسمـهُ دون خوسيف سلسيدو يعني يوسف من مدينة سيويليا وكان يعطي عشور الفضة الى الملك مليونين وسبعماية الف غرش وذكروا لنا ان هذا الرجل كان يخرج من هذا المعدن كل يوم ستة آلاف غرش · فحسدهُ بعض اعدائه واقاموا عليهِ بهتاناً وشهدوا زوراً قائلين ان هذا قد اتفق مع اناس بيض ويريد يصير حاكماً في هذه البلدة فكتبوا الى الوزير عن ذلك · فقام الوزير وجاء اليهِ الى جبل يسمى معادن بونو حيث كان سكن هذا الرجل المذكور ومسكهُ واخذهُ معـهُ الى بلد ليما وشنق من اصحاب هذا الرجـل بعض اناس وضبط اموالهم كما ضبط هذا المعدن للملك وضبط ايضاً الحجارة التي كانوا طالعوها من المعدن ليخرجوا فضتها وكان وزنها عشرة الاف قنطار · وحبسهُ الوزير في السجن والزموا عليهِ القتل فطلب من الوزير قائلاً : اعرضوا امري الى اسبانية للملك فان امر بقتلي فاقتلوني وان امر باعتاقي فاعتقوني وانا أفي جميع ما قرَّيت بهِ وها انا في حبسكم مضبوط · فلم يسمع الوزير والديوان لاقوالهِ بل سجلوا عليهِ القتل من طمعهم وكانت الضيع والبلاد من الفقراء والرهبـان والراهبات والايتام والارامل يستغيثون لله لاجل خلاصهِ لانهُ كان في كل عام يفرق من الحسنة ثمانين الف غرش وامر الوزير القاسي القلب بخنقهِ نصف الليل وبعد قتلهِ ارسلوا معلمين ليذوبوا تلك الحجارة ويطالعوا منها الفضة فلمّا القوها في النار ظهرت اشارة الله

وتحولت تلك الفضة الى رماد وصار ذلك عجباً عظيماً للناظرين والسامعين . واما المعدن الذي كان يخرج منهُ حجارة الفضة فطاف بالماء وغرق وعدموهُ . وصارت هذه اعجوبة ثانية . واما الوزير الذي قتلهُ ظلماً فبعد خمسة عشر يوماً بينما هو داخل الى مخدعهِ تراءى لهُ ذلك المقتول ظلماً كأنهُ واقفٌ على الباب فلماَّ نظرهُ اعتراهُ الخوف والرجفة ودخل مرتعداً من ذلك المنظر فسألتهُ امرأتهُ السبب فحكى لها ما نظر ثم وقع في الفراش مريضاً وبعد ستة ايام مات وصارت هذه ايضاً اعجوبة ثالثة امام الحاضرين والسامعين . والقاضي الذي سجل قتلهُ انشلَّت بعد ايام قليلة يداه ورجلاه . وهذه صارت عجيبة رابعة . لان هذا الرجل المقتول كان ذا خيرات وانعام مثلما سبقنا في القول وخيراتهُ لا توصف وكان ابًا للايتام والارامل وشفوقاً على الفقراء والمساكين ومفتقداً الديورة بكل الصدقات والنذورة وكان ينقد البنات الفقيرات ويزوجهن ولم يزل طول عمرهِ في عمل الخيرات حتى انهُ في جمعة الآلام ارسل مع اخيهِ الى بلد الكوسكو سبعين الف غرش ليقسمها على الكنائس والفقراء

ولما كان هذا الرجل في الحياة قبلما يُقتَل بمدة قليلة اقبل رجل فقير ذو عيال كان قد رافقهُ في المركب لما جاء من اسبانية فعرَّفهُ عن اقنومهِ وعرض عليهِ حال فقرهِ وكثرة عيالهِ . فلماَّ علم ان هذا كان رفيقهُ تحنن عليهِ وزعق (دعا) وكيل مالهِ واعطاهُ مفاتيح الخزنة وقال لهُ : خذ هذا الفقير الى الخزينة واتركهُ ياخذ قدر ما يريد من بارات الفضة فلماَّ حصل ذلك المسكين في الخزينة اخذ اثنتي عشرة بارة (١ وكل بارة تسوى الف وثلاثماية غرش واخرجها خارج المخزن وراح يستكثر بخير ذلك الغني فسال الغني وكيل مالهِ قائلاً : كم بارة فضة اخذ هذا الفقير. فقال لهُ : اثنتي عشرة . فرجع وقال للفقير : يامسكين لماذا لم تاخذ ازيد من هذا العدد . ثم انهُ استكثر بخيرهِ وانصرف . ولهُ على هذا المثال عمل خيرات زائدة الوصف . وكان لهُ اخ مختفٍ فلمَّا جاء وزير اخر ليحكم في ذلك البلد عرض على الملك امر الرجل المقتول ظلماً . فصعب ذلك على الملك والديوان لانهُ كان لهُ نجمٌ سعيد ينفع الفقراء والمساكين وخزينة الملك . فخرج امر من الملك بالانعام على اخيهِ المختفي وان يعطيه الوزير خمسين الف غرش من خزينة الملك وامرهُ ان يرجع يفتح معدن اخيه

١) بارة كلمة فارسية بمعنى القطع ثم جاءت بمعنى الهدية لعلَّهُ اراد البدرة من المال

فامَّا انا فما لحقت ذلك المقتول في ايام حياتهِ لكن تصاحبت مع اخيهِ الذي يسمى دون كسپار دو سلسيدو . وهذا كان يجاهد مع مائة نفر ليفرغوا الماء من المعدن . وقال لي ذات يوم: يا صاحب لماذا تروح الى اسبانية بالعجل اصبر هذه السنة حتى ننظِّف المعدن واجهزك من الفضة بالذي يقسم الله . لكن انا ما قدرت بسبب الوزير صاحبي المعزول الذي كان راجعاً الى اسبانية وهذا صار السبب المانع

٣٣ سبك الفضة

امَّا نحن فبعد ان خرجنا من هذا المعدن قصدنا بلدةً تسمَّى جكويت (Chuchui-to) . وكان الحاكم هناك ابن اخي كاتب الملك وكان رافقنا من اسبانية وهو يسمَّى دون اندريس ده برناجيا من بلاد بسكايا . ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى البلدة وفيها للملك بيت لسبك الفضة ومعلمون ووكلاء من جانبهِ لجمع الفضة التي تخرج من المعادن المحيطة بهذه البلدة فهم يأتون بالفضة ويذيبونها ويسكبونها ويعملونها بارات ويدمغونها بختم الملك . وان حمل احد حمل فضة رمليَّة ما دخلت الى بيت المسبك تضبط وتودع في بيت الملك

٣٤ سكان البلاد الاقدمون

وعن جانب هذه البلدة يوجد بحيرة استدارتها ستون فرسخاً (١ وذكروا لنا انَّ الهنود أَلقوا في هذه البحيرة جنزيراً من الذهب كان يخصّ الملك انيكا المذكور لمَّا قتلهُ السبنيولية وذلك الجنزير كان يحملهُ اربعة الاف رجل . وعند ما كان يعمل الملك لعباً كانوا يمدُّون هذا الجنزير على الارض فيحيط بالبلد فكان يدخل الاكابر ويلعبون ومن يقع منهم على الجنزير او خارجاً عنهُ كانوا يضحكون عليهِ . والان لا يعلم السبنيولية في اي جانب من البحيرة أَلقوهُ

ولم يكن لهؤلاء الهنود في ذلك الزمان دنانير لكن كانوا يتعاملون ويبدلون شيئاً بشيء . وكان في هذه البحيرة جزيرة كبرها فرسخان يسكنها هنود كَفَرَة يعبدون جبلًا منصوباً امامهم يسمى الجبل الاحمر وما كان يقدر احد يجوز اليهم لان عندهم

---

١) تسمى هذه البحيرة تيتيكاكا (Titicaca)

آلة الحرب كرماح وسهام ومقاليع · وكانوا يخرجون الى البر السالك ويأسرون السبنيولية ويأخذون البغال الذكورة ليذبحوها ويأكلوها · فامر هذا الوزير المذكور صاحبي ان يجتمع حكام القرى الذين في تلك النواحي · فاجتمعوا مقدار اربعة آلاف نفس وعملوا اربعين كلكًا وجعلوا فيهم اكياسًا مملوءة ترابًا وايضًا بعض افراس ثم اخذوا في ايديهم الاسلحة وجازوا في البحيرة على الكلك فلمَّا اقتربوا من الارض وقف هنود الجزيرة مقابلهم للحرب وكانوا يرشقونهم بالسهام والجنود السبنيولية يضربونهم بالرصاص والقوا اكياس التراب على ساحل الجزيرة لتقدر الخيل تخرج الى البر لأن هناك وحلًا شديدًا · فلما وصلوا الى الارض ركبوا خيلهم وركب ايضًا الفرسان واجتمعوا على الهنود وكسروهم وقتلوا منهم كثيرًا واستأسروا الباقي وعددهم ثلاثمائة هندي غير النساء والاطفال وقد مات في الحرب منهم ستمائة نفس · ثم اخرجوهم من تلك الجزيرة واتوا بهم الى بلد الكوسكو فطلب الوزير من اسقف البلد ان يلقنوا هؤلاء الهنود ويعلموهم قواعد ايمان المسيح ويعمدوهم ويقسموهم على البلاد · امَّا انا فبقيت في هذا البلد ثمانية ايام

٣٥ اطلاق سبيل بعض المسجونين – معدن مرمر

ثم خرجتُ قاصدًا قرية تبعد يومين تسمى كوماتا فيها دير لرهبان مار اغسطينوس وفيهِ ايقونة سيدتنا مريم العذراء تسمى كوپاكاوانا تعمل معجزات عظيمة يأتون اليها من كل جانب ليزوروها · فرحت تباركت من تلك الملكة الجليلة وزرتها · ومن هناك خرجت قاصدًا قرية تسمى بارنيكيلاوكان فتبعني اربعة لصوص ليسرقوا خيلي وبغالي فأعمت هذه العذراء بصائرهم فما قدَّرهم الله على قصدهم · وكان حاكم تلك القرية صديقي اسمهُ دون ايليا باسمي فخرج لاستقبالي مع بعض قسوس وعوام واخذوني الى بيتهِ · فثاني يوم جاء قسيس الهنود عندي وحكى لي قائلًا: ان في حبس هذا الحاكم سبعة رجال هنود محبوسين على شيء قليل · فقمت نزلت الى الحبس وفي يدي ورقة كُتبت عليها اساميهم وناديت الحبَّاس ان يفتح الباب ففتحهُ وناديتهم واحدًا واحدًا الى خارج الحبس وأعتقتهم · وفيما بعد سمع الحاكم بما صار فقال لي: يكون فدى راسك وشرفتنا بقدومك

وقرب هذه القرية بنصف فرسخ جبل عالٍ بهِ معدن حجر مرمر كالبلور فقصد هذا

الحاكم ان يعمل من هذا الرمر عمارة حمام كمثل قبّة صغيرة مركبة من هذه الحجارة يجعلونها في صناديق ويرسلونها الى ملك اسبانية لكنهُ توفي قبل ما يكمل عملهُ

٣٦ المال المجموع ظلماً

وبعد ثمانية ايام خرجت من هذه البلدة المذكورة قاصداً بلداً يسمّى سيكاسيك (Sicasica) · وفي ذلك الصقع كان يحكم احد غلمان الوزير صاحبي وكنت ديّنتهُ الفي غرش في بلد ليما · فخرج لاستقبالي وكان في جانب الدرب بحيرة قدرها نصف فرسخ وبقينا نتصيّد منها بعض اجناس الطيور الى بعد العصر · ثم اننا دخلنا الى البلدة المذكورة بغاية الاكرام ونزلنا في دار الحاكم وجاء جميع الكهنة والعوام لزيارتي · وسكان هذه البلدة هنود واسبنيولية · وذكروا لنا عن قسيس كان في تلك البلدة وكان قد مات منذ اربع سنين · فهذا القسيس كان خوريًّا متفردًا في معبد تلك البلدة مدة اثنتين وعشرين سنة وكان قد جمع لهُ اموالًا كثيرة من الظلم · فقبل مماتهِ اعترف الى الكاهن وعمل وصيته قائلًا انهُ طمر تحت فرشتهِ خابيتين مملوءتين الواحدة فضة والاخرى ذهباً · وايضاً عمل وصيته على يد القاضي ان هذا المال يكون ميراثاً لاخيهِ واختهِ · وانا كنت اعرف اخاه وهو قسيس يسمى دون خوزيف يعني يوسف واختهُ تسمّى دونيا اينيس · فبعد ان مات اخرجوه من البيت وسكروا الباب وختموه · فبعد ما دفنوه اتى اصحاب الشرع والحكام ليخرجوا المال المذكور · فلمّا حفروا المكان وجدوا الخابيتين مملوءتين دماً لا يوجد فيهما ولا دينار واحد · فكل الذين كانوا حاضرين تعجبوا من هذه العجيبة لان عدالة الله ظهرت هكذا في المال المجموع ظلماً · فلمّا علم بذلك مطران البلد ارسل يوصيهم ان يستروا ويخفوا هذا المثل الردي · لكن صار لهُ اهتمام عظيم عند الناس

٣٧ السفر الى اورورو وبوتوسي

وانا بعد ثمانية ايام خرجت متوجهاً الى بلدة تسمى اورورو (Oruro) وسافرنا في طريق عسر بتعب زائد · ومن بعد خمسة ايام وصلنا الى البلد وخرج لاستقبالنا الرهبان اليسوعية وانزلونا عندهم · كان حاكم البلد يسمى دون الونصو ديل كورال وهو رجل خسيس ما كان ياكل الّا كروش البقر · وخارجاً عن هذه البلاد

ثلاثة فراسخ يوجد معدن فضة غني جداً لان هذه الفضة يستخرجونها من غير زيبق وذلك هو ضد القانون في جميع المعادن ولا يوجد اصلح من هذه الفضة · ثم اني رحت الى المعدن المذكور واشتريت من الفضة الرملية مقدار خمسمائة غرش · وبعد ثمانية ايام سافرت قاصداً بلد بوتوسي (Potosi) وبتنا اول مرحلة في قرية هنود وكان عندي امر ان يعطوني بغالاً من قرية الى قرية وكنت اغرم الكروة مثلما يغرم الملك فناديت شيخ الهنود ان يحضر لي دواب وناولتهُ الكراء بشرط ان يحضر لي الدواب بعد نصف الليل بساعة وحان الوقت واشرق الصبح وطلع النهار وما احضر الدواب للرحيل · فارسلت افتش عليهِ فأتوني بهِ سكران فكنت اكلمهُ باللسان السبنيولي وهو يجاوبني باللسان الهندي · فامرت ان يشدوه بعمود البيت ويجلدوه · فمن اول ضربة السياط طلب ان يتركوه وتكلم بالسبنيولي قائلاً : ان الدواب مربوطة عنده في الدار · فسألتهُ لماذا ما تكلم في السبنيولي الى وقت ما ذاق السياط · فقال لي : نحن معشر الهنود لا نطاوع السبنيولية ان لم يضربونا

ثم رحت من هناك ووصلت الى مكان يخرج منهُ ماء سخن ورائحة ماء الكبريت وياتي بعض المرضى من اماكن مختلفة ليغتسلوا فيهِ · وبعد اغتسالهم يشفون من دائهم · واسم هذا المكان طاراپايا · ومن بعد ستة ايام وصلنا الى بلدة بوتوسي المذكورة فجاء الحاكم خارجاً عن البلد نحو ميل مع عشرة رجال من جماعتهِ واستقبلني بغاية الاكرام · وهذا الحاكم هو من اقرباء امرأة الوزير اوصاه بي في مكاتيبهِ · فنزلت في دير اليسوعية وجاء بعض اناس زاروني وانا ايضاً رحت زرتهم

٣٨ زيارة السكتخانة ومعدن الفضة

ثم في ذات يوم رحت الى البيت الذي يضربون فيهِ سكة الدنانير من غروش وانصاف وارباع · وفي هذا البيت السكتخانة اربعون عبداً يشتغلون واثنا عشر رجلاً اسبنيوليًا فرأينا الغروش مكومة مثل التل في جانب والأنصاف في جانب وانصاف الأرباع في جانب مكومة على الارض ويدوسونها بارجلهم مثل ما يدوسون التراب الذي لا قيمة لهُ

وعن جانب هذه البلدة يوجد جبل المعدن وهذا الجبل معروف في كل الدنيا

لزيادة غناه لان قد اخرجوا منهُ اموالًا لا يحصى عددها منذ مائة واربعين عامًا من اربعة اطرافهِ وقد احاطوه وحفروه وانحدروا الى اسفلهِ ليخرجوا الفضة وقد جعلوا لهذا الجبل عواميد من خشب سندًا من كل جانب لئلا يسقط الجبل لانهُ من خارج يبان صحيحًا لكنهُ فارغ من داخل · ويشتغل في باطنهِ في قطع الحجـارة مقدار سبعمائة هندي لاناس اشتروا لهم حصة من الملك لان لكل معدنجي بعض هنـود معينين ليشتغلوا في معدنهِ وفي امر الملك مرسوم ان يعطوا من كل قرى الهنـود رجالًا لقطع المعادن والقانون هو من كل خمسـة رجال يطلع واحد للشغل المذكور واذا لم يرضَ حكام القرى ارسالهم فالوزير يجرمهم ويعزلهم · ولمَّا يجيءُ هؤلاء الهنود الى بلد بوتوسي يقسمهم الحاكم على المعادن

٣٩ وصف استخراج الفضة

وفي هذه البلدة سبعة وثلاثون طاحونًا يطحنون فيها حجارة الفضة ليلًا ونهارًا ما عدا ايام الاحاد والاعياد · وبعد ما يطحنون الحجارة ناعمًا ياخذون ذلك التراب المطحون مقدار خمسين قنطارًا ويجعلونهُ كومةً ثم يجبلونهُ بالماء مثل ما ذكرنا سابقًا ويضيفون اليهِ الزيبق قدر الحاجة ثم يجبلونـهُ ويحركونهُ بالمجارف عدة مرات وان طلب زيبقًا ازيد فيطعمونهُ حتى يكمل · فان كانت طبيعتهُ باردة فيخلطون فيـهِ نحاسًا حتى يسخن وان كانت طبيعتهُ سخنة فيضيفون اليهِ الرصاص حتى يبرد · والواسطة التي بها يفرقون هل هو سخن ام بارد هو انهم ياخذون منـهُ في شقف فخار ويغسلونه بالماء حتى يروح الطين فتبقى الفضة والزيبق فيملسهُ (يدلكهُ) باصبعهِ على شقف الفخار المذكور · فاذا تفرفط (تفرّط) فهو سخن واذا انطلس (لصق) فهو بارد واذا كان مطبوخًا ومعتدلًا كاملًا فيجيء ممتدًا على الفخار ومبرقًا · ثم يجعلونهُ في حوض ماء والماء جارٍ عليهِ يحركونهُ بالماء بصنعة · فالفضة مع الزيبق يرسخـان الى اسفل والتراب ياخذهُ الماء الى خارج · فلمَّا يكملون غسل تلك الجبلة كلها يسدون ويقطعون الماء الفائض عليهِ وينظفون الحوض من الماء ويستخرجون تلك الفضة والزيبق الراكنين جميعًا ثم يجعلونـهُ في اكياس من جنفاص يعلقونها وتحت هذه الاكياس صناديق مجلدة من جلود البقر فيهرب الزيبق من الاكياس ويقع في تلك الصناديق المجلدة وتبقى الفضة خالصة فقط في الاكياس

مثل قوالب رؤوس السكر . وجميع هذه البضايع اللازمة لعمل استخراج الفضة تدور دواليبها بالماء مثل الطواحين وغيرها

وانا كان لي رجل صديق صاحب معدن فحكى لي عن والدهِ قائلًا انهُ كان لوالدهِ معدن في هذا الجبل لكن كان قليل الفضة فامر الفعلة الهنود ان يردموهُ ويسدّوه بتلك الحجارة التي اخرجوها منهُ . ففعلوا كما امرهم وسدوهُ وبدأوا يشتغلون في غير جانب . فمن بعد سبع وثلاثين سنة راح صاحبي هذا المذكور وفتح ذلك المعدن فوجد تلك الحجارة التي كانت غير نافعة قد تحولت وتبدَّلت في تلك الايام واستوت كالثمرة فاخرجوها واخذوا فضتها فاعطت كل واحد ثلاثين لان اقليم جبل الفضة هذا مسلط عليهِ نجم يسمى عطارد وهذا النجم يطبخ الفضة (١

ورأيت في هذه البلدة اربعة رجال اغنياء جدًا هؤلاء هم الذين يشغلون السكتخانه لقطع الدنانير وكل جمعة يشغل احدهم الكرخانة ويقطع في الجمعة مائتي الف غرش وازيد لانهم يشترون الفضة من اصحاب المعادن ويقطعونها غروشًا وهم يشترون الفضة الوزنة التي هي ماية مثقال باثني عشر غرشًا ونصف فلمَّا يسكّونها تصير ستة عشر غرشًا ويعطون كل سنة من هذه المعادن عشورًا للملك مليونين ونصف . وخارج هذا البلدة بحيرة ماء ذكروا ان في بعض السنين طافت على البلدة وهدمت بيوتًا كثيرة لكن الناس سلموا . وانا بقيت في هذه البلدة خمسة واربعين يومًا

٤٠ السفر الى جوكيسا كا (Chuquisaca)

وخرجت من هناك متوجهًا الى بلدة تسمى جوكز . وفي اللسان الهندي تسمى جوكيسا كا (٢ . فاول يوم وصلنا الى مكان فيهِ حمامات ماء سخن خلقةً يخرج من الارض يسميهِ السبانيولية لوس بانيوس كاليانتوس (los Bagnos Calientes) . فبت هناك تلك الليلة . وثاني يوم وصلت الى البلدة المذكورة فخرج اليسوعية خارج البلد لاستقبالي واخذوني الى ديرهم . وفي هذه البلدة يوجد ديوان الملك ومدبر البلاد لكنهم تحت يد وزير ليما . وفيها مطران لهُ معبور في كل سنة ماية وعشرين الف غرش وهذا كان

---

١) هذا من الخرافات القديمة

٢) وتسمّى الان لاپاز (La Paz)

سابقاً اسقفاً على بلدة اكوماناكا المذكورة وكان قد اهدانا هديَّةً في اسقفيَّتهِ وبعد ذلك انعم الملك عليهِ واعطاه هذه المطرانية . فثاني يوم رحت قابلتهُ فاكرمني اكراماً زائداً . واما رئيس ديوان البلد فهو رجل كاهن وكان صاحبي فاكرمني ايضاً بواسطة الوزير صاحبي لانهُ كان صديقهُ وكان يسمى دون برتلماوس ده باويدا . فارسل من قبلهِ رجلاً ليزورني . وجاء ايضاً من جانب المطران قسيسان زاراني وبعد ثمانية ايام طلع برفقتي راهبان من دير اليسوعية فزرت الذين زاروني من القسوس والرهبان والعوام

وبعد اثني عشر يوماً طلب مني المطران ان اقدس في الكنيسة الكبيرة يوم عيد الرسل وكان عندي آلة القداس يعني البدلة وغير اشياء كان انعم عليَّ بها البابا اكليمنضوس التاسع ومن بعد ذلك عزمني رئيس ديوان الملك لاقدس في كنيسة الديوان التي هي في سرايتهِ واهداني هدية ازيد من هدية المطران . ومن بعد ذلك كان روساء الديورة يدعوني ان اقدس في كنائسهم وفي ديورة الراهبات . وكان لي هناك رجل صديق من اهل الديوان يسمى دون خوان كونصالس وهذا رافقني من اسبانية . ففي ذلك الوقت جاء امر من الملك الى هذا الرجل المبارك ان يروح الى ليما وياخذ محاسبة من الوزير المعزول الذي هو صاحبي

وكان لاحد الرهبان اليسوعية اخت مريضة فطلب مني ان اروح ازورها وان كنت اعلم بشيء من احوال الطب فاحكمها . فرحت زرتها وعالجتها ببعض اجزاء مناسبة لعلتها وسقيتها درهماً من رماد العقاريق (١ فبقدرة الله تعالى تعافت . وكانت ايضاً راهبة أخرى في الدير مريضة فارسل اليَّ المطران دستوراً حتى اعبر اعالجها لان بغير اجازة لا يقدر احد ان يجتاز باب الدير فدخلت الدير وعالجت الراهبة . فبحكمة الله وعنايتهِ طابت وتعافت . فصار غوشة (حركة) عظيمة في البلد . وكانوا يريدون ان اسكن عندهم في البلد فارادوا ان يعطوني علوفة خمسمائة غرش في السنة فقلت لهم ليس هذا ممكناً

٤١ توكومان Tucuman وبونس ايرس Buenos Aires

وكان في الدير راهب يسوعي وكيل متصرف على بلاد تسمى توكمان (٢ ولهم هناك

---

١) العقاريق جمع عقروق لفظة سريانية (ܥܘܪܩܐ) معناها الضفادع

٢) يريد مقاطعة توكومان وبونس ايرس التي كانت تدعى رسالة الباراغواي الشهيرة في تاريخ

ديورة . واسقف تلك البلدة كان صاحبي ورفيقي من اسبانية فطلب مني الراهب ان اروح الى تلك البلاد وهي بعيدة خمسمائة فرسخ عن بلد جوكنز . وتروح في هذا الدرب كالكات وينصبون لها اقلاع فالريح توديهم . ووعدني ان طاوعتهُ ورحت معهُ وجبرت في خاطرهِ يعطيني الف بغل . لان المواشي في تلك البلاد شيءٌ كثير وعديمة القيمة في الجبال وهي وحشية . لكن امتنعت عن الرواح معهُ بسبب طول المسافة . وايضاً في تلك الجبال يوجد هنود كفرة ولخوفي منهم قصرت عن الرواح . وهذا الاقليم واسع جداً . وهو اكبر من الثلاثة الاقاليم الاخر غني بمعادن الفضة والذهب والجواهر . لكن سكانهُ قليلون وفيهِ ناحية تسمى سانتافه (Santa Fe) ومن هناك يخرج الزمرد . وهذه الاسقفية لها ارض خمسمائة فرسخ . وعن جانب هذه البلدة يوجد كورة وهي اسكلة بوناس ايرس (Buenos Aires) . وهذه البلدة هي على البحر المحيط قريبة من بلاد البرازيل التي من حكم البورتكيز . وفي هذه البلدة بوناس ايرس المذكورة يزرعون حشيشاً يسمى ايربا ديال بايل كواي وجميع المتولدين في تلك البلاد يشربون من الحشيش المذكور مغلياً مع سكّر بماء سخن . فاذا شرب الانسان منهُ فنجاناً واحداً ينفعهُ واذا اراد ان يتقيأ يشرب منهُ اكثر فيدلق جميع ما عندهُ من العفونات . وهذا سالك بين جميع الناس في تلك البلاد كمثل القهوة في بلادنا (١

العالم الجديد . وهناك جمع المرسلون اليسوعيون عدداً من الهنود المتوحشين ففكوا رقابهم من اسر الرق واكتسبوهم الى الانسانيَّة بعد ان كانوا يعيشون عيشة البهائم وهذبوا عقولهم وادَّبوا معيشتهم وعلموهم مبادي الحضارة والاهتمام بحاجات الحياة من حرث وزرع وحصد والارتداء بالثياب ودرَّبوهم على المعارف والفنون اليدويَّة وغيرها فاصبحت هيئة اجتماعيَّة قائمة بذاتها كاملة الاعضاء سعيدة المعيشة لا يعرف لها مثيل في الاداب العمومية والفردية . قال موراتوري : هذه هي المسيحيَّة السعيدة بالحقيقة . وقال بوفون (Hist. Nat. T. XX) : لا شيء اشرف للدين مما توصَّل اليهِ المرسلون اليسوعيون بتفانيهم فمدنوا امماً متوحشة واسسوا هيأة اجتماعيَّة كاملة ولم يكن سلاحهم الا الفضيلة . وقال روبرتسون البروتستنتي : (Hist. Charles V, T. I) قد بيَّن اليسوعيون قدرتهم على الخير بنوع خاص في العالم الجديد . فان فاتحي هذه البلاد كانت رغبتهم في المكسب والنهب والاستيلاء والفتك . ولم تكن غاية مرسلي الباراغواي الا الانسانيَّة . وقال اخيراً فولتير (Essai sur les mœurs, X p. 36) : ان تأسيس رسالة الباراغواي بواسطة اليسوعيين يبيّن بنوع ما اسمى درجات الانسانيّة

١) سماها المؤرخون والرحالون Yerva de Pales او Caacuys (اطلب Histoire Générale des Voyages, T 14 p. 146 etc.)

وعن يمين هذه البلدة جوكز المذكورة يوجد بلد يسمى ميسكي (Misque) ويسكنها هنود مع اسبنيول وفيها حاكم واسقف. ومنها ينحدرون سائرين في البحر مقدار خمسماية فرسخ ثم يصلون الى ارض تسمى جبلـه وجلويه وولدبويه . وفي هذه البلدة جبله اسقف وديوان الملك وحاكم يسمى جنيرال وهم دائمًا في حرب مع الهنود والكفرة لان هؤلاء الهنود من قبل ما كانوا يعلمون احوال الحرب لكن بعد ما تعاشروا مع السبنيولية تعلموا مثلهم. وما كان لهم اوّلًا خيل ولا كانوا يعرفون ركوبهـا . فالان صاروا يركبون الخيل برماح شبه العرب ويتحاربون مع السبنيوليـة دائمًا واذا مسكوا احداً منهم يشوونهُ وياكلون لحمـهُ. واما الراس فيخرجون جمجمتهُ ويعملونها طاسة ويشربون بهـا نبيذًا من نبيذ بلادهم وهؤلاء عصاة وشديدون وقساة القلب وهم مضادون للسبنيول وصيةً من ابائهم واجدادهم الّا البعض منهم كانوا هربوا من هذه البلاد من زمان الفتوح لما قُتل ملوكهم وسكنوا في جبال عالية وعاصية

فمن بعد خمسة واربعين يومًا خرجتُ من هذه البلدة صحبـة القاضي دون خوان المرقوم ليروح ياخذ المحاسبـة من الوزير صاحبي المعزول من ليما. ثم رجعت الى بوتوسي المذكورة. ولمّا كنت في بلد جوكز كان عندي صورة راس ووجه المسيح كنت قد جبتها (احضرتها) معي من رومية فاهديتها الى راهب يسوعي . فلمّا وصلت الى بلد بوتوسي وفتحت الصندوق وجدتهـا عندي في الصندوق فبقيت متحيرًا مع خدامي ورفقائي من هـذه العجيبة فلمّا سمع رئيس دير رهبان المرسه التي تأويلها رهبنة مريم الموهبة طلب مني هذه الصورة فاهديتـهُ اياها على ظني انها ترجع ثاني مرّة فما رجعت

٤١ الوزير المعزول

فالان نرجع نتكلم عن الوزير الذي في ليما صاحبي الذي عزلوهُ بغير ذنب وجاء امر من الملك الى المطران الذي في ليما ليحكم مكانهُ الى ان يجيء حاكم ام وزير آخر. وهذا الوزير المعزول كان سعى في هذا المطران حتى عملـهُ مطران ليما . ولمّا انعزل صار المطران عدوًّا لهُ كبيرًا. واما سبب عزل الوزير فهو ان تجار الهنـد كانوا كتبوا ضده الى الملك والى اخي الملك دون خوان اوستريا افتراء بغير حق

فبعـد وصول المعاريض من الهند الى اسبانية حصلت في يد اخي الملك الذي كان عدوًّا كبيرًا للوزير بسبب ان انا الوزير كان من طرف الملكة فارسل عزلهُ · واذا خرجت من بوتوسي صحبة ذلك الرجل الذي راح ليطلب المحاسبة من الوزير فوصلنا الى بلدة تسمى اوكيبا قريبة من البحر الازرق · وقبل دخولنا بليلة في نصف الليـل تاهت البغال فنمنا تلك الليلة في شدَّة عظيمة لان كان معي حمل فضة رملية فشكرنا الله عند الصباح وجدناها لان في تلك الارض ما يوجد حراميه · وثاني يوم دخلنـا الى البلدة المذكورة · فتلاقيت مع الاسقف المذكور الذي كان في باناما وانا حامل عكازته وخلصتني من الغريق في تابوكا · فترحب بي واستقبلني كأَخ لهُ بعز واكرام · فهناك حكوا لي عن هندي لهُ معدن قوي غني وما اكتشف عليهِ السبنيولية فكان يروح هو وابنهُ الى المعدن سرًّا في الليل ويقطعان حجارة الفضة وياتيان بها الى دارهِ ويصفيانها بالنار فلما حكوا لي انهُ اعطى حسنة قداس اربعين الف غرش ارسلت وراه ودعوتهُ عندي وقلت لهُ : اخبرني لاجل اي سبب لم تكتشف هذا المعدن للملك حتى ينعم عليك وعلى اولاد اولادك من فرايض ومراتب الحكم في هذه البلـدة · فاجابني قائلًا : رأيت هنودًا اقدم مني كشفوا حالهم للسبنيولية وماتوا اخيرًا تحت العذابات · هو هو السبب · فانا صدقت كلامه من جهة الظلم الذي نظرتهم يعماونهُ على الهنود · ومكثنا في تلك البلدة عشرة ايام الى وقت ما حصل لنا مركب

ثم سافرنا في البحر ثمانية ايام حتى انتهينا الى ميناء ليما الذي يسمى الكليا El-Callao وهو يبعد عن البلد فرسخين · والفضة الرمليـة التي كانت معي لو تكون بيد غيري لكانوا اخذوها للملك لكن ما ارادوا ان يفتحوا احمالي · ثم دخلنـا الى بلد ليما في عربانة صاحبي رئيس ديوان الايمان · وهذا رفيقي نزل في مكان آخر · واما المطران الموكل على الحكم ضادد هذا القاضي الذي جاء ياخذ المحاسبة وحبسـهُ في دارهِ قائلًا : اولًا تنفي الوزير الى مكان بعيـد مقدار مايتين فرسخ وبعد ذلك تسمع الشكاوات ودعاوي الناس · فاحضروا الوزير وعرضوا عليه امر النفي فطاع لان قوانين اسبانية لمَّا يعزل حاكم ينفونـهُ الى فرسخين لكن هذا الوزير عدوه دون خوان مثلما ذكرنا سابقًا فامر بنفيهِ الى مايتين فرسخ · فطاع امر الملك وخرج متوجهاً الى مكان النفي المرسوم الذي يسمى بايتا وهي ارض حامية يحضرون اليها ماء الشرب من بعد

فرسخين وبقيت امرأتهُ وخدَّامها خارج ليا فرسخين بسبب انهم كانوا قليلي العافية وانا طاعت في رفقة الوزير مع بعض اصحاب لنودعهُ الى ميناء الكليا. وهذا الرجل كانت امانتهُ زائدة في العذراء فقال: ولو سقوني السم ما يضرني بقوة الاله ووالدتهِ القديسة الطاهرة مريم . فخرج مركبهُ مسافرًا ونحن رجعنا الى البلد

فدخلت عند مطران البلد وتكلمت معهُ وقلت لهُ : كيف يحلّ من الله ان تنفي هذا المسكين الى ذلك المكان البعيد وهو رجل ضعيف لان الحكماء قالوا ان الذي يروح الى تلك البلاد السخنة يموت. فالسيد المسيح امرنا في افعـال الرحمة اننا نفتقد المرضى ونزورهم ولا نطردهم وننفيهـم الى مكان بعيد حيث خطر الموت . فاجابني قائلًا : انا مغتاظ على امرأتهِ لانها شتمتني لاجل ذلك اردت انتقم منها في نفي زوجها الى ذلك المكان. وكان الوزير لمَّا ودعتهُ امرني ان ادير بالي على بيتـهِ وعلى امرأتهِ لخوفهِ من الاعداء ان يسقوها سماً وانا بقيت سنة وشهرين مهتمًّا بعائلتهِ

فارسل المطران الى القاضي ان لا يحاسب الرجل الى وقت ما يعطيـه دستورًا . فبقي في هذا الحال مقدار سبعة اشهر متعطلًا . فمن بعد ذلك اعطاهُ دستورًا وجعل الموعد ثلاثة اشهر . ففي جمعة الآلام عجل القاضي في انهـاء هذه الدعوى وسجَّل الدفاتر وختمها وارسل لصق في حيطان الازقّة اوراقًا بان الوزير المعزول تقرَّر ان ليس عليهِ ذنب ولا اثبات بعلة من العلـل بل خالص من جميع المصاريف والزلل. فلمَّا سمع المطران حزن وخزق ثيابهُ من الهم. حينئـذٍ رجع الوزير من النفي الى بلدة ليا . فخرج للاقاتهِ من البلدة جميع الاعيـان والاشراف ورافقوهُ الى القرية حيث كانت امرأتهُ وصار فرح عظيم عند الاعيان وعند الهنود لسبب رجوعهِ سالمًا . ومنحهُ الله بعد رجوعهِ ولدًا ذكرًا سمَّاهُ فردينندو ديلا كورا كونده كستيليا ومركيز دي ماراكون

٤٣ صداقة السائح للمظلوم

ولمَّا كان الوزير منفيًّا ارسل المطران استدعاني وقال لي : لاي سبب انت مرتبط وملتصق بهذا الرجل ؟ تعال اليَّ واتركهُ وانا اسكنك عندي واساعدك في جميع مصالحك بكل ما تحتاج. فقلت لهُ: كيف يمكن ان اترك صديقي القديم واعدم صحبتهُ لاسيا مثل هذا الرجل الصالح وبالاكثر الان بسبب انهُ معزول . والله اوصانا باعانة الضعفاء واقامة الساقطين لان الانسان الذي يكون ولد حلال ويعرف اصلهُ وشرف

جنسهِ لا يترك صديقهُ الاول عند عزلتهِ بل يساعدهُ ويسليه في كربهِ وضيقتهِ • وانا واقف ايضاً في خدمتك ومحبتك ومثل ما انا صديقه انا ايضاً صديقك • فقال لي : اصنع ما تريد • فبعد مدة شهرين ارسل المطران يدعوني فعند ما دخلت البلد رحت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت لهُ فقال لي : اذهب اليهِ وكلمهُ بكل ما في خاطرك • فرحت اليهِ وتكلمت معهُ فقال لي : لاي سبب ما تروح الى بلادك فقلت لهُ : اذا اردت الرواح الى بلادي لا مانع يقدر يمنعني والان ما لي نيَّة ان اسافر من هاهنا • فقال لي : ان امرك والرخصة الممنوحة لك لاربع سنين وها شي قد كملت • فقلت لهُ : نعم هكذا هو لكن انا ما اريد اسافر وافترق عن الوزير وانت اصنع ما تشا وتريد • فقال لي : لاي سبب تحب هذا الرجل وتحامي لهُ وانا ما تحبني مثلهُ • فقلت لهُ : نعم ان في بلادنا وعوائدنا يحامون عن الانسان الوقع ويساعدونهُ ونكمل وصايا الله الذي اوصانا قائلًا حب قريبك كنفسك • فانا احب الوزير واحبك واحب قريبي • ثم قام من كرسيهِ وجاء احتضنني قائلًا : الله يبارك عليك لانك ابن ناس اشراف ودمك وافعالك تشهد عليك • فرجعت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت لهُ ما جرى ففرح وفرحت ايضاً امرأة الوزير وقالت : الله تعالى يرحم والديك الذين خلفوك ويزيد اصلك

٤٣ عودة الرحالة من البيروه الى باناما

ثم اني في تلك الايام انسحبت الى قرية خارجاً عن البلد بنصف فرسخ تسمى مادلينا لانهُ كان هناك بيت جميل وبستان لصاحبي رئيس ديوان الايمان فسكنت هناك خمسة اشهر وانا مستنظر مراكب اسبانية • وكنت ايضاً في ذلك الزمان اكتب تواريخ سفري • فلمَّا وصلت المراكب جاء معهم وزير جديد • وصار لي في هذه البلاد ست سنوات اسباب صاحبي الوزير المعزول لانهُ كان وعدني انهُ يقضي لي اشغالي عندما يرجع الحكم الى يدهِ • فلمَّا نظرت ان وزيرًا جديدًا قدم قطعت املي • فلما وصلت مراكب اسبانية الى بورتو بلُو ورست هناك امر مطران ليا الذي كان يومئذٍ متوليا وحاكما على تلك بلاد البيروه ان يحمل تجار ليا الخزنة على المراكب التي تخص الملك وينحدروا الى بورتو بلُو ويحضروا الموسم لان قوانين تلك البلاد ان لمَّا تصل الغلايين من اسبانية الى بورتو بلُو وتنحدر المراكب الى باناما فينقلون الفضة من باناما الى بورتو بلُو على

مقدار الف بغل ولا يزالون ينقلونها مدَّة شهر . والبعد هو ثمانية عشر فرسخاً . وفي نصف الدرب يوجد نهر صغير (Chagre) يقطعونهُ بشختورات يسمونها كتاوس (Chatas) موسوقة الى بورتو بلُّو ويصير الموسم حينئذٍ مدَّة اربعين يوماً لا غير وينهون في هذا الزمان كل البيع والشراء

فلنرجع الى قولنا . فخرجت مع الوزير المعزول وخرج كل الاشراف والاعيان ليودعوه وكان معنا تجار ذاهبين الى الموسم . وصار ذلك اليوم عظيماً بضرب المدافع والحراقات وذلك يوم الاحد في واحد وعشرين من شهر ايلول سنة ١٦٨١ فخرجنا من هذا الميناء المسمَّى الكلياو (El Callao) قاصدين ميناء باناما ومن الكلياو وصلنا في خمسة ايام الى ميناء يسمى يابتاف (Amotape) واشترينا كل ما نحتاز اليهِ من الزوادة فهناك الدجاجة تسوى غرشاً ونصف والغنمة تسوى خمسة غروش . ثم بعد يومين سافرنا فوصلنا بعد ثلاثة ايام الى مكان في البحر يسمى المورتوخاده (Amortajada) يعني المخنط لسبب ان هناك البحر قليل العمق وينحدر الماء ويسوق المراكب على انحراف . لكن الرب نجانا بواسطة والدتهِ الشفيعة مريم العذراء لان صار علينا ضباب وهمدت الريح وكانت امواج البحر التي تسمى كورنته (Corriente) تزعجنا وتدفعنا للارض حتى تأَملنا ونظرنا اننا صرنا قريبين للكهف (١ . فطار عقلنا وقمنا عموماً انتصبنا للصلاة والكاهن يبارك ويحل لاننا اشرفنا على الموت ونحن نتضرع بتخشع لله ولوالدتهِ مريم العذراء . فبعد ان اكملنا الصلاة هبت ريح من قلب الجبل مثل منفاخ ودفعت مركبنا الى البحر فتخلصنا من ذلك الشر والخطر العظيم . والمراكب اللاحقة وراءنا من بُعد لان الهواء كان هامداً والبحر جامداً لما رأَونا قادمين اليهم بالهواء تعجبوا جداً . ورافقتنا هذه الريح الى عصر اليوم الثاني فدخلنا الى ميناء يسمى سانتا إلينا يعني قديسة هيلانة (S. Helena) حيث مكثنا احد عشر يوماً ننتظر المركب القادم من بلد غواياكيل . وهذا المركب المدعو مركب الذهب كان محملاً اثني عشر مليوناً من الذهب . فلما وصل الينا الجنيرال امرنا بالخروج من هذه الاسكلة فخرجنا قاصدين باناما فدخلنا اليها بالخير والسلامة بعد خروجنا من ليما باثنين واربعين يوماً وهنا وجدنا مركبين فيهما جنود

---

١) نظنهُ اراد معنى الصخر لان كلمة الكهف وردت على لسان البغداديين بهذا المعنى نقلاً عن السرياني . والمعنى العربي معروف وهو المغارة او البيت المنقور في الجبل

اسبنيولية جاءوا من ينكي دنيا ليفتشوا على قرصان البحر يعني اللصوص الجلاليه (١ الذين في البحر القبلي . فاشار عليَّ صاحبي الوزير المعزول ان اذهب الى ينكي دنيا لانهُ استحى مني بسبب انهُ ما قدر يعمل معي شيئاً من الذي وعدني بهِ . واستعد ان يجهزني بكل ما اعتاز ويعطيني مكاتيب توصية الى وزير ينكي دنيا الذي كان من اقاربهِ

نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ العظيم ونؤرخ اخبار سفرتي الى بلاد ينكي دنيا (٢

السفر من باناما . جزيرة سليمان

ففي شهر كانون الاول من شهور سنة ١٦٨١ مسيحية دخلنــا في المركب الكبير الذي يسمى قبطانا وسافرنا ثلاثة فراسخ فوصلنا الى جزيرة تسمى تابوكا (Taboga) سابقة الذكر وهناك مكثنا ثلاثة ايام وملأنا ماء وتسوقنا خضراً وفواكه وغيرها من المبردات . ثم سافرنا قاصدين ميناء يسمى رياليخو (Realejo) فمن بعد خمسة ايام جزنا على جزيرة تسمى مونطوزا (Montuosa) وهي غير مسكونة وهناك سكنت علينــا الريح وبقينا اثني عشر يوماً لا يتحرك المركب . وكان ايضاً بجانبنا جزيرة أُخرى تسمى ايزلا ده لوس لدرونس (Isla de los Ladrones) اعني جزيرة اللصوص فذكروا لنا ان مركباً سافر في هذا البحر الى ينكي دنيا فاصابتهُ ريح مخالفة ورمتهُ في جزيرة الرمل ثم سكنت الريح بعد يومين فجعل البحرية يعمرون بعض اشياء في مطبخ المركب كانت انهدمت من كثرة الرياح التي صادفتهم في البحر فطلعوا الى الجزيرة واحضروا منها رملاً ليملأوا الحوض الذي يطبخون عليــهِ ثم سافروا من تلك الجزيرة . وثاني يوم طبخ لهم الطبَّاخ مثل العادة . فاراد ان يحرّكش النار فرأى الرمل كالحجر فقلعهُ فاذا هو قرص ذهب فلما علموا ارادوا الرجوع الى الجزيرة فما استطاعوا لانهــم لم يكونوا اكَّدوها ولا وزنوا قيراطات الشمس . وهذه الجزيرة كانت تسمَّى في كتب القدمــاء ايسلا ده سلامون (Isla de Salomon) يعني جزيرة سليمان ويقولون بان سليمان لما عمر البيت كان يحضر الذهب من هذه الجزيرة . والآن السبنيولية ما لهم نشاط واتفــاق وحرارة طبيعية حتى يفتشوا على هذه الجزيرة (٣ وبعد الزمان المذكور سهلت لنــا الريح

---

١) اطلب صفحة ١٤

٢) يريد بلاد المكسيك اطلب صفحة ٢

٣) وجدنا في تاريخ الاسفار نص هذا الخبر كما ذكره رحالتنا لكنَّ كثيرين من الكتبة

السفر فسافرنا وبعد ثلاثة ايام وصلنا الى ميناء يسمّى كولفو دولسه (Golfo dulce) يعني الخليج الحلو لأن هناك يجري نهر مـاء حاو ويختلط في البحر فرسينا هناك وخرج البحرية ليملأوا الماء وانا خرجت معهم الى الارض لشدة الحر وابتدأتُ اغتسل في مياه النهر الباردة ليتطرى جسدي. وهذا النهر عمقهُ ذراع فقط ورايت رملهُ مخلوطاً بالذهب فأريته رئيس المركب الذي كان مولوداً في تلك البلاد فقال لي: لا تعجب من ذلك لان في كل هذه الاراضي وهذه الانهر يوجد الذهب. لكن السبنيولية لا يتجرأون على المجيء لاستخراجهِ لسبب الهنود الكفرة الساكنين في رؤوس الجبـال لان في ذلك الصقع يوجد هنود بغير عدد. وفيما نحن راسون حدث علينـا اضطراب عظيم في البحر ومن شدَّة الاضطراب انقطع حبل المرساة مرتين

وبعد ان بقينا هناك ثلاثة ايام اقلعنا وسافرنا فوصلنا في ستة ايام الى ميناء اسمهُ كالديره (La Caldera) اي ميناء التنجره (الطاجن) فرسينـا هناك. فقلت لعسكر المركب ان يحوّشوا لي من البحر صفداً فاتوا بتسع صفدات ففتحتها واحدة واحدة لناكل ما فيها ففتحت واحدة ورايت داخلها حبة لؤلؤ قدر الحمصة. فقلت للجنيرال: ايش هذه النذالة كيف يكون في هذا البحر لؤلؤ وما تستخرجونـهُ. فقال لي: هذا ايضاً لخوفنا من الهنود الكفرة. وبقينا في الميناء يوماً وكانت الريح ضعيفة والسماء تمطر مطراً سخناً. وبعد خمسة ايام انتهينا قرب جبـل يسمّى پاپاكايو (Papagaïo) ولما وصلنا هاجت علينا ريح شديدة وانكسر صاري المركب ثلاث شقف فبقينـا من القاطعين الرجاء وايسنا من الخلاص لاجل الاضطراب الذي في البحر وهبطت قلوبنا من الخوف لكن بقدرة الباري تعالى هدي البحر وهمدت الريح

٤٥ بلاد نيكاراغا

وبعد ستة ايام وصلنا الى ميناء رياليخو (Realejo او Rialexo) ونزلنـا الى الارض فبقينا هناك يوماً وليلةً فكتب الجنيرال الى اسقف مدينـة ليون (Leon)

يتفون صدقهُ سيما بعد ما سمت اسبانية سنين طويلة في تحقيقهِ ولم تبلغ المرام. فقد سافر الفارو دو مندوزا سنة ١٥٩٥ وبمعيَّتهِ اسطول عديد فطاف كل الجزائر المجاورة فلم يجد ضالتـه. وبعد هذا التاريخ بثلاثين سنة سعى انطوان دى مدينـة وغيرهُ من البحَّارة في البحث المدقَّق فذهبت مساعيهم ادراج الرياح. على ان تسمية هذه الجزائر باسم سليمان وانهُ استجلب منهـا الذهب اختلاق لم يُبنَ على اساس

التي تبعد عن هذا الميناء نحو تسعة فراسخ واعلمهُ بقدومي فلمَّا سمع فرح فرحاً عظيماً لانهُ لمَّا كنت في باريس كان تصاحب معي وكان لهُ دعوى مع الرهبان في باريس وهو ايضاً كان راهباً من طائفة المرسه (Merci) فحين كسب الدعوى وجاء الى مدريد انعم عليهِ ملك اسبانية بهذه الاسقفية . وثاني يوم خرجت قاصداً مدينة ليون ولمَّا اقتربت رايت الاسقف جاء لاستقبالي خارج البلد مقدار فرسخين فتلاقينا مع بعضنا ثمَّ اخذني الى بيتهِ وبقيت عنده ثمانية ايام . وهناك صادفت رجلاً صاحبي كنت نظرتهُ وتعارفت معهُ في ليما . فهذا الرجل المبارك اهداني بغلة جيدة والاسقف ايضاً اهداني بغلة اكراماً

ومن بعد الثمانية الايام خرجنا من هناك الى ضيعة بعيدة فرسخين تسمى ساواجه ثم رحلنا منها فوصلنا الى ضيعة اخرى تسمَّى باللسان السبنيولي نوسترا سنيورا ديل ويخو (Nostra Senora del Vejo) يعني ضيعة ستنا العذراء للشيخ . فهذه العذراء لها معجزات كثيرة لا سيما مع المسافرين في البحر ولمَّا كنَّا في لجاج البحر وانكسر صاري مركبنا كما ذكرنا سابقاً كنت نذرت على روحي اني اذا وصلت الى كنيستها اقدس لها تسعة ايام فبقيت في هذه الضيعة تسعة عشر يوماً ووفيت نذري (١ وايضاً كنت انتظر سنبكاً الذي يسمَّى كانوه (Canoa وبالفرنساوي Canot) لنجوز هناك في مضيق البحر وهو نحو اربعة وثلاثين فرسخاً . وكان الاسقف اوصاني ان لا اعبر في هذا المضيق لانهُ مخطر جدًّا وفيهِ تغرق سفن كثيرة . لكنني اتكلت على معونة مريم العذراء وكنت ادعوها بنت بلادي وركبت في السنبك

٤٦ بلاد سان سلفادور — وصف نبات النيل

ففي عشرين ساعة جزنا ذلك المضيق ووصلنا الى الجانب الآخر ونزلت في قرية تسمَّى اماپالا (Amapala) وهي اربعة بيوت للهنود . فلاقيت هناك اسبنيولياً آتياً من ينكي دنيا وذاهباً للپيروه . فحكى لي انهُ باع فرسهُ لرجل هندي مع سرجها ولجامها بقرشين ونصف لانهُ كان يريد ان يجوز مضيق البحر ولهذا باع فرسهُ بهذا الثمن . ومن هناك رحنا وسرنا ثمانية ايام اربعين فرسخاً فوصلنا الى قرية هنود تسمَّى اموشايو . ومن

(١ ذكر المؤرخون هذا المعبد ووصفوا المعجزات التي تجريها فيهِ العذراء المجيدة وقد سميت سيدة ويجو او الشيخ لسبب جبل النار القريب منها والمسمى (Volcan Vejo)

هناك رحلنا وسرنا ثمانية فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى صان ميكاييل (S. Miguel) ومنها سرنا ثمانية فراسخ الى قرية تسمَّى زرواكين . ومنهـا سرنا ستة فراسخ فوصلنا الى قرية تسمَّى استيبيك (Istepec) ومنها سرنا سبعة فراسخ فوصلنـا الى قرية تسمَّى كوكينبيت . ومنها رحلنا الى قرية صان مرتين (S. Martin) ثمانية فراسخ . ومن هناك الى صان ساوادور (S. Salvador) . وفي هذه التخوم يزرعون النيل . وهذا النيل يشبه النفله اي الفصَّه التي يطعمونهـا للخيل وكل واحد منهم لهُ مزرعة فيزرعون النيل مثل القمح وبعض السنين يعلو طول قامة انسان فيرخص في ينكي دنيا وبعد ما يكمل زمان حصاده يحصدون ذلك الحشيش ويرمونهُ في حوض عظيم فيحمى ويأكل بعضـهُ البعض وفي ذلك الحوض دواليب ليخبطوا الماء ثم يفرغونه في حوض آخر ومن بعد ثلاثة ايام يزبد فياخذون في ايديهم تلك الزبدة مثل الطابات وينشرونهـا في الشمس فهذا الذي يسمونه في بلادنا نيل قروتي والاسفل يعملونهُ نيل التختة

٤٧ بلاد غواتيمالا

ومن هناك رحنا الى قرية تسمى خالابا وهو خمســة فراسخ . ومن هناك الى قرية تسمَّى اوبيكو سبعة فراسخ . ومن هناك الى قرية قديسة حنة ثمانيــة فراسخ . ومن هناك الى قرية تكيسا ستة فراسخ وهذه القرية يسكنهـا مولاتوس (Mulatos) يعني المولودين من اب ابيض وامّ سودا وهولاء هم سمر لا بيض ولا عبيد . ومن هناك الى قرية كليه تاكو ثمانيــة فراسخ . ومن هناك الى قرية اسكلاوس عشرة فراسخ . ومن هناك الى قرية بيتابا اثني عشر فرسخاً . ومن هناك الى قرية سنتياكو (Santiago) يعني مار يعقوب ستة فراسخ . ومن هناك جزنا الى بلد واتيمالا (Guatemala) ونزلت في دير مار عبد الاحد فقبلوني بفرح عظيم . وفي هذه البلدة ديوان الملك الذي يسمَّى في السبنيولي اودنسيا (Audiencia) يرأسهُ واحد يسمَّى برزيدنته (Presidente) اي رئيس الديوان . وايضاً في هذه البلدة اسقف غنيٌّ جداً اسمــهُ دون خوان اوتيكا فرحت زرتهُ وجاء هو ايضاً زارني يوم الاحد الثاني من صوم الكبير فدخلت قدست في الكنيسة من غير دستور الاسقف بحضرة اب اعترافهِ فراح حكى لـهُ عن حلّة القداس وعن بدلة البابا ففرح فرحاً عظيماً وامر اثنين من خوارنة تلك الكنيسة ان يقفـا في خدمــة قداسي عندما اقدّس . وبقيت في هذه البلدة اربعة وثلاثين يوماً معزوزاً

ومكرَّماً من الجميع وقدست في جملة كنائس وفي ديورة الرهبان وبالحق انهم كانوا يقدمون لي هدايا لائقة · وكان ايام الصوم الكبير سنة ١٦٨٢ مسيحية

ثم بعد تلك الايام خرجت من هذه البلدة ورافقني اثنـان من جواويش الديوان واربعة من الخوارنة من جانب الاسقف الى خارج البلدة بميل فتودعت منهم وتودعوا مني ورجعوا الى المدينة وانا سرت مسافراً ثلاثة فراسخ فوصلت الى قرية تسمى شتالينـا بجاكو · ومنها الى قرية تسمى باصون ستة فراسخ · ومن هناك الى قرية باسيا طولوز سبعة فراسخ · ومن هناك الى صان انطون جيشتبك (St. Antoine de Suchitepec) اثني عشر فرسخاً · وهذه القصبة كان لها حاكم من مدينة سيويليا فاشتكى عليهِ الهنـود الى ديوان واتيمالا حتى يعزلوه فقمت انا توسطت لهُ وكتبت الى رئيس الديوان الذي كان يسمى دون خوان ميكاييل ده اهورتو · وهذا الرجل قوي مسيحي ومحبٌ للكهنة ولما كنت اروح ازوره كان يبرك على ركبتيه ويبوس يدي · وفي هذه القصبة المذكورة يصير الكاكاو الذي يصفّونـهُ جيكولاته واشجاره كثيرة العدد وهي في يد الهنود وهم اغنياء جدًّا وقد جعلوا اربعة آلاف غرش رهناً حتى اذا تخاصموا مع الحاكم او مع خوري القرية يصرفوا من فائدة هذه الدراهم على القضاة والكتبـة · ورحت من هذه القرية الى قرية تابو وهي على خمسة فراسخ · ومن هناك الى قرية صانتا ماريا ده بيلين ستة فراسخ · ومنهـا الى قرية صان كريستوفل ثلاثة فراسخ · ثمَّ الى صان فرنسيسكو الالطو ستة فراسخ · ثمَّ الى قرية خولانياس ستـة فراسخ · ثمَّ الى رانجو قرية صان رايمون خمسة فراسخ · ثم الى اكواكتينـا انكو فرسخان · ثمَّ الى قرية بيانطو فرسخان · ثم الى قرية كوكومادانس عشرة فراسخ · ثمَّ الى قرية صان مرتين ثلاثة فراسخ ثمَّ الى قرية بيقيطان فرسخان · ثمَّ الى قرية صان انطون برسكين خمسة فراسخ · ثمَّ الى قرية وسيتمنام · ثم الى قرية اسكيتنانكو (Isquintenango) سبعـة فراسخ · ثم الى قرية سوسويتانكتو سبعـة فراسخ · ثمَّ الى قرية بينولا ثلاثة فراسخ · ثمَّ الى قرية توبيسيا (Teopisca) خمسة فراسخ · ثمَّ الى بيكانا قرية سيوداد ريال (Ciudad Real) ستة فراسخ · ثمَّ الى بيلاكانا فرسخان · ثم الى قرية استابا ستة فراسخ · ثمَّ الى خيابا خمسة فراسخ ثمَّ الى بلد جيابا (Chiapa) السبنيول فرسخان (١

---

١) هذه الاسماء مبهمة في الاصل وقد حققنا بعضها قدر ما استطعنا واثبتنا غيرها كما وردت

٤٧ بلاد شيابا (Chiapa) – رسول السلام

فدخلت الى هذه البلدة ونزلت في بيت الحاكم وفي هذه البلدة اسقف يسمّى دون الونصو براوو كان متخاصماً مع بروبنسيال (Provincial) اعني رئيس رهبان مار عبد الاحد . وكان الاسقف المذكور قد حرم حاكم البلد . فلمّا نظرت هذا الحرم والبغضة التي بينهما تألّمت كثيرًا فتكلمت مع الاسقف ومع البروبنسيال واجتهدت على عمل الصلح بينهما . ثم بعد يومين كان نهار عيد مولد العذراء وكان الجسد المقدَّس مصمودًا على المذبح الطاهر والاسقف كان يقدس . فبعد ان خلص من قداسهِ قمت انا من الكرسي واخذت معي البروبنسيال وحاكم البلد وقدمتهما امام الاسقف وبركت على ركبتي وقلت لهُ : قال السيد المسيح سلامي اتركهُ لكم وامرنا بالصلح والسلام وها هوذا السيد المسيح حاضر وناظر من على هذا المذبح المقدَّس فيجب علينا ان نترك جميع الافكار الخبيثة والحقد ونبدلها بالمحبة والوداعة كقول المخلص : باركوا ولا تلعنوا . فقام الاسقف رفع يدهُ وبارك عليهما وهو يضحك قائلًا : تبارك اسم الرب هاءنذا خوري جاء من بلد بغداد ليصلحنا . حينئذٍ حلَّ حاكم البلد من الحرم ورحنا الى دار الاسقف معزومين للغداء فبعد ما خلصنا من الغداء قام الاسقف من كرسيه ووضع على رقبتي جنزيرًا من ذهب يساوي مايتي غرش والحاكم المذكور اهداني بغلة جيدة وايضاً البروبنسيال اهداني هديَّةً وما كانوا يتركوني ولا دقيقة فكان القسوس والرهبان يسألوني عن بلادنا التي يسمونها الدنيا العتيقة . وبعد ان بقيت هناك ستة عشر يوماً سافرت قاصدًا قرية تسمَّى توستا وهي على فرسخين . ومنها الى قرية تسمى اكوسوكاونا اربعة فراسخ . ثمَّ الى قرية بيانتيك اربعة فراسخ . ومن هذه القرية يفرق الحكم لانها الحد بين حكم وزير ميخيكو (Mexixo او Mejico) اي ينكي دنيا وبين حكم واتيالا (Guatemala) لان حكم واتيالا قائم وحده

٤٨ الذهاب الى مكسيكو (Mexico) او (Mejico) – وصف القرمز

ثم سافرنا الى قرية سانا تيتيبك التي تبعد ستة فراسخ ثمَّ الى قرية استينبك تسعة فراسخ ومنها الى قرية اقانيتبك ثم الى بلد خلاپا وفي هذا البلد كان حاكم يسمَّى دون خوان بيتيا وهذا كان عمهُ كاتب ديوان الهند وكان قوي صاحبي . ولمَّا سمع بقدومي خرج

فرسخين خارج البلد للاقاتي واستقبلني بعز واكرام وانزلني في داره . وبالقرب من هذه البلدة جبل فيهِ جلاليـــة يشلّحون بعض الاوقات وينهبون عابري الطريق فارسل معي الحاكم اثنين من الجنود ليخفراني في معبر ذلك الجبل . فعبرناه بمعونـــة الله بغير ضرر ووصلنا الى قرية تسمى تكيسيا على اربعة فراسخ ومن هناك الى قرية صان خوان ديلا كرصتا اثني عشر فرسخاً ثمَّ الى قرية ينخابا خمسة فراسخ ثم الى قرية سان ميكاييل عشرة فراسخ ثمَّ الى قرية سان لوكس ثلاثة فراسخ ثمَّ الى بلد واخا كا (Guaxaca) ستة فراسخ وفي هذا البلد كان رجل شريف من اسبانية لهُ اخ في ليما يخدم عند الوزير صاحبي المعزول . فهذا كان اعطاني مكتوبًا الى اخيه الذي في واخاكا . فلمّا قربت من هذه البلدة ارسلت لهُ المكتوب فقام هذا الشريف وطلع خارج البلد فاستقبلني بفرح واخذني الى البلد وانزلني في بيت كان هيّأهُ لي . وكان اسقف هذه البلدة قد توفي وبقي كرسي الاسقفية فارغًا وكان هناك ورديان (Gardien) اعني رئيس كهنة . فهذا المبارك لمَّا كان آتيًا من الهند الى اسبانية وقع اسيرًا في الجزائر فسهل لهُ الله فأُعتق وصار رئيسًا على قسوس هذه البلدة وكانت لي معهُ صحبة واكرمني غاية الاكرام وكان اسمهُ دون ديونسيو . واماً هذه البلدة فهي غنيَّة بالعمائر والكنائس لاسيا دير مار عبد الاحد وباقي ديورة الرهبان ومارستانات المرضى والكنيسة الكبيرة فاخرة للغاية وغير كنائس أُخرى وانا كان معي خرجية مقدار ثمانمائة غرش فاودعتها عند صاحبي المذكور المسمَّى دون فرنسيسكو ده كاسترو حتى يتسوَّق لي بها قرمزًا لان في هذه البلدة ونواحيهـــا يطلع القرمز يلصق في بعض اشجار ذات ورق سميك مثلما ذكرنا سابقًا فيلتصق مثل الدود في الورق ويصير مثل حب الجدري ثم في حين بلوغهِ يستخرجونهُ ويضعونهُ في فرن حامٍ فييبس وينطفئ . وبعد ذلك ييبسونهُ

ومن بعد خمسة عشر يومًا خرجت من هذا البلد قاصداً ميخيكو (Mexico) المذكورة حيث يجلس وزير الملك فبعد اربعة فراسخ وصلنا الى ضيعة تسمى ابيتا ومن ابيتا الى طاطو ستة فراسخ . ومنها الى اوانيتيبك خمسة فراسخ ثمَّ الى قرية صان انطون فرسخان ثم الى قرية كوس خمسة فراسخ . ثم الى سان سابصطيان خمسة فراسخ . ثم الى قرية تيواكان اربعة فراسخ ثم الى ضيعة الاخوتيبيك خمسة فراسخ . ثم الى قرية تبيا كا سبعة فراسخ ثم الى مدينة بوبولا ده لوس انخلوس يعني مدينة شعب الملائكة

(La Puebla de los Angelos) ستة فراسخ فجزتُ الى هذه البلدة ونزلت عند رجل من اصحابي . وهي بلدة كبيرة مفرحة بالقصور وبالعمائر وغنيَّة بالكنائس مثل الكنيسة الكبيرة التي هي غنية جدًّا بالعمارة والفضة والذهب والذخائر المقدسة ويسكن الان في هذا البلد اسقف يسمَّى دون عمانوييل ده سانتا كروس وهو رجل عالم وخائف الله ولهُ معبور في كل سنــة ثمانون الف غرش . وايضاً في هذا البلد ديورة من جميع طوائف الرهبان

٤٩ وصف مكسيكو

ثم بعد يومين خرجت متوجهاً الى بلد ميخيكو التي هي بعيدة من هذه البلدة نحو اربعة وعشرين فرسخاً فوصلتُ اليها ودخلت الى المدينة ونزلت عند احد اصحابي كان معي مكتوب لــهُ من بلد واتياماالا فقبلني بالعز والاكرام . فمن بعد يوم وقعتُ مريضاً وبقيت عشرة ايام في الفراش . واما وزير هذه البلدة فكنت احضرت لهُ مكتوباً من قريبهِ الوزير صاحبي الذي كان في البيروه . فبقي يرسل الي حكماءهُ ليشرفوا عليَّ . وبعد عشرة ايام تعافيت بعناية الله وقمت زرت الوزير وزرت امرأته فاستقبلاني بمحبة ووجه بشوش وعرض عليَّ الوزير ان اسكن عندهُ في السرايا فاستكثرت بخيرهِ وشكرت فضلهُ على ذلك وما اردت انزل عندهُ بل استكريت لي بيتاً بثلاثمائة وستين غرشاً في السنة واشتريت لي عربانه وبغال بستمائة وخمسين غرشاً ثم ابتديت اروح ازور الاشراف فزرت اوَّلاً مطران البلد ثم زرت باقي الاعيان . فالمطران اعطاني دستوراً ان اقدّس اينما اشتهى خاطري وفي كل ليــلة وقت المغرب كنت اروح القش (التحدث) عند الوزير مقدار ساعتين وارجع الى بيتي . واماَّ هذا المكان فهو ارض واطية وفي جانب هذه البلدة بحيرة ماء نابعــة من الارض . وفي بعض السنين امطرت مطرًا زائدًا فغرقت البلدة وكثير من البيوت امتلأَت ماء وسقطت وهذه الارض ما لها اساس ثابت . وايش نتكلم عن الكنائس التي في هذه البلدة وعن شرف وحسن بنائها وزيادة غناها وهو شيء لا يوصف . لان في هذه البلدة ثلاثة ديورة لرهبان مار افرنسيس وديرين لرهبان مار عبد الاحد وديرين لرهبان اليسوعيَّة وثلاثة ديورة لرهبان مار اغسطينوس وديرين لرهبان المرسي ومارستانات لمداواة المرضى وسبعة عشر ديرًا للراهبات وديرًا للرهبــان الكرملتانيين . والكنيسة الكبيرة وغير كنائس أُخر عديدة

٥٠ كنيسة العذراء العجائبية

وخارج البلد بنصف فرسخ يوجد كنيسة على اسم مريم العذراء تسمى وادالوبي (Guadeloupe) · وذكروا لنا انهُ بعد دخول السبنيولية الى هذه البلاد بايام قليلة بينما كان احد الهنود المسمّى خوان ديكو دائرًا خارج البلد اذ ظهرت له امرأة جليلة بهيّة في غاية الجمال وقالت لهُ اذهب الى مطران البلد وقل لهُ ان يبني لي بيتًا في هذا المكان · فارتعد الهندي المذكور من ضياء نور وجهها وراح عاجلًا مثل ما رسمت تلك الست وقال للمطران كل ما امرت بهِ · فلمّا تأمّل المطران في هذا الهندي وفي حالتهِ الزريّة وثيابهِ الحقيرة امر بطردهِ فرجع هذا المسكين خائبًا ومطرودًا الى المكان الذي تكلمت معهُ تلك السيدة الجليلة · فظهرت لهُ مرّة ثانية في المكان المذكور وقالت لهُ كقولها الاوّل ان يرجع الى المطران ويقول لهُ كما امرتهُ · فاطاع امرها وراح ثانية عند المطران وعرض عليهِ كل ما امرتهُ تلك الست فاحتقرهُ ايضًا المطران وامر بتهجيجهِ وطرده فرجع محزونًا ومطرودًا الى ذلك المكان · فظهرت لهُ الست ثالث مرّة وقالت لهُ : لماذا لم تعمل الذي امرتك بهِ · فاجابها قائلًا : ياستي قد فعلت مرسومك ورحت مرتين عند المطران وعرضت عليهِ كل ما امرتني لكن هججني وما صدقني · فقالت لهُ : امضِ اليهِ ثالث مرّة وقل لهُ كل ما امرتك ودونك هذا الورد خذهُ معك الى المطران ليصدق قولك · ثم ناولتهُ الورد وكان غير اوانهِ · فاخذ ذلك الهندي الورد وجعلهُ في الرداء الذي كان ملتحفًا بهِ وقصد بيت المطران فلمّا نظرهُ الخدّام وعرفوهُ هججوهُ وطردوهُ · فقال لهم : لاجل الله اتركوني اتكلم مع المطران لان عندي هدية من عند الست الاسبنيولية اهديها لهُ · فاعلموا المطران بذلك فامر بدخوله فلمّا وقف بين يديهِ قال لهُ : ياسيدي الست ارسلتني اليكَ ثلاث مرّات وتقول لك ان تبني لها بيتًا في المكان الفلاني وها قد ارسلتْ لك هذا الورد حتى تصدّق قولي وتتيقّن انها هي ارسلتني اليك · فلمّا رمى الهندي الورد من ردائهِ ونظر المطران لهذا العجب لانهُ ما كان زمان الورد وزاد عجبهُ اذ نظر صورة مريم العذراء قد ارتسمت في رداء الهندي وكان ذلك الرداء من شال سميك · حينئذٍ جثا المطران على ركبتيهِ امام هذا الهندي وطلب منهُ الغفران وعاجلًا تخاطفوا ذلك الورد من ذلك الهندي بحيث ارتسمت صورة العذراء في ردائهِ ثم شلحهُ المطران الرداء المذكور بزياح ودق النواقيس ووضعهُ في المذبح الكبير بفرحٍ وعيدٍ عظيم

وخرجوا الى المكان المذكور وامر المطران بعمارة الكنيسة في المكان الذي ظهرت فيهِ للهندي المذكور وسماها كنيســة مريم العذراء ده وادالوبي . والهندي خوان ديكو المذكور كمّل حياته في خدمة العذراء في تلك الكنيسة وتنيح مثل الطوبانيين . وهذه الكنيسة خارج عن البلد ميخيكو بنصف فرسخ كما ذكرنا وهي غنيَّة جدًّا بالفضــة والذهب والبدلات المثمّنة حتى ان درج المذبح الكبير وهو تسع درجات صنعوهُ من فضة والعواميد التي على المذبح ايضاً من فضة فمن حدّ هذه الكنيسة الى داخل هذه البلدة قد عمروا مثل الجسر بعلو ذراعين من سبب ان تلك الارض في ايام الصيف لمّا تمطر تصير كلها بحيرة فما يمشون الّا على ذلك الرصيف لان في ذلك البلد يبدأ المطر من اول شهر ايار الى آخر شهر ايلول بخلاف عوائد وطقس بلادنا

٥١ هجوم الهراطقة على اسكلة ويرا كروس

وانا فبقيت مرتاحاً في هذه البلدة نحو ستة اشهر حتى وصل مركب من اسبانية واحضر جملة مكاتيب من التجار الى شركائهم وفي هذا المركب جاء رجل محتال وجعل نفسهُ انهُ قادم من طرف الملك ليفتش على المذنبين وياخذ محاسبة من خزندارية الملك فهذا الشقي رمى خوفاً في قلوب كثيرين من المذنبين . امّا الوزير فانهُ لمّا سمع كتب الى حاكم الاسكلة ان ينظر في الاوامر التي معهُ فما اراد ان يظهر اوامرهُ فعلم الوزير انهُ كاذب محتال فارسل خلفــهُ جنوداً ليحوشوه فوجدوهُ وامر الوزير بحبسهِ . وبتلك الايام جاء بعض مراكب قرصان الى مينا ويراكروس (Vera Cruz) وكانوا كلهم هراطقة مجتمعين من كل اجناس الطوائف فوصلوا في الليــل وخرجوا للبر بعيداً عن الميناء بفرسخ ودخلوا البلد مثل اللصوص لان ليس للاسكلة سور وعبروا الى بيت حاكم البلد وحبسوهُ . وبعد ذلك دخلوا واخرجوا الناس رجالًا ونساء وحبسوهم في الكنيسة الكبيرة وسكروا عليهــم واقاموا حراساً على الابواب وابتدأوا ينهبون ويسلبون الديورة والكنائس والبيوت مقدار ثلاثة ايام . ثم اخرجوا الناس من الكنيسة وحملوهم مال النهيبة وساقوهم الى حيث كانت المراكب راسية بعيداً نحو نصف فرسخ وحملوا المال وجميع الرجال والعبيد في هذه المراكب واخذوهم الى جزيرة قريبة من ذلك المينــاء نحو فرسخ وانزلوهــم هناك وقالوا لهم امّا ان تعتقوا ارواحكم او نقتلكم جميعاً . وقطعوا عليهم مائة وخمسين الف غرش فارسل هولاء المساكين من جانبهم الى مدينة

البوبلا المذكورة (Puebla) ليحضروا عتاقهم · فمن بعد عشرة ايام قدموا لهم المائة والخمسين الف غرش فأعتقوا الناس السبنيولية واخذوا العبيد السود وجميع المال الذي نهبوهُ من هذه البلدة مقدار ثمانية مليونات وكان عدد هولاء القرصان الجلالية ستمائة نفر والسبنيولية مع عبيدهم كانوا ازيد من اربعة الاف نفر. وكان الرئيس على القرصان رجل هرطوقي لهُ رفيق وشريك اسبنيولي يسمى نسيليو فتخاصما على قسمة المال ما بين الاثنين فقتل نسيليو الرئيس الهرطوقي وانتصب عوضهُ رئيساً على القرصان · وانا كان لي في هذه البلدة حمل قرمز اشتريتهُ من واخا كا بالف غرش فنهبوهُ من جملة الاموال· وبينما هولاء القرصان في تلك الجزيرة اتت المراكب من اسبانية وفي دخولها الى الميناء ارسل الوزير فاعلم الجنيرال حقيقة الحال ليحارب قبل دخوله الميناء اولئك القرصان ويحرقهم · فنصب الجنيرال بيرقًا ليجمع عندهُ روساء كل المراكب ويعملوا ديوانًا ويحطوا خطوط اياديهم حتى لا يكون الجنيرال مذنبًا وحدهُ لان مراكبهُ كانت موسوقة بضائع فخاف ان يغرق لهُ مركب او يحترق في المحاربة. فلمّا ابتعد من الميناء واجتمعوا وعملوا ديوانهم نظر اليهم نسيليو فنصب قلاعهُ وسافر وهو يضحك على المراكب السبنيولية وخرج امامهم من غير خوف بعد ما اخذ معهُ ازيد من الفي اسير مع عبيد سود ومنهم حمر وكان ذلك في تاريخ سنة ١٦٨٣ مسيحيّة

٥٢ من المكسيك الى بغداد عن طريق الصين

فمن قبل هذا التاريخ بمقدار مائة سنة على زمان فيلبه الرابع ملك اسبانية سافرت مراكب من ينكي دنيا الى نواحي الصين فرأوا جزيرة واكتسبوها وجعلوا اسمها فيليبيناس (Philippines) على اسم الملك المذكور وسكن هناك اسبنيولية وراحت في غير سنين الى هذه الجزيرة مراكب مع عدّة قسوس ورهبان وتلمذوا اناسها وردّوهم من الوثنيّة الى ايمان المسيح (١

ومن هذه الجزيرة يجي في كل سنة مركب الى ينكي دنيا ملآن من بضائع بلاد

---

١) لم يصب مؤرخنا المرمى في تعيينهِ لزمن اكتشاف هذه الجزائر فان مكتشفها هو رويس لوبس دى فيلالوبس سافر سنة ١٥٤٢ من المكسيك وبلغ هذه الجزائر بعد شهورين ولم يتملّك عليها الاسبانيول الّا في سنة ١٥٦٠–١٥٧٠ وقد عُرفت مذ ذاك باسم فيليب الثاني ملك اسبانية

الصين فيصل من هذه الجزيرة الى ينكي دنيا بثمانية اشهر لكنهُ في العودة يرجع بثلاثة اشهر (١ وايضاً كل سنــة يروح الى تلك الجزيرة مركب من بلد سورط (٢ الى تجار ارمن يسمون جلفاليه (٣ ساكنين في هذه الجزيرة — وهم اثنان — يأخذون مال هذا المركب ويدينونهُ للسبنيولية لوعدة سنة • ففي كمال السنــة يجي مركب من سورط فياخذون من السبنيولية دراهم العام الاوَّل ويعطونهم ايضاً لمثــل هذه الوعدة الرزق الجديد • ولا يُعطى دستور لغير طوائف فلا يجي مركب الى هذه الجزيرة سوى المركب الذي للجلفاليه فقط • وكان لي نيَّة ان اسافر مع المركب الى تلك الجزيرة ومن هناك

---

١) لمَّا توطدت سلطة اسبانية على بلاد الهند الغربي (البيروه والمكسيك) والشرقي (الهنـد وجزائر الفيلبين الخ) اراد التجار في كل من مدن مانيـلا (Manille) وليما (Lima) ان يربطوا الهندين معاً بطريق البحر تسهيلًا للمواصلات التجارية وتقريباً للمسافات الشاسعـة. فنجح سعيهم وجعلت المراكب تسير بين العالمين حاملة من امركة الى الصين والهند الشرقي مـا امتازت بهِ من المحصولات والفضة والذهب نقوداً وسبائك فتعود محملة بضائع الصين من مصاغات وحرائر واقمشة وابازير وتوابل وعطريات وقد اشتهرت الجوارب الحريرية التي كانوا يأتون منها كل سنة بخمسين الف جوز . اما مدَّة السفر فكانت تختلف مع الطريق فيقلع المركب من ميناء الكالاو (Callao) في اواسط اذار متتبعاً الارياح الموسميَّة المسماة (Alizés) التي تهب من الشرق للغرب فيبلغ مانيلا في اقــل من شهرين لكن العودة صعبة كانت تستغرق من عشرة اشهر الى اثني عشر شهراً فارشدهم احد الاباء اليسوعيين الى الانتفاع من الارياح المضادة فجعلوا يخرجون في تموز من مانيلا فيسيرون نحو الشمال الى ان يلتقوا بالارياح الغربية التي تهب في تلك الاصقاع فتدفعهم الى شطوط كاليفورنية والمكسيك بين شهر ك ١ و ك ٢ فيحطون في ميناء اكابولكو (Acapulco) في المكسيك

٢) نظنهُ يريد مدينة (Surate) في شمالي مقاطعة بمباي في خليج كامباي الذي دعاهُ ابن بطوطة كنبايَت وقد وصف مدينةً بهـذا الاسم وذكر سعة تجارتها. اما سورط او سورات فهي مدينة حديثة لم يكد ياتي ذكرها في كتب العرب لان اشتهارها لم يسبق اوائل القرن السابع عشر حيث اصبحت ملتقى تجارة المغول والفرس فاقامت فيها الشركات الانكليزية والافرنسية والهولنديـة فروعاً مهمة وكان فيها رسالات دينيَّة لليسوعيين وغيرهم

٣) يريد على زعمنا النسبة الى جلفا (Julfa) وهو حي او محلة في جوار اسبهان بناه شاه عباس في اوائل القرن السابع عشر واجلى اليها سكان مدينة جلفا القديمة وسماها باسمها جلفا وما لبثت ان اصبحت مدينة مهمة امتدت الكثلكة بين سكانها الارمن الكثيرين وتعددت الرسالات للرهبان اللاتين فاتت باثمار خلاصيَّة ذكرنا شيئاً منهـا في الجزء الاول الصفحة ٨٢–٩٢ من مجموعتنا المعنونة Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient. Prix 6 f. (Picard à Paris, Luzac à Londres, Harrassowitz à Leipzig) 1905

اركب في مركب هؤلاء الجلفالية الى سورط ومن سورط الى بلادي (١ لكن صدني عارض مع الرجل الذي كان ذاهباً ليحكم في تلك الجزيرة (٢ فطلب مني ان ادينهُ عشرة الاف غرش فشاورت الوزير فقال لي : در بالك لانهُ مديون وعليهِ مائتا الف غرش ديناً . فامتنعت عن الرواح وقصدت ان ارجع الى بلاد اسبانية

٥٣ اخبار الصين والفيليبين

وذكروا لنا ان من مدَّة خمسين سنة لما كان بعض الكاروزين يذهبون من هذه الجزيرة الى بلاد الصين الجواني ليتلمذوا اناسها ويرجعوهم من الكفر الى ايمان المسيح فالشيطان عدو الخير والاحسان القى في قلب ملك الصين ان يقتل جميع الرهبان الذين يكرزون هناك فقتلهم وامر بتحضير مراكب وعساكر ليسافر الى جزيرة فيلبيناس (Philippines) فلمَّا نظر سكان الجزيرة هذا العسكر العظيم القاصد محاربتهم اعتراهم الخوف لكونهم قليلين وغير مستعدين فما لهم حيلة ولا ملجأ غير الدخول الى الكنيسة فعبروا للكنيسة وابتدأوا في التضرع والصلاة وحملوا الجسد المقدَّس وخرجوا بالزياح والصلاة الى محاربة الاعداء فبقوَّة الله وعدالتهِ التي لا تتخلى عن القاصدين اليهِ بامانة هاج البحر على تلك المراكب وشتت شملها وحطَّمها وابادها ومن جميع ذلك الجيش العظيم ما خلص سوى ثلاثة عشر مركباً . فلمَّا سمع ملك الصين بهذا الضرر العظيم الذي اصابهُ حزن حزناً عظيماً ومن حزنهِ هلك عاجلًا واوصى ابنـهُ الكبير المتولى الحكم بعدهُ ان يهيئ عسكراً آخر بمراكب حصينة ويقصد محاربة تلك الجزيرة . فلمّا اهتم ابنهُ المذكور وجمع العساكر وجهز المراكب عرض لهم مثلما عرض للاولين وبادوا اجمعين وعرض لهذا الملك ايضاً ما عرض لوالدهِ ومات فقعان لحزنهِ . فخلفهُ اخوهُ الصغير ولما جلس في الحكم نوى ان يهيئ عساكر ومراكب فاشارت عليهِ والدتهُ ان لا يضاد تلك الجزيرة لئلا يجري لـهُ ما جرى لابيهِ واخيهِ بل الافضل ان يصالحهم

---

١) كانت المواصلات التجارية بين سورات وبغداد عن طريق العجم متتابعة كما جاء مراراً في الرسائل والرحلات المطبوعة والغير مطبوعة المحفوظة عندنا ويا ليت رحالتنا عاد الى بلادهِ عن طريق الفيليبين والهند والعجم لكانت سفرتهُ غريبة لم يسبقهُ احد اليها

٢) الفيليبين جزائر لا جزيرة واحدة

ويصاحبهم ويتركهم يدخلون البلاد ويكرزون ولا يعارضهم بوجه من الوجوه. والآن في كل ثلاث سنين يجيء رهبان من اسبانية ويعبرون للصين ويكرزون ويتلمذون بغير مانع . وانا كان لي صديق كان قبطان في تلك الجزيرة مقدار سبع عشرة سنة فلما جاء الى ميخيكو استضاف عندي وحكى لي جميع هذه الامور والمعاجز التي صارت في فيلبيناس . وهذا الرجل صادقٌ بقولهِ وايضاً شهادة الرهبان اليسوعية وغيرهم من الرهبان الذين ثبتوا تثبيتاً صادقاً واضحاً تلك المصيبة (١

٥٤ جزائر ماريان

ومن مدّة خمسين سنة اكتشف ايضاً السبنيولية على جزيرة قريبة من فيلبيناس وفتحوها وكان سكانها هنود عابدو الاصنام فلمّا ملكوها نصّروا وعمدوا اهاليها وسموها على اسم الملكة امرأة الملك فيلبه الرابع (Philippe IV) وام هذا الملك كارلوس الثاني وكان اسمها الملكة ماريانا ده اووستريا (Marie-Anne d'Au-triche) التي هي اخت الامپارادور ليوبولد فجعلوا اسم تلك الجزيرة ايزلا ده مارياناس (Mariannes) . ولمّا كنت انا الحقير في ميخيكو جاء مركب من فيلبيناس وجاء معهُ راهبان من رهبان مار عبد الاحد ومعهما عرض حالات الى سيدنا البابا . وهولاء الرهبان جاءوا معي الى اسبانيــة في مركب واحد حينئذٍ اروني العرض حالات حتى اعينهم واساعدهم عند سيدنا البابا على المصيبة الذي قد صنعهــا قضاة فيلبيناس مع مطران هذه البلدة وهي ان المطران المذكور تخاصم مع الرهبان اليسوعيّة وطلب منهم العشور فما اطاعوهُ ولا ارادوا يؤدوالهُ ذلك (٢ فبسبب هذا احشوا عليهِ (كذا) قضاة البلد

---

١) لا ندري كيف لخص مؤلفنــا هذه الاخبار ونظنهُ خلط بين اخبار الاضطهادات التي حدثت في اليابان والصين والتونكان

٢) يجهل الرحالة ان اليسوعيين وكثيراً غيرهــم من الرهبان معفون من اداء العشور لروساء الابرشيات على اننا قلّبنا كتب التاريخ فلم نجد ما ينطبق على قول صاحب الرحلة ولربما خلط بين حادثين جرى الاول بين اليسوعيين في المكسيك وبين يوحنــا بالافوكس مطران بوبلا ده لوس انجلوس وذلك قبل رحالتنا باربعين سنة فطلب المشور من اليسوعيين فلم يرضوا وحكم لهم الكرسي الرسولي . اماَّ بالافوكس فابتعد عن مدينته وزعم ان ذلك باغراء المرسلين. واخبار هذا الامر طويلة (اطلب تاريخ الرهبانية اليسوعية للمسيو كريتينوجولي المجلد ٤ الصفحة ٦٨ الخ) والثاني بينهم وبين ارنان غريرو مطران مانيلا في الفيليبين من معاصري صاحب المقالة وقد ذُكر

فارسلوا تحت الليل مسكوه وحطوه في المركب ونفوه الى مكان بعيد ثلاثين فرسخاً . وهذا المطران كان راهباً من رهبان مار عبد الاحد ومات ذلك المطران في النفي كمثل مار يوحنا فم الذهب . فلما وصل هذان الراهبان الى روميــة وعرضوا تلك العرض حالات المشتملة على هذه القضية الى سيدنا البابا وسمع البابا تلك الفاحشة الرديئة ارسل يعاتب ملك اسبانية على هذا الفعل الذي صنعهُ القضاة في ذلك المطران . فلما علم الملك والديوان هذا الامر ارسل الى فيلبيناس وعزل اولئك القضاة من وظائفهم ونفاهم وماتوا منفيين تحت الحرم

٥٥ الرجوع الى اوروبة

فنتكلم الان عن رجوعنا . ولما ارادت المراكب ترجع الى اسبانية فانحدرت من بلد ميخيكو (Mejico) الى اسكلة ويراكروس (Vera Cruz) وهي ثمانين فرسخاً . فتكلمت مع جنيرال المراكب ان ياخذني الى اسبانية فطلب مني كروه الف غرش مع الأكل والشرب لان قوانين هذه المراكب انهم يكرون الاوضـه ذراعين وعرضها ذراع وثلث وعلوها ذراع ونصف . فلمَّا رايتهُ طلب الف غرش صعب عليَّ لكن غصباً عني رضيت . فمن بعد ثمانيــة ايام اجتمع رؤساء المراكب وعملوا ديواناً ومشورة ان كانوا يقدرون ان يخرجوا من الهند ويأتوا الى اسبانية في هذه الاشهر ورموا القرعة لانهم لا يقدرون ان يسافروا الَّا بعد ثلاثة اشهر فجهزوا مركباً صغيراً مع مكاتيب واخبار تلك البلاد وارسلوهُ قبلهم سبيقاً الى اسبانية فلما نظرت ذلك حرت في امري بسبب ان تلك الاسكلة حارَّة وماءها عاطل وهواها اتعس . حينئذٍ استهمَّيت وركبتُ في ذلك المركب الصغير الذي ارسلوهُ الى اسبانية قاصداً السفر معهُ الى جزيرة تسمَّى لاوانا (La Havana) لانها اسكلة الى غلايين البيروه والى مراكب ينكي دنيا التي يقال لها الفلوتا (flotte) فحصــل صديق لي في اسكلة ويراكروس واشار عليَّ ان اشتري حملين بصل يابس وصندوقين تفَّاح لاجل ارمغانات (١ فاشتريت وعملت بشورهِ

في تاريخه انهُ دعا كهنة مانيلا الى اجتماع فاعتذر اليسوعيون فغضب المطران ولكنه لم تطل مدة غضبه عذرهم واعلن اسفه لما حدث وعاد الى ما كان عليهِ من مصادقتهم (اطلب Historia delle Philipine p. 220 وكريتينوجولي المجلد ٥ الصفحة ٢٢ الخ)

١) ارمغانات اي هدايا وهي كلمة فارسيَّة الاصل جرى استعمالها في حلب وما بين النهرين

وسافرنا مع قدرة الله وبعد عشرين يوماً وصلنا الى هذه الجزيرة المذكورة لاوانا ونحن فرحون مسرورون وحاكم هذه الجزيرة كان اخا الجنيرال الذي اوصلني للبيروه فقدمت لهُ البصل والتفاح ارمغان فتعجب وقال : كيف علمت اننا نعتاز البصل والتفاح في هذه الجزيرة . فانهم اذا زرعوا البصل عندهم في الجزيرة يطلع مثل اذناب الفار واذا تركوهُ حتى يكبر يتخ وييبس . فبقيت في هذه الجزيرة اربعة اشهر ونصف حتى جاءت المراكب من ينكي دنيا وهذه الجزيرة هواها مليح وماؤها طيّب واناسها محبون فلما اردت اخرج من هذه الجزيرة حتى اتوجه الى اسبانية جاءني بشاكيش (١ عوض البصل والتفاح تسعة صناديق سكر مع مرطبانات (٢ المربى وانا كنت استكريت في المركب الذي كان جاء من كراكس (Caracas) بثلاثمائة وخمسين غرشاً وسافرنا . فبمعونة الله وصلنا الى جزيرة القاع (Lucayes) فقام علينا اضطراب في البحر من عظم زيادة الريح ودام احد عشر يوماً وتشتتت المراكب على وجهِ البحر ونحن بقينا في بكاء وعويل مع صلوات وزياحات في المراكب وندورة الى الكنائس والقديسين ومن بعد الاحد عشر يوماً المذكورة سهَّل الله وهمد عجاج البحر واجتمعت مراكبنا التي كانت مشتتة لان في الليل يشعلون الفنارات حتى لا يتيهوا ويضيعوا بعضهم عن بعض وايضاً حتى لا يقربوا كثيراً الى بعضهم لئلا يخبط مركب في مركب وينكسروا . حينئذٍ جاءتنا ريح مناسبة فرجعنا الى دربنا متوجهين الى كادس (Cadix) . فمن بعد اثني عشر يوماً كشفنا على الارض من فجر النهار وكانت الريح مساعدةً جداً حتى في نصف النهار

٥٦ من اسبانية الى رومية

دخلنا بالسلامة الى ميناء كادس وكانت مراكب الحرب التي لملك فرنسة راسية خارج الاسكلة وايضاً مراكب الحرب التي لملك اسبانية راسية قبالهم . فلمَّا دخلنا بين هذه المراكب سلمنا عليهم بضرب المدافع فردَّت مراكب فرنسة واسبانية علينا السلام وبقي ضرب المدافع من الجانبين وصار الدخان عليهم مثل الضباب فدخلنا المينـاء

---

١) بشاكيش جمع باشكيش او باشكاش ذكرها المؤلف غير مرة في مقالتهِ واراد بها البخشيش الشهير في بلادنا . وبخشيش كلمة فارسية من فعل بخشيون بمعنى اعطى وغفر

٢) مرطبان كلمة فارسية يراد بها الاناء الذي تحفظ فيهِ الحلاويات والعقاقير وغيرها

ورسينا . فثاني يوم اتانا اصحاب من البلد في سنابك وطالعونا الى البر فاخرجت صناديقي بامر رئيس الديوان الذي يسمى برسيدنته من غير ان يتحوصها ويفتشوها كالمادة . فمن بعد عشرة ايام رحت الى بلد سيويلية (Séville) لاخلِّص الفي غرش من قبطان مركب كان تديَّنها مني ليشتري عازة مركبهِ . فلما وصل الى كادس يسَّقوا على المركب واخذوه لان كان عليهِ دين لكنيسة سيويلية ثلاثين الف غرش فرحت انا ادَّعيتُ فحكم البرسيدنته بالحق وقال: قبل كل شيء يستوفي هذين الالفين غرش لانهُ لولا هذا المبلغ ما جاءكم المركب . فاعطوني اياها ورحت الى كادس واستكريت مع مركب هولانديزي حتى اتوجه الى رومية وكان معي خادمان من اولاد الارمن وكنت احضرت معي من الهند اربع درَّات وهي الطيور التي تسمَّى في لسان الفرنجي پاپاكاي (ببغاء) (Perroquet) يتكلمون مثل الانسان وجبت ايضاً قنديل فضة يساوي الف وار بعمائة وخمسين غرشاً وصنعتهُ غريبة فقدمتهُ الى سيدنا البابا والى كنيسة المجمع فلمَّا رآهُ الكردينالية فرحوا فرحاً عظيماً بلطافة صياغتهِ . وفي ذلك الحين انعم عليَّ سيدنا البابا اينوسنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن لائقاً لها . والحمد لله الى الابد امين



هنا تنتهي رحلة الخوري الياس الموصلي وهي الصفحة المائة من كتابه ويليهِ ١١٢ صفحة وصف فيها المؤلف اخبار الامم التي كانت تقيم في تلك الاقطار قبل دخول الاوربيين اليها وتاريخ كشف البيروه وما جرى بين المواطنين والفاتحين من الحروب والمناوشات . وقد اعتمد المؤلف على عدد من المؤرخين الاسبانيين ذكر اسماءهم في تضاعيف كلامهِ اخصهم كارسيا (Grég. Garcia: *Orig. de las Indias*) واكوستا (Jér. d'Acosta: *Hist. Gén. des Indes*) وكارسيلاسو (Garcilasso) وغيرهم مثل سالاصار وانطون ده ادبرا وديكو ده البازى ورودريكو لوصا واندراوس ده لارا وهو كو كارون . وقد قابلنا بين نصهِ وبين بعض نصوص المؤرخين المشار اليهم فوجدناهُ قد اجتهد في فهم معناها واداتهِ لكنهُ لم يدرك كيف يلخصها تلخيصاً يلذ المطالع ضاماً المعاني بعضها الى بعض منتقداً الاخبار غثها من سمينها . وقد اخترنا ممَّا ذكر شذرة عن بدرو ده كاندي (Pedro de Candie) او الاقريطشي احد فاتحي البيروه وقد ورد مراراً ذكرهُ في تاريخ الفتح واثنى الكتبة والمورخون على تدينهِ وشهامتهِ وذهب الكاتب انهُ رومي الاصل اعتماداً على اسمهِ فاذا صح هذا المدَّعى كان لاحد ابناء الشرق نصيب في كشف البيروه وفتحها وهو شرف جدير بالذكر

بدرو الاقريطشي احد فاتحي البيرو

اكتشاف البيرو . بيزارو (Pizaro) ورفقاؤهُ الثلاثة عشر .

بدرو الاقريطشي (Pedro di Candia)

كان فرنسيسكو بيزارو من اوَّل فتاح امركة اتخذ لهُ رفقة ولكنهم لمَّا رأوا اتعاب السفر والحروب مع الهنود والجوع والعطش ... لم يرضوا متابعة السير فسحب بيزارو سيفهُ وخطَّ على الارض خطاً وقال: كل من يريد ان يرجع الى باناما فليتجاوز هذا الخط حتى يعلم من هو شجيع بينهم فما بقي معهُ غير ثلاثة عشر نفراً ... فسافر هؤلاء في البحر وبلغوا الى مكان يسمَّى كركونا (Gorgone) اي دوَّار الماء في البحر فبقوا هناك زماناً بالصبر على الشدائد والجوع والعُري وكثرة الامراض وظهرت رجوليتهم وحفظوا عبادة الله مثل ما يجب للنصارى الكاملين مجتهدين بالصلوات للعذراء القديسة في مسبحة الوردية مرتلين وممجدين اسم الخالق وكفُّوا عن الحلفان والتمقمق ... فصار هؤلاء الثلاثة عشر سبباً لاستدعاء الكفرة التائهين في الظلمات وعتمة عبادة الاوثان الى طريق الخلاص ... وقواهم الله في الخروج من كركونا .. ثم وصلوا الى ارض تدعى كابولانا (Capullana) فعلم بيزارو ان في تلك الارض يوجد ست حاكمة في تلك النواحي وهي كريمة وسخيَّة في العطاء فرسم بيزارو ان يروح نيكولاوس اريبويره (Nicolas de Ribera) الشيخ لانهُ رجل منوَّر وصاحب اقبال مع رفيقين معهُ عند هذه الست فراحوا وطلبوا منها المساعدة في النصر فاجابتهم: اعطيكم ما تحتازون من اكل وشرب لكن لا أهبكم عساكر . فاخذوا لهم زواده وركبوا مركبهم وسافروا الى ميناء القديسة هيلانة المذكورة سابقاً ... ومن هناك بلغوا جزيرة بونا (Puna) ... فخافوا ان يصير لهم ضرر فتركوها ونزلوا قرب البر وشعب تونبيز (Tumbez) ناظر اليهم ..(١ فلما نظروا الخلق الذين يتفرَّجون

---

١) كل هذه الاخبار تتبعناها على كتاب رحلة بيزارو سنة ١٥٢٦ فلم يخطئ الكاتب في نقلها . (اطلب تاريخ الاسفار المجلد ١٣ الصفحة ٤٢ الخ) وقد اكتفينا هنا بالمهم منها

عليهم ازيد من اربعين الف نفس افتكر هولاء الثلاثة عشر نفرًا ان يجربوا بختهم ويرسلوا لهم رسولًا يطلب منهم اكلًا وشربًا بالمحبة من غير قتال . فاختاروا واحدا من بينهم كان يدعى اسمهُ بطرس وهو من طائفة الروم اصلًا من قريطش (١ فهجم وحده ُ باتكال على غيرة النصرانيّة لابسًا الزردية وحاملًا الخنجر والسيف والبندقية واختار لهُ من السلاحات الروحيَّة لانهُ كان ماسكًا بيدهِ صليبًا طويلًا طولهُ ذراع وكان المذكور جسيًا فاراد يجرّب بختهُ متكلًا على قوَّة الصليب المقدَّس فلما نظره ُ الهنود تعجبوا من شكلهِ ونظروا وتأملوا فيهِ كشيء الاهي لكنهم تشاوروا ان يفلتوا عليهِ سبعًا ونمرًا محفوظين هناك للملك واينا كاباك (Guaynacapac) . فاما بطرس القريطشي فلما شاف تلك الحيوانات طلب المعونة من السماء والنصر من الصليب المقدَّس ففي الحال اقتربت منهُ الحيوانات بوداعة من غير تشوّش ولا افتراس وحصلت قدامهُ عند رجليهِ فلاطفها كالخرفان الحليمة ومدّ يده ُ الى رؤوسها مماسًا لها ووضع الصليب على جبهاتها فصار هذا بتوفيق واعجوبة قوَّة الصليب المقدَّس المنجي عابديه من الاعداء المنظورين والغير منظورين . فلما نظر الهنود تلك الاعجوبة تيقنوا ان بطرس القريطشي هو ابن الشمس او انهُ نزل من السماء فهكذا قبلوه ُ وادخلوه الى هيكل الشمس الذي بناه ُ الملك واينا كاباك جنب قلعة تونبيز حيث كان في تلك البلدة معلمون صيّاغ كثيرون وحيطان الهيكل مغطاة بصفائح الفضة من غير الكنوز التي جعلها الملك اوقافًا لذلك الهيكل وايضًا بهائم وطيور وحيتان من جميع الاجناس مصاغة سكب من فضة وذهب وايضًا بساتين باشجار واثمارها مصنوعة من فضة وذهب . ومن بعد ما اكرم الهنود بطرس المذكور وتفرَّج على جميع ذلك المال رجع الى المركب وحكي لرفقائه الاثني عشر عما نظر من الغنى الغزير قدره ُ وبما صار من الاعجوبة مع الوحوش بقوَّة الصليب المقدَّس فمن تلك الساعة اتخذ لهُ عوض السلاح صليبًا لان هو الذي خلصهُ من تلك الافات الوحشيَّة . واتّفق بيزارو معهم على ان اثنين من العسكر يبقيان في تونبيز ليتعلما اللسان الهندي ويفهما احوال وقواعد هذه البلاد وهو بيزارو مع العشرة انفار يرجعون الى باناما حتى يجمعوا عساكر . . .

---

١) اقريطش جزيرة معروفة في بحر وتدعى ايضًا كندية (Candie) والظاهر ان بطرس كان منها

الآثار النصرانية

في امركة المتوسطة والجنوبية

عذه نبذة ثانية نقلناها عن كتاب رحلة الخوري الياس الموصلي الى امركة من قسمها التاريخي الذي لم ننشرهُ موضوعها التقاليد القديمة التي لقيها الاسبانيون لدى وصولهم الى امركة المتوسطة والجنوبية من صلبان وآثار وعاديات واخبار غريبة في بابها تذكر كلها ان رجلًا عظيمًا زارهم في الاجيال السالفة وعلمهم وتنبأ لهم بما سيكون. وقد قلّبنا الرحلات والتواريخ ورسائل المرسلين فرأينا من هذه التقاليد والفوائد شيئًا كثيرًا يكاد ان يثبّت رأي من قال ان النصرانيّة اتصلت الى تلك الاصقاع وتركت آثارًا لا تنكر وإن صعب تعليل مصادرها وازمنتها . على ان كاتبنا ذهب — وذهب قبلهُ وبعدهُ كثير من الكتبة — الى ان القديس توما الرسول بشّر بالانجيل الطاهر في امركة الجنوبية ونصّر عددًا من سكانها . لكن الايام طفت على ما بذرهُ من تعاليم الخلاص فابيستها وابادتها . ذلك امر لا ننكر احتمالهُ لكننا لا نجزم بحقيقتهِ لضعف البراهين وابهامها وامكان تأويلها بزيارة مرسل او كاهن زارهم عمدًا او قذفتهُ اليهم العواصف في اجيال قريبة من اجيالهم . وقد لمح العلماء البولنديون الى هذا الراي ووصفوهُ بقولهم « ان ما يذكر عن اخبار امركة القديمة في هذا الشان اقرب الى الغرابة منهُ الى الصدق » : (Acta Sanctorum, vol. IV Jul., p. 15 Curiosa magis quam certa proponunt) ومن ثمَّ ننشر هذا الفصل تاركين العهدة على كاتبهِ

الفصل الحادي عشر

يشتمل على اخبار تلميذ المسيح مار توما الرسول وتلاميذه الذين دخلوا الى بلاد الهند الغربيَّة

نقول ان في تواريخ فرنسيسكو بيزارو فاتح هذه البلاد وضابطها يذكر انهُ كان تصاحب مع هنود من اهلها عتيقي السنين والايام فاعلموه بالعجيبة التي كان اجدادهم وسلفاؤهم يحكونها لهم . وهو انهُ كان جاءهم رجلان احدهم اشقر طويل والآخر مربوع القامة وكانت وجوههم تلمع كالشمس وكانوا يكرزون وبايديهم عكاكيز قالوا : « والى الآن موضعهم عندنا معلوم وهو يبعد عن ليا خمسة عشر فرسخًا » .

فلما سمع بيزارو بهذا الخبر اخذ الشيوخ المذكورين معه وراح ليرى تلك الارض . فاراه الهنود العلامة والحجر التي كان يقف فوقها التلميذ ويكرز . وكانت ارتسست قدمـاه مطبوعةً في تلك الحجر وانا الفقير رايتها بعيني . وفي جانب هذه الصخرة

مكتوب باحرف هكذا (١ . . . وهذه الاحرف مع الحجر ايضاً هي مصورة في كتاب المورخ وهذه هي (٢ . فانا نسخت هذه من كتاب بيزارو اثبت من باقي المورخين بان الهندي قال لبيزارو : ما نعرف ايش مكتوب على هذه الحجر لانّا نحن ما لنا حرف ولا نعرف الكتابة ولا القراءة . فلما راح بيزارو الى ذلك الجبل تحقق كلام الهنود ونظر هذه العلامات المرسومة في الصخرة اي اثر قدم التلميذ والاحرف لكنهُ ما قدر يقرأها فنسخ منها الممكن نسخهُ لان الاحرف قد سافت من كثرة الايام

وبعد ذلك جاء اسقف الى بلد كيتو وقدّس يوماً قدّاساً كبيرًا بالتاج والعكاز كالعادة المختصة بالاساقفة والطارنة فلما رآه الهنود بذلك الطقس والقسقال (٣ سالوا قسوس الاسقف مستخبرين ان كان هذا هو تلميذ (٤ لان لباسهُ كلباس التلاميذ المصورين عندنا في مساجدنا على الحجر والطقس مثل هذا الطقس واللبس كهذا اللبس بعينهِ وايضاً هكذا كان يقدس هذا التلميذ الذي كان يسمى توماز الذي حكى لنا اجدادنا عنه بانهُ كان في هذه البلاد وبعد ذلك ارتحل من عندنا متوجهاً الى الشرق وما عاد رجع لكن نياشينهُ بقيت عندنا

وايضاً يشهد المؤرخ كومارا (Gomara) وكرسلاسو (Garcilasso) في تواريخهما بان هذا كان القديس مار توما . لان الروح القدس كان يرفعهُ وينقلهُ من موضع الى موضع والى اي مكان كان يقصد وراح الى بلاد هند الشرق في بلد تسمى كرامينا (Caramine) ومالابار (Malabar) . ويومئذٍ يسمونها ميلابور في هند الشرق مثلما قال القديس كريسوستيموس (فم الذهب) وسفرونيوس والقديس جيرونيموس : ان مار توما الرسول عمد ثلاثة ملوك وهم الملوك الذين ذكرهم في كتابهِ المعلم قيصر بارونيوس قائلًا انهم كانوا حاضرين لاستماع كرز مار توما وكانوا من الكلدانيين مثلما اثبت ذلك المؤرخ كلوديانوس في كتاب تواريخ الشرق في زمان الملك اسكندر بن فيلبس الاشيدوني

---

١) و ٢) بياض في الاصل

٣) القسقال لعلهُ اراد صلوات الفرض المعروفة بكلمة ܩܨܩܠ

٤) يريد بالتلميذ الرسول

ويلي هذا الفصل خبر تنصُّر احد ملوك الوطنيين في بلاد البيروه سنة ١٥٦٣ ثمَّ عاد الكاتب الى روايتهِ في آثار النصرانية القديمة قائلًا :

ولنرجع في قولنا الى تلك الصخرة التي كان يكرز عليها التلميذ كما ذكرنا سابقًا ونياشينها مفاتيح حديد ومرساة المركب . فالهنود ما كانوا يعرفون ايش هي المفاتيح ولا مرساة المركب ولا الاحرف . فلمَّا دخل السبنيولية الى هذه البلاد ووضعوا ابوابًا بمفاتيح حديد ورأى الهنود مرساة المركب واحرف الكتابة فهموا النياشين . وذلك ان التلميذ ما قدر يرجعهم الى ايمان المسيح فترك عندهم مفاتيح مار بطرس علامةً ودليلًا بمجيء النصارى حتى يبشروهم بايمان المسيح . وكان الهنود يعبدون تلك الصخرة فجاء وكيل مطران ليما وخرب الاحرف التي كانت حولها . وكان عند راس الصخرة صليب وهي يومئذٍ في جانب النهر المسمَّى كالانكو . فلما راح الوزير برنجي اسكيلاج (اي الصدر الاعظم القديم) ومطران ليما الذي اسمهُ توبلي والخوري ارناندو معلم اللاهوت وبعض معلمين حققوا وثبتوا بشهود وعدد من مشايخ الهنود ومن جميع تلك التخوم . وكان الهنود يسمونها صخرة التلميذ مثلما اخبرهم اجدادهم . والى الآن يسمونها هكذا

ثم اخبروا الوزير بان في قرية اخرى تسمى كولاناده لاميا من تخوم كاخاتامبو (Caxa-Tambo) التي تبعد تسعة ايام من بلد ليما توجد صخرة اخرى طُبع عليها قدمان وعكازة وهذه الصخرة تسمَّى « في كولا » ولها وارث قد استورثها من اجداده فقال الهنود : ان اجدادنا كانوا يسمونها صخرة التلميذ ونحن الى هذا الحين نسميها هكذا . والذين كانوا يقفون على هذه الصخرة كانوا شخصين

وبعد ان مات مطران ليما وجاء مطران آخر عوضهُ اسمه توريبو ماكرو (Turibo Magro) الذي قونَنْته الكنيسة قديسًا وجعل يزور كنائس مطرنتهِ وابرشيته كعادة المطارنة والاساقفة حينئذٍ اعلموه عن صخرة اخرى في بلاد چاچاپويس في قرية تسمَّى كوليناب . وكان الهنود يوقرونها اعظم التوقير . فسأَلهم عن ذلك فقالوا لهُ اننا سمعنا من اجدادنا ان هذه الصخرة من قديم الزمان كان رجلان احدهما اشقر لحيانيّ وكان يقف على هذه الصخرة ويكرز . ولما كان يصلي كان يبرك على ركبتيهِ ويشبح ذراعيهِ وعيناه شاخصتان الى السماء وفي مسجدنا العظيم صور اجدادنا من حجر تراهم يشهدون بذلك . فلما سمع المطران ذلك القول

جثا على ركبتيهِ يزحف زحفًا وقدم الى موضع اقدام التلميذ وقبلها ومرَّغ وجههُ عليهـا ومن بعدهِ الكهنة وباقي الشعب فعـلوا ذلك باحترام عظيم · ثم امر المطران بعمارة كنيسة فوق تلك الصخرة ورسمها وجعل اسمها كنيسة التلميذ الى يومنا هذا

وايضًا في زمـان فرنسيسكو بيزارو فاتح هذه البلاد والاقليم الرابع اعني البيروه في سنـة ١٥٣٧ كان ارسل الملك معلمًا كاتبًا اسمهُ دون اوغسطين ده صاراتي (Augustin de Zarate) حتى يكتب ويحرر مدخول المملكة في كل بلاد البيروه فهذا يذكر في تواريخهِ انهُ لما كان في تخوم كيتو دخل يومًا الى بيت الاصنـام فوجد في هذا البيت مصورًا على حجر تاج اسقف وعكازًا وبدلـة القداس · فسأل الهنود عن هذه النياشين فقالوا لهُ ان من قديم اجدادهم كان اتاهم رجل اشقر يسمَّى تلميذًا وكان رجلًا حكيمًا · ويوجد على هذا الجبل علامة موضع رجليـهِ وعكازتهِ وكتابة باحرف لا نعرف ايش تأويلها · فهذا المذكور اوغسطين ده صاراتي يقول في تاريخهِ انهُ هو بعينهِ شاهد ذلك في بيت مسجد الاصنام في تخوم كيتو

وألحق المؤلف هذا باخبار مملكة البيروه قبل دخول الاسبانيين اليهـا ووصف عاداتهم في دينهم ودنياهم الى ان قال :

وفي جزيرة تسمَّى كومانا قريبة لارض البيروه يذكر المؤرخ كومارا بانَّ في بيوت الاهاتهم كانوا يعبدون صليبًا بين الاصنام فقالوا : هذا الصليب عندنا موقَّر ونخزي بهِ كلَّ الاعداء المنظورين والغير منظورين لما يظهرون لنا في الليل واذا عرض للاطفال شيءٌ من ذلك نضع عليهم الصليب فيبرأُون · وهولاء الهنود ما كانوا يعرفون ايش هي خاصيَّة الصليب لانهم كانوا قد نسوا تعليم الرسل وكان الشيطان يشغلهم بالملاهي الدنيويَّة واللذات الجسدية

وايضًا في جزيرة كوذميل (Cozumel) قرب بلاد ينكي دنيا يقول المعلـم الكبير كومارا والراهب مبارك من طائفة مار اوغسطينوس لما دخل المركيز كورتيز فاتح تلك البـلاد الى هذه الجزيرة رأى حوشًا واسعًا مخاطًا بكلس وفي نصف ذلك الحوش صليبًا منصوبًا طولهُ عشرة اشبار كانوا يعبدونهُ قائلين : هذا نيشان اله الطوفان واذا انحبس المطر كانوا يجتمعون حولهُ ويعملون لهُ زياحًا وطلبة طالبين المطر ففي الحال كان يمطر عليهـم · وهذه الجزيرة كانت مثل القدس للهنود وقد حفظوا تذكار

التلميذ الذي بشَّرهم وكرَّموا الصلبان لانهم قشعوا عجائبها ومنافعها لان التلميذ كان يعلـم بالهام الروح القدس ان بعد ايام وزمان سيدخل المسيحيون الى هذه الاراضي فلاجل ذلك السبب وضع هذه النياشين كعلامة

يذكر ايضاً المؤرخ انهُ كان في تلك الجزيرة هندي يدَّعي النبوَّة اسمهُ جيلانكاكاس (Chilon-Combal) وكان قد تنبأ عليهم أَنْ عن قريب ياتيكم اناس لحيانيون بيض فاقبلوهم بصلح وسلام وهم اصحاب هذا الصليب الذي تركهُ لنا التلميذ توما واسمهُ مكتوب ايضاً على صخرة في بلدة تسمَّى جونتالس. وهذا الصليب اخذهُ مرَّة الكفرة ورموه في النار مدهوناً بالزفت والقطران حتى يحترق فبقيت النـار تشتعل ثلاثة ايام وما احترق. فلما عاينوا هذه العجيبة آمنوا بـهِ وحفظوهُ عندهم الى حينما دخل السبنيولية الى بلادهم . فلما سمع اسقف واخاكا بتلك العجيبـة ارسل قسوساً ليحضروه الى الكنيسـة فصعب على الهنود اخذهُ وتمرمروا قائلين : هذه ذخيرة اجدادنا فكيف انتم تاخذونهُ من عندنا . فجعل لهم الاسقف صليباً عوضاً عنهُ ووضع الصليب العجيب في كنيسة بلد واخاكا (١ . وانا الفقير قد رأيتهُ بعيني

وقال الراهب المعلم غريغوريوس كارسيا في تاريخهِ . لمَّا فُتحت هذه البلاد حكى لهُ الهنود عن هذا الصليب بما كانوا سمعوا من اجدادهم السالفين بان هذا الصليب كان حاملهُ التلميذ توما وماشياً على البحر برجليهِ كما تمشي على الارض

وفي بلد جيابا وجدوا في يد احد اكابر الهنود كتاباً استورثهُ من اجدادهِ فيـهِ صورة الخليقة والثالوث الاقدس والعذراء في ثياب من زي نساء الهنود فجمع اسقف هذه البلد برتلماوس دي لاس كازاس مجمعاً من الهنود ليتحقق منهم اثبات القول عن مار توما الرسول فقالوا لـهُ : جاء عندنا رجل طويل القامة لهُ دقن وكان لابساً عليهِ تونيكا اعني قميصاً طويلاً الى الكعب وفي رجليهِ چاروخ (٢ وملفحاً بازار وشعر راسه طويل . هذا الذي حكاهُ لنا اجدادنا

وفي سنة ١٥٥٣ يذكر المعلم الراهب بادره اندراوس ده لارا رئيس رهبان طائفة المرسي اعني ستنا مريم الوهيبه كان في بلاد چيلي (Chili) ودخل الى بلدة كانت

---

١) اطلب هذه الاخبار في كتاب رحلة غريجالفا (Grijalva) سنة ١٥١٧ (تاريخ الاسفار المجلد ١٢ الصفحة ٢٤٥ الخ) ٢) الچاروخ فارسية النعل الغليظ

للهنود تسمّى اليوم صانتيا كوده چيلي فحكى لهُ مشايخ الهنود بانهُ من قديم جاء الى اجدادنا رجل طويل اشقراني لهُ دقن وشعر راسهُ طويل وكان اسمهُ توما واليوم عندنا واحد من الأكابر اسمهُ توما وكل عيلتهِ يدعون بهذا اللقب من زمان مار توما ويومئذٍ يسمونهُ بارون توما · واروهُ الصخرة التي كان يقف عليها يكرز وقد انطبعت علامة دوسات رجليهِ في الصخرة

ويذكر المؤرخ صاروسانوا قائلًا : لما كسبوا هذه البلاد رموا قرعة على الاراضي ليتقاسموها فطلع لقبطان اسمهُ خوان ده بورسيل باريليا في القرعة عقبة · وكانت هذه العقبة لاحد الهنود العاصين فعمّر هناك برجاً وامر ان يقطعوا كل الاشجار والحرش الذي في تلك العقبة · فوجدوا مغارة ودخلوا اليها فرأوا صليباً طولهُ ستة اذرع وايبس قوي غليظ واقفاً على ثلاث صخرات صغيرة ومغروسة بهِ ثلاثة مسامير من خشب بصناعة لطيفة ويقولون ان هذا الصليب عمل يد الرسول مار توما فلما رأى الرجال ذلك غشي عليهم بغتة وقالوا ان هذا نزل من السماء فاجتمع الهنود وحملوا الصليب على اكتافهم وعلقوهُ في موضع عالٍ في تلك الارض وزينوه بالزهر واغصان النخل · فلما جاء القبطان المذكور وسمع ذلك اخبر حاكم تلك النواحي فقام الحاكم مسرعاً واتى مع جمهور وخلائق وحقق ودقق من الهنود ومن كتب ملكهم فاوقفوه على جميع ما حكى لهم اجدادهم من الزمان القديم · حينئذٍ صعد الخلائق قاصدين المغارة ببكاء ونحيب فوجدوا في المغارة صخرة طويلة ممتدَّة على الارض طولها ثلاثة اذرع ومطبوع على تلك الصخرة نصف جسد التلميذ اي جانبهُ الواحد لانها كانت فراشاً لهُ · حينئذٍ فرحوا فرحاً عظيماً شاكرين انعام السيد المسيح الذي اظهر لهم ذخيرة تلميذه ورسوله توما · حينئذٍ اخذوا الصليب ونقلوهُ الى البلد ووضعوهُ على امرأة كانت في المنازعة ففي الحال شفيت من مرضها · وثاني يوم صار مخاصمة بين اثنين من الجنود فالواحد ضرب رفيقهُ ثلاثة خناجر قاتوليَّات فطرحهُ على الارض ميتاً فاسرع الناس عاجلًا الى الصليب ونحتوا منهُ قليلاً وسقوا منهُ ذلك القتيل · فللحال نهض فاتحاً عينيهِ ومتكلماً وثاني يوم خرج طيّباً سليماً وعلامة الخناجر بقيت في جسدهِ · وايضاً في تلك الايام صار عليهم مطر عظيم ثلاثة ايام مع ثلاث ليالٍ حتى من عظم ذلك السيل الزخم طافت الانهر والاودية واخذت اشجار الصنوبر من الجبال ونزلت بها منحدرةً الى قلعة البلد

فلما نظروا ذلك خافوا وارتعدوا لئلا يكون طوفان ثانٍ فاجتمعوا واخرجوا ذلك الصليب بزياح وامانـة كاملة فللوقت رجعت المياه وتصرَّفت فتمَّت تلك الاشجار والخشب راسخة على الارض حينئذٍ اخذوا تلك الاشجار والخشب الصنوبر وعمروا بها كنيسة على اسم صليب ذلك التلميذ السعيد مار توما الرسول

وايضاً في بلد قريبة من مدينة الكوشكو التي كانت تحت ملك الهند وجدوا في مكتبخانة الملك مؤرخاً اخبار مثبوتـة من كتبة ملوك الهنود القدماء الذين كانوا يكتبون الاخبار والاحوال بتصاوير ونياشين لان لم يكن لهم حرف . والمعلم كوسطا (Acosta) يذكر في تواريخهِ على الهند عن مار توما والبادره غريغورس كارسيا يذكر عن الدنيا الجديدة ويثبت سياحة هذا الرسول وايضاً المعلم قيصر César Baronius في كتابهِ الاول في الفصل العشرين حقق وثبت كرازة هذا الرسول في تلك البلاد وفي تواريخ دون استيفان ده لاصار في كتابهِ الثاني في الفصل الثالث يذكر المعجزات التي صنعها التلميذ في بلاد البيروه والمؤرخ كارسلاسو يذكر كذلك في كتابـهِ الاول في الفصل الثامن عشر وايضاً المعلم البادري رودريكو لوصا عاش زماناً طويلاً في الهند ويذكر في تواريخـهِ كذلك وايضاً دون ديكو ده البرس والمعلم انطونيو ده ادبرا جميع هولاء المعلمون يخبرون في تواريخهم عن تلمذة هذا القديس مار توما الرسول

وايضاً ذكر المعلم كومار في كتابهِ ان مار توما الرسول دخل على شعب هنود في قرية بونا وكرز عليهم ايمان المسيح وزرع في قلوبهم كلاماً روحانياً لاجل خلاص انفسهم لكن المارد الشقي كان يقسّي قلوبهم ويزرع زوانه في حقل المسيح فاشار عليهـم ان يحرقوا القديس بالحيـاة فاجتمع قومٌ من الهنود وائتمروا على قتلهِ . فلمّا راحوا الى منزلهِ رأوهُ راقداً فجمعوا حطباً وقشّاً يابساً وحوطوه حولهُ واضرموا النار فالتهبت وشعل ذلك الحطب والقش بشرارة عظيمة فالهنود لما رأوا النـار التهبت باضطرام ما طاقوا القرب اليها لشدَّة حرارتها بل صاروا متأخرين من بعيد يتفرَّجون والقديس كان قاعداً براحة ورياضة والشيطان يحترق امامهُ في تلك النار ثم خلص اللهيب وهمدت النـار وصارت رماداً فالقديس الرسول ما احترق منهُ ولا خيط وما تدخنت لـهُ ولا شعرة واحدة من جسدهِ بل خرج اليهم ببشاشة وحلم من غير تألم ولا كدر وبدأ يكرز عليهم فالهنود حارت عقولهم وطاشت افكارهم من ذلك السر العظيم . حينئذٍ رحـل من

تلك القرية ودخل الى قرية اخرى تسمَّى جا كوتيو وهذه القرية هي بساحل بحيرة وطول هذه البحيرة ثمانون فرسخاً عدَّيت عليهـــا انا الحقير · فامَّا الهنود الذين نظروا المعجزة فخرجوا معهُ ليودعوهُ فبينما هم في البرّية يرافقونهُ والَّا صار عليهم في تلك الساعة عجاج وزوابع عاصفة وغيم مظلم ورعد مع بروق وحجارة خشنة منحدرة من الجو مثـــل زخ المطر مع زواعق متضاعفة جداً فارتعش الهنود وخافوا واخطر الشيطان بباهم ان ذلك انتقام منهم من اجل الذنب الذي صنعوه بمرافقتهم لهذا التلميذ فقـــام حينئذٍ التلميذ القديس ورفع عينيه ويمينهُ ورسم اشارة الصليب مباركاً باسم معلمهِ يسوع المسيح مخلص العالم على تلك الغيوم المعتمة والعجاج العاصف والرعد المفزع ففي حـــال الوقت هدأت الدنيا وغاب كل ذلك وتحول الى نهار منوّر وفرح

فالشرير اللعين عدو الخير والصلاح المخمص مقهوراً واشار على اهل قرية جكويت وهو المكان الذي كان التلميذ ذاهباً اليهِ ليكرز ان لا يقبلوه بل يقتلوه · فاولئك الشعب ما راموا قتلهُ بل ربطوا يديهِ ورجليهِ ووضعوه على كليكة صغيرة من خشب وارخوه في تلك البحيرة قائلين نتركهُ يموت في هذه البحيرة خير من ان نقتلهُ ففيما هم مجتمعون على ساحة البحيرة يتفرجون بما يتم بهذا القديس والَّا نظروا سيدة نزلت من السماء مشرقة كمثل نجمة وفائقة الحسن والجمال فنزلت اليهِ وفكت رباطات يديهِ ورجليهِ وسرَّحته لناحية البحيرة · ويقول المؤرخ بان الشفيعة مريم العذراء انحدرت من السماء وخلصت القديس توما

والذي ذكره المؤرخون اعلاه في كتاباتهم عن عجائب هذا الرسول ما استطعنا ان نورخهُ كلهُ في كتابنا هذا المختصر فاخرجنا البعض وانتخبنا البعض من كتب تواريخ المعلمين السبنيوليين المثبتة من ديوان مجمع قضاة الايمان الكاثوليكي الذي يسمى في لسان السبنيولي الانكيجيسون (Inquisicion) (تم كتاب الرحلة)



فوائد

صفحة

٣ من بيت عموده والصواب من بيت عمون

١٦ العِرق المدني : افادنا حضرة الاب المدقق انسطاس ماري الكرملي قال : قد عرف العرب هذه العلة وسموها العرق المَدَني (نسبة الى بلدة المدينة) وصحفها صاحب محيط المحيط بالبَدَني . وسماها صاحب تسهيل المنافع : العرق المدني . وهذه العلة تسمى بلسان اهل بغداد بالشعرة الحَيَّة (لانها تشبه الشعرة بدقتها وان هذه الشعرة حية لا ميتة) ومنهم من يقول : شعرة الحيَّة بالاضافة ظنًا منهم ان للحيَّة شعرة . وهي هذه التي تخرج في بدن الانسان : وهذه العلة معروفة في بغداد الا انها نادرة الحدوث وهي تكثر في ابي شهر (بوشير) من ثغور بلاد فارس في خليج العجم

١٨ صوف بيكونيا هو صوف الحيوان الذي جاء ذكره في صفحة ٣٩ من الرحلة

١٨ التفتيك : قال الاب انسطاس ماري الكرملي : تَفتِيك (وزان تَكسير) او تِفتِك (وزان زِبْرِج) من المعزَى التي توجد في نواحي الموصل وبلاد الكرْد وهي ناعمة الشعر او الصوف يُحمل منهُ شيءٌ كثير الى بَغْداد فتتخذ منهُ الأنسجة الفاخرة التي مع خفتها ودوام مكثهـا على حالتها تُدفئ احسن الدفء . ويُرسل من هذا الصوف او الشعر كيات عظيمة الى بلاد الانكليز فيُباع باثمان حسنة

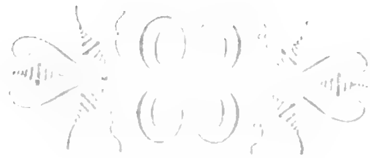
والتَفْتِيكُ من جهة اللغة كلمة عربية مشتقة من تَفْتِيك القطن وهو نَفْشُهُ في بعض اللغات على ما قالهُ ابن دُرَيْد (التاج) . ومنهُ ايضًا التفتيك لما يوضع على الجرح من الخرق لتنشيف الرُطوبة . اسم كالتَمتين والتنبيت مولَّدة (عن التاج ايضًا) ومن ذلك اسم شعر هذا النوع من المعْزَى لانهُ يشبه الصوف او القطن المندوف . ومن اسم الصوف اطلق على الحيوان نفسهِ . فما البيكونيا الَّا تَفتِك اميركة وما تفتك الموصل الَّا بيكونيا هذه البلاد

٥٢ جبله كذا في الاصل والصواب جيله او جيلي اي بلاد شيلي Chili كما جاء في صفحة ٨٠ و ٨١

فهرس الفصول

٢ً فهرس اهم المواد والاعلام تتمة لفهرس الفصول

٣ً الفاظ عربية وفارسيَّة وتركيَّة الخ ورد شرحها





INDEX I

DES PRINCIPAUX MOTS EUROPÉENS.

cités par l'Auteur.



INDEX II

DES NOMS PROPRES.

Nous citons ceux que nous avons identifiés. Ceux qui sont en note sont marqués d'un astérisque.



INDEX III

DES CHAPITRES DE L'ÉDITEUR.

دير قُنَّى

موطن الوزراء والكتاب ، ومعقل المسيحية في العراق



بقلم

ميخائيل عواد



ظهر في مجلة المشرق



المطبعة الكاثوليكية — بيروت

١٩٣٩

الى غبطة العلّامة الجليل مار اغناطيوس
أفرام الأول برصوم، الكلي الطوبى
بطريرك انطاكيــة
وسائر المشرق

من المؤلف
[illegible]
بغداد ٢١/١/١٩٤١

دير قُنّى

موطن الوزراء والكتاب، ومعقل المسيحية في العراق



بقلم

ميخائيل عواد



ظهر في مجلة المشرق



المطبعة الكاثوليكية — بيروت

١٩٣٩

قضت يد الزمان العاتية أنْ تندثر مئات المواقع العراقية ويغشاها ظلام حالك ، حتى صرنا نتلمَّس اخبارها ، واصبحنا لا نصل الى نتيجة مرضية عنها الّا ببذل الجهود الكثيرة والمراجعات المختلفة ، ولا يخفى ما يحفّ هذه التتبعات التاريخية من شتَّى المصاعب ، لأنّ أغلب المصادر القديمة وعرة الاسلوب ، ملتوية المسلك ، مضطربة التفكير . وهذا ما لمسناه عند اشتغالنا في كتاب « تاريخ المدائن » ، وهي من أمّهات المدن العراقية التي لَعِبتْ أدوارًا خطيرة في عهود مختلفة من تاريخ العراق . وقد رأينا أنْ نقدّم الى القرّاء اليوم احد فصوله ، وهو في دَيْر قُنَّى ، من أشهر ديارات المدائن .

١ ــ الاختلاف في تسمية هذا الدير

تضاربتْ آراء الكتبة والمؤرخين في ضبط اسم هذا الدير ، فأدَّى ذلك إلى إطلاق تسميات عديدة له ، تقترب أحياناً من بعضها ؛ وتبتعد أخرى . ولنأتِ على أهم ما جاء بشأن هذه التسميات :

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « دير قُنَّي ــ بضم أوله وتشديد ثانيه مقصور »[١] ، وكذا يُقال « قُنًّا » والنسبة اليه قُنَّائي أو قُنَّاتي[٢] . وورد باسم دور قُنّى والنسبة اليه قُنّاني أو الدورقُنّي[٣] .

---

١) ياقوت : معجم البلدان (طبعة ليبسك) ٢ : ٦٨٧

٢) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ١٧٨ ؛ عريب بن سعد القرطبي : صلة تاريخ الطبري (طبعة ليدن) ص ٩٦

٣) انظر ماري بن سليمان : أخبار فطاركة كرسي المشرق (طبعة رومة) ص ٤ و٢٨ ؛ عمرو بن متّى : أخبار فطاركة كرسي المشرق (طبعة رومة) ص ٨٦ ؛ هلال الصابئ : تحفة

وذكر السيوطي أنّ القُنّائي منسوب الى قُنّا[1]. وقد أخطأ البكري بقوله أنّ « دير قُنّه ــ بضم القاف وتشديد النون ــ بفارس »[2]، حيث من الواضح أنّ دير قُنّى واقعٌ في العراق وليس في فارس.

ووردَ ذكره في شهداء المشرق باسم دير قوني[3]، وفي ذخيرة الأذهان تارة باسم دير قُنّي، وتارةً دور قُنّي واخرى دير قوني[4]. وقد تطرّقَ السمعاني في « المكتبة الشرقية » الى هذا الاختلاف في التسمية حيث قال: « دير قوني وعند العرب دير قُنّى أو دور قُنّى »[5]

وذكره ياقوت في المشترك بقوله: « بضم القاف وتشديد النون، قُنٌّ والنسبة اليه القُنّي »[6]

ولم نقفْ في أنساب السمعاني على ما ينير السبيل في هذه التسمية، فقد قال: « القُنّي بضم القاف وفي آخرها النون المشددة المكسورة وهذه النسبة الى قُنّه »[7]. فهل قُنّه هذه هي قُنّى التي عليها مدار بحثنا؟ أم هي نسبة الى احدى المواقع العديدة التي ذكرها ياقوت في مادة قُنّة من معجمه والتي هي متفرقة في انحاء جزيرة العرب؟ وذكر السمعاني في محل آخر من كتابه: « القُنّاي ــ بضم القاف وتشديد النون المفتوحة في آخرها الياء المنقوطة من تحتها باثنين ــ هذه النسبة الى.....[8]، ويلاحظ أنَّ الكلمة المطلوبة ناقصة في الأصل.

الامراء في تاريخ الوزراء (طبعة امدروز) ص ٢٨١؛ القس بطرس نصري: ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ٢: ١٠٠

١) السيوطي: لبّ اللباب في تحرير الأنساب (طبعة ليدن) ص ١٨٨ و٢١٢. وقد ذكرها كلّ من مسكويه في تجارب الامم (طبعة امدروز) ٢: ٢٦٠؛ والتنوخي في نشوار المحاضرة ٨: ٢٠

٢) البكري: معجم ما استعجم (طبعة غوتنجن) ص ٢٨١

٣) أدي شير: سيرة أشهر شهداء المشرق ١: ٢٤

٤) ذخيرة الأذهان ١: ٤٠، ١٠٢، ٤٢١

٥) السمعاني: المكتبة الشرقية، القسم الثاني من المجلد الثالث، ص ١٤١

٦) ياقوت الحموي: المشترك وضعاً والمفترق صقعاً (طبعة وستنفلد) ص ٣٦١

٧) السمعاني: الأنساب (طبعة مرجليوت) ورقة ٤٦١

٨) السمعاني: الأنساب (ورقة ٤٦٢)

يرى القارئ انّه أُستُعملتْ لهذا الدير بضع تسميات نحصرها فيما يلي:
(دير قُنّى ، دير قُنَّه ، دير قُنًّا ، دور قُنّي ، دير قوني) . وعندنا أنّ التسميات الأربع الاولى تُطلق عليه في المصادر العربية ، والخامسة في المصادر الارمية .

٢ — تأسيس الدير

تروي سِيَرُ القديسين أحاديث شتى بشأن مار ماري وتأسيسه ديرًا في موقع دير قُنَّى ، خلاصتها أنّ امرأة نبيلة كانت تُدعى قوني (لعلّها شقيقة أحد الملوك الفرثيين) ، كانت مصابة بالبرص ، فشفاها ماري باعجوبة ، فقابلته بالإحسان بأنْ وهبته كثيرًا من ضياعها وأراضيها ، أمّا هو فاكتفى من ذلك جميعاً ببيت النار المجوسي ، حيث شَيَّدَ محلّه ديرًا هو دير قُنَّى .

وقد رأينا أنّ مثل هـذه الروايات لا يمكن أن تقوى أمام التمحيصات التاريخية ، فاكتفينا بالاشارة اليها دون التوغّل في تفاصيلها وجزئياتها[١] .

ولمّا ماتَ ماري ، دُفِنَ في هذا الدير ، ومن ثَمَّ أصبح مدفناً لكثير من جثالقة المشرق .

٣ — موقع الدير

يقعُ دير قُنّى على « ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدرًا بين النعمانية ، وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهروان ، وبينه وبين دجلة ميل ، وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يُقال لها الصافية وقد خربتْ . . . وبالقرب منه دير العاقول . . . والمنحدر في دجلة يرى نوره من بُعد . . . »[٢] .

وقد أخطأ ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار عندما ذكر موقعه

---

١) تفاصيل هذه القصة في شهداء المشرق لادي شير ١ : ٣٤-٣٦ ؛ وسير الشهداء والقديسين [بالكلدانية] (طبعة بيجان) ١ : ٨١-٨٦ ؛ ماري بن سليمان ، ص ٤ ؛ ذخيرة الأذهان ١ : ٤٠ .

٢) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ، نقلًا عن الشابشتي .

حيث قال: « دير قُنَّى وهو ببغداد والمدائن أسفل منها باثني عشر فرسخاً . . . راكبٌ على دجلة »[١].

والصواب فيما ذكره الشابشتي (ورقة ١١٦ من كتاب الديارات) فقد قال: « انه على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدرًا في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ونصف ، وبينه وبين دير العاقول بريد »[٢].

كما أنَ السيّد أدي شير في كتابه « كلدو واثور » قد وَهِمَ في تعيين موقع الدير وبُعْدِهِ عن بغداد ، قال انّه « فوق بغداد على ثمانية كيلومترات منها في الجانب الأيسر من دجلة على كيلومترين منه »[٣].

والحال انّ هذا الدير تحت بغداد على تسعين كيلومتراً[٤].

وجاء في المكتبة الشرقية « أنّ دير قوني محلٌّ عند كوخي في القرية التي يسمّونها بادرايا »[٥].

وفي هذا القول تساهل كبير ، فانّ دير قوني ليس في قرية بادرايا ولا بقربٍ منها.

ويعطينا ابن سرابيون كشفاً بالمواقع التي يمرّ بها السائح في طريقه النهري بعد انحداره من بغداد ، بقوله : « واذا ما تتبعنا مجرى دجلة فالمنحدر يمرّ الى السِيب ودير العاقول والصافيّة ودير قُنّى وهمانية وجرجراي والنعمانية »[٦].

وقال القزويني في كتاب آثار البلاد أنّ « بنارق قرية بين بغداد والنعمانية ، مقابل دير قُنّى ، على دجلة ، وهي الآن خراب »[٧].

---

١) مسالك الأبصار (طبعة أحمد زكي باشا) ١ : ٢٥٦

٢) راجع مقالة رائعة للاستاذ حبيب زيّات في نقد « كتاب الديارات » الوارد في الجزء الاول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (لغة العرب ٦ [١٩٢٨] ص ٢٢٣-٢٤٢ ، المراجعة ص ٢٢٥).

٣) تاريخ كلدو واثور لأدي شير : مقدّمة الجزء الثاني ، ص ١١

٤) راجع بحث الاستاذ يعقوب نعوم سركيس بعنوان « مدينة بيث ريما » (النجم ١٠ [١٩٣٨] ص ٤٩-٥٣ ، المراجعة في حاشية ص ٥٢ ، وفيها تصحيح لما توهّمه أدي شير .

٥) السمعاني : المكتبة الشرقية : القسم الثاني من المجلد الثالث ، ص ٧٤١

٦) ابن سرابيون : وصف ما بين النهرين وبغداد (طبعة لاسترنج) ص ٩

٧) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (طبعة وستنفلد) ص ١٠٦

ويشاهد اليوم على ضفة دجلة اليسرى ، في شمال العزيزية ، أطلال تعرف بين الأهالي هناك باسم « الدير » وهي ثلاثة تلول كبيرة ؛ الشمالي منها : الدير الاعلى ، والوسطي منها : الدير الاوسط ، والجنوبي : الدير الأدنى . ولعلّها بقايا دير العاقول ودير قُنَّى[1] .

وخلاصة القول أنّ دير قُنَّى يقع في الجانب الشرقي من دجلة ، جنوبي بغداد على نحو تسعين كيلومترًا منها ، ويبعد عن ضفة دجلة الحالية نحو كيلومترين ، نظرًا لتحوّل مجرى النهر على تمادي السنين . وبالطبع فقد كان عند تأسيسه أقرب الى النهر مما هو الآن ، وفقاً لما جاء في « شهداء المشرق » من « انّ المعاريين قاسوا مشقّات كثيرة لكثرة رطوبة المكان لأنّه كان قريباً من ضفة النهر[2] » ، وكثيرًا ما كان يفرش الرهبان الحصر والثياب من الشط الى الدير عندما ينزل الجاثليق من الشبّارة لاداء الزيارة المفروضة لقبر مار ماري في الدير[3] .

٤ — مشتملات الدير

آ — كنيسة الدير

أشرنا قبيل هذا الى أنَّ مار ماري كان قد وقعَ اختياره على بيت النار المجوسي ليقيم محلّه ديرًا وبضمنه كنيسة . وتفيدنا المراجع التاريخية[4] أنه عند وفاته كان قد دُفن عن يمين المذبح ، بالبيعة الكبرى بدور قُنَّي .

ويؤخذ من فقرات عديدة وردتْ في كتاب المجدل أن من المراسيم المتبعة عند تبوّء الجاثليق لكرسيّه في العراق ، أن ينحدر وفقاً للترتيبات البيعية المقتضاة لزيارة ضريح مار ماري الذي هو في كنيسة دير قُنَّى .

واذا تتبعنا حوادث السنين نجد أنّه أَصابتْ الدير هجمات متعددة أتلفتْ

---

١) طه باشا الهاشمي : مفصّل جغرافية العراق (طبعة سنة ١٩٣٠) ص ٥٢٩

٢) شهداء المشرق ١ : ٣٤ . وقد أشار المسعودي الى تحوّل ماء دجلة هناك انظر : التنبيه والاشراف (طبعة ليدن) ص ٥٤

٣) ماري ، ص ١٥٥ ؛ وذخيرة الاذهان ١ : ٤٩١

٤) شهداء المشرق ١ : ٣٥ ، ٤٠ ؛ وذخيرة الاذهان ١ : ٤٠

قسماً منه. وقد وقفنا على أن سبريشوع الجحاوني[١]، اسقف كاشغر، كان قد جدَّدَ بناء الهيكل على أثر إحدى النكبات التي حلّتْ به. ثمّ تلاه الجاثليق ايليا الثالث المكنّى بأبي حليم، فأعاد تجديده بنتيجة تدمير آخر[٢].

ولم نعثر أثناء دراستنا هذا الدير على ما يشير الى هندسة الكنيسة، ولم يتفق لأحد الكتبة الإلماع الى شيء من أوصاف البناء، أو أيّ طرز من العمارة كان قد أُتخِذَ له!

ب — مقبرة الجثالقة

دير قُنّي إحدى غرسات ماري رسول المشرق، ثمّ غدا مثوى لجسده، فنال بذلك مركزاً سامياً وأصبح محلاً يزوره المسيحيون للتبرّك، كما انّه أضحى مقبرةَ لأجساد بعض الجثالقة خلفاء ماري. قال السمعاني «... وأصبح دير مار ماري مدفناً لرؤساء أساقفة ساوقية القدماء»[٣] وممن دُفن في مقبرة الجثالقة هناك اسحق الجاثليق المتوفّى سنة ٤١٠ أو ٤١١ م، وداديشوع شموئيل الجاثليق المتوفّى سنة ٤٥٦[٤].

ج — مدارس دير قُنّي

لا شكّ أنّ أول مدرسة نشأتْ في دير قُنّي، هي التي أسّسها مار ماري وسمّيتْ باسمه، وانجبتْ تلاميذ كثيرين انتشروا في اصقاع البلاد ليبشّروا بما تلقنوه من مدرستهم الاولى.

وممن نشأ في هذه المدرسة التي عُرفتْ أيضاً بـ «اسكول مار ماري»، العالِم المنطقي متّى بن يونس الذي عظم أمره وخلف مؤلفات تُعدّ بالعشرات. ومنهم ايشوعياب القُنّائي، فقد تعلّمَ في اسكول مار ماري وأسيم قسّاً ودبّر

١) التراجيم السنيّة لايليا الثالث (طبعة القس يعقوب نعمو الكلداني) المقدمة، ص ٨

٢) عمرو، ص ١١١

٣) المكتبة الشرقية: القسم الثاني من المجلد الثالث، ص ٧٤١

٤) ذخيرة الاذهان ١: ١٠٧، ١٢٠

الاسكول بعد ذلك[١].

ومن المدارس التي حازتْ شهرة في دير قُنّى « مدرسة مار عبدا » ، ويجدر بنا أنْ نسوق هنا كلمة عن هذه المؤسسة التي يحقّ ان نسميها باصطلاح اليوم كليّة . فقد قال ماري بن سليمان أنّ « مار عبدا (وهو عبد يشوع القنائي) تمهّر في اسكول بلده واسيم قسًّا وبنى في بلده (دير قُنّى) ديرًا عظيمًا واسكولًا جمع فيه جماعة وعلّم وتنصّر جمع غفير من الناس على يده»[٢].

ويؤخذ مما ذكره « التاريخ السعردي » أنّ مار عبدا بنى ديرًا عظيمًا واسكولًا جامعًا وصار اليه الناس من كلّ موضع . . .واستغنى مَنْ يريد التعلّم باسكوله عن الخروج الى الرها[٣].

وممن تمهّرَ فيه أحّي ويابالاها الجاثليقان اللذان دبّرا الاسكول بعد تخرّجهما منه مدة طويلة[٤].

وكانت اللغة العربية ، فضلًا عن الارمية واليونانية ، تُدَرّس في هذه المدرسة العظيمة ، كما كانت تُدرّس في مدارس نصيبين والرها وساوقية . ويُضاف الى هذه اللغات مجموعة قيّمة من العلوم والفنون كالنحو والمنطق والشعر والهندسة والموسيقى والفلك والطب والفلسفة والعلوم الدينية . وبطبيعة الحال فقد كان لهم خزانة كتب حافلة تضمّ الكثير من المؤلفات القيّمة التي كانت متداولة في ذلك العصر[٥].

ولكنّ شيئًا لا يستقرّ على حال . فقد حدث يومًا أنّ الملك فيروز أصدرَ امره الجائر — في اواسط القرن الخامس للميلاد — بهدم البيع والديارات وما اليها من المؤسسات ، فكان اسكول مار عبدا إحدى تلك الضحايا[٦].

---

١) ماري ، ص ١١٧ ؛ وراجع عن هذه المدرسة ما جاء في مقالة نفيسة للأب أنستاس ماري الكرملي ، بعنوان مدارس الزوراء في عهد الخلفاء (المشرق ١٠ [١٩٠٧] ٤٤٥) .

٢) ماري ، ص ٣٨

٣) التاريخ السعردي (طبعة أدي شير في باريس) ١ : ١٩٥

٤) ذخيرة الاذهان ١ : ٩٥ ، وعمرو بن متّى ، ص ٣٥

٥) ادي شير : كلدو واثور ، ص ٧ من مقدّمة المجلد الثاني .

٦) التاريخ السعردي ٢ : ١٥ ؛ وماري ، ص ٤٣

د ـ سور الدير

دير قُنَّى «دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سورٌ عظيم عالٍ محكم البناء»[1]. هذا ما قاله ياقوت في معجمه. ونستدل من كلامه أنّ هذا السور كان لا يزال منيعاً في حدود سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) وذلك عند اقتراب العساكر السلجوقية من قرية بنارق القريبة من دير قُنَّى وانهزام أكثر سكانها. قال بعض اولئك المنهزمين: «فلمّا كان الليل عبرنا دجلة لنجيء الى دير قُنَّى لأنّه ذو سورٍ منيع. وبتنا فيه ثمّ تفرقنا في البلاد.»[2]

وقد ظلّ هـذا السور قائماً حتى اواخر عهد الدير، وكان لا يزال ماثلاً للعيان أيام ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١١٢٨ م) حيث قال: «... ويسكنه الآن بعض الرهبان الصعاليك»[3]، وهذا يشير الى أن الدير قد وصل الى درجة بالغة من الانحطاط وآل أمره الى أن هجره أغلب رهبانه، حتى لم يعدْ فيه منهم سوى تلك الشرذمة.

هـ ـ قلالي الدير

امّا قلالي الدير فكان عددها حسب رواية ياقوت مائة قلَّاية لرهبانه والمتبتلين فيه، كلّ واحدة منها لراهب، وكانوا يتبايعون هذه القلالي بينهم بمبالغ تتراوح من ألف دينار؛ الى مائتين؛ الى خمسين ديناراً. وكان حول كلّ قلَّاية بستان ذو ثمار. ولا ريب أن أثمان القلالي كانت تختلف باختلاف مواقعها واتقان بنائها واتساع البساتين المحدقة بهـا وارتفاع غلالها، وكانت هذه الغلّة تباع من مائتي دينار الى خمسين ديناراً.

نرى من هذا ان قلالي الدير كثيرة العدد غالية الثمن، لكننا لم نجد شيئاً يدلّ على تخطيطها أو طرازها المعماري، اذ لم يحتفلْ أحد القدماء بمثل هذه النقاط

---

١) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ؛ والشابشتي (دراسة ساخو) ص ١٧

٢) معجم البلدان ١ : ٧٣٩ ؛ وراجع آثار البلاد للقزويني، ص ١٠٦ : مادة بنارق.

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

والاوصاف المهمة[١].

و — مزروعات الدير

الزراعة من الاعمال الضرورية التي يقوم بها الرهبان ، « فكانت الأديار والقلالي محفوفة بالبساتين والرياض ، فيها أصناف الأشجار والثمار والبقول والرياحين وكانت المزروعات تتنوّع بتنوّع الأمصار والأتربة وتكثر أو تقلّ حسب مستغلّها ورواج مبيعه في حاجات الدير ، وكانت الكروم من ثَمّ اوفرها انتشارًا واوسعها بقاعاً ، ومن هذا ما اشتهر به دير الزندورد بالجانب الشرقي من بغداد ، ونظيره في كثرة الفواكه والاترج والأعناب دير قُنَّى. »[٢]

وما يقوم بزراعته رهبان الدير يكون لهم موردًا لاقتناء حاجيات الدير ولوازمهم ، ومن هذا ما ذكره ياقوت: « انّ حول كل قلّاية بستان فيه من جميع الثمار ، يقضي الراهب فيه قسماً من نهاره ، وتُباع غلّة البستان منها ؛ من مايتي دينار الى خمسين دينارًا. »[٣]

وكانت المياه تنساق الى بساتين القلالي من نُهير كان يجري في وسط الدير[٤] ، ولا شكّ أنّ مياه هذا النهير كانت تؤخذ من النهروان باعتبار أن مستواه أعلى من مستوى دجلة.

٥ — الاعياد المحتفل بها في الدير

لكلّ دير من الاديار عيد خاص ينفرد به تقريباً دون سواه ، فيشمل جمال العيدِ وابهتُه جميعَ سكان الدير ويمتد الى ما يجاور الدير من قرى وأرياف ، فيخرج الرهبان والقسوس في ذلك العيد الى المذبح وبأيديهم المجامر ، وقد تقلّدوا الصلبان وتوشّحوا بالمناديل المنقوشة ، وجميعهم يرتّلون التراتيل الدينية ،

١) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ، وراجع « الديارات النصرانية في الاسلام » للاستاذ حبيب زيات ، ص ٢٠

٢) الديارات النصرانية في الاسلام ، ص ٢٢

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

٤) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧

فتتجلّى عندئذٍ عظمة العيد وجماله ، ويتقاطر الأَهلون من القرى المجاورة ليشتركوا بهذه المظاهر. ولا شك أنه كان لدير قُنّى عيد خاص به ؛ ذكره بعض المؤرخين ، من ذلك ما قاله ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع : « ولدير قُنّى يوم مشهود عند النصارى يقصدونه فيه ، وكان فيه صخرة مصنوعة يُنْضَح منها الدهن في يوم عيده ، فيأخذه النصارى للبركة ويسمّونه طيبوث »[١].

ومن الأعياد العظيمة في هذا الدير عيد الصليب . قال الشابشتي : « انّ عيد الصليب هو اكبر عيد في الدير . »[٢] وكثيراً ما ينحدر الجاثليق الى دير قُنّى ، ليقوم بنفسه بالمراسيم العظيمة التي تُقام في هذا العيد .

٦ — النواحي المجاورة للدير

يجاور الدير ديارات اخرى وقرى متعددة ، فمن هذه الديارات : دير العاقول ، ودير مار جبرائيل المعروف بدير الكرسي . ومن القرى : قرية دير قُنّى ، وبنارق ، وبادرايا ، وباكُسايا ، والصافية ، والجُدَيْدَة ، وغيرها . لكنّ ما يلامس موضوعنا اليوم بصورة مباشرة من هذه المواقع هو : قرية دير قُنّى ، التي سنخصّها دون غيرها بكلمةٍ فيما يلي :

قرية دير قُنّى

الى جانب هذا الدير قرية كبيرة تُعرف أيضاً باسم دير قُنّى ، أخرجت عدداً من الكتّاب والوزراء[٣] ، وقد ذكر الطبري هذه القرية بقوله : « إنّ أبا أحمد بن المتوكل كان بالفِرك ، فأعدّ الشذا والسميريات والمعابر والسفن[٤] ؛

١) ابن عبد الحقّ : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع (طبعة ليدن) ١ : ٤٣٧ . والطيبوث من الارمية (ܛܝܒܘܬܐ) انظر : مسالك الابصار : قسم التصويبات ، ص ١٢ والصليب في الاسلام لحبيب زيات : حاشية ص ٤٤ ؛ وكذا التراجم السنية : حاشية ص ٢٤٠

٢) الشابشتي (دراسة ساخو) ص ١٧

٣) مسالك الابصار ١ : ٢٥٦

٤) هذه من وسائط النقل النهرية في ذلك العصر . ومن أراد التوسع في معرفتها فليراجع مقالة نفيسة نشرها الاستاذ حبيب زيات في مجلة لغة العرب (٥ [١٩٢٧] ٤٦١—٤٦٥) بعنوان « السفن والمراكب في بغداد في عهد العباسيين »

للرحيل لمحاربة صاحب الزنج ، فصار الى رومية المدائن ، ثم صار منها فنزل السِيب ثم دير العاقول ثم جرجرايا ثم قُنَّى .»[١]

وخالط ياقوت بعض الشك ، في كتابه « المشترك » لدى كلامه على مادة (قُنّ) ، حيث قال : « وقُنَّ اسم قرية على ظنّ أبي سعيد . قال: وعُرف بهذه النسبة أبو مُسعَاد عبد الغالب ابن جعفر بن الحسن بن عليّ الضرَّاب يُعرف بابن القُنّي . . . (قال ياقوت) : وأنا أظنــه منسوباً الى دير قُنّى بين بغداد وواسط ».[٢]

وأشار ابن عبد الحق الى أنّ هذه القرية كانتْ من قرى النهروان[٣]

وقد مزج المسعودي بين دير قُنّى والصافية ، القرية المقابلة لهـا بقوله : « وتَفرّقَ تلاميذ ايشوع الناصري في الأرض ، فصار ماري الى مـا دنا من العراق فمات بمدينة دير قُنّى والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط .وهذا البلد بلد علي بن عيسى بن داود بن الجرَّاح ، ومحمد بن داود بن الجرَّاح وغيرهما من الكتاب . فقبره هنالك في كنيسةٍ الى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثاية ، تعظّمه أهل الدين النصرانية ».[٤]

والغريب أنّ اسم دير قُنّى حُرِّف الى برمى ، في الطبعة المصرية لمروج الذهب (انظر ١ : ١٩٣ من طبعة القاهرة لسنة ١٣٤٦ هـ) .

وقد أُقيم في قرية دير قُنّى ديارات أُخرى ، منها الدير الذي شيّده مار عبدا القنَّائي ؛ الذي نَصَبَ فيه مدرسة كليّة كما أوضحنا آنفاً .

وصادف أنّ المتوكّل تغيّر على بختيشوع الجاثليق ، فهدم ديراً بدور قُنّى وأقطعه لمحمد بن جميل صاحب الشرط ليَبنيه منزلاً ، وأُخرجتْ عظام مار ابراهيم ورُميتْ في دجلة ، وقيل أنّه كان يُرى على الماء مثل السراج مدة طويلة[٥] .

---

١) تاريخ الامم والملوك للطبري (طبعة ليدن) ، السلسلة الثالثة : ص ١٩٦١

٢) المشترك ، ص ٣٦١

٣) المراصد ١ : ٤٣٧

٤) مروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس) ٢ : ٣٠٠

٥) ماري ، ص ٧٩

٧ ــ مشاهير دير قنى

لا يسعنا في هذه العجالة إلّا ذكر كلمة عن أبرز نوابغ هذه البقعة ، وان استقصاء اخبارهم مما يطول شرحه فيخرج بنا عن الحدود التي رسمناها في هذا البحث فاكتفينا بذكر اثني عشر منهم :

آ ــ مار عبدا

هو مار عبديشوع القنّائي ، كانت امّه فاسدة ؛ والاعجوبة ان تلد امرأة فاجرة قديساً . ولمّا ولدته طرحته في البيعة وكفله النصارى وربّوه ، وتعلّم في اسكول بلده وتمهّر وأُسيم قساً ، وبنى ديرًا عظيماً واسكولًا جامعاً وصار اليه الناس من كلّ موضع ؛ فعظم أمره وصار فيه ستّون نفساً معلّمون وغيرهم[١] .

ب ــ الجاثليق ايشوعياب (الرابع) بن حزقيال

من دور قنى ، تعلّم في اسكول مار ماري وأُسيم قساً فحُمِدتْ طريقته وحَسُنَ أثره في العفة والعلم ، جعله الجاثليق عبد يشوع الاول اسقفاً على القصر والنهروانات ... ودبّر الاسكول بقيّة ايام عبديشوع . وكانت وفاته سنة ١٢٠٦ م[٢] .

ج ــ أحّي الجاثليق

من تلاميذ مار عبدا ، وكان قبل جثلقته قد أُنتخبَ رئيساً لدير مار عبدا ، وفوّض اليه تدبير الاسكولانيين فيه .

ولما توفي اسحق الجاثليق اجتمع أصحاب الاختيار وأُسيم أحّي على الرسم بالمدائن سنة ٤١٨ م . وأحبّه يزدجرد . ثم ذهب الى فارس فسأل عن قبور الشهداء الذين قبلوا الشهادة في أيام شابور . وقــد ألّفَ كتاباً أثبتَ فيه أخبار الشهداء

---

١) التاريخ السعردي ١ : ١٩٥-١٩٦ ؛ ماري ، ص ٢٨ ، ٣٠ ؛ عمرو ، ص ٢١ ؛ كتاب الرؤساء لتوما المرجي (مقدمة المستشرق بدج) ١ : ١٢١ ؛ شهداء المشرق ٢ : ٢٧٦ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ٩٥-٩٦ ، ١٠٧ ؛ كلدو واثور ٢ : ٣٠

٢) ماري ، ص ١١٧ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ٤٥٤

الذين استشهدوا بالمشرق ، وأثبتَ هذه الأخبار ايضاً دانيال بن مريم في تاريخه المسمّى اقلاسيسطيقي . وألّف أحيّ ايضاً سيرة مار عبدا . وكانت مدة جثاقته اربع سنين ، واستناح ودُفن بالمدائن[١].

د — متّى بن يونس

قال ابن القفطي : « متى بن يونس النصراني المنطقي ، ابو بشر نزيل بغداد ، عالم بالمنطق ، شارحٌ له ، مُكثِرٌ وَطِيءُ الكلام ، قصْدُهُ التعليم والتفهيم . وعلى كتبه وشروحه إعتماد أهل هذا الشأن في عصره ومصره . وكان ببغداد في خلافة الراضي بعد سنة عشرين وثلثمائة ، وقبل سنة ثلثين . وله مناظرة جرتْ بينه وبين ابي سعيد السيرافي النحوي في مجلس عام بحضرة الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة .

وذكره ابن النديم في كتاب الفهرست فقال : ابو بشر متّى بن يونس من أهل دير قُنّى ، ممّن نشأ في اسكول مار ماري ، قرأ على قُوَيْريّ وعلى روفيل وبنيامين وعلى أبي أحمد بن كَرْنيب ، واليه انتهتْ رئاسة المنطقيين في عصره .

ومن تصانيفه : كتاب تفسير الثلاث مقالات الاواخر من تفسير ثامسطيوس ، كتاب نقْل كتاب البرهان ، كتاب نَقْل كتاب سوفسطيقا ، كتاب نَقْل كتاب الشعراء ، كتاب نَقْل كتاب الكون والفساد بتفسير الاسكندر ، كتاب نَقْل اعتبار الحِكَم وتعقُّب المَواضع لثامسطيوس ، كتاب نَقْل كتاب تفسير الاسكندر لكتاب السماء واصلحه ابو زكرياء يحيى ابن عدي ، وفسّرَ متى الكتب الاربعة في المنطق بأسرها وعليها يعوّل الناس في القراءة ، وله تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوريوس وهو المدخل الى المنطق ، كتاب صدر كتاب انالوطيقا ، كتاب المقاييس الشرطية »[٢].

---

١) عمرو ، ص ٣٥ ؛ ذخيرة الاذهان ١ : ١٠٧ ؛ التاريخ السعردي ١ : ٢١٢ ؛ وقد ذكر ماري (ص ٣١) أنّ مدّة رئاسته كانت سبع سنين وأشهُر ، خلافاً لسائر المراجع التي تقول أنها كانت أربعاً .

٢) تاريخ الحكماء للقفطي (طبعة ليبسك) ص ٣٢٣ ؛ الفهرست لابن النديم (طبعة ليبسك) ص ٢٦٣ ؛ التنبيه والاشراف للمسعودي ، ص ١٢٢ ؛ طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (طبعة

وكانت وفاة متّى بن يونس ببغداد سنة ٩٤٠ م .

هـ ـــ الفضل بن يحيى بن فَرُّخان شاه الديراني النصراني

كان من دير قُنّى. وحدث يوماً ان قبض الخليفة المقتدر على جميع املاكه، وكانت للفضل عند رجلٍ مائة وخمسون ألف دينار فأُخذتْ ايضاً من الرجل وضُمّتْ الى ما صودِرَ منه، ووجّه شفيع المقتدري بأمر الخليفة، ومعه غلمان وخَدَم، الى قُنّى فأحصوا تركة الفضل وضياعه. وكانت وفاته سنة ٩١٥ م [1].

و ـــ الحسن بن مَخْلَد بن الجرّاح

هو ابو محمد الكاتب الوزير، وُلِد في قرية دير قُنّى سنة ٢٠٩ هـ، وعُيّن على ديوان الضياع سنة ٢٤٣ هـ، ثم ولّاه الخليفة العباسي المعتمدُ منصبَ الوزارة في سامراء سنة ٢٦٣ هـ، وكانت هذه المدينة اذْ ذاك مقرّ الخلافة العباسية، وكان الحسن بن مَخْلَد في الوقت عينه كاتب سرّ الموفق أخي المعتمد. ولكن الحسن فرّ بعد شهرٍ تقريباً الى بغداد عندما وصل موسى بن بغا الى سامراء، وعندئذٍ تولّى الوزارة عوضه سليمان بن وهب، وتولّى كتابة السر ولدُه عبيدالله. وفي العام التالي طُرِد سليمان ونهب بيته، وبذلك تولّى الحسن الوزارةَ للمرة الثانية. ثم دارتْ الايام عليه مرة أخرى فصُودِرتْ املاكه وأخيرًا نُفِيَ الى مصر حيث ابن طولون على دست الحكم، فأكرمَ هذا مثواه، ولم تمضِ مدة وهو في نعيمه هذا، إلّا انقلب النعيم جحيماً، فأمر ابن طولون بالقاء القبض على الحَسَن فحبسه ثم دسّ اليه في شربةٍ فقتله بها، وتندّم أخيرًا على قتله، وكانت وفاته سنة ٢٦٩ هـ [2].

ملر) ١ : ٣٣٥ ؛ تاريخ مختصر الدول لابن العبري، ص ٢٨٥ . وفي «المخطوطات العربية لكتبة النصرانية»، للاب لويس شيخو اليسوعي (ص ١٩) ذكر ما تبقى من مؤلفاته.

١) صلة تاريخ الطبري لعريب، ص ٥٩

٢) المعلمة الاسلامية (الترجمة العربية) ١ : ٢٧٤، الطبري ٣ : ١٤٣٥، ١٩١٥ ؛ التنبيه والاشراف، ص ٣٦٩ ؛ تاريخ اليعقوبي (طبعة ليدن) ٢ : ٦٠١–٦١٧ ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (طبعة دار الكتب المصرية) ٣ : ٣٧، ٤٥ ؛ الكامل لابن الأثير (طبعة اوربة)

ز ـــ أبو الحسن عليّ بن عيسى بن داود ابن الجرّاح

من أهل دير قُنّى ، كتبَ في الدواوين وتقلّد كثيرًا منها رئاسةً . وتولّى الوزارة سنة ٣٠١ هـ في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله . كان من خيار الوزراء ، محبًّا لمجالسة العلماء ، تُوفي سنة ٣٣٤ هـ[١] .

ح ـــ الوزير ابن الفيّاض

كان من دير قُنّى ، وصلنا عنه أبيات شعرية مدحه بها البحتريّ وهي هذه :

ما تُقَضّى لُبانةٌ عِنْدَ لُبْنَى ؛ والمُعَنَّى بالغانيات مُعَنَّى !
نزلوا رَبوة العراق ارتيادًا أيُّ أرض أشفُّ دارًا وأسنى ؟
بين دير العاقول مُرتَبَع أشـرف مُختلُه الى دير قُنّى ،
حيث بات الزيتونُ من فوقه النخلُ عليه ورْق الحَمَام تَغَنَّى .
ما المَعَالي إلّا المكارمُ تزدا دُ ، وإلّا مصانعُ المجد تُبنى [٢]

ط ـــ مالك بن شاهي النِفَّري

من دير قُنّى ، كان يسعى مع بعض رفاقٍ له في البيعة لابراهيم بن المهدي ، فأرسلَ المأمون بطلبهم ، وضربه مع أصحابه وحبسهم ، وكان ذلك سنة ٢١٠ هـ[٣] .

ي ـــ محمد بن عليّ القنّائي

كان من اصحاب الحـلّاج ، فقُبِض عليه وكُبِسَ داره فوُجِد فيها دفاتر مكتوبة بماء الذهب ومبطّنة بالديباج والحرير ومجلّدة بالأَدَم ؛ وأشياء أخرى

٧ : ٥٤ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ؛ الفخري لابن الطقطقى (طبعة باريس) ص ٣٤٣ ؛ نشوار المحاضرة للتنوخي ١ : ٢٠ ، ٢٢ ، ٨ : ٢٠ ، ٦٦

١) تاريخ الوزراء للصابئ ، ص ٢٨١ ؛ النجوم الزاهرة ٣ : ١٩١ ، ٢٨٨ ؛ مروج الذهب ٢ : ٣٠٠، صلة الطبري، ص ٩٦ ، ١٦٥ ؛ نشوار المحاضرة ١ : ٢٥ ، ٢٩ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ١٠٤ ، ٢٢٥ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ١٢٩

٢) مسالك الابصار (ص ٢٥٧) .

٣) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧ ؛ اليعقوبي ٢ : ٥٥٩ ؛ الطبري ٣ : ١٠٧٣ ، ١٠٧٥ ؛ تاريخ بغداد لابن طيفور (طبعة ليبسك) ٦ : ١٠٠ ، ١٧٦

من آثار الحلّاج[١] .

ك ــ أبو قرّة الحسين محمد بن عليّ القنّائي

رجلٌ من دير قُنّى ، حسن الذكاء نشأ بين كتَّاب واسط وعمّالها وتخرّج معهم واختص بأحمد ابن عليّ القنّائي ، فتمهّرَ ؛ ولم يزلْ يتدرج في التصرّف حتى تقلّد رئاسة مدينة واسط . وفي سنة ٣٦٠ هـ قُبض عليه بقرية الجامدة من أعمال واسط وحُمل الى جنديسابور فمات بها[٢] .

ل ــ أبو عبدالله حمد بن محمد القنائي

ابن اخت الوزير الحسن بن مَخْلَد الجرّاح ، خلف خاله دفعاتٍ على ديوان الخراج ومرةً على ديوان الضياع ، ثم ولي الخراج والضياع العامة بالسواد[٣] .

٨ ــ اقوال الشعراء في دير قُنّى

تَغنّى الشعراء بمقطّعات وقصائد في هذا الدير ، وأطلقوا العنان لقرائحهم في التصوّر والتفنن في النظم ، وأمامنا بعض المقطعات الخالدة من جمال الشعر :

قال ابن جمهور ، وهو ابو عليّ محمد بن الحسن القمّي :

يا منزل اللّهو بدير قُنّى ، قلبي الى تلك الرُّبى قد حَنّا !
سَقْياً لأيّامك ، لمّا كُنّا نختار منك لَذّةً وحُسْنا ،
أيامَ لا أنْعَم عيش منّا ، اذا انتَشيْنا وصَحَوْنا ، عُدْنا .
وان في دَنٍّ نزلنا دَنّا ، حتى يُظَنّ أنّنا جُنِنّا .
ومُسعِدٌ في كلّ ما أردْنا ، يحكي لنا الغُصْنَ الرطيبَ اللّدْنا ،
أحسن خلق الله ، اذ زانَحنا ، وجسّ زير عوده وغَنّى .
بالله ، يا قسّيس ، يا با قُنّى ، متى رايتَ الرشأَ الأَغنّا ؟
متى رايت فتيَتي تحنّا ، آهٍ ، اذ ما ماسَ أو تثنّى ،
أسأتُ اذ أحسنتُ فيك الظّنّا !

---

١) صلة الطبري ، ص ٩٠ ، ٩٦

٢) تجارب الامم لمسكويه ٢ : ٢٦٠ ، وحاشية ص ٢٨٩

٣) نشوار المحاضرة ٨ : ٢٠

وبات فيه الوزير عليّ بن مقلة ثم أصطبح فيه ، وقال :

باتتْ يدي تَجْني ثِمارَ الجُناحْ ، بدير قُنَّى من وُجُوهٍ مِلاحْ !
حتى تَلا الراهبُ مَزْمُورَه ، وضَمَّخَ الأُفقَ خَلُوقُ الصَّباحْ .
فهلْ فتًى يُسعِدُني عاقدًا ذيلَ غَبُوقٍ بذيولِ اصْطِباحْ ؟
أُطيعُه في كل ما يَشْتَهي كطاعةِ الرِّيش لِأَمرِ الرياحْ ؟ (١

وللبحتري أبيات يمدح بها الوزير ابن الفيّاض ذكرناها لدى الكلام عن هذا الوزير. ولابن الحدّار المصري قصيدة يصف كاساً فيه صورة كسرى تحت شجرة وردٍ :

إنَّ عَجزًا كما نكون وغَبْنَا أن نُرَى صاحِيَيْنِ في دير قُنَّى !
حبَّذا روضةُ المدبَّجُ ليلًا ، وهواه ذاك المُمَسَّكُ رُدْنَا !
بِيمةٌ أُلْبِسَتْ من الزَّهر ثوبًا ، فتَراها تزداد طيبًا وحُسْنًا ؛
قد جرى السَّلْسَبيل بالمسْك فيها فَحوَته الدِّنانُ : دنًّا فدنًّا .
كم سَحَبْنا به من اللَّهو ذيلًا ، واهتَصرْنا به من العيش غُصْنًا !
وخَلَوْنا بخُسْرُوانيِّ كِسْرَى وهو يُسقَى طَوْرًا وطورًا يُغنَّى ،
تحتنا فَردةٌ من الوَرْد ، إلَّا أنها من أنامل البدر تُجنَى ! (٢

وحكى جحظة البرمكي قال: كنتُ بحضرة اسماعيل بن بُلْبُل بواسطَ أيام حرب العلويّ البصريّ ، والموفّق الناصر يقاتله. فلما انصرفتُ رافقني البحتري ، وكان قد زار ابن بُلبُل. فلما وصلنا الى دير قُنى قال لي: ويحك يا جحظة ! هذا دير قُنى وهو من الحُسْن والطيب على ما ترى ! وانتَ انتَ ! وطنبورُك طنبورُك ! فهل لك ان نقيم به اليوم ، فنشربَ ونطرب ، وننعَمَ ونلعب ؟ فقلتُ: نعم ! ولم يكنْ معنا نبيذ . فسألنا عمن يقربُ منّا من العمّال ، فكتب اليه البحتري:

يا ابنَ عيسَى بن فَرُّخانَ ، وللفُرْسِ بعيسَى بن فَرُّخان افتخارُ !
قد حَلَلْنا بدير قُنَّى ، وما نبغي قِرًى غيرَ أن يكون عُقارُ ؛

---

١) مسالك الابصار ، ص ٣٥٧

٢) معجم البلدان ٤: ١٧٨ ، ومسالك الابصار ، ص ٣٥٧ ، وبينهما بعض الاختلاف في في تدوين هذه الابيات .

فأسْقِ من حيثُ كان يشرب كِسرى عُصْبَةً كلُّهمْ ظِماءٌ حِرَارُ ،
من كُمَيْتٍ تولّت الشمسُ منها وما تولّته من سِواها النارُ .

فوجّه اليه عشرين دنًّا شراباً ، ومائة دجاجة ، وعشرين حملًا ، وفاكهةً . وعملتُ في الأبيات لحناً. فلم نزلْ نشربُ عليهِ يومَنا وليلَتنا ، وأخذتُ فيها معنًى فقلتُ :

وبات يَسقينا جِنانيّةً ضنَّت بها الشمسُ على النار ! (١

٩ — نهاية الدير وانقراضه

لم تصلنا معلومات كافية عن خراب هذا الدير الكبير ونهايته ، وجلّ ما بلغنا اخبار مقتضبة ، من ذلك ما ذكره ياقوت (المتوفّى سنة ٦٢٦ هـ) بقوله : « واماّ الآن فلم يبقَ من هـذا الدير غير سوره وفيه رهبان صعاليك ، كأنه خرب بخراب النهروان »[٢].

واننا نعلم أن سبب خراب النهروان هو اختلاف السلاطين السلجوقيين وقتال بعضهم لبعض ، ومنافساتهم التي دَمَّرَت كل عمرانٍ[٣] . ولا يخفى أنّ الصدمات التي لاقاها الدير كانت كثيرة العدد بالغة التخريب ، فقد قال ماري ابن سليمان ان الملك فيروز بعد عودته من بلد الترك (أيام بابويه) عادَ الى شرّه ورام محق النصرانية ، فصار يهدم البيع والديارات. ومن المؤكد أن بعض شظايا هذه النكبة كانت قد أصابتْ دير قُنى فأبادتْ قسماً من معالمه[٤].

ومن النكبات التي حلّت به انّ الكواكبي المعروف بابن البقّال ، الذي كان معلماً لبهاء الدولة ، اعتقل الجاثليق ببغداد ، وانحدر الى دير قُنى ، وتناهى في القبحِ وفِعل الشرّ ، فشتّت الرهبان وصادرهم ، فقُبِضَ عليه وحُمل الى بغداد

---

١) مسالك الابصار ، ص ٢٥٨
٢) معجم البلدان ٢ : ٦٨٧
٣) معجم البلدان ١ : ٧٣٩ ، مادّة بنارق
٤) ماري ، ص ٤٢ ؛ والتاريخ السعردي ٢ : ١٥

وقُتل ورُميتْ جيفتُه الى الماء[1].

ويؤخذ من كلام ابن عبد الحقّ في مراصد الاطلاع أنّ هـذا الدير قد استولى عليه الخراب في عهده ، ومن المعلوم أنّ وفاته كانتْ في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد.

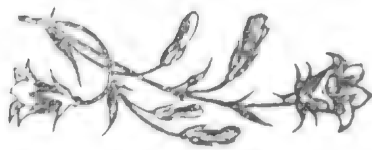
ويشاهد اليوم على ضفة دجلة اليسرى أطلال عمارات قديمة يسمّيها الاهلون هناك « الدير » ولا يبعد أن تكون تلك الأطلال بقايا دير قُنّى ودير العاقول ودير مار جبرائيل[2].

خاتمة

نخرج من بحثنا ان هذا الدير الشهير ظلّ عامرًا برهبانه مدة طويلة قد تبلغ الألف سنة ، ثم تطاولتْ عليه يد الزمن وانتابته الأهوال فألحقته بالكثير من رفاقه ، التي صرنا لا نعلم عنها أكثر مما نقع عليه من الشذرات المتناثرة في بطون الكتب.

١) ماري ، ص١٠٨ و١٠٩

٢) « موضع مقتل المتنبي » للاستاذ يعقوب نعوم سركيس (مجلة الاعتدال النجفية ٤ [١٩٣٧] ص ١٩٥)



تقويم قديم

للكنيسة الكلدانية النسطورية

وقف على طبعهِ وعلّق حواشيهُ

الخوري بطرس عزيز

نائب بطريرك الكلدان

في حلب

بيروت في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

سنة ١٩٠٩

تقويم قديم

للكنيسة الكلدانية النسطورية



وقف على طبعهِ وعلّق حواشيهُ

الخوري بطرس عزيز

نائب بطريرك الكلدان

في حلب



بيروت في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

سنة ١٩٠٩



مقدمة

ان الظاهر من قصد مؤلف هذا الاثر ان يبقي ذكرًا للهرطقة النسطورية التي اوشكت ان تموت على زمانهِ بحيث يرى القارئ ما كانت عليهِ من المجد في السابق

ولا غرو فان الكنيسة النسطورية التي وصلت يومًا الى ما لا مزيد عليهِ من الانتشار والترقي في تاريخ المسيحية في الشرق اخذت منذ الجيل الرابع عشر تنحطّ رويدًا رويدًا حتى وصلت الى السابع عشر فبلغت تمام اضمحلالها . فمنذ ذلك الحين نراها منزوية في جبال كردستان تنازع في وسط الفساد والجهل والهمجية يكاد ان لا يبقى لها من الدين المسيحي سوى الاسم والخيال . ذلك انهُ قد حُكم على كل هرطقة ان تحمل في احشائها جرثومة الفناء لتنخرها كالسوس فلا تبرح تسقط على الحضيض عاجلًا او آجلًا . فهذا ما شاهدناه في الهرطقة الاريوسية وهذا الذي جرى للنسطورية وهذا مصير كل هرطقة لا محالة كما يفيدنا التاريخ الكنسي في الاجيال الغابرة

على انهُ ان كانت الهرطقة قد قتلت ودفنت في التراب الامة التي تمسكت بها فان الكثلكة قد بعثتها من القبر وارجعتها الى مجدها القديم . فهذا الشعب الكلداني منذ تبرأ من نسطور وجحد ضلاله والتجأ الى حضن امه الحقيقية الكنيسة الكاثوليكية اخذت تدبّ فيهِ الحياة وتجري في عروقهِ الارواح فقام ينفض عنهُ الغبار يتسابق في معارج التقدم والفلاح . فان الاله القدير الذي جعل الامم قابلة الشفاء قد اقام في وسطه في شخص بطاركتهِ رسلًا حقيقيّين ما برحوا منذ ثلثمائة سنة بمساعدة وتشجيع الكرسي الرسولي يتفانون في سبيل اصلاح هذا الشعب وترجيعهِ الى مجده المشوَّه فقادوهُ خطوةً خطوةً في سبيل النجاح . فهذا البطريرك الشهيد يوحنا سولاقا وهؤلاء بطاركة آمد اليوسفون وكذا قل عن الباقين

غير ان الكنيسة الكلدانية لم تستأنف امتدادها في البلاد التي انقرضت فيها الَّا على عهد بطاركتها الاربعة الاخيرين . فانهُ منذ ذلك الحين فقط صار لها كنائس وشعب كلداني مستقلّ في حلب واطنه والشام وبيروت ومصر والقسطنطينية والبصرة حيث

قبل هذا العهد باربعين سنة لم يبقَ معروفًا من الكلدان حتى ولا الاسم ايضا

ان غبطة بطريركنا الحالي السيد يوسف عمانوئيل توما الكلي الطوبى قد فتح وحده الرسالات الآتية اسماؤها وهي : اورفا ودير الزور والعمارة والعشار والكوت والاهواز ونصيبين ولم يهمل توسيع وتزيين الرسالات التي فتحها سلفاؤه كلّما دعت الحاجة الى ذلك

وبصفة كونهِ قاصدًا رسوليًا على النساطرة ومعهود الى غيرتهِ من الكرسي الرسولي امر ترجيعهم الى الكثلكة قد جدّد اسقفية وان وانشأ رسالة دزّه واشيثا وغيرهما واقام اربعين مدرسة واربعين مصلى في كردستان وجلب الى الايمان الكاثوليكي عددًا كبيرًا من الاكليروس والشعب النسطوري

هذا واني اضرب صفحًا عن الكنائس التي شيدها وجدّدها والمدارس العديدة التي يقوم بها والمدرسة الكهنوتية البطريركية التي يعتني بتوسيعها . ولو اردت ان اذكر كل ما عملهُ منذ تولّى شؤون هذه البطريركية في مدة تسع سنين وما في قصده ان يجريه في المستقبل لطال الشرح

ان الاثر الذي ننشره اليوم لا يُعرف اسم مؤلفهِ وقد وصل الينا بواسطة رجل يعقوبي المذهب وجده في احدى كنائس الموارنة في الشام فاستنسخهُ وقد عثر على هذه النسخة حضرة الاب البادري لويس شيخو اليسوعي المحترم في مكتبة اسقفية ماردين الكلدانية وهو تبرع بها علينا فنشكرهُ على ذلك شكرًا حميمًا

يحتوي هذا الكتيب على تقويم الكنيسة الكلدانية النسطورية في الفترة المتراوحة بين سنة ١٠٠٠ وسنة ١٧٠٠ مسيحية ولعل هذا العهد هو تاريخ كتابة هذا الاثر اما مؤلفهُ فهو بوجه العموم مطّلع على الامور التي كتبها كما يظهر من مقابلتهِ مع مؤرخي النساطرة (طالع ايضًا السمعاني : المكتبة الشرقية المجلد ٤) قال عمرو بن متى في الجيل الثالث عشر هذه اسماء ابرشيات ومطرانيات النساطرة عدا الابرشية البطريركية :

— ١ مطران جنديسابور وهو صاحب اليمين — ٢ مطران نصيبين — ٣ مطران البصره — ٤ مطران الموصل واثور — ٥ مطران اربل وحزّه — ٦ مطران باجرمي — ٧ مطران حلوان — ٨ مطران اورشليم ٩ — مطران الرها — ١٠ مطران فارس — ١١ مطران مرو — ١٢ مطران هراة ١٣ — مطران قطربه — ١٤ مطران

الصين — ١٥ مطران الهند — ١٦ مطران بردع — ١٧ مطران دمشق — ١٨ مطران الري — ١٩ مطران طبرستان — ٢٠ مطران الديلم — ٢١ مطران سمرقند — ٢٢ مطران تركستان — ٢٣ مطران بلخ — ٢٤ مطران سجستان — ٢٥ مطران خان بالق — ٢٦ مطران تنكت — ٢٧ مطران كاشغر ونواكت . وكل واحد من هولاء الآباء له اساقفة فمنهم من له اثنا عشر اسقفاً ومنهم من له ستة اساقفة (انتهى)

وتاييداً لهذا القول نسرد جدول اساقفة الابرشيَّة البطريركيـة من كتاب ابن التلميذ في الجيل الحادي عشر :

١ اسقف كشكر (واسط) — ٢ النعمانيـة — ٣ الحيرة — ٤ الانبار — ٥ لعز — ٦ عكبره — ٧ بادرايا — ٨ الطيرهان — ٩ الرادان — ١٠ السن — ١١ البوازيج — ١٢ القصر . انتهى

ان مؤَلف الاثر الذي بين يدينا لا يدقّق كثيراً في ايراد العصور والسنين بل اغلب الاحيان يستند الى تاريخ متقارب من الحوادث الذي يذكرها . ومع هـذا النقص (الذي لا يعسر اصلاحه) لا يخلو هذا الاثر من اهمية عظمى فقد رأينا في نشره فائدةً لتاريخ المسيحية في الشرق وقد اضفنا اليهِ بعض الحواشي من المؤَرخين والكتبة الذين بحثوا في هذه المواد تاييداً لما يقصّه المؤَلف والسلام

تقـويم
الكنائس النسطوريّة

نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقـهِ ونكتب بعض تواريخ الكنيسة النسطورية التي كانت تتلألأ مثل الكوكب في بلاد المشرق والان اصبحت محرومة من كافـة العلوم والتمدن والغنى

﴿ الباب الاول ﴾ نتكلم عن بلاد مصر وافريقيا (١) التي كان يوجد فيها جمعٌ غفير من الطائفة النسطورية في سنة ١٠١٥ مسيحية . كان يوجد في مصر مطرابوليط اسمهُ مار دانيال الذي هو من مدينة حلب كان يسوس مراعيث النساطرة وكان يوجد تحت يده ثلاثة اساقفة : الاول اسقف شمعون الجزري. والثاني اسقف امشيحا جنسهُ من الموصل والثالث اسمهُ يوسف جنسـهُ من طهران بلاد الفرس وكان يوجد تحت يدهم من القسوس عدد ٤٧ قسيساً ومن الشمامسـة عدد ٣٠٦ . وكان يوجد في مصر اربع كنائس : الاولى مار موسى الحبشي. والثانية مار الياس الغيور. والثالثة الاثنا عشر رسولاً. والرابعة انتقال العذراء . ومن مراعيث المؤمنين كان يوجد سبعة الاف وثلاثمائة بيت كانوا جميعهم نساطرة

ثم في مدينـة الاسكندرية كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار شموئيل ذلك من بلد الشام وكان يوجد تحت يده اسقفان الاول مار توما والثاني اسمهُ مار يوحنان وكان

---

(١) كان في مصر عدد كبير من النساطرة انتقلوا اليها من بابل واثور كما يشهد السمعاني وكان لهم اسقف في عهد البطريرك مار آبا الثاني سنـة ٧٤٥ (طالع توما المرجي تاريخ السيرة المنسكية ك ٢ فصل ٤١) ذكر عمر بن متى ان البطريرك عبد يشوع رسم سليمان اسقفاً على مصر سنة ٩٨٠ . والبطريرك يوحنا نازوك رقى اسقف مصر الى مطرنية فارس والبطريرك ايليا مولكي نقل مطران حلوان الى كرسي مصر. وسبر يشوع زنبور البطريرك رسم يوحنا اسقف الحديثـة مطراناً على مصر. وفي ترجمة البطريرك عبد يشوع ابن العارض يذكر ان هذا نقل مرقس مطران مصر في مكان يوحنا رئيس اساقفة الشـام المعزول منهُ (راجع عمرو بن متّى في تراجم البطاركة المذكورين) في زمان البطريرك ايليا ابو اليونان صار الكلدان كنيسـة وطائفة مستقلة في القاهرة وهي اليوم نيابة بطريركية منذ ما ينيف عن عشرين سنة

جنسهما من بلد العجم وكان يوجد تحت يدهما ثلاثة وعشرون قسيساً ومن الشمامسة ثمانون شماساً وهذا المرعيث كان عدده ٤٠٢٥ بيتاً وكانوا جميعهم نساطرة. ثم كان يوجد في مدينة الاسكندرية ثلاث كنائس. الاولى على اسم القديسة مرت اشموني وسبعة اولادها ومعلمهم الكاهن ايليعازار. والثانية بشارة العذراء من الملاك جبرائيل. والثالثة على اسم الاربعة الانجيليين متى ومرقس ولوقا ويوحنا

ايضاً مدينة الرشيد كان يوجد فيها اسقف واحد وكان اسمهُ مار احنانيشوع جنسهُ من بلاد الرها وكان يوجد تحت يده من القسوس اثنا عشر قسيساً ومن الشمامسة ستة وثلاثون شماساً وكان لهم كنيسة واحدة على اسم مار بطرس و بولس والمرعيث كان عدده الف وثلاثماية بيت جميعهم كانوا نساطرة

ايضاً مدينة الفيوم من اعمال مصر كان يوجد فيها اسقف واحد كان اسمهُ مار صور يشوع جنسهُ من بلد نصيبين كان يوجد تحت يده من القسوس خمسة عشر قسيساً ومن الشمامسة خمسة واربعون شماساً وكان لهم كنيسة واحدة على اسم مار اداي ومار ماري اللذان هما من الاثنين والسبعين رسولاً ومرعيث المؤمنين كان عددهم الف وسبعماية بيت جميعهم كانوا نساطرة ثم في هذا القسم المذكور اغلبهم انضمّوا الى الطقس القبطي والباقي منهم قد دخلوا في شيعة محمد

﴿ الباب الثاني ﴾ بلاد اليمن (١). اولاً مدينة صنعاء كان يوجد فيها ميطرابوليط وكان اسمهُ مار اسطيفانوس جنسهُ من جزيرة قبرس وكان تحت يده ثلاثة اساقفة الاول مار ايليا جنسهُ من بلد الجزيرة. والثاني كان جنسهُ من بلد ماردين وكان اسمهُ ياولاها. والثالث كان اسمه مار شمعون كان جنسه من بلد الموصل. وكان لهم ثلاث كنائس: الاولى اسمها على اسم الصليب. والثانية على اسم مار جرجس. والثالثة على اسم مار انطونيوس. وكان يوجد من القسوس سبعون قسيساً ومن الشمامسة مائتان وثمانون وعدد المومنين الذي كان يوجد خمسة الاف وسبعماية

ايضاً مدينة زبيد كان يوجد فيها اسقف واحد اسمه مار عبد يشوع جنسه من

---

(١) في ترجمة طيمثاوس الاول بطريرك النساطرة يُذكر ان هذا البطريرك رسم في نحو السنة ٨٠٠ بطرس اسقفاً على صنعاء واليمن . والبطريرك يوحنا الخامس ارسل كتاباً الى حسن قسيس اليمن يجاوب فيهِ على ثمانية وعشرين سؤالاً سنة ٩٠١ .

بلد آمد وكان تحت يده من القسوس عشرة قسوس ومن الشمامسة ستة وعشرون شماساً ومن المؤمنين كان يوجد الف ومائة بيت وكان في سنة الف ومايتين وعشرة

ثم مدينة النجران من اعمال اليمن كان يوجد فيها اسقف واحد وكان اسمه مار يعقوب جنسه من بلد سعرد وكان تحت يده من القسوس خمسة عشر ومن الشمامسة خمسة وثلاثون وعدد المؤمنين كانوا الف واربعماية بيت نساطرة وكان لهم كنيستان الاولى على اسم قيامة المسيح والثانية على اسم شليطا العابد الفاضل وجميعهم كانوا نساطرة وكان ذلك في سنة الف ومايتين وستين

﴿ الباب الثالث ﴾ في بلاد الحجاز. اولاً مدينة يثرب كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار بولس جنسهُ من بلد غرما (يعني كركوك) كان يوجد تحت يدهِ اسقفان: الواحد اسمهُ مار موسى وجنسهُ من بلد سعرد والثاني اسمهُ مار ابراهيم وجنسهُ من بلد خراسان في بلاد العجم. وكان يوجد تحت يدهم من القسوس ثمانون قسيساً ومن الشمامسة مائتا شماس وكان لهم ثلاث كنائس: الاولى على اسم سيدنا ابراهيم الخليل. والثانية على اسم موسى كليم الله. والثالثة على اسم سيدنا ايوب الصديق وعدد المؤمنين كان اربعة الاف وثلاثماية بيت وهولاء جميعهم كانوا نساطرة خاضعين الى جاثليق الشرق الذي يجلس في المدائن في بلد الفرس وكان ذلك في سنة الف ومائتين واربعين. ثم قويت الامة الاسلامية وضبطت المعابد يعني الكنائس وقتلت خلقاً كثيراً بحد السيف وجزء منهم انحازوا الى شيعة محمد

ايضاً مدينة عكاظ من اعمال الحجاز كان يوجد فيها اسقف اسمهُ مار شليطا جنسه من بلد ماردين وكان تحت يده من القسوس ثمانية ومن الشمامسة ثلاثون شماساً وكان لهُ كنيسة واحدة على اسم مار بطرس و بولس وكان عدد المؤمنين الف وثمانمائة بيت جميعهم نساطرة وكان ذلك في سنة الف ومايتين واربعين اغلبهم قُتلوا بحد السيف وجزء منهم انحازوا الى شيعة محمد

ايضاً مدينة عدن من بلاد الحجاز كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار ميلو جنسهُ من بلد البصرة وكان تحت يدهِ من القسوس اثنا عشر ومن الشمامسة اربعون وكان لهم كنيسة واحدة على اسم مار يوسف خطيب العذراء (١) وعدد المؤمنين كان

(١) على هذا الموجب يكون الكلدان النساطرة اول من كرّس كنيسة على اسم هذا القديس في تلك الازمنة القديمة حيث لم تكن عبادته منتشرة حتى ولا عند اللاتين ايضاً

ف وثلاثمائة بيت وجميعهم كانوا نساطرة وهولاء ايضاً اصابهم مثل مدينة عكاظ
كان ذلك في سنة الف ومايتين وخمسين

(في بلاد جزيرة قبرس) . كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار طيماطاوس جنسه من بلد الموصل وكان يوجد تحت يده اسقفان: اسم الواحد مار ايليا جنسه من بلد بغداد والثاني كان اسمهُ مار دنحا جنسه من بلد الرها . وكان تحت يدهم سبع كنائس ما نعرف اساميها حتى نذكرها ومن القسوس كان يوجد ثانون قسيساً ومن الشمامسة مائتان وستون شماساً ومن المؤمنين خمسة الاف وثلاثمائة بيت وكانوا جميعهم نساطرة وذلك في سنة الف وثلاثمائة وثمانين . ثم (١) صار مجمع اقليميّ في جزيرة قبرس بامر البابا الروماني بنديكتوس الثاني عشر في سنة الف وثلاثمائة واربعين مسيحية وكان ذلك على يد مار طيمثاوس مطرابوليط تلك الجزيرة ومار ايليا اسقف تلك الجزيرة ومار دنحا رفيقهِ وحضر فيهِ ايضاً روساء اليونان والروم والموارنة والارمن واللاتين والنساطرة واليعاقبة ثم رفضوا شقاق النسطورية واعترفوا برئاسة البابا الروماني كونهُ نائب المسيح على الارض واقرّوا بايمان الكنيسة الرومانية والنساطرة الموجودون في تلك الاماكن جزءٌ منهم انضمّ الى طقس اللاتين والجزء الثاني انضموا الى طقس الموارنة وتلاشت النسطرة في تلك البلاد

﴿ الباب الرابع ﴾ في بلاد سورية وفلسطين . اوّلاً مدينة حلب (٢) كان يوجد

(١) رجع النساطرة الى الكثلكة في قبرص مرتين: المرة الاولى في المجمع الذي عقده ايليا رئيس اساقفة اللاتين في تلك الجزيرة سنة ١٣٤٠ في عهد البابا بندكتوس الثاني عشر كما نعلم من اعمال ذلك المجمع — والمرة الثانية بعد ذلك العهد بنحو مائة سنة اعني ١٤٤٥ في عهد اوجانيوس الرابع الحبر الروماني بسعي اندراوس اسقف كولوس الذي اقنع طميثاوس مطران النساطرة ان يجحد النسطورية ففعل وارسل صورة ايمانه الى البابا المذكور يقول فيها: انا طيمثاوس الطرسوسي مطران الكلدان في قبرص الخ . وعندنا منشور اوجانيوس لسنة ١٤٤٥ حيث يذكر هذا الرجوع ويأمر ان لا يتجاسر احد من الآن وصاعداً ان يسمي الكلدان نساطرة (طالع جميل علاقات الكلدان والكرسي الرسولي وجه ٩). قال السمعاني: فلما تغلب الاتراك على اللاتين في قبرص انقرض منها النساطرة واليعاقبة.

(٢) ان ايليا الجوهري مطران دمشق المتوفى سنة ٩٥٠ يذكر في جدول ابرشيات النساطرة ان اسقفية حلب كانت خاضعة لمطرانية الشام — وعمرو بن متى في ترجمة البطريرك سبر يشوع زنبور يقول ان هذا البطريرك رسم ابن طوبه اسقفاً على حلب سنة ١٠٦٣ — واليوم يوجد في

فيها مطرابوليط اسمهُ مار متى جنسهُ من بلد آمد وكان تحت يده اسقفان. الاسقف الاول كان اسمهُ ياوالاها والاسقف الثاني كان اسمهُ مار زكريا. وكان جنسهما من نينوى وكان تحت يدهم اربعون قسيساً ومن الشمامسة مائة وثمانون شماساً وعدد الكنائس التي كانت لهم ثلاث كنائس : الاولى على اسم الاربعين شهيداً والثانية على اسم مار قرياقوس والثالثة على اسم مار اسيا وايشعيا الحلبي (١) . وعدد المؤمنين كان خمسة الاف وسبعماية بيت وهولاء كلهم كانوا نساطرة وذلك في سنة الف وثلاثمائة وثمانين مسيحية والبعض منهم هلكوا بحد السيف والبعض دخلوا في شيعة محمد

ثم مدينة حمص كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار دانيال جنسهُ من بلد الشام وكان تحت يده قسوس وشمامسة وكان لهُ كنيسة واحدة على اسم العذراء مريم ومن المؤمنين كان يوجد ستمائة بيت نساطرة

ثم مدينة حماة كان يوجد فيها اسقف اسمهُ مار يونان جنسهُ من الرها وكان تحت يده قسوس وشمامسة كثيرون وعدد المؤمنين كان ثمانمائة بيت وكان لهُ كنيسة واحدة كبيرة على اسم شمعون الشهيد

ثم مدينة تدمر كان يوجد فيها اسقف اسمهُ مار حزقيال جنسهُ من بلد حلب وكان يوجد تحت يده قسوس اربعة عشر ومن الشمامسة اربعون ومن الكنائس واحدة كبيرة على اسم مار شمعون برصباعي الشهيد ومن المؤمنين كان يوجد تسعمائة بيت جميعهم نساطرة

حلب كنيسة وطائفة كلدانية فُتحت في عهد البطريرك يوسف اودو على يد الكاهن الغيور الخوري بطرس رسام رحمهُ الله وذلك منذ ما ينيف على ثلاثين سنة وهي نيابة بطريركية . (طالع مقالتنا في المشرق ٦ :٦٥٥) قدمية الكلدان في حلب

(١) لهذا القديس حتى الان عبادة خصوصية عند الحلبيين لِمَا يختبرون من كراماته في شفاء الامراض – واما اسم اسيا فاما ان يكون محرفاً عن Isaïa باللاتينية واليونانية ومعناه ايشعيا الحلبي الذي عُرف في الجيل الرابع وهو احد رفاق اوجين مؤسس الرهبانية في بلادنا المشرقية . واما ان يكون اصلياً فهو كلمة كلدانية سريانية (ܐܣܝܐ) ومعناها الطبيب (والعامّة هنا تسميه اسيا الحكيم) غير ان الكلمة ملفوظة على نسق اللفظ الكلداني لانهُ باللفظ السرياني يكون اسيو – ويوجد مزار في حارة الشمعشع في زقاق الاربعين معروف عند العامة بقبر مار ايشعيا الحلبي وقد تسمت الحارة على اسمه .

ثم دمشق الشام (١) كان فيها مطرابوليط اسمهُ مار يونان وجنسهُ من بغداد وكان يوجد تحت يده ثلاثة اساقفة الاول اسمهُ مار توما وجنسهُ من بلد كفر توثا . والثاني اسمهُ حنانيشوع وجنسهُ من نصيبين . والثالث اسمهُ مار مخائيل وجنسهُ من حلب . وكان لهم اربع كنائس : الكنيسة الاولى على اسم مار ميخائيل رئيس الملائكة والكنيسة الثانية على اسم مار الياس الغيور . والثالثة على اسم حافظة الزروع . والرابعة على اسم مار موسى الحبشي وكان عدد القسوس ستين والشمامسة ثلاثمائة وعدد المؤمنين تسعة الاف وثلاثمائة بيت وجميعهم خاضعون الى جاثليق الشرق الذي يجلس في المدائن من اعمال الفرس

ايضاً مدينة اورشليم (٢) وبيت المقدس كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار

(١) يضع ايليا الدمشقي مطرانية الشام في المقام السادس بين مطرانيات النساطرة وعبد يشوع الصوباوي في المقام الرابع عشر وعلى زمان عمرو بن متّى كانت في المقام الخامس عشر وكان يخضع لمطران الشام يوماً جميع النساطرة الموجودين في سورية وفلسطين وقيليقية ومصر . ففي جدول ايليا الدمشقي تُذكر اسقفيات حلب واورشليم ومنبج ومصيصة وطرسوس وملاطية خاضعة لهُ . وعمرو ابن متى يزيد على ذلك مصر

ان مطارنة دمشق المعروفين هم الآتية اسماؤهم : يوحنا في عهد البطريرك ايشوعياب الجدالي سنة ٦٢٨ سبر يشوع في عهد طيمثاوس الاول ٧٧٨ — يوحنا في عهد ابراهيم المرجي ٨٣٦ — يوحنا في عهد تاودوسيوس ٨٥٢ — ايليا الجوهري في عهد يوحنا البطريرك ٨٩٣ — ايشوعياب الذي عزله البطريرك ماري وارجعه البطريرك يوحنا سنة ١٠٠١ — يوحنا الجرمقي ١٠٨٠ الذي عزله عبد يشوع ابن العارض مرقوس الذي اقامه عبد يشوع المذكور عوض يوحنا الجرمقي . يوجد الآن كنيسة وطائفة كلدانية مستقلة في الشام وهي نيابة بطريركية فُتحت في عهد البطريرك عبد يشوع خياط

(٢) كان للكلدان النساطرة في اورشليم اسقفية وكانت خاضعة لمطرنية دمشق حتى سنة ١٢٠٠ ثم اضحت مطرنيــة تارةً وحدها وتارةً ملتصقة بآمد — كتب ربَّان ارام الى البابا بندكتوس الرابع سنــة ١٢٤٧ : نطلب منكم ان يكون نظركم على ايشوعياب مطران اورشليم الذي هو من طائفتنا وعلى اخوتنا المسيحيين الشرقيين (اي النساطرة) القاطنين في انطاكيــة وطرابلس وعكا وغيرها من الاماكن الخاضعة لكم (طالع جميل علاقات الكلدان والكرسي الرسولي وجه ٣) . ذكر عمرو بن متى ان ابراهيم مطران اورشليم حضر رسامة البطريرك يابالاها سنــة ١٢٨١ . وفي رسالة ايليا البطريرك الى البابا بولس الخامس سنة ١٦١٦ يُذكر طيمثاوس رئيس اساقفة اورشليم وآمد والاكليروس الكلداني القاطن في دير مار يعقوب باورشليم الذي يستولي عليــهِ اليوم الارمن الغريغوريُّون . وكان الكلدان مصلى في كنيسة القيامة يقيمون فيــهِ طقسهم كما يظهر خاصةً من كتب خطية محفوظة في المتحف الواتيكاني (طالع جميل الكتاب المذكور وجه ٥١٩ في الحاشية) :

بطرس جنسهُ من بلد بيت غرما وكان تحت يده اربعة اساقفة : الاسقف الاول اسمهُ مار جبرائيل جنسهُ من بلد حلب . الثاني اسمه ميخائيل وجنسهُ من بلاد العجم . والثالث اسمه مار يوحنان وجنسه من بلد آمد . والرابع اسمه مار يعقوب وجنسه من بلد نصيبين وكان تحت يدهم سبعون قسيساً وشمامسة مائتان ولهم من الكنائس اربع كنائس الاولى على اسم مار يعقوب الرسول الشهيد . والثانية على اسم يوحنا المعمدان . والثالثة على اسم تجلي المسيح على طور طابور والرابعة على اسم انتقال العذراء مريم وكان عدد المؤمنين في مدينة اورشليم ونواحيها ثمانية الاف ومايتي بيت وجميعهم كانوا نساطرة وذلك في سنة الف ومائتين وثمانين مسيحية

مدينة حبرون من اعمال اورشليم يقال لها مدينة الخليل التي سكن فيها سيدنا ابراهيم الخليل واسحاق ويعقوب . ودُفنوا هناك مع نسائهم كان يوجد فيها اسقف واحد اسمه مار اسحاق جنسه من الموصل وكان يوجد تحت يدهِ من القسوس والشمامسة غاية ما يكون وكان له كنيسة واحدة على اسم مار ابراهيم واسحاق ويعقوب وكان عدد المؤمنين هناك ثمانمائة بيت وكانوا جميعهم نساطرة وذلك في سنة الف وثلاثمائة وعشرين مسيحية

وفي اورشليم كان يوجد ثلاثة اديرة للنساطرة جميعها كان يسكنها عدد وافر من الرهبان . فالدير الاول كان على اسم مار انطونيوس القبطي والدير الثاني على اسم الاثني عشر رسولاً والدير الثالث على اسم الفونطقسطي وكانوا يعيشون على نسق مار انطونيوس وذلك في سنة الف واربعماية وخمس مسيحية ثم صارت فتنة عظيمة في اورشليم بين القبط والارمن واليعاقبة والنساطرة فاتفقوا جميعهم وقاموا على الملة النسطورية وقتلوا النساطرة بحدّ السيف وجزء منهم قُتلوا وجزء منهم انضموا الى الطقس القبطي وجزء منهم الى الطقس اليعقوبي وجزء منهم الى الطقس الارمني وتلاشت النسطورية من بلاد اورشليم وانضبطت المعابد والاديرة

وذكر بروكاردس في وصف الاراضي المقدسة ان النساطرة كانوا منتشرين في ضواحي بيروت والجُبيل وسهل لبنان مقابلة ايتورية وفي طرابلس الشام واورشليم وكذا يشهد كل من كتب عن الاراضي المقدسة وابن العبري .

﴿ الباب الخامس ﴾ بلاد اسيا الصغرى وارمينيا وكردستان. حسب راي بعض المؤرخين الشرقيين يقولون يسمى كلدانستان وحسب راي ابن الحجري وابن الصليبي وبيت ايشوع وابو فرج يقولون انها كلدانستان لا كردستان لان اهالي الجبل جميعهم كانوا من شيعة الكلدانيين القدماء قبل المسيح وفي زماننا هذا بدلوا الكلدان في الكرد والى الان يقولون كردستان وهذا غلط

اولاً مدينة طوقات كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار ميخائيل جنسهُ من آمد وكان يوجد تحت يدهِ اسقفان: الاول اسمهُ اسقف ايشوع وجنسهُ من الشام. والثاني اسمهُ يعقوب وجنسهُ من بلد تكريت وكان يوجد تحت يده عشرون قسيساً وخمسون شماساً وكان عدد المؤمنين سبعة الاف بيت وجميعهم نساطرة وكان لهم ثلاث كنائس: الواحدة على اسم مار يونان النبي. والثانية على اسم الصليب. والثالثة على اسم مار ماري الرسول سنة الف وار بعمائة وثلاثين مسيحية

ثم مدينة سيواس كان يوجد فيها مطرابوليط كان اسمهُ مار ابريخا وكان تحت يده من القسوس عشرة ومن الشمامسة ثلاثون ومن الكنائس كنيسة واحدة على اسم الاربعين شهيداً وكان عدد المؤمنين تسعمائة بيت جميعهم نساطرة في سنة الف واربعماية وثلاثين

ثم مدينة قيسارية الكبادوك كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار ايوانيس وكان تحت يده اسقف واحد اسمهُ مار كبريال وكان جنسهُ من مدينة نصيبين وكان يوجد تحت يدهما قسوس وشمامسة قدر الكفاية وعدد المؤمنين الفان وماية بيت جميعهم نساطرة سنة الف واربعمائة وخمسين وكان يوجد تحت يدهما كنيستان الاولى على اسم سيدة النجاة والثانية على اسم الشهيدة بربارة

ثم مدينة ملاطية كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار يعقوب جنسهُ من مدينة آمد وكان يوجد تحت يده من القسوس والشمامسة قدر الكفاية كان لهم كنيسة واحدة على اسم مار توما الرسول وعدد المؤمنين كان سبعماية بيت

ثم مدينة ايوان كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار يوحنان جنسهُ من سعرد وكان يوجد تحت يدهِ اسقفان: الاول اسمهُ مار ابراهيم من مدينة شيراز. والثاني مار اسطفانوس من مدينة بغداد. وكان يوجد تحت يدهم ثلاثون قسيساً وسبعون شماساً وعدد

المؤمنين ثلاثة الاف ومائتا بيت جميعهم نساطرة وكان لهم ثلاث كنائس لم نعرف اساميها

ثم مدينة بدليس كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار ايليا من مدينة الرها كان يوجد تحت يده عشرة قسوس وثلاثون شماساً كان لهم كنيسة واحدة على اسم مرت اشموني وسبعة اولادها المكابيين وعدد المؤمنين الف بيت وهم نساطرة وكان ذلك في سنة الف واربعمائة وستين

ثم مدينة كولا ميرين وفي القديم يقال لها مدينة الكبار(١) كان يوجد فيها اسقف واحد يقال لهُ مار عبد ايشوع من بلد الموصل وكان تحت يدهِ قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكنيستان وكان عدد المؤمنين ثلاثة الاف بيت

ثم مدينة سعرد كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ يعقوب من بلد ماردين كان تحت يده قسوس خمسة وعشرون وشمامسة ثمانون وكان تحت يدهم كنيستان: الواحدة على اسم مار كيوركيس. والثانية على اسم مار ميخائيل. وكان عدد المؤمنين خارجاً وداخلًا ثلاثة الاف بيت وجميعهم نساطرة. وكان لهم ثلاثة اديرة في اطراف سعرد: الاول مار يعقوب والثاني مار كبرائيل والثالث مار صور يشوع وذلك في سنة الف وستماية وعشرين

ثم مدينة العمَّادية كان يوجد فيها اسقف اسمهُ مار موسى من بلد ايوان كان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية. وكان لهم ثلاث كنائس داخل العمادية وخمسة عشر كنيسة في خارجها وعدد المؤمنين اربعة الاف ومائتا بيت وجميعهم نساطرة وذلك في سنة الف وستماية وثلاثين

ثم مدينة زاخو كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار ابراهيم تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية والكنائس ايضاً على قدر الكفاية وعدد المؤمنين خمسة الاف ومائتا بيت جميعهم نساطرة

ثم مدينة عاقرة كان يوجد فيها اسقف واحد كان اسمهُ حنان ايشوع كان تحت يده قسوس وشمامسة على قدر الكفاية وكان تحت يدهم كنائس خارجاً وداخلًا على قدر الكفاية وعدد المؤمنين الف وسبعمائة بيت جميعهم نساطرة

ثم مدينة الجزيرة جزيرة الزبدي في جبال كلدانستان كان يوجد فيها اسقف واحد

(١) هي جولامبرك الحاليّة

اسمهُ مار ابريخشوع من بلد ماردين كان تحت يده قسوس وشمامسة على قــدر الكفاية وكان لهم كنيستان داخل الجزيرة الواحدة على اسم مار جرجس والثاني على اسم مار بهنان· وكان خارجاً يوجد كنائس كثيرة مع اديرة وكان عدد المؤمنـــين اربعة الاف وثلاثمائة بيت

ثم مدينة حصن كيفا كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار بولس من بلد ماردين تحت يدهِ ثلاثة اساقفة : الاول اسمهُ مار شمعون من نصيبين؛ والثـاني اسمهُ مار اسطيفانوس. والثالث اسمهُ مار يوحنان وجنسهم من الموصل وكان تحت يدهم كنائس كثيرة خارجاً وداخلاً وكان لهم دير في طرف الحُصن اســهُ دير الصليب وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد المؤمنين خمسة الاف وثلاثمائة بيت جميعهم نساطرة وكان ذلك سنة الف وستمائة وثمانين مسيحية

ثم مدينة ميافارقين كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار باسيليوس من بلد آمد وكان يوجد تحت يده اسقفان: الواحد اسمهُ مار موسى والثاني اسمهُ مار داود وكان جنسهم من بلد نصيبين· وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان يوجد في شرقي ميافارقين دير على مسافة اربع ساعات على اسم الاثني عشر رسولاً ومار يوحنا المعمدان وكان يسكن فيهِ مائتان وعشرون راهباً عدا الخدام وكان لهُ اوقاف كثيرة وكان فيهِ تعليم كثير للقسوس والاعوام وعلم نحو وكان عدد المؤمنـين ثلاثة الاف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة الرها كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار دنحا من نصيبين كان يوجد تحت يده من المؤمنين الفان ومائة بيت وكان ذلك في تاريخ سنة الف وستمائة وخمسين وجميعهم نساطرة والاديرة والبيع والقسوس والشمامسة كانوا قدر الكفاية

ثم مدينة آمد كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار دانيال من بلد ماردين كان تحت يده اسقف واحد اسمهُ مار شموئيل وجنسهُ من بلد الحِصن وكان تحت يــده قسوس عشرون وشمامسة ثمانون كان لهم ثلاث كنائس داخل البلد: الاولى على اسم بشارة العذراء والثانية على اسم الشهيد مار بثيون· والثالثة على اسم مار دانيال النبي· وخارج البلد كان يوجد كنائس قدر الكفاية وجميعهم نساطرة سنـــة الف وستمائة وخمسين وكان عدد المؤمنين الفين وسبعمائة بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة كفرتوثا كان يوجد فيها مطرابوليط وكان اسمهُ مار ميخائيل من ماردين تحت يده اسقفان: الاول اسمهُ مار توما من ماردين والثاني اسمهُ مار يونان من حصن كيفا كان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد المؤمنين سبعة الاف بيت جميعهم نساطرة وكان لهم اربع كنائس داخل البلد ما نعرف اسمائها وكان لهم دير اسمهُ مار بثيون في قرية صغرى وذلك في سنة الف وسبعماية

ايضاً مدينة قرقيسية (يعني بنت الديان) كان يوجد بها مطرابوليط اسمهُ مار دانيال من حصن كيفا كان يوجد تحت يده اسقفان: اسم الواحد حنان ايشوع من كفرتوث والثاني اسمهُ ابريخيشوع من آمد. وكان يوجد تحت يدهم خمسة وعشرون قسيساً وخمسون شماساً وعدد المؤمنين كان يوجد بالبلد وخارج البلد ثلاثة الاف بيت وجميعهم نساطرة وكان لهم كنائس كثيرة خارج البلد وداخله كان ذلك في سنة الف وسبعمائة

ثم مدينة ريش عينا اي راس العين كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار هرمزد من مدينة الشام وكان يوجد تحت يده ثلاثة اساقفة: الاول اسمه مار ايليا من نصيبين والثاني اسمهُ مار زكريا من حلب والثالث اسمه مار داود من ميافارقين وكان يوجد تحت يدهم مائة كاهن ومائتا شماس وكان لهم داخل البلد اربع كنائس الاولى على اسم الست اشموني وسبعة اولادها. والثانية على اسم ايليا النبي. والثالثة على اسم مار دانيال ومار يونان النبيّين. والرابعة على اسم الصليب. وكان عدد المؤمنين خمسة الاف بيت وجميعهم نساطرة. وخارج البلد كان يوجد كنائس كثيرة على قدر الكفاية وذلك في سنة الف وستمائة.

ثم مدينة دُنَيسر كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار يعقوب من آمد وكان يوجد تحت يده عشرون قسيساً واربعون شماساً كان لهم داخل البلد ثلاث كنائس: الاولى على اسم الشهيد هرمز. والثانية على اسم مار جرجس. والثالثة على اسم العذراء مريم. وكان عدد المؤمنين داخل البلد ثمانمائة بيت وخارج البلد كان يوجد الف بيت وجميعهم نساطرة في سنة الف وستمائة.

ثم مدينة دارا كان يوجد فيها اسقف واحد من مدينة آمد اسمهُ مار دنحا وكان تحت يده ثلاثون كاهناً ومن الشمامسة ستون وكان عدد الكنائس ثلاث وهي داخل البلد: الاولى مار ميخائيل والثانية مار يعقوب والثالثة مار يوحنا. وكان عدد المؤمنين الفين

ومائتا بيت وهم نساطرة وذلك في سنة الف وخمسمائة وخمسين في زمان البطريرك سولاقا يوحنا الذي قُتل بامر الترك (١) .

ثم مدينة ماردين كان يوجد بها اسقف واحد كان اسمهُ ياوالاها من مدينة الجزيرة كان تحت يده ثمانية كهنة داخل البلد واثنا عشر خارج البلد ومن الشمامسة قدر الكفاية وكان لهم كنيستان داخل البلد : الاولى اسمها مار هرمزد والثانية مار سركيس وباخوس . وكان عدد المؤمنين في البلد سبعمائة بيت وخارجاً الف ومائة بيت وجميعهم نساطرة وذلك في سنة الف واربعمائة وذلك في زمان البطريرك يعقوب الذي كان جالساً في اورميا .

ثم مدينة صوبا وهي نصيبين كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار كيوركيس من حصن كيفا وكان تحت يده اربعة اساقفة : الاول اسمهُ ياوالاها من ماردين . والثاني اسمهُ مار يعقوب من ادنيس . والثالث اسمهُ مار اسطفان من الموصل . والرابع اسمه مار اليشاع من آمد وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم سبع كنائس داخل البلد : الاولى كنيسة مار يعقوب النصيبيني (٢) . والثانية مار اوجين ومار شليطا . والثالثة على اسم مار توما الرسول . والرابعة على اسم مار جرجس ومار قرياقوس . والخامسة على اسم بربارة الشهيدة . والسادسة على اسم سيدة الزروع . والسابعة على اسم مار يوحنا الطياوي . ونصيبين كان يوجد بطرفها دير مار اوجين على مسافة ساعتين وكان فيهِ رهبان مائة وستون راهباً عدا الخدام وكان للدير اربعمائة راس غنم وكان لهُ خمسة رحى وخمس قرى ملكه وكان يوجد فيهِ مدرسة الرهبان والقسوس والاعوام وكان يعلَّم فيها فلسفة ولاهوت ومنطق وجغرافية وهندسة ووعظ وكان عدد المؤمنين سبعة الاف بيت جميعهم نساطرة وذلك في سنة الف وخمسمائة وسبعين في زمان البطريرك هرمزد الثالث .

﴿ الباب السادس ﴾ في مدينة الموصل والعراق وبابل : اولاً مدينة الموصل كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار اسحاق من الرها وكان تحت يده اربعة اساقفة وكهنة

---

(١) رُسم يوحنا سولاقا بطريركاً سنة ١٥٥٣ وقُتل شهيداً سنة ١٥٥٥ .

(٢) هي اليوم بيد اليعاقبة اغتصبوها من الكلدان لما نُسخت من نصيبين الطائفة الكلدانية . ويوجد اليوم للكلدان كنيسة وطائفة في نصيبين وذلك بهمة غبطة بطريركنا الحالي مار يوسف عمانوئيل توما الكلي الطوبى

وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم عشر كنائس داخل البلد وكان عدد المؤمنين داخل البلد تسعة الاف بيت وجميعهم نساطرة وخارج البلد كان يوجد ثمانيــة الاف بيت وسبعة اديرة يسكنون فيها الرهبان: الاول دير مار هرمزد والثاني دير مار ايليا والثالث دير مار ميخائيل والرابع مار جرجس والخامس مار يعقوب والسادس مار دانيال ويونان والسابع دير مار متى الناسك (۱) ذلك في سنة الف واربعمائة وثمانية في زمان البطريرك ياوالاها (۲) .

ثم مدينة غرما اعني كركوك كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار ايليشاع من آمد كان تحت يده اسقف واحد اسمه حنان ايشوع من نصيبين وكان لهما ثلاث كنائس: الكنيسة الاولى اسمها طاماس غرت والثانية مار ميكائيل والثالثة مريم البتول وكان عدد المؤمنين خارج البلد وداخلهُ الفي بيت نساطرة.

ثم مدينة اربيل يعني ارويل كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار اسرائيل جنسهُ من الجزيرة كان تحت يده كهنة وشمامسة قدر الكفاية وكان لهُ كنيستان: الاولى على اسم الشهداء والثانية على اسم مار اسحاق وكان عدد المؤمنين الف ومائتي بيت نساطرة في زمان البطريرك متى سنــة الف وستمائة.

ثم مدينــة الساراتوهي اي السليمانية كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ صور ايشوع جنسهُ من ماردين كان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهُ كنيستان: الواحدة على اسم العذراء والثانية على اسم طاودورس الشهيد سنة الف وستمائة وكان عدد المؤمنين ثمانمائة بيت نساطرة.

ثم مدينة بغداد كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار دنحا من قندهار وكان تحت يده سبعة اساقفة: الاول اسمهُ مار اسرائيل من حصن كيفا. والثاني اسمهُ مار يعقوب من آمد. والثالث اسمهُ مار اوجين من راس العين. والرابع اسمه مار زكريا من ماردين. والخامس اسمهُ مار ايليا من الجزيرة. والسادس اسمهُ مــار بولس من نصيبين. والسابع اسمهُ ياوالاها من توريز ويوجد تحت يدهم خمسمائة كاهن وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم كنائس كثيرة خارج البلد وداخلها وكان في شماليها دير على مسافة ثلاث ساعات

(۱) هو الآن بيد اليعاقبة

(۲) ياوالاها الثالث توفي سنة ۱۳۱۸

اسمهُ مار دانيال النبي والثلاثة الفتيان الذين كانوا في الاتون وكان فيهِ مائتا راهب عدا الخدام وكان للدير سبعمائة راس غنم وكان لهُ اوقاف كثيرة وسبعة رحى وسبعة بساتين وكان فيهِ مدرسة كبيرة لتعليم الرهبان والقسوس وكان يعلم فيها فلسفة ولاهوت ومنطق ووعظ وهندسة وكان عدد المؤمنين داخلًا وخارجًا ستة عشر الف بيت نساطرة لهم داخل البلد اثنتا عشرة كنيسة وذلك في سنة الف وخمسمائة ·

ثم مدينة البصرة كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار شمعون من بيت المقدس كان تحت يده اسقف واحد اسمهُ مار ايليا من الموصل مع كهنة وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم ثلاث كنائس داخل البلد: الاولى على اسم مار توما الرسول · والثانية على اسم مار ميخائيل · والثالثة على اسم مار هرمزد وعدد المؤمنين كان ثلاثة آلاف بيت في سنة الف وستمائة وعشرة وهم نساطرة في زمان البطريرك مار ميخا شوحايه ·

ثم مدينة الحلّة كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار عمانوئيل من مدينة حلب وكان يوجد تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهُ كنيستان: الاولى على اسم الاثني عشر رسولًا · والثانية على اسم بشارة العذراء · وكان عدد المؤمنين الفين ومائتي بيت جميعهم نساطرة ذلك في سنة الف وستمائة وخمسة عشر في زمان البطريرك داود صوري ·

ثم مدينة الكوبا وهي الكوفة كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار عمانوئيل جنسهُ من البصرة وكان تحت يده اسقفان: الواحد اسمهُ مار ايليعازار جنسهُ من مدينة دُنَيسر والثاني اسمه مار اوكين جنسهُ من مدينة نصيبين وكان تحت يدهم كهنة خمسون وشمامسة قدر الكفاية وكان تحت يدهم ثلاث كنائس داخل البلد: الاولى على اسم مار ادي والثانية على اسم مار بطرس وبولس والثالثة على اسم مار اوكين واصحابه القديسين · وكان عدد المؤمنين الفين وثمانمائة بيت جميعهم نساطرة وذلك في سنة الف وستمائة وثمانين في زمان البطريرك دنخا قاطولا ·

﴿ الباب السابع ﴾ في بلاد ايران وفارس والعجم · اولًا مدينة كوه التي اشتهر فيها المعلم الحكيم الفيلسوف الحاذق زرادشت الذي أسس المذهب المجوسي والذي تنبأ على المسيح · هذا البلد كان يوجد فيهِ مطرابوليط اسمهُ مار يعقوب وجنسهُ من بلد طوران وكان يوجد تحت يده اسقفان: الواحد اسمهُ مار عمانوئيل جنسه من آمد والثاني

اسمه مار صليبا وجنسهُ من الموصل . وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم اربع كنائس وكان عدد المؤمنين ستة الاف بيت جميعهم نساطرة في سنة الف وار بعماية وثمانين مسيحية في زمان البطريرك ايليا اوشعنا

ثم مدينة السنا كان فيها اسقف واحد اسمهُ مار ابراهيم وجنسهُ من بلد توريز وكان تحت يدهِ قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان تحت يدهِ ثلاث كنائس وعدد المؤمنين ثلاثة آلاف ومائتي بيت وهم نساطرة في سنة الف واربعمائة وثمانين في زمان البطريرك ايليا اوشعنا

ثم مدينة سناصط كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار بولس جنسه من بلد الشام وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهُ كنيستان وكان عدد المؤمنين الفي بيت نساطرة والتاريخ كاعلاه

ثم مدينة اورمي كان يوجد فيها مطرابوليط كان اسمه مار توما جنسه من طهران وكان تحت يدهِ قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان تحت يده اسقفان: الاول اسمه مار ايليا جنسه من حلب والثاني اسمه مار ايلعازار جنسه من همدان وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم اربع كنائس وكان عدد المؤمنين سبعة الاف بيت وجميعهم نساطرة وكان ذلك في زمان البطريرك ايليا اوشعنا

ثم مدينة توريز كان يوجد فيها اسقف واحد وكان اسمهُ مار ماري جنسه من بغداد وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهُ ثلاث كنائس وكان عدد المؤمنين تسعة الاف بيت وهم نساطرة في زمان البطريرك ايليا اوشعنا. وهذه مدينة توريز يوجد فيها قبر الملكة استير ومردخاي واليهود الى الان يحجّون لزيارة قبرهما

ثم مدينة طهران وكان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار ايشوع جنسه من الموصل كان تحت يده اربعة اساقفة: الاول اسمه حنان ايشوع جنسه من نصيبين. والثاني اسمه ابر يخيشوع وجنسه من حصن كيفا والثالث اسمه مار دنحا جنسه من بيت المقدس. والرابع اسمه مار اوكين جنسه من همدان وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم عشر كنائس داخل البلد وعشرون خارجها وكان عدد المؤمنين داخلًا وخارجًا اثني عشر الف بيت وهم نساطرة في تاريخ سنة الف وثلاث

مائة وثمانين في زمان البطريرك ياوالاها حسيا

ثم مدينة اصبهان كان يوجد فيها اسقف واحد وكان اسمه مار اوكين كان جنسه من بلد توريز وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان له ثلاث كنائس وعدد المؤمنين اربعة الاف نساطرة كلّهم

ثم مدينة قزوين كان يوجد فيها اسقف واحد وكان اسمهُ مار اداي وكان جنسه من كفر توت وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد الكنائس ثلاثة وعدد المؤمنين اربعة الاف وجميعهم نساطرة

ثم مدينة شيراز كان يوجد فيها مطرابوليط كان اسمهُ مار ايليشاع جنسهُ من بلد كركوك وكان تحت يده اسقفان الواحد اسمه مار دانيال والثاني اسمهُ مار داود وجنسهما من دنيسر وكان لهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد كنائسهم اربعاً وكان عدد المؤمنين ثمانية الاف بيت وكان لهم خارج البلد اثنتا عشرة كنيسة وجميعهم نساطرة

ثم مدينة يزدين كان يوجد فيها اسقف واحد اسمه مار يوسف جنسه من اصبهان وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم ثلاث كنائس وعدد المؤمنين ثلاثة الاف ومائتا بيت وهم نساطرة

ثم مدينة خراسان كان يوجد فيها مطرابوليط كان اسمه مار يوسف جنسه من شيراز وكان تحت يده اسقفان: الواحد اسمه مار ايشعيا وجنسه من حلب والثاني اسمه مار شليطا جنسه من قبرس وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم عشر كنائس داخل البلد وكان لهم خارجه ستة عشر كنيسة وعدد المؤمنين في الداخل والخارج احد عشر الف بيت وهم نساطرة في سنة الف وثلاثمائة وتسعين م

ثم مدينة قندهار كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار ايشعيا جنسه من المدائن وكان تحت يده اسقفان: الواحد اسمه مار بطرس والثاني مار متي وكان جنسه من بلد الموصل وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم داخل البلد اثنتا عشرة كنيسة وخارج البلد خمس وعشرون كنيسة وكان عدد المؤمنين داخلاً وخارجاً عشرة الاف وثلاثمائة بيت وكانوا جميعهم نساطرة في زمان البطريرك مار دنحا شوبحـا في سنة الف وثلاثمائة وثمانين

ثم مدينة المدائن كانت مقرّ كرسي بطريركية النساطرة و يسمى بطريرك الشرق والذي كان يجلس على هــذا الكرسي كان يسمى قاتوليقا باطريركيس على السريان الشرقيين يعني النساطرة ويقال لكرسيه كرسي مار توما الرسول ومار ماري ومار اداي خليفة مار توما الرسول وكان يوجد فيهِ بطريرك اسمهُ مار يعقوب جنسه من بيت غرما يعني كركوك وكان تحت يده سبعة اساقفة على ابرشيــة المدائن وهم يعاونونهُ في سياسة الشعب وكان تحت يدهم ستمائة قسيس والفا شمّاس في ابرشية المدائن وكان لهم داخل البلد احدى وعشرون كنيسة وخارج البلد ستون كنيسة وكان عدد المؤمنين في ابرشية المدائن داخلًا وخارجًا سبعة عشر الف وثمانمائة بيت وجميعهم نساطرة وهذه اسامي الاساقفة السبعة : الاول اسمه مار يوحنا من طهران. والثاني اسمهُ مار بطرس من سناحط . والثالث اسمه مار بولس من كركوك . والرابع اسمه طيمثاوس من الموصل . والخامس اسمه مار توما من ماردين . والسادس اسمه مار يعقوب من ميّا فارقين . والسابع اسمه مار ايليا من راس العين

﴿ الباب الثامن ﴾ في بلاد التتر وبخارا . مدينة كيت كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه اسطيفان من بلاد اصبهان وكان تحت يده ثلاثة اساقفــة : الاول اسمه مار ايليا والثاني مار يعقوب والثالث مــار اوجين وجنسهم من بلاد العجم وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم خمس كنائس وعدد المؤمنين اثنا عشر الف بيت وجميعهم نساطرة قد دخلت الديانة المسيحية في هذه البلاد في سنــة ثمانمائة وعشرة مسيحية في زمان حبر الاحبار مار طيمثاوس(١) بطريرك النساطرة وقد استقامت الى سنة الف ومايتين وثمانية وتسعين مسيحية . فانقلبت هــذه البلاد من

(١) جلس طيمثاوس البطريرك من سنــة ٧٧٨ الى سنة ٨٢٠ . وهو اول من ارسل مبشرين واساقفة الى بلاد التتر. قال المؤرخ ماري بن سليمان : دعا طيمثاوس خاقان ملك التتر الى الامانة وغيره من الملوك ووردت عليهِ كتبهم وتلمذ خلقًا – وقال توما المرجي : ارســل طيمثاوس البطريرك شوبحا ليشوع ويابالاها وقرداغ الى بلاد الجيليين والديلم ليبشروا بالانجيــل ومن هناك الى الشرق الاقصى اعني تركستان والخطا وفي تلك البلاد رسموا اساقفــة – غير ان اشهر رجوع هذا الشعب الى المسيحية حدث في عهد البطريرك يوحنا الخامس الذي جلس من سنة ١٠٠١ حتى سنة ١٠١٢ قال ماري بن سليمان : ورد كتاب عبد يشوع مطران مرو (الى يوحنا البطريرك) ان ملكًا من ملوك التتر تنصر ونحو مائتي الف نفس معه . وكذا يقص ابن العبري .

رونقها ودخلت في شيعة محمد وتلاشوا

ثم مدينة بلخ كان يوجد فيها اسقف واحد اسمهُ مار اسرائيل من خراسان كان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفايــة وكان عدد الكنائس خارج البلد وداخله اثنتي عشرة كنيسة وكان عدد المؤمنين تسعة الاف بيت جميعهم نساطرة

ثم مدينة بخاره كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار ابراهيم من المدائن وكان تحت يده اربعة اساقفة: الواحد اسمهُ مار يوحنا والثاني اسمهُ مار عمانوئيل والثالث اسمه مار هرمزد والرابع اسمه جيورجيس وجنسهم من بلد العجم كان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وتحت يدهم عشرون كنيسة داخلًا وخارجًا وكان عدد المؤمنين الموجودين اربعة عشر الف بيت وجميعهم نساطرة في زمان حبر الاحبار مار يوالاها

ثم مدينة سمرقند كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مــار عود يشوع من المدائن وكان تحت يده اسقفان: الاول مار شمعون والثاني اسمه مار سركيس وجنسهما من بغداد وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم تسع كنائس وكان عدد المؤمنين ثمانية الاف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة الرساتيق كان يوجد فيها اسقف واسمه مار اسحاق من بلد اورمي وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد الكنائس اربعة وعدد المؤمنــين ستة الاف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة كركنج كان يوجد فيها اسقف اسمهُ مار يوسف من بلد خراسان كان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وعدد الكنائس خمسة وعدد المؤمنين سبعة الاف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة الجرجانية كان يوجد فيها اسقف واحد اسمه مار ميلس من المدائن كان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد الكنائس سبعة وعدد المؤمنــين تسعة الاف بيت وجميعهم نساطرة وكنائسهم قد تشيدت وتعمرت على يد ملك الملوك جانكيس خان الشهير وقد عمر ديرًا كبيرًا في طرف خارج البلد على بعد ساعة اسمه روئيا مار يوحنا المعمدان كان يسكنهُ مائتا راهب على قانون مار اوجين الطوباوي وكان للدير الفا راس غنم وعشرون فدانًا واربعون بغلًا وخمســة وثلاثون خادمًا وكان لهم من الاوقاف اثنا عشر رحى وعشرون قرية وثمانية بســاتــين واربعون كرمًا عدا السقايات

والاراضي وكان رئيس الدير اسمه مار ميخائيل من بلد اورمي في زمان حبر الاحبار مار نرساي الجاثاليق اي بطريرك النساطرة

﴿ الباب التاسع ﴾ في بلاد الهند ومليبار . اولاً مدينة كشمير كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار توما وجنسهُ من بلد بيت المقدس وكان تحت يده اسقفان: الواحد اسمه مار بطرس والثاني مار بولس وكان جنسهما من كلكته وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم خمس وعشرون كنيسة وكان عدد المؤمنين اثنين وعشرين الف بيت جميعهم نساطرة في زمان الحبر الاعظم مار ابراهيم البطريرك للنساطرة

ثم مدينة لاهور كان يوجد فيها اسقف اسمه مار يوسف وجنسه من الشام وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان تحت يده تسع كنائس وكان عدد المؤمنين احد عشر الف بيت وهم نساطرة

ثم مدينة مولطان كان يوجد فيها اسقف واحد اسمه مار ابريخيشوع وجنسه من طوريز وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد المؤمنين تسعة الاف بيت وكان عدد الكنائس ثلاث عشرة كنيسة

ثم مدينة دهلي كان يوجد فيها اسقف وكان اسمهُ مار طيودوروس وجنسهُ من كلكته وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد الكنائس خمسة عشر وكان عدد المومنين اربعة عشر الف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة كناوس بنارس كان يوجد فيها اسقف واحد وكان اسمهُ مار دنحا جنسهُ من مصر وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وعدد الكنائس ستة عشر كنيسة وعدد المؤمنين احد عشر الف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة كلكته كان يوجد فيها اسقف واحد وكان اسمه مار توما وجنسه من كشمير وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وعدد الكنائس احدى وعشرون وعدد المؤمنين سبعة عشر الف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة بنباي كان يوجد فيها مطرابوليط اسمهُ مار عمانوئيل وجنسه من صنعاء وكان تحت يده اسقفان: الاول اسمه مار ميكائيل والثاني مار جبرائيل وجنسهما من لاهور وكان تحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان لهم اثنتان وثلاثون

كنيسة وعدد المؤمنين واحد وعشرون الف بيت جميعهم نساطرة في زمان البطريرك مار دنحا

ثم مدينة مدرس كان يوجد فيها اسقف وكان اسمه مار طيمتاوس وجنسه من دهلي وكان تحت يده من المؤمنين ثلاثة عشر الف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة بطنه كان يوجد فيها اسقف واحد اسمه مار عبدالله وجنسه من بلد الحجاز وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد الكنائس خمسة وعشرين وكان عدد المؤمنين ستة عشر الف بيت وجميعهم نساطرة وذلك في زمان حبر الاحبار مار يعقوب

﴿ الباب العاشر ﴾ في بلاد الصين . اولاً مدينة باكين كان يوجد فيها اسقف واحد كان اسمهُ مار بولس وجنسه من بلد بنباي وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان تحت يده عشر كنائس وكان عدد المؤمنين سبعة عشر الف بيت وجميعهم نساطرة في زمان البطريرك حبر الاحبار مار احنان ايشوع . وحسب راي المؤرخين القدماء قد دخلت الديانة المسيحية في بلاد الصين على يد النساطرة في سنة ستمائة وسبعين مسيحية في زمان مار اسحاق بطريرك النساطرة (١)

ايضاً مدينة نانكين كان فيها مطرابوليط واحد اسمهُ مار جرجس جنسه من بلد الهند وكان يوجد تحت يده اسقفان اسم الاول مار اسحاق والثاني مار يوحنا وجنسهما من طهران وكان يوجد تحت يدهم قسوس ثلاثمائة وشمامسة تسعمائة في زمان البطريرك مار شمعون دنحا في سنة الف وخمسمائة واحدى وخمسين

وايضاً مدينة سوشاو كان يوجد فيها اسقف واحد وكان اسمهُ مار يوحنا وجنسه من بلد الهند وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد الكنائس ثمانية عشر وكان عدد المؤمنين ثلاثة عشر الف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة طاي وكان يوجد فيها اسقف واحد وكان اسمه مار ايليعازار وكان تحت يده قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان تحت يدهم تسع كنائس وعدد

---

(١) والصحيح ان ذلك حدث سنة ٦٣٥ في عهد البطريرك ايشوعياب الجذالي كما يُستفاد من الاثر الشهير المكتشف في مدينة سنغان فو اي حمدان (طالع مقالتنا في المشرق : الكلدان النساطرة في الصين ٧ — ١٠٣٥) وتاريخ الاثر في عهد البطريرك حنانيشوع سنة ٧٨١

المؤمنين سبعة الاف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة طاي طون كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار عبد ايشوع وتحت يده اسقفان: اسم الواحد مار انطون والاخر مار اوكين وتحت يدهم قسوس وشمامسة قدر الكفاية وكان عدد الكنائس خمسة عشر وكان عدد المؤمنين خمسة وعشرين الف بيت واربعمائة وجميعهم نساطرة

ثم مدينة كنتون كان يوجد فيها اسقف واحد اسمه مار دانيال وجنسه من الشام وكان تحت يدهِ قسوس وشمامسة قدر الكفاية ولهُ اثنتا عشرة كنيسة وعدد المسيحيين ثمانية الاف بيت وجميعهم نساطرة

ثم مدينة خاشغر كان يوجد فيها مطرابوليط اسمه مار ميخائيل من شيراز كان يوجد تحت يدهِ اسقفان: الاول مار بطرس والثاني مار جبرائيل وجنسهما من مصر وكان تحت يدهم اربع وعشرون كنيسة وقسوس وشمامسة قدر الكفاية وعدد المؤمنين عشرون الف بيت جميعهم نساطرة كان ذلك في زمان حبر الاحبار مار شمعون دنحا

قد دخلت الديانة المسيحية الى هذه البلاد على يد النساطرة المرسلين (١) فانتشر الدين المسيحي في هذه البلاد وعمّروا كنائس كثيرة ورتّبوا مدارس لاجل التعليم وكان يوجد شعب عظيم في هذه البلاد من النساطرة وقد استقامت الديانة المسيحية الى وقتنا هذا اعني من زمان البطريرك ياوالاها (٢) الى هذا اليوم . . .

تنبيـه

لمّا فرغنا من طبع هذا الاثر الجليل وقفنا على نسخة اخرى اكمل من التي طبعناها واوسع وفيها معلومات تاريخية مهمّة وسنطبعها وحدها من بعد التدقيق ان شاء الله وعليهِ الاتكال

---

(١) من مفاخر الاكليروس الكلداني النسطوري انهُ هو اول من حمل راية المسيح وادخل اسمهُ في تلك البلاد الشاسعة

(٢) في عهد هذا البطريرك يابالاها الثالث الذي كان صينياً وصلت النسطرة في الصين الى اعلى درجة من التقدم

TABLE

des diocèses de l'ancienne église Caldeo-Nestorienne

d'après

L'ordre alphabétique

4. — *La ville de Taïwan* avait un évêque Mar Eléazar, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 9 églises et 700 familles.

5. — *La ville de Taïton* avait un métropolitain Mar Ebedjésu, 2 évêques suffragants: Mar Antoun et Mar Eugène, un nombre suffisant de prêtres et de clercs et 15 églises; la population comptait 25400 familles.

6. — *La ville de Canton* avait un évêque Mar Daniel de Damas, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 12 églises et une population de 8000 familles.

7. — *La ville de Kachgar* avait un métropolitain Mar Michaïl de Chiraz, 2 évêques auxiliaires: Mar Petros et Mar Gabriel tous les deux de l'Egypte, 24 églises, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 20000 familles, du temps du patriarche Mar Simon Denha. Les Nestoriens ont introduit dans ce pays la religion chrétienne (1), ils y bâtirent plusieurs églises et ouvrirent des écoles pour l'instruction, un grand nombre de Nestoriens se trouvait dans ce pays et la religion chrétienne y est restée florissante jusqu'à ce temps; c.-à.-d. depuis l'époque du patriarche Jabalaha (2) jusqu'à ce jour.



Post-Scriptum : *Le document si curieux que nous publions était déjà sous presse, quand nous avons mis la main sur une autre pièce semblable qui complète la première et donne de nouveaux détails sur l'extension de la nation Chaldéenne. Nous espérons la publier prochainement.*

(1) Une des gloires du clergé Chaldeo-Nestorien est d'avoir porté le nom de Jésus-Christ pour la première fois dans ces pays lointains.

(2) Le temps du patriarche Jabalaha III, qui était lui même Chinois, est le siècle d'or du Nestorianisme en Chine.

un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 15 églises et une population de 14000 familles.

5. — *La ville de Banarès* avait un évêque Mar Denha d'Egypte un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 16 églises, et 11000 familles.

6. — *La ville de Calcutta* avait un évêque Mar Thomas de Cachemire, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 21 églises et 17000 familles.

7. — *La ville de Bombay* avait un métropolitain Mar Emmanuel de Sanâa, 2 évêques auxiliaires, Mar Michaël et Mar Gabriel de Lahore, un nombre suffisant de prêtres et de clercs et 32 églises, on comptait 21000 familles du temps du patriarche Mar Denha.

8. — *La ville de Madras* avait un évêque Timothée de Delhi qui gouvernait 13000 familles nestoriennes.

9. — *La ville de Patna* avait un évêque Mar Abdalla du Hédjaz, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 25 églises et 16000 familles, du temps du patriarche Mar Jacob.

PROVINCE DE LA CHINE.

1. — *La ville de Pékin* avait un évêque Paul de Bombay un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 10 églises, et une population de 17000 familles, du temps du patriarche Mar Henanjésu. D'après l'opinion des anciens historiens la religion chrétienne entra en Chine par l'entremise des Nestoriens l'an 670 de l'ère chrétienne du temps du patriarche Mar Isaac (1).

2. — *La ville de Nankin* avait un métropolitain. Georges du pays des Indes, 2 évêques auxiliaires, 300 prêtres, 906 clercs; les évêques se nommaient Mar Isaac et Mar Youhanna tous les deux de Téhéran, du temps du patriarche Mar Simon Denha l'an 1551.

3. — *La ville de So-Chaï* avait un évêque Mar Jean du pays des Indes, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 18 églises et 13000 familles.

(1) Le Christianisme entra en Chine l'an 635 du temps du patriarche Jésujab de Gedala comme on peut le démontrer par le monument découvert dans la ville de Singan-fou. Ce fameux monument porte la date du patriarche Henanjésu l'an 781.

4. — *La ville de Samarcand* avait un métropolitain Ebedjésu de Madaïn, 2 évêques suffragants: Mar Simon et Mar Sarkis tous les deux de Bagdad, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 9 églises et une population de 9000 familles.

5. — *La ville de Rusatik* avait un évêque Mar Isaac d'Ourmiah, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 4 églises et une population de 6000 familles.

6. — *La ville de Karkange* avait un évêque Mar Joseph de Khorassan, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 5 églises et une population de 7000 familles.

7. — *La ville de Djordjan* avait un évêque Mar Milos de Madaïn, un nombre suffisant de prêtres et de clercs 7 églises, une population de 9000 familles. Ces églises furent bâties par le grand Khan le fameux Genkis Khan ou Gengiskhan qui construisit aussi un grand couvent à une heure de la ville sous le nom de la Vision de St. Jean Baptiste; le couvent abritait 200 religieux sous la règle du Bienheureux St. Eugène, il possédait 200 brebis, 20 charrues, 40 mulets, 35 domestiques, 12 moulins, 20 villages, 8 jardins, 40 vignes outre les appareils d'irrigation et des terrains; l'abbé du couvent était Mar Mikhaïl d'Ourmiah du temps du Pontife des Pontifes Mar Narsaï le Catholicos, c.-à.-d. patriarche Nestorien.

XI Province des Indes et du Malabar

1. — *La ville de Cachemire* avait un métropolitain Mar Thomas de Jérusalem, 2 évêques auxiliaires Mar Petros et Paulos de Calcutta, un nombre suffisant de prêtres et de clercs avec 25 églises et une population de 22000 familles, du temps du grand Pontife Abraham patriarche des Nestoriens.

2. — *La ville de Lahore* avait un évêque Joseph de Damas un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 9 églises et une population de 11000 familles.

3. — *La ville de Moltan* avait un évêque Mar Brich-Jésus de Tauriz, un nombre suffisant de prêtres et de clercs; la population se composait de 9000 familles; les églises étaient au nombre de 13

4. — *La ville de Delhi* avait un évêque, Théodore de Calcutta,

21 églises et hors de la ville 60 églises, la populatiou entière du diocèse d'al-Madaïn était de 17800 familles. Les noms des 7 évêques sont les suivants : Mar Youhanna de Téhéran, Mar Petros de Sanamast, Mar Polos de Karkouk, Mar Timothée de Mossoul, Mar Thomas de Mardine, Mar Jacob de Miafarqine et Mar Elia de Ras-el-Aïn.

VIII Province de Tartarie et de Bokhara.

1. — *La ville de Ket* avait un métropolitain Stephanos d'Ispahan, 3 évêques suffragants : Mar Elia, Mar Jacob et Mar Eugène tous originaires de la Perse, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 5 églises et une population de 12000 familles. La religion chrétienne entra dans ces pays l'an 610 de notre ère du temps du pontife Mar Timothée patriarche des Nestoriens (1) et resta jusqu'à l'an 1298, car ce pays fut envahi par la secte de Mahomet et la religion chrétienne fut anéantie.

2. — *La ville de Balakh* avait un évêque Israël de Khorassan, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 12 églises dans la ville et en dehors, avec une population de 9000 familles.

3. — *La ville de Boukhara* avait un métropolitain Mar Abraham de Madaïn, 4 évêques suffragants: Mar Youhanna, Mar Emmanuel, Mar Hermez, Mar Georgis tous de la Perse et un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 20 églises dans la ville et ses euvirons avec une population de 14000 familles du temps du pontife des Pontifes mar Yabalaha.

---

(1) Le Patriarche Timothée I siègea de l'an 778 à l'an 820 il fut le premier à envoyer des missionnaires et des évêques aux pays des Tartares. Mari ibn Suleiman dit dans sa chronique : Timothée invita le Khakhan roi des Tartares et d'autres rois à embrasser le Christianisme; plusieurs reçurent la foi chrétienne. Thomas de Marga raconte que le patriarche Timothée envoya Schoubhaljésu, Jabalaha et Kardagh aux pays de Gélou et de Daïlam pour annoncer l'Evangile, et de là dans l'extrême Orient, c'est-à-dire au Turkestan et au Kataï où ils consacrèrent des évêques.

Mais la plus célèbre conversion de ce peuple arriva du temps du patriarche Jean qui siègea de l'an 1001 à l'au 1012. Mari ibn Suleiman d'accord avec Barebraeus raconte : que Jean reçut la lettre d'Ebedjésu métropolitain de Mérou lui annonçant qu'un des rois de Tartarie s'etait fait chrétien avec deux cent mille personnes.

du patriarche Jabalaha.

7. — *La ville d'Ispahan* avait un évêque Mar Eugène de Tauriz, un nombre suffisant de prêtres et de clercs et une population de 4000 familles.

8. — *La ville de Cazwin* avait un évêque Mar Addaï de Kafartoute, un nombre suffisant de prêtres et de clercs et une population de 4000 familles.

9. — *La ville de Chiraz* avait un métropolitain Elisée de Karkouk, 2 évêques suffragants; Mar Daniel et Mar Daoud tous les deux de Douneiser, un nombre suffisant de prêtres et de clercs 4 églises et une population de 8000 familles. Il y avait en outre 12 églises hors de la ville.

10. — *La ville de Yazdin* avait un évêque Mar Joseph d'Ispahan, un nombre suffisant de prêtres et de clercs qui desservaient 3 églises, avec une population de 3200 familles.

11. — *La ville de Khorassan* avait un métropolitain Joseph de Chiraz, 2 évêques suffragants Mar Ichaïa d'Alep et Mar Chalita de Chypre, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 10 églises dans la ville et 16 en dehors la population totale pour la ville et ses environs était de 11000 familles l'an 1390.

12. — *La ville de Kandahar* avait un métropolitain Mar Ischaïa d'al-Madaïn, 2 évêques suffragants, Mar Boutros (Pierre) et Mar Mattaï tous les deux de Mossoul, un nombre suffisant de prêtres et de clercs desservant dans la ville 12 églises et hors de la ville 25 églises ; la population entière atteignait 10300 familles au temps du patriarche Mar Denha Choubha l'an 1380.

13. — *La ville d'al-Madaïn* (Séleucie) était la résidence du patriarche Nestorien nommé le patriarche de l'Orient ; celui qui administrait ce siège s'appelait Catholicos des Syriens Orientaux c. à. d. des Nestoriens ; c'est le siège, dit-on, de S[t] Thomas l'Apôtre, de S[t] Mari le disciple et de S[t] Addaï vicaire de S[t] Thomas l'Apôtre, il y avait un patriarche nommé Jacob de Beit Garmaï c. a. d. Karkouk, 7 évêques auxilières qui l'aidaient dans le gouvernement du diocèse d'Al-Madaïn, 600 prêtres, 2000 clercs desservaient dans ce diocèse à l'intérieur de la ville

VII. Province de l'Iran ou de la Perse.

1. — *La ville de Koua*, si célèbre par la naissance de Zaradochte ou Zoroastre qui fonda la secte des Mages et annonça la venue du Christ ; elle avait un métropolitain Jacob de Toran, 2 évêques suffragants : Mar Emmanuel d'Amid et Mar Seliba de Mossoul, un nombre suffisant de prêtres et de clercs et 4 églises ; la population atteignait 6000 familles l'an 1480, du temps du patriarche Elia Osanna.

2. — *La ville de Senna* avait un évêque Mar Abraham de Tauriz, un nombre suffisant de prêtres et de clercs avec 3 églises et une population de 3200 familles et cela en 1480 du temps du patriarche Elia Osanna.

3. — *La ville de Sanamast* avait un évêque du nom de Mar Boulos (Paul) de Damas, un nombre suffisant de prêtres et de clercs avec 2 églises et une population de 2000 familles à la même date.

4. — *La ville d'Ourmiah* avait un métropolitain Mar Thomas de Téhéran un nombre suffisant de prêtres et de clercs avec deux évêques suffragants : Mar Elia d'Alep et Mar Eléazar de Hamadan, 4 églises et une population de 7008 familles au temps du patriarche Elia Osanna.

5. — *La ville de Tauriz* avait un évêque Mar Mari de Bagdad, un nombre suffisant de prêtres et 5 de clercs avec 3 églises et une population de 9000 familles au temps du patriarche Elia Osanna. Dans cette ville de Tauriz se trouve le tombeau de la reine Esther et de Mardochée. Les Juifs vont en pélérinage pour visiter ces monuments.

6. — *La ville de Téhéran* avait un métropolitain mar Ichoh de Mossoul, 4 évêques suffragants, Henanjésu de Nisibe, Brikhjésu de Hisnképha, Mar Denha de Jérusalem, Mar Eugène de Hamadan, un nombre suffisant de prêtres et de clercs avec 10 églises dans la ville et 20 hors de la ville. Sa population à l'intérieur de la ville et en dehors était de 12000 familles l'an 1380 du temps

5. *La ville de Bagdad* avait un métropolitain Mar Denha de Kandahar et 7 évêques suffragants: Mar Israël de Hisnképha, Mar Jacob d'Amid, Mar Eugène de Ras-el-Aïn, Mar Zacharia de Mardine, Mar Elie de Djézireh, Mar Paul de Nisibe et Mar Yabalaha de Tauriz, 500 prêtres et un nombre suffisant de clercs avec un grand nombre d'églises dans la ville comme en dehors. Au Nord il y avait un couvent distant de 3 heures nommé couvent du Prophète Daniel et des trois enfants jetés dans la fournaise ; il était habité par 200 religieux outre les domestiques; il avait de grandes possessions: 700 brebis, 7 moulins, 7 jardins, une grande école pour l'instruction des religieux et des prêtres. On y enseignait la Philosophie, la Théologie, la Logique, la Prédication et la Géométrie. La population urbaine et celle de la campagne se composait de 16000 familles ; il y avait dans la ville 12 églises en l'an 1500.

6. — *La ville de Bassorah* avait un métropolitain Simon de Jérusalem et un évêque Mar Elia de Mossoul avec un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 3 églises dans la ville dédiées à St Thomas l'Apôtre, à St Michel et à St Hormizdas, la population était de 3000 familles l'an 1610 du temps du patriarche Mar Méchiha Chouhaya.

7. — *La ville de Hillah* avait un seul évêque qui se nommait Mar Emmanuel d'Alep, un nombre suffisant de prêtres et de clercs avec 2 églises en l'honneur des 12 Apôtres et de l'Annonciation de la Vierge. La population atteignait le nombre de 2200 familles l'an 1615 du temps du patriarche David Souri.

8. — *La ville de Kouba* ou *Koufa* avait un métropolitain Emmanuel de Bassorah et 2 évêques suffragants: Mar Eléazar de Douneiser et Mar Eugène de Nisibe, 50 prêtres et un nombre convenable de clercs qui desservaient 3 églises dans la ville: celles de St Addaï, des Sts Pierre et Paul et de St Eugène et de ses Compagnons; la population était de 2800 familles l'an 1680 du temps du patriarche Denha-Catola.

S[te] Barbe, de Nôtre-Dame des Semences et de S[t] Jean l'Arabe.

Près de Nisibe il y avait le couvent de S[t] Eugène à deux heures de la ville habité par 160 religieux hormis les domestiques. Le couvent possédait 400 brebis, 5 moulins et 5 villages. Il y avait une école pour les religieux, les prêtres et les séculiers dans laquelle on enseignait la Philosophie, la Théologie, la Logique, la Géographie, la Géométrie et la prédication. Le nombre de la population était de 7000 familles, l'an 1570 du temps du patriarche Hormezd !!!

VI. Province de Mossoul, d'Irak et de Babel.

1. — *La ville de Mossoul* avait un métropolitain nommé Isaac d'Edesse, de qui dépendaient 4 évêques avec un nombre suffisant de prêtres et de clercs. Il y avait 10 églises dans la ville, avec une population de 9000 familles ; hors de la ville, il y avait 8000 familles et 7 couvents habités par des religieux : le couvent de S[t] Hormisdas, celui de S[t] Elie, de S[t] Michel, de S[t] Georges, de S[t] Jacques, des Prophètes Daniel et Jonas, de S[t] Mathieu(1) l'anachorète, en l'an 1408 du temps du patriarche Jabalaha. (2)

2. — *La ville de Garmaï* ou Karkouk avait un métropolitain appelé Elisée d'Amid, un évêque suffragant Hananjésu de Nisibe, 3 églises, dédiées à S[t] Tahmasgard, à S[t] Michel et à la S[te] Vierge; la population de la ville et des environs atteignait le chiffre de 2000 familles.

3. — *La ville d'Arbelles* avait un seul évêque Mar Israël de Djezireh et un nombre suffisants de prêtres et de clercs, 2 églises en l'honneur des Martyrs et de S[t] Isaac ; la population montait à 1200 familles du temps du patriarche Mathieu, l'an 1600.

La ville de Saratohi ou *Soulaïmanieh* avait un évêque Sabrjésu de Mardine et un nombre suffisant de prêtres et de clercs avec 2 églises en l'honneur de la S[te] Vierge et de S[t] Théodore Martyr l'an 1600. Le chiffre de la population était de 800 familles.

(1) Aujourd'hui dans les mains des Jacobites.

(2) Le patriarche Yabalaha 3 mourut l'an 1318.

19. — *La ville de Rasch-Aïna* (c'est-à-dire la source de la fontaine) avait un métropolitain nommé Mar Hermez de Damas, 3 évêques suffragants: Mar Elia de Nisibe, Mar Zacharia d'Alep et Mar Daoud de Miafarqine, 100 prêtres et 200 clercs. Il y avait dans la ville 4 églises en l'honneur de S^{te} Schamounah et ses 7 enfants, du Prophète Elie, des deux prophètes Daniel et Jonas et de la S^{te} Croix. La population comprenait 5000 familles. Hors de la ville on trouvait un nombre suffisant d'églises, l'an 1600.

20. — *La ville de Douneïser,* avait un seul évêque Mar Yacoub d'Amid, était de 20 prêtres, 40 clercs, il y avait dans la ville 3 églises en l'honneur du Martyr Hermez, de S^t Georges, et de la Vierge Marie ; la population dans la ville comptait 800 familles, hors de la ville 1000 familles, l'an 1600.

21. — *La ville de Dara* avait un seul évêque originaire d'Amid nommé Mar Denha, 30 prêtres et 60 clercs. Il y avait dans la ville 3 églises: de S^t Michel, de S^t Jacques et de S^t Jean, la population était de 1200 familles l'an 1550 au temps du patriarche Jean Soulaka qui fut tué par l'ordre des Turcs (1).

22. — *La ville de Mardine* avait un seul évêque du nom de Yabalaha de la ville de Djézireh, 8 prêtres dans la ville et 12 hors de la ville, avec un nombre suffisant de clercs et 2 églises dans la ville, dédiées à S^t Hormisdas et aux SS. Sergius et Baccus. La population dans la ville se composait de 700 familles et hors de la ville de 1100 familles, l'an 1400 du temps du patriarche Yacoub qui résidait à Ourmiah.

23. — *La ville de Soba* ou Nisibe avait un métropolitain nommé Georges de Hisnképha, 4 évêques suffragants: Yabalaha de Mardine, Mar Yacoub de Douneiser, Mar Stefanos de Mossoul et Mar Elisée d'Amid, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 7 églises dans la ville en l'honneur des SS. Jacques de Nisibe (2), Eugène et Challita, Thomas Apôtre, Georges et Cyriaque, de

(1) Jean Soulaka fût consacré patriarche l'an 1553 et mourut martyr l'an 1555.

(2) Elle est aujourd'hui dans les mains des Jacobites sans aucun droit sinon que les Chaldéens disparurent de Nisibe. Nous y avons à présent une chapelle et une communauté Chaldéenne par le zèle de S. B. Mgr. Emmanuel Thomas.

Stefanos et Mar Yohannan; ces derniers étaient de Mossoul. Il y avait plusieurs églises à l'extérieur et à l'intérieur, et un couvent du côté de la citadelle, appelé couvent de la Croix, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, la population comptait 5300 familles, l'an 1680.

14. — *La ville de Miafarqine* (Martyrople) avait un métropolitain Basilius d'Amid et deux évêques suffragants: Mar Moïse et Mar David originaires de Nisibe, un nombre suffisant de prêtres et de clercs. A 4 heures à l'Est de Miafarqiñe il y avait un couvent sous le nom des 12 Apôtres et de S^t Jean-Baptiste, habité par 220 religieux sans compter les domestiques ; il avait beaucoup de propriétés. Là se trouvait une grande école pour le clergé et les séculiers où on enseignait les hautes sciences ; la population comptait 3000 familles.

15. — *La ville de Roha* (Edesse) avait un évêque nommé Mar Denha de Nisibe, la population était de 2100 familles l'an 1650 Les couvents, les églises et le clergé étaient en nombre suffisant.

16. — *La ville d'Amid* avait un métropolitain du nom de Daniel de Mardine et un évêque nommé Samuel de la ville de Hisnképha, les prêtres étaient au nombre de 20, les clercs de 80 ; dans la ville il y avait 3 églises en l'honneur de l'Annonciation de la S^te Vierge, du Martyr S^t Pition et du prophète Daniel ; hors de la ville il y avait un nombre suffisant d'églises, l'an 1650; la population comptait 2700 familles.

17. — *La ville de Kafartoute* avait un métropolitain nommé Mikhaïl de Mardine et deux évêques suffragants: Mar Thomas de Mardine et Mar Yonan de Hisnképha, un nombre suffisant de prêtres et de clercs, la population était de 7000 familles. Il y avait dans la ville 4 églises dont nous ignorons les noms, et un couvent S^t Pition dans un petit village l'an 1700.

18. — *La ville de Circesia,* (c'est-à-dire la fille du juge) avait un métropolitain Daniel de Hisnképha, deux évêques suffragants: Hananjésu de Kafartoute et Brikhjésu d'Amid, 25 prêtres, 50 clercs. la population dans la ville et en dehors était de 3000 familles, on voyait plusieurs églises dans la ville et en dehors l'an 1700.

Mar Stéfanos de Bagdad, 30 prêtres, 70 clercs; la population était de 3200 familles. Ils avaient trois églises dont nous ne connaissons pas le nom.

6. — *La ville de Bétlis* avait un seul évêque nommé Mar Elia d'Edesse, 10 prêtres, 30 clercs, une seule église en l'honneur de Ste Schamouna et ses 7 fils Macchabées, la population comprenait 1000 familles en l'an 1460.

7. — *La ville de Colamérine*, qui anciennement s'appelait la ville d'Alcomar, Joulamek avait un évêque, Mar Ebd-jésu de Mossoul avec un nombre suffisant de prêtres et de clercs, il y avait deux églises; la population comptait 3000 familles.

8. — *La ville de Séert* avait un seul évêque nommé Yacoub de Mardine, 25 prêtres, 80 clercs et deux églises en l'honneur de St Georges et de St Michel; le nombre de la population dans la ville et les environs était de 3000 familles ; il y avait 3 couvents dans les environs de Séert celui de Mar Yacoub, de Mar Gabriel et de Mar Sabrjésu, en l'an 1620.

9. — *La ville d'Amadia* avait un seul évêque du nom de Moïse, originaire de Van, avec un nombre suffisant de prêtres et de clercs, 3 églises dans l'intérieur d'Amadia, et 15 aux environs; la population était de 4200 familles, l'an 1630.

10. — *La ville de Zakho* avait un seul évêque nommé Abraham et un nombre suffisant de clercs et d'églises ; la population comptait 5200 familles.

11. — *La ville de Akra* avait un seul évêque nommé Hananjésu et un clergé suffisant; il y avait des églises à l'intérieur de la ville et aux environs; la population était de 1700 familles.

12. — *La ville de Djézireh* (Zabdé) dans la montagne de Chaldanistan, avait un évêque Brikhjésu de Mardine, un nombre suffisant de prêtres et de clercs et deux églises dans la ville en l'honneur de St Georges et de St Behnan, en dehors de la ville il y avait plusieurs églises et couvents; la population atteignait 4300 familles.

13. — *La ville de Hisnképha* avait un métropolitain Paul de Mardine avec 3 évêques suffragants : Mar Simon de Nisibe, Mar

des 12 Apôtres, le troisième était appelé monastère de la Pentecôte. Ils vivaient sous la règle de St Antoine c'était en l'an 1405, une grande émeute eût lieu à Jérusalem entre les Coptes, les Arméniens, les Jacobites et les Nestoriens; ils se ressemblèrent tous et se soulevèrent contre les Nestoriens qu'ils massacrèrent, ceux qui échappèrent, adoptèrent les rites Copte, Jacobite ou Arménien. Le nestorianisme disparut ainsi des environs de Jérusalem et leurs églises et monastères furent pris.

V. Province d'Asie Mineure, d'Arménie et du Kurdistan.

D'après l'opinion de certains historiens orientaux il faut prononcer Chaldanistan, en outre Bar Képa, Barhebraeus, Bar Salibé.... et Abou-el-Faraj soutiennent que son vrai nom est Chaldanistan et non Kurdistan, car tous les habitants de cette montagne étaient de la secte des anciens Chaldéens avant le Christ, mais à notre époque Chaldani devint synonyme de Curde et jusqu'à présent on l'appelle Kurdistan, ce qui n'est pas exact.

1. — *La ville de Tokat* avait un métropolitain nommé Mikhaïl d'Amid qui avait deux évêques suffragants Ichoh (Jésus) de Damas et Jacob de Tacrit, 20 prêtres, 50 clercs, la population était de 7000 familles; il y avait 3 églises en l'honneur du prophète Jonas, de la Croix et de St Mari l'apôtre, en 1430.

2. — *La ville de Sivas* avait un métropolitain du nom de Brikha, 10 prêtres, 30 clercs et une seule église au nom des 40 Martyrs, la population était de 900 familles en l'an 1430.

3. — *La ville de Césarée* de Cappadoce avait un métropolitain nommé Yoannès avec un seul évêque Mar Gabriel de Nisibe et un nombre suffisant de prêtres et de clercs, la population était de 1200 familles, l'an 1150; ils avaient 2 églises: N-D. de la Délivrance, et Ste Barbe martyre.

4. — *Malatia*, avait un seul évêque Mar Yacoub d'Amid, et un nombre suffisant de prêtres et de clercs, son unique église était dédiée à St Thomas l'Apôtre, la population comptait 700 familles.

5. — *La ville de Van* avait un métropolitain Yohannan de Séert avec deux évêques suffragants: Mar Abraham de Chiraz et

la population montait à 9300 familles soumises au Catholicos de l'Orient résidant à Médaïn (Séleucie) ville de la Perse.

6. — *Jérusalem* (1) ou la Ville sainte avait un métropolitain nommé Pierre de Bet-Garmaï avec 4 évèques suffragants, Mar Gabriel d'Alep, Mar Mikhaïl de la Perse. Mar Yohannan d'Amid et Mar Yacoub de Nisibe. Les prêtres étaient au nombre de 70, les clercs de 200. elle avait 4 églises, en l'honneur de S[t] Jacques Apôtre et Martyr, de S[t] Jean Baptiste, de la Transfiguration du Christ et de l'Assomption de la S[te] Vierge. La population nestorienne à Jérusalem et ses alentours était de 8200 familles en l'an 1280.

7. — *La ville d'Hebron* de la province de Jérusalem appelée la ville d'Abraham, l'ami de Dieu, dans laquelle habitèrent Abraham, Isaac et Jacob et y furent enterrés avec leurs femmes, il y avait un seul évêque nommé Isaac de Mossoul avec un grand nombre de prêtres et de clercs et une seule église en l'honneur des patriarches Abraham, Isaac et Jacob, la population nestorienne montait à 800 familles en l'an 1320. Il y avait à Jérusalem 3 monastères nestoriens habités par un grand nombre de religieux; le premier portait le nom de S[t] Antoine le Copte, le second celui

---

(1) Les Chaldéens Nestoriens avaient un évêché à Jérusalem soumis au Métropolitain de Damas jusqu'à l'an 1200 ; après quoi elle est devenue archevêché, tantôt indépendant et tantôt dépendant d'Amid. Rabban-Aram écrit au pape Bénoit IV: Nous vous recommandons l'archevêque de Jérusalem Jésujab qui est de notre nation et nos frères les chrétiens orientaux (Nestoriens) habitants à Antioche, à Tripoli, à Acre et d'autres villes soumises à vous (*Cfr.* Gémil : *Relations entre les Chaldéens et le S[t] Siège page* 3). Amr Ibn Matta raconte que Abraham Métropolitain de Jérusalem assista à la consécration du patriarche Jabalaha l'an 1281. Dans la lettre du patriarche Elie au pape Paul V 1616, il est nommé Thimotée archevêque de Jérusalem et d'Amid ; le clergé chaldéen demeurait alors dans le couvent de S[t] Jacques à Jérusalem qui appartient aujourd'hui aux Arméniens Grégoriens. Les chaldéens avaient une chapelle dans l'église du S[t] Sépulcre où ils faisaient la liturgie selon leur rite, comme on le constate d'après plusieurs manuscrits conservés dans la Bibliothèque Vaticane (*Voir Gémil page* 519 *la note*). Broccard dans sa description de la Terre-Sainte raconte que les Nestoriens habitaient les environs de Beyrouth, de Gébaïl (Byblos), dans la plaine du Liban vis-a-vis de l'Iturie, à Tripoli, à Damas et à Jérusalem, Tous les auteurs qui ont écrit sur la Terre-Sainte attestent avec Barhebræus la même chose.

1700 familles en l'an 1380 de l'ère chrétienne ; de cette population les uns périrent par l'épée et les autres embrassèrent la secte de Mahomet.

2. — *La ville de Homs* avait un seul évêque Daniel de Damas, il commandait à des prêtres et à des clercs et avait une seule église en l'honneur de la Ste Vierge, la population nestorienne, 600 familles.

3. — *La ville de Hamah* avait un évêque appelé Younan (Jonas) d'Edesse, des prêtres et des clercs en grand nombre, la population était de 800 familles ; elle n'avait qu'une seule grande église en l'honneur du martyr St Simon.

4. — *La ville de Tadmor* (Palmyre), avait un évêque Ezéchiel d'Alep, 14 prêtres, 40 clercs et une seule grande église dédiée à St Simon Barsabbaah le martyr; la population comptait 900 familles.

5. — *La ville de Damas* (1) avait un métropolitain nommé Younan (Jonas) de Bagdad avec trois évêques suffragants : Mar Thomas de Kafar-Touta, Mar Hananjésu de Nisibe et Mar Mikhaïl d'Alep, avec 4 églises en l'honneur de St Michel l'Archange, de St Elie le Zélateur, de notre Dame des Semences, et de St Moïse l'Abyssin; les prêtres étaient au nombre de 60, les clercs de 300;

(1) Elie de Damas met l'archevêché de cette ville au 6me rang parmi les archevêchés nestoriens, Ebedjésu de Nisibe lui donne le 14me rang ; du temps de Amr Ibn Matta elle était du 15me. A un moment tous les Nestoriens de Syrie, de Palestine, de Cilicie et de l'Egypte étaient soumis au Métropolite de Damas. Dans la liste d'Elie il est fait mention des évêchés d'Alep, de Jérusalem, de Mambedj (Hiérapolis), de Mopsueste, de Tarse et de Malatia soumis au même ; Amr Ibn Matta ajoute l'Egypte. Les métropolitains de Damas connus dans l'histoire sont les suivants: Jean du temps du patriarche Jésujab de Djedalah l'an 618 — Sabrjesu sous le patriarche Timothée I l'an 778 — Jean sous Abraham de Marga 836 — Jean sous Théodose 852. Elie al Giauhari sous le patriarche Jean 893. Jésujab déposé par le patriarche Mari et restitué par Jean en 1001. Jean de Germak qui fut déposé par Ebdjésu Aredi en 1080. Marc qui fut consacré par Ebédjesu à la place de Jean de Germak. Nous avons aujourd'hui une église et une communauté chaldéenne à Damas; le prêtre qui la dessert porte le titre de Vicaire patriarcal, elle date du temps du patriarche Ebedjesu—Khayath.

l'an 1340 par l'intervention de Timothée Métropolitain de cette île, de Mar Elia et de Mar Denha. Les Nestoriens y prirent place avec les chefs des Grecs, des Hellènes, des Maronites, des Arméniens des Latins, et des Jacobites. Ils abjurèrent l'hérésie de Nestorius et confessèrent la suprématie du Pape Romain comme vicaire du Christ sur la terre et confessèrent la foi de l'église romaine. Une partie de cette population nestorienne adopta le rite latin, l'autre le rite maronite et le peuple nestorien fut anéanti dans cette île.

IV. Province de Syrie et de Palestine.

1. — *La ville d'Alep* (1). Il y avait un métropolitain appelé Mathieu, originaire d'Amid, avec deux évêques suffragants Jabalaha et Zacharia, tous les deux de Ninive ; 40 prêtres, 180 clercs 3 églises, celle des quarante Martyrs, celle de S[t] Cyriaque et celle de S[t] Assia (2) et Isaïe l'alepin ; la population atteignait

---

Pape, dans laquelle il commence en disant : moi Thimothée de Tarse archevêque des Chaldéens à Chypre etc. Nous avons la bulle d'Eugène IV datée de l'an 1445 où il fait mention de cette conversion et défend aux catholiques d'appeler les Chaldéens, Nestoriens (*Cfr.* Gémil: *Relations entre les Chaldéens et le Saint Siège, page* 9) Assemani ajoute : quand les Turcs prévalurent sur les Latins en Chypre, les Nestoriens et les Jacobites disparurent.

(1) Elie, archevêque de Damas, mort l'an 960 dans sa liste des diocèses nestoriens dit que l'évêché d'Alep était soumis à l'archevêché de Damas. Amru ibn Matta dans la vie du patriarche Sabrjésu Zanbour raconte que ce patriarche consacra Ibn Tabé évêque d'Alep l'an 1063 — Aujourd'hui une église et une communauté chaldéennes se trouvent à Alep établies du temps du patriarche Joseph Audo grâce au zèle du curé Pierre Rassam depuis plus de trente ans sous le titre de vicariat patriarcal (*Voir notre note dans Al-Machriq* VI *page* 655.) les Chaldéens à Alep.

(2) Les chrétiens d'Alep ont aujourd'hui encore une dévotion spéciale à ce saint à cause des guérisons qu'ils obtiennent par son intercession. Le nom d'Assia serait une corruption du nom d'Isaïe, qui fleurissait dans le 4[me] siècle comme compagnon d'Eugène, fondateur du monachisme dans notre Orient. Mais d'autres pensent que ce nom est syro-chaldéen (ܐܣܝܐ) qui signifie médecin (et le peuple ici l'appelle S[t] Assia, le médecin) = Il y a à Alep dans le quartier de Tchachassons *Zoukak el arbain*, un tombeau généralement connu chez le peuple comme le sépulcre de S[t] Isaïe d'Alep qui a donné le nom à ce quartier.

deux évêques suffragants, Mar Moussa de Séert et Mar Abraham de Khorassan ville de Perse, 80 prêtres, 200 clercs, 3 églises en l'honneur du Patriarche Abraham, du prophète Moïse et de S[t] Job, la population était de 4300 familles soumises au Catholicos de l'Orient qui résidait à Madaïn (Séleucie) dans le pays de la Perse c'était en l'an 1240. Mais la secte musulmane devenant de jour en jour plus forte, confisqua les églises, tua un grand nombre de fidèles par l'épée et une partie de cette population embrassa la religion de Mahomet.

2. — *La ville d'Okaz* de la province du Hedjaz avait un évêque, Challita de Mardine, 8 prêtres, 30 clercs, une église en l'honneur des SS. Pierre et Paul, la population était de 1800 familles en l'an 1240, dont la plupart furent tués par l'épée et une partie embrassa la secte de Mahomet.

3. — *La ville d'Aden* avait un seul évêque Milos de Bassorah, 12 prêtres, 40 clercs et une seule église en l'honneur de S[t] Joseph époux de la S[te] Vierge (1) ; la population nestorienne était de 1300 familles, ils eurent le même sort que ceux de la ville d'Okaz, en l'an 1250.

Ile de Chypre.

Dans cette île il y avait un métropolitain nommé Timothée de Mossoul, avec deux évêques suffragants Mar Elia de Bagdad et Mar Denha d'Edesse ; il y avait 7 églises, dont les noms nous échappent ; les prêtres étaient 80, les clercs 260, la population comptait 5300 familles en l'an 1380. Il y eût dans l'île de Chypre, un synode provincial par l'ordre du Pape de Rome Benoît XII (2),

(1) A ce compte les chaldéens nestoriens auraient été les premiers à consacrer une église en l'honneur de ce S[t] patriarche, dans ces temps reculés où sa dévotion n'était pas même propagée chez les latins.

(2) Les nestoriens se convertirent au catholicisme en Chypre deux fois ; la première fois dans le synode présidé par Elie archevêque des latins de cette île l'an 1340 sous le pontificat de Benoit XII comme on peut le voir dans les actes du dit concile. La seconde fois après 100 ans c'est à dire l'an 1445 sous le pontificat du pape Eugène IV par l'entremise d'André évêque de Colosse qui persuada à Thimothée archevêque des Nestoriens d'abjurer le nestorianisme comme il fit réellement et envoya sa profession de foi au dit

Marc, Luc et Jean.

3. — *La ville de Rachid* (Rosette) avait un évêque, appelé Hananjésu originaire d'Edesse avec douze prêtres et 36 clercs. Il n'y avait qu'une seule église sous le nom des SS. Pierre et Paul, le diocèse comptait 1300 familles nestoriennes.

4. — *La ville de Faïoum,* avait un évêque nommé Sabrjésu, originaire de Nisibe, 15 prêtres, 45 clercs, une église en l'honneur des SS. Addaï et Mari des 72 disciples, la population comptait 1700 familles. Le plus grand nombre des Nestoriens de cette province, adhérèrent au rite copte, après avoir abjuré le nestorianisme, et le reste embrassa la secte de Mahomet.

II. Province du Yémen. (1)

1. — *La ville de Sanaa,* avait un métropolitain du nom de Stéfanos (Etienne), originaire de l'île de Chypre, trois évêques suffragants, Mar Elia de Gézireh, Jabalaha de Mardine et Simon de Mossoul. Il y avait trois églises, en l'honneur de la Ste Croix, de St Georges et de St Antoine. Les prêtres étaient 70, les clercs 280, la population nestorienne montait à 5700 âmes.

2. — *La ville de Zebed* était gouvernée par un seul évêque Ebedjésu d'Amid; il commandait à 10 prêtres et 26 clercs, la population comptait 1100 familles ; c'était en l'an 1210.

3. — *La ville de Najran* de la province du Yémen avait un seul évêque Jacob de Séert, 15 prêtres, 35 clercs ; le nombre de la population nestorienne était de 1400 familles ; ils avaient deux églises, l'une en l'honneur de la Résurrection du Christ, l'autre dédiée au St Anachorète Challita, c'était en l'an 1260.

III. — Province de Hedjaz.

1. — *La ville de Yatreb* (Médine) était gouvernée par un metropolitain du nom de Paul de Bet Garmaï (Kerkouk), il avait

---

(1) Dans la vie de Thimothée I patriarche nestorien il est raconté que ce patriarche consacra vers l'an 800 Pierre évêque de Sanaa et du Yémen ; plus tard le patriarche Jean cinq, envoya une lettre à Hassan prêtre du Yemen l'an 901 en réponse à ses 28 demandes.

Nous commençons avec le secours et la faveur de Dieu à écrire un chapitre de l'histoire de l'église Nestorienne, qui resplendissait en Orient comme une étoile, et qui, aujourd'hui, se trouve réduite en poussière, dépourvue de science, de civilisation et même de prospérité matérielle.

I. PROVINCE D'EGYPTE ET D'AFRIQUE.

1. — Il y avait en *Egypte* une grande population de nation Nestorienne l'an 1015 de notre ère : elle était gouvernée par un métropolitain nommé Daniel originaire de la ville d'Alep, ayant pour suffragants trois évêques ; Simon de Gézireh, Mschiha de Mossoul et Joseph de Téhéran en Perse. Le diocèse était administré par 47 prêtres et 306 clercs. Quatre églises existaient en Egypte, la première dédiée à St Moïse l'Abyssin, la seconde à St Elie le Zélateur, la troisième aux 12 apôtres, et la quatrième à l'Assomption de la Ste Vierge. Les fidèles nestoriens étaient au nombre de 7300 familles (1).

2. — *La ville d'Alexandrie* . Son métropolitain nommé Samuel était originaire de Damas, il avait deux évêques suffragants Mar Thomas et Mar Yohannan, persans ; ils commandaient à 23 prêtres et à 80 clercs ; le nombre des fidèles nestoriens atteignait 4025 familles. Il y avait à Alexandrie trois églises, la première dédiée à Ste Schamouna, à ses 7 fils Macchabées, et à leur précepteur Eléazar, la seconde à l'Annonciation de la Ste Vierge par l'ange Gabriel, et la troisième aux quatre Evangélistes: Matthieu,

(1) Un grand nombre de nestoriens émigrèrent de Babylone et d'Assur en Egypte, dit Assemani, un évêque les gouvernait au temps du Patriarche Mar Aba l'an 745 (voir *Thomas de Marga: histoire du Monachisme, liv. 2. chap. 41*). — Amru Ibn Matta raconte que le patriarche Ebedjésus consacra Salomon évêque d'Egypte l'an 980. — Le Patriarche Jean Nazouk promut l'évêque d'Egypte à l'archevêché de la Perse, et le Patriarche Elie Molki transporta le métropolitain de Hulwan au siège d'Egypte. De plus Sabrjésu Zanbour consacra Jean évêque de Hadita archevêque d'Egypte ; et dans la vie du Patriarche Ebdjésu Arédi, il est dit que celui-ci transféra Marc archevêque d'Egypte à la place de Jean archevêque de Damas. — Aujourd'hui nous avons une église et une communauté en Egypte, créée par le Patriarche Elie Abbo-el-Younan depuis 20 ans sous le titre de vicariat patriarcal.

évêques, les uns douze et d'autres six. Pour en avoir un exemple nous citerons Ibn-el-Talmid auteur du onzième siècle dont nous possédons le manuscrit, voici les évêchés qui dépendaient du diocèse patriarcal : 1 évéché de Kaschkar ou Wasit. 2 de Naamanié. 3 de Hira. 4 d'Anbar. 5 de Laaz. 6 de Akbara. 7 de Badraya 8 de Teïrahan. 9 de Radan. 10 d'Alsène. 11 de Bawazige. 12 de Kasser.

Cependant nous devons avertir le lecteur que l'auteur du document n'est pas d'une exactitude historique scrupuleuse ; il aime les chiffres ronds, et le plus souvent il ne donne que des dates approximatives. Malgré ces défauts, qui trahissent la naïveté et l'amour-propre de l'écrivain plutôt que sa mauvaise foi, le document est d'un grand intérêt. Nous avons cru utile pour l'histoire du christianisme en Orient de le publier en y ajoutant des notes puisées dans des sources parallèles, et de le traduire en français pour les lecteurs étrangers à l'arabe.

Sa Béatitude Mgr. Emmanuel Thomas notre patriarche actuel, a, à lui seul, inauguré les missions suivantes: Orfa, Der-el-Zor, Amara, Aschar, Kout, Ahwaz et Nisibe; et en sa qualité de Délégué Apostolique des Nestoriens, chargé par le St Siège de leur conversion, il a restauré l'évêché de Van, créé la mission de Dezza, Achita etc., établi quarante écoles et chapelles dans le Kurdistan et ramené un grand nombre d'ecclesiastiques et de séculiers nestoriens au catholicisme. Je laisse les églises qu'il a construites ou restaurées, les écoles qu'il maintient et le séminaire patriarcal qu'il développe et aggrandit de plus en plus. Je serais infini si je voulais mentionner toutes les œuvres qu'il a achevées dans le court espace des neuf années de son patriarcat et celles qu'il songe à exécuter.

Le document que nous publions est anonyme, il nous a été transmis par un jacobite qui le trouva dans une église maronite de Damas et le copia. Le R. P. Louis Cheïkho de la Cie de Jésus l'ayant découvert à Mardine dans la bibliothèque de l'évêché chaldéen s'en procura une copie et eût l'obligeance de nous la communiquer, nous le prions d'agréer nos chaleureux remerciements.

On y trouve la statistique de l'église nestorienne entre l'an 1000 et 1700 qui peut passer pour la date probable de sa rédaction. L'auteur est en général bien informé comme on pourrait s'en convaincre en se référant aux historiens indigènes (*voir aussi Assemani BO*, au t. III). Voici la liste des archevêchés nestoriens que nous transmet Amr-Ibn-Matta au 13me siècle: les archevêchés nestoriens outre la province patriarcale sont dans le rang suivant: 1 Métropolitain de Gandisapore. 2 Métropolitain de Nisibe. 3 de Bassorah. 4 de Mossoul et Assur. 5 d'Arbelles et Hazza. 6 de Bajermy. 7 de Halwan. 8 de Jérusalem. 9 d'Edesse. 10 de la Perse. 11 de Mérou. 12 de Herat. 13 de Katraba. 14 de Chine. 15 de l'Inde. 16 de Bardah. 17 de Damas. 18 de Raï. 19 de Tabaristan. 20 de Daylam. 21 de Samarkand. 22 de Turkestan. 23 de Balkh. 24 de Ségestan. 25 de Khan-Balek. 26 de Tankète. 27 de Kaschgar et Noakeh. Chacun de ces archevêques gouvernait plusieurs

PRÉFACE

L'auteur de ce document, semble vouloir par ces pages enterrer avec honneur l'hérésie nestorienne, en lui consacrant cette magnifique oraison funèbre.

L'église nestorienne, qui brilla jadis d'un éclat extraordinaire dans l'histoire du christianisme en Orient, commence à baisser au quatorzième siècle pour aboutir à sa complète destruction au dix-septième. Car, depuis ce temps, on la voit confinée dans un coin du Kurdistan, où elle agonise au milieu de la corruption, de l'ignorance et de l'abrutissement ; et c'est beaucoup, s'il lui reste quelque apparence de christianisme.

C'est le sort fatal de l'hérésie d'avoir dans ses entrailles un germe de destruction, qui la ronge et qui, tôt ou tard, devra la conduire à la ruine ; ce n'est qu'une question de temps. Tel fut l'Arianisme; tel est le Nestorianisme et tel sera le destin de toutes les hérésies, comme nous le prouve l'histoire de l'église.

Mais si l'hérésie a tué et enseveli dans la poussière le noble peuple qui l'embrassa; le catholicisme l'a réssuscité et remis dans son ancienne gloire. En effet, depuis que le peuple chaldéen, abjurant Nestorius, se réfugia dans le sein de sa véritable mère, l'église catholique, une grande régénération s'est opérée dans ce peuple, qui, naguère, marchait directement à son anéantissement complet. Le Dieu tout puissant qui a fait les nations guérissables, suscita au milieu de ce peuple de vrais apôtres dans la personne de ses patriarches soutenus par le S^t^ Siège, qui depuis trois cents ans travaillent à la restauration de sa gloire ternie, et le reconduisent pas à pas à son ancienne prospérité. Tels furent le martyr Soulaka, les Joseph d'Amid et tant d'autres.

Cependant ce n'est qu'au temps des quatre derniers patriarches, que l'Eglise chaldéenne commença à regagner le terrain qu'elle avait perdu. C'est depuis lors qu'on commence a voir des églises et des communautés chaldéennes à Alep, Adana, Damas, Beyrouth, Egypte, Bassorah et Constantinople où quarante ans auparavant le nom chaldéen n'était plus même connu.

A SA BÉATITUDE

MGR. JOSEPH EMMANUEL THOMAS.

PATRIARCHE CHALDÉEN DE BABYLONE

Héritier légitime de la gloire

de l'église des apôtres

S^ts Thomas, Addai et Mari.

Le Bon Pasteur du troupeau Chaldéen Catholique, l'Apôtre infatigable

de la conversion de nos frères nestoriens.

PIERRE AZIZ

CHORÉVÊQUE VICAIRE PATRIARCAL ET CURÉ CHALDÉEN

D'ALEP.

OFFRE CETTE PUBLICATION

en témoignage d'amour filial.



STATISTIQUE INÉDITE

DE L'ANCIENNE ÉGLISE CHALDÉO - NESTORIENNE

Traduite de l'arabe, annotée et publiée

PAR

L'ABBÉ PIERRE AZIZ

Chorévêque vicaire du Patriarche Chaldéen

à ALEP



BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1909

مدرسة نصيبين الشهيرة

نبذة تاريخية في اصلها وقوانينها وفي العلماء الذين اشتهروا فيها

للسيّد ادّي شير رئيس اساقفة سعرد

على الكلدان



ECOLE DE NISIBE

son origine, ses règlements et ses hommes célèbres

par

SA GRANDEUR M^gr ADDAI SCHER

Archevêque Chaldéen de Séert



طبع في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين

في بيروت سنة ١٩٠٥

Beyrouth Imprimerie Catholique 1905.

مدرسة نصيبين الشهيرة

نبذة تاريخيّة في اصلها وقوانينها وفي العلماء الذين قاموا فيها

لادّي شير رئيس اساقفة سعرد الكلدانيّ

مقدّمة

انَّ مدينة نصيبين عريقة بالقدم. وجاء اسمها في الاسفار الالهية צובא او צובה (١ وكان اليونان يدعونها Antiochia Mygdonia . وربّما سماها السريان انفسهم بهذا الاسم. لكن اسمها الخاص عندهم هو ܢܨܝܒܝܢ او ܨܘܒܢܐ. وهي مشتقّة من ܢܨܒ ومعناها زرَع نصبَ. وقد جاء عنها في نبذة تاريخية محفوظة في كتاب السنهادوسات (٢ أنها سُمّيت بهذا الاسم لاجل ما فيها من البساتين والجنان . ܢܨܝܒܝܢ ܕܝܢ ܗܕܐ ܐܬܩܪܝܬ ܒܫܡܐ ܕܢܨܒܬܐ : ܕܡܛܠ ܓܢܬܐ ܘܦܪܕܝܣܐ ܕܒܗ̇ ܣܓܝܐܐ ܗܘܘ . وقال عنها مار افرام وغيرهُ من العلماء الاراميّين أنها هي أَكَّاد المذكورة في سفر التكوين (٣ . واشتهرت نصيبين في الحروب الفارسيّة ولاسيما في مدرستها الشهيرة التي شاع صيتها في اقطار الارض حتى في بلاد اطاليا وافريقيا (٤ .

---

١) ٢ صموئيل ٨ : ٣ و١ ملوك ١١ : ٢٣

٢) هذه النبذة طبعها العلامة كيدي : Un nuovo testo siriaco sulla storia degli ultimi Sassanidi, ed. Guidi. Leyde, 1891.

٣) ١٠ : ١٠ ٤) السمعانيّ : المكتبة الشرقية : المجلّد الثالث : القسم الاول ص ٩٢٧

وخرج منها عدد وفير من مشاهير العلماء الذين خدموا الدين والعلم والملة أَحسن خدمة حتى ان السريان الشرقيين بحقٍّ دعوها ܐܡܐ ܕܝܘ̈ܠܦܢܐ (١ « أُمّ العلوم » ܘܡܕܝܢܬ ܡܕ̈ܥܐ (٢ « مدينة المعارف » ܘܐܡܐ ܕܡܠܦ̈ܢܐ (٣ « امّ الملافنة »

انّ المستشرق الشهير جان باتيست شابو كتب فصلًا خطيرًا عن مدرسة نصيبين (٤ . ومقالتهُ هذه جديرة بالثناء ولكن قد فاتهُ اشياء كثيرة لاسيما عن العلماء الذين تولوا تدبير هذه المدرسة . ففي مكتبتنا السعردية وجدت ثلاثة كتب قديمة يحوي كلّ منها مقالةً في تاسيس المدارس تاليف بَرْحَد بشَّبَّا عَرْبايا (٥ وفيها يتكلم بالاختصار عن اصل مدرسة نصيبين وعن العلماء الذين دبّروا شؤونها . وهي اقدم مقالة وصلتنا في تاسيس المدارس (٦ . وصاحبها يُعتمد عليهِ اكثر من غيرهِ . لانهُ كتبها في نهاية الجيل

---

١) كتاب العفّة تأليف ايشوعدناح مطران البصرة طبعة بيجان العدد ٤٦

٢) ترجمة مار سبريشوع الجاثليق طبعة بيجان ص ٢٩١

٣) سيرة ربّان برعدتا (وهي محفوظة في دير السيدة للكلدان) الفصل الاوّل

٤) L'Ecole de Nisibe, son histoire, ses statuts, par S. B. Chabot. Paris, 1896.

٥) اثنتان من هذه المقالات ناقصتان احداها من البداية والاخرى من النهاية. وأَمَّا الثالثة فهي كاملة . Addaï Scher, Catal. des manus. conservés dans la bibl. de Séert. Mossoul, 1905, cod. 82 n. 4; 109, n. 3. أَمَّا المقالة الناقصة من بدايتها والكاملة في نهايتها فهي خاصة كنيسة مار كوريا بجانب سعرد وهي لم تدخل في قائمة مخطوطات مكتبتنا السعرديّة لاننا جلبناها حديثًا . وانّ القس الفونس منجنًا قد اكتشف على نسخة أُخرى من هذه المقالة . وقد طبع القسم التاريخيّ منها في مقدّمة ميامر نرساي . ولم يقل شيئًا عن اصلها . والقطعة الاخيرة منها التي تبحث عن مدارس المدائن وليذان ووارد شير وعن يوسف وحزقيال الجاثليقَين فهي ليست موجودة في النسخة السعرديّة . وعلى ظني انّ هذه القطعة ليست من المقالة بل من كتاب التواريخ تأليف برحد بشَّبَّا نفسه . فيكون قد زادها احد النسّاخ لرؤيتهِ أَنَّها كتتمّة لفائدة المقالة . ولولا ذلك لوجدناها في النسختين السعرديّة والماركورياوية ولكان مؤلفها يدرجها بعد القطعة التي تكلّم فيها عن مار ابرهام دي بيت ربّان لانهُ كان معاصرًا لمار آبا و يوسف الجاثليقين

٦) انّ مُؤَلِّفين كثيرين من الكلدان كتبوا مثل برحد بشَّبَّا مقالات في المدارس وكانوا يسمونها ܥܠܬܐ ܕܡܘܬܒ̈ܐ او ܥܠܬܐ ܕܣܝܡ ܡܘܬܒ̈ܐ ܕܐܣܟܘ̈ܠܐ .

السادس وفي المدرسة عينها وعلى طاب تلامذتها أَلَّفها. فقد اتخذتُ هذا العالم الجليل دليلًا لي في هذا البحث ولاسيَّما في ما يخصّ اصل المدرسة والعلماء الذين تولّوا رياستها



والذين ذكرهم عبد يشوع الصوباوي في قائمة مؤلّفي السريان هم اليشاع المفسر وابراهام دي بيت ربَّان وايليا مطران مرد وميخا الجرمقي وهنا اقول انّ السمعاني لم يفهم كلام الصوباوي وترجم ܥܠܬܐ ܕܡܘܬܒܐ بلفظة Causa sessionum in Psalmodia التي تقابلها Χαθίσματα في الفرض اليوناني (المكتبة الشرقيَّة المجلَّد ٣ القسم ١ ص ٧١ و ١٤٨ و ١٦٧ و١٦٩). وممّا يثبت قولنا انّ كتابًا تاريخيًا بالعربيّة موجودًا في مكتبتنا السعرديّة (Addai scher, Catalogue etc. cod. 128) اذ يعدّ تآليف ابراهام دي بيت ربَّان واليشاع المفسر يعرّب ܥܠܬܐ ܕܡܘܬܒܐ « بسبب وضع الموتب في الاسكول » وانّ ميخا الجرمقي كتب خمس مقالات في المدارس كما قال عنهُ الصوباوي. ولا بدّ من ان ايليا النصيبيني منها أخذ ما أخذ من المعلومات التاريخيَّة فوضعها في كتاب تواريخهِ المشهور. (B. Duval, Littér. Syr. p. 213) وميخا المذكور ليس الذي كان مع نرساي في مدرسة الرها ثمّ صار اسقفًا على مدينة لاشوم في نهاية الجيل الخامس كما قال السمعاني (المكتبة الشرقيَّة ٣ : ١ ص ١٦٩) بل كان في الجيل السابع معاصرًا لمار ايشوعياب الحديابيّ (عمرو بن متى طبعة جيسمون ص ٥٥). فانّ من تآليفهِ التي يذكرها الصوباويّ ميمرًا او قصيدةً في مناقب مار سبريشوع اللاشوميّ الذي صار فطريركًا سنة ٥٩٦ وتوفي سنة ٦٠٤

١ في مدرسة نصيبين . وفي انتقالها الى الرها . وفي رياسة مار افرام ومار قيورا

من بعد المجمع النيقاويّ الذي عُقد سنة ٣٢٥ فتح الطوباوي اوسطانيس مدرسة في مدينة انطاكية ومار يعقوب النصيبينيّ في مدينة نصيبين وغيرهما في غير ذلك من المدن. أمّا مار يعقوب فجعل مار افرام تلميذه معلماً في المدرسة التي فتحها (١

كان مار افرام من مدينة نصيبين وكان ابوه كاهناً لعبّاد الاصنام. وتتلمذ لمار يعقوب الذي اهتمّ بهِ كثيرًا وجعل يرشدهُ ويعلّمهُ (٢ . ومات مار يعقوب سنة ٣٣٨ (٣ . ومكث مار افرام يُدبّر المدرسة بكل نشاط وغيرة في زمان خلفاء مار يعقوب اعني بهم مار بابو ومار اولناش ومار ابرهام وهو لا يزال يُؤلف تأليفات جليلة (٤ الى سنة ٣٦٣ التي فيها سُلّمت نصيبين الى ملوك الفرس. وعندها ترك مار افرام مع علماء المدرسة تلك المدينة وانطلق الى الرها حيث فتح مدرسة لبني جلدتهِ عوض مدرسة نصيبين (٥ . وانما لاجل ذلك عُرفت تلك المدرسة بمدرسة الفرس. واجتمع اليهِ تلاميذ كثيرون علّمهم وهذّبهم بكل نجاح مدة تسع او عشر سنين. وكانت وفاتهُ في ١٥ حزيران سنة ٣٧٣

اني ارى قصّة حياة مار افرام التي بيدنا والتي طبعها السمعاني في تاليفاتهِ لا يُعتمد عليها كثيرًا (٦ . وهي ممتلئة غلطات ومضاددات تاريخيّة. فانها لا تصوّر امامنا هذا

---

١) برحد بشبّا عربايا
٢) قصّة مار افرام في المجلّد الثالث من سيرة القدّيسين طبعة الاب بيجان
٣) راجع قصّة مار يعقوب طبعة الاب بيجان في المجلّد الرابع من سيرة القدّيسين
٤) ميامر مار افرام المعروفة بالميامر النصيبينيّة طبعة المعلّم بيكِل
٥) برحد بشبّا عربايا
٦) انّ هذه القصّة طبعها ايضاً المعلم لاي في مجموعة تآليف مار افرام الغير المنشورة والاب بيجان في المجلّد الثالث من سيرة القدّيسين

الملفان الذائع الصيت منكبًا على التعلّم والتعليم بل مختليًا عن الناس والمدارس ومنزويًا في الجبال والمغائر. ونرى ايضًا ان لا صحّة لما قيل في قصته عن سفره الى مصر ومكثه فيها ثماني سنين وذهابه الى قيصريّة لزيارة مار باسيليوس. لانّ انتقاله من نصيبين الى الرها كان سنة ٣٦٣ او سنة ٣٦٤ ووفاته سنــة ٣٧٣. فان كان سفره الى مصر صحيحًا فيكون قد مكث في الرها سنةً واحدة او سنتين وهذا الامر غــير محتمل. كذلك لا صحّة لما قيل في القصّة نفسها عن الهونيــين انهم بايام مار افرام جاءوا على الرها ونهبوا وقتلوا. لان خروج الهونيين على ما بين النهرين كان سنة ٣٩٦. وكذلك لا يصدّق ما جاء فيها انه في ايام هذا الملفان اتى والنس الملك الى الرها ونفى سقفها بَرْسا وان القدّيس كتب ميمرًا في هذا الاضطهاد. لان نفي بَرْسا كان في شهر ايلول سنة ٣٧٣ اي ثلاثة اشهر من بعد وفاة مار افرام (١. وكذلك لا صحّة لقصّة المرأة الخاطئة التي قيل عنها انها كتبت جميع خطاياها على قرطاس مقدّمتــه لمار باسيليوس فصلّى ومُحيت جميع الخطايا من القرطاس ما عدا خطيّــة واحدة جسيمة. فارسلها الاسقف القدّيس الى مار افرام قائلًا لها: انه قادر ان يمحاها. فرجّعها مار افرام الى مار باسيليوس واشار عليها ان تسرع اليه قبل ان يموت فرجعت المرأة الى قيصرية واذا به باسيليوس قد مات وكُفّن. فكيف تصحّ هذه القصة وان مار افرام توفّي قبــل مار باسيليوس. وكذلك ارى ان كاتب القصة يناقض نفسهُ اذ يقول ان مار افرام من بعد خروجهِ من نصيبين قد اعتمد وتعلّم المزامير وله حينئذ من العمر ٢٨ سنة. وفي القصة نفسها يقول: ان مار افرام حضر في المجمع النيقاوي مع معلمهِ مار يعقوب. والحال ان هذا المجمع عُقد سنة ٣٢٥ ومار افرام هرب من نصيبين سنة ٣٦٣ كما سبق الكلام.

امّا تاليفات مار افرام فكثيرة لا تكاد تحصى. فانه لم يترك معنى من المعاني الدينيّة والالهية والفلسفيّة الّا وصنّف فيهِ التصانيف العجيبة التي اذاعت اسمهُ في العالم وهو بعد في قيد الحيوة. وقد طُبع جانب كبير منها في رومية على يد السمعاني الذي لا ينسى الشرق فضله وهي عبارة عن ستة مجلدات. ثلاثة منها سريانية وثلاثة يونانية ولاتينيّة.

---

(١) طالع B. Duval; Littér. Syr. p. 334-335

وقد طبع ايضاً منها السيد لامي وبيكل وأوفربيك وغيرهم (١ . وانّ ما في تاليفاتهِ من سمو الافكار وبلاغة الكلام وعذوبة الالفاظ وطلاوة العبارة لم نَرَهُ في تاليفات غيرهِ من ائمة الملافنة الاراميين . فبكلّ حقّ وصواب سماهُ السريان الشرقيون نبيّ السريان وملفان الملافنة وافرام الكبير وعمود البيعة . ودعاهُ السريان الغربيون شمس السريان وكنارة الروح الى غير ذلك

وخلفهُ في رياسة المدرسة في مدينة الرها قيورا (ܩܝܘܪܐ) . ويقول عنهُ برحدبشبّا انهُ كان ممتازاً بتقواه وغزارة علمهِ وقد أحسن تدبير المدرسة مكمّلاً وظيفتهُ بهمّة لا تخشى مللًا ساهراً على صوالحها المادّية والادبيّة . فنمت على ايامهِ واجتمع اليهِ تلاميذ كثيرون من كلّ قطر . ومن جملتهم مار نرساي ومار برصوما ومار معنا

واظنّ ان قيورا الذي يذكرهُ برحدبشبّا هو كيرلونا او قيرلونا الذي ذكرهُ المعلم بيكل النمساويّ في كتابٍ لهُ طبعهُ سنة ١٨٧٣ وأورد لهُ فيهِ جملة قصائد . وتوفي قيورا سنة ٤٣٧

٢ في انتقال المدرسة ثانيةً الى نصيبين . وفي رياسة مار نرساي

من بعد وفاة قيورا وقعت الاصوات على نرساي لانهُ لم يكن لهُ نظير في المدرسة علماً وفضلًا فانتخبوهُ رئيساً سنة ٤٣٧ . ودبّرها أحسن تدبير مدّة عشرين سنة . أمّا برصوما فأتى الى نصيبين وصار عليها اسقفاً . وانطلق معنا (٢ الى فارس وانتُخب اسقفاً

---

١) انّ ميامر واناشيد كثيرة مع كونها ليست من تآليف مار افرام قد نُسبت اليهِ . فان منها هي تاليف مار اسحق الكبير ومنها من تاليفات مار نرساي وغيره من علماء النساطرة (طالع روبانس دوفال كتاب الآداب السريانيّة ص ٣٣٦)

٢) انّ ابن العبري والسمعاني يخلطان بين معنا هذا ومعنا الذي كان هو ايضاً اسقف راوردشير وخلف يابالاها الجاثليق على كرسيّ المدائن سنة ٤٢٠ . فانهما شخصان لا شخص واحد فانّ كتاب المكتبة السعردية يعدّ اربعة أساقفة جلسوا على كرسيّ راوردشير الى منتهى الجيل الخامس وهم : مانا ومعنا وماري ومعنا . أمّا مانا فلا يقول عنهُ شيئاً . ومعنا هو الذي خلف يابالاها الجاثليق . وماري كتب لهُ هيبا اسقف الرها الرسالة المشهورة . ومعنا هو رفيق نرساي وعنهُ يقول الكتاب المذكور انهُ كان في مدرسة الرها وترجم الى السريانيّة كتب ديودوروس وتاودوروس

على مدينة راوردشير (١ . وكان نرساي متحزّبًا لنسطور مع اغلب تلاميذهِ . وكانوا قد ترجموا الى الاراميــة مُؤَلفات تادوروس المصيصيّ الذي شاع صيتــهُ في تلك النواحي (٢ وكان رابولا اسقف الرها (٤١٢—٤٣٥) يقاومهم (٣ . ولكنَّ خليفتــهُ هيبا (٤٣٥—٤٥٧) ساعدهم كل المساعدة (٤ . فنمت المدرسة بايامهِ وأزهرت . وبعد وفاتهِ اضطُهد نرساي اضطهادًا شديدًا وطُرد من الرها مع كثير من تلاميــذهِ . فاتى نصيبين وهو عازم على السفر الى بلاد فارس . فامسكه برصوما الاسقف وطلب اليهِ ان يفتح مدرسة في نصيبين (٥ . فاجاب نرساي الى سؤالهِ (٦ . فنظم برصوما لائحة لموادّ الدروس والفروض يجري عليها المعلمون والتلاميذ غير ان هذه القوانين لم تصلنا (٧ . لكنها لم تكن تختلف كثـيرًا من التي انتشرت في ايام هوشاع خليفتهِ . فبكل حقّ يُعدّ برصوما مؤسسًا لمدرسة نصيبين مع مار نرساي الملفان

اما المحبة التي اظهرها برصوما لنرساي فقد تحولت فيما بعد الى بغضــة . وجرى بينهما نزاع وشقاق . وسبب ذلك على ما أتى في كتاب المجدل أن برصوما كان قــد أباح الزيجة للاساقفة والرهبان . وتزوَّج هو باحدى الراهبات اسمها ماموي . فاتّفق ان ماموي اجتازت ذات يوم على باب نرساي ورأت الجموع مزدحمة عليهِ فحسدتهُ واوغرت صدر برصوما عليهِ فابغضهُ وطردهُ من نصيبين فذهب نرساي الى بلاد قردو . وهنــاك ألّف ميمرين بديعين فيهما تكلم بغاية البلاغة عن تقلبات الزمان وخيانتهِ وعن خبث

المصيصيّ وانهُ حضر المجمع الذي عقدهُ مار اقاق الجاثليق سنة ٤٨٦ (طالع ايضاً اعمــال هذا المجمع J. B. Chabot, Synod. Orient. P: 300

١) برحد بشبَّا عربايا

٢) عبد يشوع الصوباوي في قائمة مُؤَلفي السريان : والسمعاني المكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٨٥

٣) المكتبة الشرقية تأليف السمعاني المجلد ٢ ص ٧٣ والمجلد ٣ القسم ١ ص ٨٦

٤) رسالة شمعون الارشاميّ ضدّ المناذرة

٥) جاء في كتاب المكتبة السعرديّة آنهُ « لمَّا علم المخالفون انّ نرساي يعتقــد بمذهب ديودوروس وتيادوروس ارادوا إحراق قلايتــهِ . فهرب الى نصيبين . ووجد هنــاك أسكولًا (مدرسة) صغيرًا كان شمعون الجرمقاني نصبَهُ فاقام فيهِ »

٦) برحد بشبا عربايا

٧) قوانين مدرسة نصيبين : المقدّمة

النساء وشرّهن . بـدء الميمر الاوَّل : ܡܗܝܡܢ ܪܒܢܐ ܕܐܫܬܘܕܥܬ ܠܝ ܒܒܢ ܬܬܟܒܬܝ : ܦܬܓܡܝ ܒܗ ܡܢܝ ܢܒܝܐ ܕܬܝܒܘܬܐ . وبدء الثـاني : ܢܘܐ ܡܕܒܪܐ ܕܪܘܚ ܝܗܒ ܢܒܝܐ ܠܟܢܫܐ : ܡܫܒܚܬܗ ܠܥܡܐ ܕܡܫܡܫܢܘܬܗ ܠܝܒܫܬ ܩܘܫܬܐ (١ . وقُرئ الميمران في الصوم الكبير في كنيسة نصيبين . وللحال أرسل برصوما فرجّع نرساي واكرمهُ طول ايام حياتهِ . لا بل قيل ان برصوما خطب قبل وفاتهِ وأطال في ذكر التوبة لان اهـل نصيبين لم يكونوا يريدونهُ لاجل سيئاتهِ (٢ . وفي الحقيقـة يتضح من الرسائل التي كتبها لمار أَقاق الجاثليق (٣ انهُ حرم المجمع الذي عقدهُ في بيت لافاط اذ اباح فيهِ الزيجـة لجميع الاقليروس وأَعلن على رؤوس الملأ انهُ مخالف للقوانين النصرانية

وكانت وفاة برصوما بين سنة ٤٩١ التي فيها بدأ ان ينازع مار اقاق الجاثليق (٤ وبين سنة ٤٩٦ التي فيها نرى خلفهُ هوشاع جالساً مكانهُ على كرسيّ نصيبـين . وأَما جلوس برصوما على الكرسي الاسقفي فكان سنة ٤٣٥ كما يقول ايليـا النصيبينيّ في كتاب تواريخهِ (٥ وعبد يشوع الصوباوي في كتـاب الاحكام الكنائسية . ومن مُؤلفاتهِ تراجيم ومداريش وليتورجية للقداس وميامر ورسائل . ولم يصلنا منها سوى بعض تسابيح وستّ رسائل كتبها الى مار اقاق الجاثليق . وقد طبعها العلامة شابو في كتاب السنهادوسات (٦

---

١) انّ هذين الميمرين طُبعا مع جملة ميامر نرساي في الموصل سنة ١٩٠٥ طالع المجلّـد ١ ص ٢١٠ والمجلد ٢ ص ٣٥٣

٢) ماري بن سليمان طبعة جيسموند ص ٤٤ وكتاب التواريخ السعرديّ

٣) كتاب السنهادوسات طبعة شابو ص ٥٣٤–٥٣٥

٤) كذا ص ٣١٢

٥) قوانين مدرسة نصيبين

٦) عن برصوما طالع السمعاني المكتبـة الشرقيَّة ٣ : ١ ص ٦٦–٧٠ : ٣٩٣ . وكتاب التواريخ السعرديّ وعمرو وماري طبعة جيسموند في ترجمتي بابوي واقاق : وابن العبري . تواريخه الكنائسيّ : القسم الثاني وكتاب السنهادوسات ص ٣٠٨ و٥٣١–٥٣٩ . L'Ecole de Nisibe, etc.: B. Duval, Litt. Syr. p. 343-346. J. Labourt, le Christianisme dans l'Empire Perse: 1904, p. 130-152.

كان برصوما فعالًا ذا عقل ثاقب . وعلى ايامه كانت قوانين المدرسة تمشي على احسن ما يُرام ولكن من بعد وفاته بدأ التلاميذ ان يستخفوا بالقوانين التي رسمها . فوقع بسبب ذلك خلف ونزاع عظيمان في المدرسة . فتقدم بعض التلامذة الغيورين الى هوشاع خليفة برصوما وطلبوا اليهِ ان يضع لهم قوانين جديدة . فاشار عليهم ان يستشيروا نرساي الملفان ويونان كاتب المدرسة ويُجمعوا رايهم على القوانين التي يستنسبونها . فلبّوا امره ورسموا واحدا وعشرين قانونًا كلفوا انفسهم بحفظها . وكان ذلك في ٢١ تشرين الاول سنة ٤٩٦ . وهذه القوانين وصلتنا وهي محفوظة في كتاب السنهادوسات وقد طبعها العلامة كيدي سنة ١٨٩٠ مع القوانين التي وضعها مار شمعون مطران نصيبين سنة ٥٩٠ (١

قال برحد بشبّا ان تلامذة كثيرين قصدوا نرساي من كلّ جهة ليس فقط من السريان والفرس القريبين بل من الذين كانوا في مدرسة الرها ايضًا . وقال عنهُ كتاب التواريخ السعردي أنهُ علّم في نصيبين اربعين سنة . وكذا يقول ماري بن سليمان في كتاب المجدل . واما ابن العبري فيقول انهُ علّم خمسين سنة . والارجح هو قول برحدبشبّا انهُ علّم في مدرستهِ الجديدة خمسًا واربعين سنة . فعلى هذا النسق تكون وفاتهُ سنة ٥٠٢ لانّ خروجهُ من الرها كان سنة ٤٥٧ . ودُفن في نصيبين في الكنيسة التي عُرفت باسمه

انّ نرساي هو من اشهر ملافنة السريان وشعرائهم وفي قصائده تلوح الحرارة والعلم غير انّ قصائد مار افرام تفوقها عذوبةً وجودةً . وكلاهما يسهبان في الكلام كما انتقد عليهما المستشرقون . فالكلدان النساطرة يسمّون مار نرساي كنارة الروح القدس ولسان المشرق وشاعر الديانة المسيحية وملفان الملافنة ويحسبونهُ قديسا ويعملون تذكارهُ مع مار افرام في الجمعة الخامسة من الدنح وينسبون اليه معجزات كثيرة منها أنهُ بصلواتهِ ابطل الوبأ الذي كان يفتك باهالي نصيبين . وكان اذ فسّر الكتاب يحضرهُ ملاك فيلقنهُ ما يقول (٢

---

١) Gli statuti della scuola di Nisibi, éd. Guidi : Giornale della Societa Asiatica italiana, vol. IV, p. 165-195.

٢) ماري بن سليمان ص ٦[illegible]

قال كتاب التواريخ السعرديّ : « ان نرساي صنّف ثلثمائة وستين ميمراً على عِدد ايام السنة في اثني عشر كتاباً ناقض فيها يعقوب السروجي وكشف عوار مذهبهِ . والف كتاباً في قبح التدبير ذكر فيهِ ما يفعلهُ كهنة المراطقة ورهبانهم . وفسر التوراة ويشوع بن نون وسفر القضاة والجامعة واشعيا والاثني عشر نبيًّا وحزقيال ودانيال وصنّف ميامر للتعزية . ولما خرج من الرها أحرق المخالفون كتبهُ بل بعضها » . وقال عبد يشوع الصوباوي أنهُ الف ايضاً ليتورجية وتفسيراً للقداس والعماذ وتراجيم وتسابيح وأدعيــة ولهُ اقوال حكميّة (١ . ولم يصل الينا من تاليفاتهِ سوى بعض الاناشيد ونحو ثمانين من ميامرهِ . وقد طُبع بعضها في هذه السنة بمطبعة الآباء الدومنيكيّين بالموصل

و يوجد بعض الاناشيد (ܣܘܓܝܬܐ) ملحقة على ميامر نرساي وهي بصفــة محاورة بين شخصين او اكثر . ومنها هذه : الملاك ومريم . المجوس ومريم : يوحنا المعمدان والمخلّص . يوحنا والجموع : نسطوريس وقورلّس . الملاك واللص الى غير ذلك

انّ القس الفونس منجنا في مقدمة ميامر نرساي ادّعى ان هذه الاناشيــد ليست من تاليفات نرساي . ومما أورد لاثبات زعمهِ قولهُ : « انّ الانشاء الذي فيهـــا لا يشبه انشاء نرساي : وان عبد يشوع الصوباوي لم يقل عن نرساي انهُ الف ܣܘܓܝܬܐ وان بعضاً منها موجودة في كتاب فرض السريان الغربيــيّن باسم مار افرام وأنّ سوغيثة مار ايليا الحيريّ والملاك مع كونها منسوبة الى نرساي لم تؤلّف الا بعد الجيل السابع لانّ ايليا الحيريّ كان في بداية الجيل السابع »

وعليهِ نقول : انّ الصوباوي ذكر جميع التاليفات التي الفها نرساي باسماءها ولم يذكر اسم ܣܘܓܝܬܐ . لكون هذه السوغيثات قطعة من ميامر نرساي فسكت عنهـــا . وأما الانشاء في هذه السوغيثات فهو شبيه بانشاء نرساي فانّ القس الفونس نفسهُ يقرّ و يثبّت انهُ من خواصّ كلام نرساي ان يُعيد اللفظة التي بها ختم البيت من شعرهِ في بداية البيت الثاني وانهُ يستكثر من المتضادّات في كلامهِ كقولهِ : كان يُؤكل (الطعام)

---

١) عن نرساي طالع ايضاً السمعانيّ ٣ : ١ ص ٥٥ والفونس منجنا . مقدّمة ميامر نرساي Wright, Syriac literature, p. 58 ; B. Duval, Litter. Syr. p. 346-347 ; Chabot, L'Ecole de Nisibe etc., p. 8-10 .

وهو لا يمكن الكلام. فنقول ان من طالع مؤلفات نرسي يرى فيها هذين النوعين من الكلام. الا ان هذا الفن يكثر ذلك على لسان الشخص الثاني باقوال الشخص الاول. وهاك بعض الامثلة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وكانت [illegible] نرسي عن [illegible] الغربيين [illegible] شيئا من تأليفات نرسي في كتبهم [illegible] موجودة بينهم [illegible]

(١) [illegible] نرسي [illegible] ص ٢٨٧

(٢) ص ٢٧١ (٣) ص ٣٨٣ (٤) ص [illegible] (٥) ص [illegible]

(٦) ص ٢٧٣ (٧) ص ٢٩٣

الحلقيدونيّ لا بل كانت اكثر شدَّة كما يتَّضح من كتب اليعاقبة والحال انَّ اليعاقبة ادخلوا شيئًا كثيرًا في طقسهم من تاليفات مار اسحق الكبير ومار يوحنا الدمشقي. وكذلك ان ابن العبري ادخل قطعاً كثيرة من تاليفات النساطرة في كتابهِ المعروف بالإيثيقون (١ . وكذلك النساطرة مع كونهم كانوا يبغضون بغضاً شديداً يعقوب السروجي اليعقوبيّ فقد ادخلوا شيئًا من تاليفاته في طقسهم من ذلك ܕܠܦܝܘܬܐ التي تقال في طقس ܫܘܚܠܦܐ ܕܡܘܬܢܐ والتي بدؤها : ܢܗܘܐ ܕܠܝܠܝܐ ܦܬܓܡܐ

وأما السوغيثة اي المحاورة بين مار ايليا والملاك فيكون قد ألَّفها احد الكتبة على نسق سوغيثات مار نرساي وأدرجها في ميامرهِ. ومما يثبت ذلك عدم وجودها في كل النسخ

٣ في رياسة اليشاع بَرْ قوزبايي

خلف نرساي في رياسة المدرسة اليشاع بَر قوزبايي (ܒܪ ܩܘܙܒܝܐ) سنة ٥٠٢ وتوفّي سنة ٥٠٩ بعد ان علَّم في المدرسة سبع سنوات وكان رجلًا عالمًا جليلًا ولهُ تاليفات شتى وكتب ضدّ المجوس وضدّ الهراطقة وفسَّر كل الكتاب المقدَّس (٢ . وعبد يشوع الصوباوي يلقبهُ بالمفسّر (ܡܦܫܩܢܐ) ويقول عنهُ انهُ فسّر ايوب ورسائل بولس الرسول وألَّف مقالةً في سبب القعود (٣ (في المدارس) ومقالة أُخرى في عيد الشهداء ولهُ ايضًا تشكرات وميامر (٤

وأما تواريخ مكتبتنا السعردية فيجعل لهُ فصلًا عنوانهُ: «خبر اليشاع الملفان مطران نصيبين». وهاك صورتهُ: «أمر قباذ ان يذكر اهل كل دينٍ ومقالةٍ ممن في مملكتهِ

---

١) كتاب ايثيقون طبعة بيجان ص ١٠ و١٠٣ و٢٤٩ و٣٠٥ و٣١٢ و٣٣٢ الخ الخ
٢) برحد بشبا عربايا
٣) طالع الفصل الاول من هذا الكتاب الحاشية الاخيرة
٤) المكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ١٦٦ ظنّ السمعاني ان اليشاع هذا الذي ذكرهُ الصوباويّ هو اليشاع الجاثليق (٥٢٣-٥٣٩) مع انهُ ما من احد يذكر ان اليشاع الجاثليق كان مفسّرا وانهُ ألَّف كتباً

اعتقادهم في كتاب يعرضونهُ عليهِ . فلم يتفرَّغ أَقاق الجاثليق (١ لذلك لتشاغلهِ بتدبير امور البيعة . وكتب الى ايلشع المفسّر بنصيبين وهو احد الاسكلانيين الذين خرجوا مع نرسي من الرها يسأَلهُ ان يعمل كتابًا يظهر فيهِ حقيقة ديانة النصرانية وصحتها . فاجابهُ وعمل كتابًا ضمَّنهُ الامانة الصحيحة يشتمل على ثمانية وثلثين مقالة وتكلم فيها على الجوهر الالهي وعلى التثليث وما خُلق في الستة الايام وصنعة الانسان وخلق الملائكة وهبوط الشيطان ومجيء سيّدنا آخر الزمان . وانفذهُ الى اقاق فنقلهُ الى الفارسية وعرضهُ على قباذ فاستحسنهُ وفضلهُ على سائر ما حضرهُ من المقالات (٢ وقد عمل هذا الملفان تفسير معاني رسائل فولوس كلها وتفسير ايوب وايشوعبرنون وسفر القضاة وتمام شموئيل بعد الدعاء الذي عملهُ المفشقان (٣ ومعاني سفر الملوك (٤ وسبب وضع الموتب في الاسكول (٥ » اه

ان كتاب التواريخ السعرديّ الذي منهُ نقلتُ هذه الاسطر يقول ان اليشاع هذا صار مطرانًا على نصيبين . ومثلهُ يزعم ماري بن سليمان في كتاب المجدل . أَما برحد بشبًّا فيؤكد انهُ لم يصِر مطرانًا ابدًا . واني ارجّح كلام برحد بشبًّا على كلام الكتابين المذكورين . فان هذا الكاتب الجليل كان من عائلة اليشاع ومن تلاميذ مدرسة نصيبين وكتب مقالتهُ في نهاية الجيل السادس نفسهِ . فتكون اذًا المشابهة التي بين اسم هوشاع واسم اليشاع ومعاصرتهما وسكناهما في مدينة واحدة قد حملت ماري بن سليمان ومُؤلف كتاب التواريخ السعردي على ان يخلطا بينهما ويجعلاهما شخصًا واحدًا

---

١) انّ اقاق ايضاً كان من تلاميذ مدرسة الرها وصار جاثليقًا سنة ٤٨٤ وتوفي سنة ٤٩٦

٢) طالع ايضا ماري بن سليمان طبعة جيسموند ص ٤٦

٣) ܡܦܫܩܢܐ اي المفسّر يريد بهِ تاودوروس المصيصيّ

٤) لعلَّ الصوباويّ لم يَرَ تآليف اليشاع هذه ولاجل ذلك لم يذكرها . وقد سبق الكلام ان برحد بشبًّا يقول عنهُ انهُ فسَّر الكتاب المقدَّس كله

٥) تعريب ܥܠܬܐ ܕܣܝܡ ܡܘܬܒܐ ܕܐܣܟܘܠܐ اي سبب وضع الجلوس في المدارس (طالع الفصل الاوَّل الحاشية الاخيرة من الكتاب)

٤ في رياسة ابرهام دي بيت ربّان وفي تلاميذهِ

وقام بعد اليشاع برياسة المدرسة مار ابرهام سنة ٥٠٩ . وهو من قرابة مار نرساي وكان يخدمهُ في قلايتهِ . وقيل ان اسمهُ كان قبلًا نرساي مثل معلمه . وان معلّمهُ بدلهُ ودعاه ابرهام . وكذلك يوحنا دي بيت ربّان كان يدعى ابرهيم . ولما اتى الى المدرسة سمّاهُ يوحنا ليمتاز عن رفيقهِ (١ . هذا وان ابرهام ويوحنا أُطلق عليهما لقب دي بيت ربّان (ܕܒܝܬ ܪܒܢ) اي من بيت معلّمنا نسبةً الى نرساي لانهما كانا من قرابتهِ

وقام ابرهام بوظيفتهِ بدقّةٍ ونشاطٍ استلفت اليهِ نظر الجميع . فصار لهُ تلاميذ كثيرون . وقيل انّ عددهم بلغ الالف (٢ . وتلاميذه الذين اشتهروا اكثر من غيرهم والذين حفظت لنا التواريخ أَسماءَهم : مار آبا الكبير وابرهام الكشكريّ وايشوعياب الارزنيّ وابرهام النصيبينيّ وبرعدتا ويونان ويوسف الاهوازيّ وداديشوع وسبريشوع الجاثليق وغريغوريوس مطران نصيبين وغيرهم . ولناخذ بالكلام عن كل واحد منهم

١ً كان مار أَبا الكبير مجوسيًا وتنصّر باعجوبة ربانية . واعتمد في الحيرة . ثم قصد مدرسة نصيبين . ولازم معنا الذي صار اسقفًا على مدينة ارزون . وتعلّم في اسرع وقت حتى جعلهُ معلمهُ مار ابرهام مفسرًا . ثم خرج الى الرها حيث تعلّم اللغة اليونانية من توما الرهاويّ فصار يحسن الفارسية والسريانية واليونانية . ثم قصد مدينة قسطنطينية . وكان فيها في تلك الاثناء علماء أُخر من الشرقيين منهم بولس اسقف نصيبين كما سنرى في الفصل الآتي . ورافقهُ توما الرهاوي ايضًا . وكان سفر مار أَبا الى عاصمة المملكة الرومية بين سنة ٥٢٥ وسنة ٥٣٣ . وقد ذكرهُ الكاتب قزما انديكوبلستيس (Indicopleustes) في كتابهِ المعروف بالتوفوغرافية المسيحية . وهذا نصّ كلامهِ : « اني أَخذتُها (هذه المعلومات) من الرجل الالهي والملفان العظيم

---

١) برحد بشبّا عربايا
٢) كتاب التواريخ السعرديّ

باتريكيوس (١ الذي اقتداءً بابرهيم اتى من عند الكلدانيين مع توما الرهاويّ . وكان توما يدرس حينئذٍ اللاهوت ويصحبه اينما ذهب وقد توفي الآن بارادة الله في بيزنطية . واني اختبرت تقواهُ وعلمهُ المستقيم . وهو الذي قد ارتقى الآن بنعمة الله الى كرسي مطرنة فارس العالي فصار اسقفًا جاثليقًا »

ويقول كتاب التواريخ السعرديّ : « ان مار آبا وتلميذه لما مضيا الى القسطنطينية أظهرا فيها علومهما . وانتهى خبرهما الى يوسطانس الملك . فامر ان يُطالبا بلعن الآباء الافاضل ديودوروس وتيادوروس ونسطوريس . فامتنعا من ذلك واحتالا حتى هربا وقصدا نصيبين . فاشار مار ابرهام الى اهل نصيبين فاجتمعوا الى مار آبا وسألوهُ ان يتقلّد التعليم والتفسير والخطبة في الكنيسة »

ثمّ انطلق الى المدائن فانتخبهُ الجميع ليكون معلّمًا للعالمين (٢ في مدرستها (٣ . وفي تلك الاثناء بطلت مدرسة نصيبين مدّة سنتين وذلك بامر الملك كسرى انوشروان . فانتقل كثير من تلامذتها الى مدرسة المدائن ولا بدّ من ان اغلبهم لئلا نقول كلهم كانوا من تلاميذ مار آبا اذ كان يُعلّم في نصيبين . ولما فُتحت مدرسة نصيبين رجع اليها بعضٌ منهم وبقي الآخرون في المدائن منهم يسى ورامیشوع (٤

وأما تلاميذ مار آبا الاكثر شهرةً والمعروفة أسماؤهم فهم نرساي ويعقوب وبولس وحزقيال وقيورا وراميشوع وموسى وبرشبّا وداود وشوبحالماران وتوما الرهاويّ وسرجيس ويعقوب . واكثرهم صاروا اساقفة على مدن مختلفة فصار نرساي اسقفًا للانبار ويعقوب لكرخ ساوخ وبولس لنصيبين وراميشوع للانبار (٥ وموسى لكرخ السوس وبرشبّا

---

١) انّ اليوناني Πατρίκιος يقابل السرياني ܡܪ ܐܒܐ اي الاب

٢) عمرو بن متى ص ٤٠

٣) انّ مدرسة المدائن كانت موجودة من قبل . فان يسّى الملفان الذي صار مفسّرًا في تلك المدرسة على ايام معلّمهِ مار آبا يقول في مقالتهِ في تذكار الشهداء : انّ ابرهام الملفان كان فيها معلّمًا من قبل . وابرهام هذا لعلّهُ ابرهام برليفه الذي ذكرهُ الصوباويّ وقال عنهُ انهُ الّف ܦܘܫܩܐ ܕܡܟܬܒܢܘܬܐ

٤) كتاب ميامر نرساي المقدمة ص ٣٨

٥) يكون قد صار اسقفًا بعد وفاة نرساي اسقفها

لشهرقرد وداود لرو وشوبحالاران تكشكر وحزقيال الزوابي ثم صار جاثليقا سنة ٥٦٧ . وقيورا صار معلما في الحيرة ومرجيس في حزة بجانب اربيل (١ . ويقول عنهم الصوباوي أن لهم تفسير سفر دانيال ومداريش . ولا بدّ من ان واحداً من هؤلاء هو الذي كتب قصّة مار آبا معلّمهِ (٢

وأَما توما الرهاويّ فكان مسقط راسهِ الرها . وهو الذي علَّم مار آبا اللغة اليونانية وقد تعلَّم وعلَّم ايضاً في مدرسة نصيبين كما يشير الى ذلك قيورا الرهاوي في مقالتهِ في الصوم وفي الفصح ويُسميهِ ربّان اي معلّمنا . ويقول عنهُ انـهُ كان بعزمه ان يؤلف مقالات لجميع الاعياد كما الّف لعيدَي الميلاد والدنح ولكن المنيّة خطفتـهُ قبل ان ينجز وعدَهُ . وقد سبق الكلام انهُ توفّي في القسطنطينيّة . وعن تاليفاتهِ يقول الصوباوي « انهُ الَّف مقالةً في عيد الميلاد ومقالةً أُخرى في الدنح ورسالةً في الالحان ([illegible]) وفنَّد علم التنجيم وكتب ايضاً تعازي وجدالاً مع المراطقة (٣ » . ولكني لم أَرَ من تاليفـات توما الرهاوي سوى مقالتَيهِ في الميـلاد وفي الدنح وهما محفوظتان في كتاب في مكتبتنا السعردية معروف بكتاب [illegible] يحوي مقالات أُخرى كثيرة في الاعياد تاليف يسَّى وميخائيل باذوقـا وفوسي وقيورا الرهاوي وحنانا الحديابيّ . وكل من هاتين المقالتين مقسومة الى احد عشر فصلاً . وفي مقدمتيهما يخاطب موسى القريان (٤ ([illegible]) أنهُ على طلبهِ وعلى طلب التلاميذ يُدوّن هاتين المقالتين في بطون الاوراق وأنـهُ وان كان يكتبهما مثلما علَّمها مار آبا المفسّر (ܐܝܟ ܕܐܠܦܗ ܡܪܝ ܐܒܐ ܡܦܫܩܢܐ) لكنهُ لا يمكنهُ الاَّ ينقّص منهما شيئاً

وقيورا الرهاوي كان من الرها كما يدل على ذلك عنوان مقالاتهِ . ودرس في مدرسة نصيبين كما يقول هو نفسه في مقالتهِ في الفصح . ثم رافق مار آبا الى المدائن وصار

١) عمرو بن متّى ص ٤٠ وكتاب التواريخ السعردي
٢) طالع قصتهُ التي طبعها بيجان ص ٢٠٩ و٢٧٤
٣) في المكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٨٦
٤) لعلَّهُ هو الذي تلمذ مار آبا وكان يُدعى ايضاً يوسف (قصّة مار آبا ص ٢١١)

معلّماً في مدرسة الحيرة · وهو الذي حمل جسد هذا الجاثليق الجليل الى الحيرة وقبرَهُ فيها وبنى عليهِ ديرًا (١ · ويقول عنهُ الصوباوي أنهُ ألَّف كتاب ܥܠܬܐ ܕܥܐܕܐ « علة الاعياد » وتفاسير وتراجيم (٢ · والتالات التي أَلَّفها هي في الصوم والفصح وجمعة الآلام والقيامة والصعود والنطقوسطي · وكل منها مقسومة الى فصول بعضها الى سبعة وبعضها الى ثمانية ومنها الى تسعة ومنها الى اثني عشر · وقد كتبها في نصيبين على طلب شمعون وآبا وبختيشوع الشمامسة الملافنة · وكلامهُ فصيح بليغ فلسفيّ

ورامیشوع الذي حلّ محل مار آبا الى المدائن صار مفسرًا في مدرستها ثم نصب اسقفًا على الانبار كما يقول عنهُ كتاب التواريخ السعردي · ويقول عنهُ ايشوعياب بن ملكون في كتابهِ المعروف بكتاب الايضاح في النحو الآرامي انـه كان لهُ تآليف في النحو السرياني (٣

ويسَّى لهُ مقالة في تذكار الشهداء · وهي مقسومة الى تسعة فصول · وكتبهـا على طلب قيريس الكاهن ويوحنا وكيل المدرسة (ܪܒܝܬܐ) الملفان وعاش يسى الى سنة ٥٦٧ (٤

وسرجيس ملفان حزة فسّر نبوّات ارميا وحزقيال ودانيال (٥

وموسى اسقف كرخ السوس أَلَّف كتاباً عُرف باسمِ (٦ · وقال ايليا الدمشقي ان موضوعه كان حُسن الاخلاق (ܫܘܦܪ ܕܘܒܪ̈ܐ)

---

١) تواريخ الكنيسة السعردية

٢) في المكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ١٧٠

٣) وهذا نصّ كلامهِ : ووقفتُ على ما وقع اليَّ من تصانيف القدماء في ذلك (اي في النحو السرياني) مثل مَر اليا الجاثليق الكبير الطيرهاني ومَر يشوعبرنون بما يليف (كذا) ومر اليا النصيبينيّ قدَّس الله اروحهم (ارواحهم) . وحنين ابن اسحق ويعقوب الرهوي ويوسف الأَهوازي وعنانيشوع ورامیشوع ويعقوب بن اسحق وغيرهم . . . وأمّا يوسف الأَهوازيّ وعنانيشوع ورامیشوع وباقي المشارقة فانهم ذكروا الفجام ونقط القرآءة والاسماء المتشابهة وغير ذلك

٤) كتاب التواريخ السعردي

٥) الصوباويّ في المكتبة الشرقية ٣ : ١ : ١٧١

٦) كذا ص ٢٧٦

وبقي مار آبا يعلّم في مدرسة المدائن نحو خمس او ست سنين (١وفي تلك الاثناء مات بولس الجاثليق. فانتُخب مار آبا مكانهُ سنة ٥٤٠ . واخذ يفنّد بكتاباتهِ وكلامهِ ديانة المجوس فاحتدَّ عليهِ كسرى انوشروان ونفاهُ الى اذوربيجان حيث بقي محبوساً سبع سنوات. ثم رجع الى المدائن. فقُبض عليهِ وأُلقي في السجن. ثم أُطلق سبيلهُ ولكن الاوجاع اشتدَّت عليهِ فسقط تحت ثقلها. وكانت وفاتهُ سنة ٥٥٢ . ونقل قيورا تلميذهُ جسدهُ الى الحيرة وبنى على قبرهِ ديراً

ان آبا هو من اعظم بطاركة المشرق نشاطاً وهمةً فانّ رخاوة السيرة كانت قد دخلت في الكنائس وكثرت فيها العوائد السيّئة منذ عهد برصوما ولاسيما على ايام نرساي واليشاع الجاثليقين ووقع الخلف والشقاق بين الاساقفة والمؤمنين. فبذل مار آبا كل سعيهِ في اصلاح احوال الكنائس وصرف همتهُ في وضع اساقفة حكماء صالحين ورسم لهم ضوابط وقوانين. واحتمل لذلك مشقّات عديدة وباشر اسفاراً طويلة. فنجح نجاحاً تامّاً . ونقرا في قصته (٢ : انهُ كان يكتب في الليل رسائل الى كل البلاد التي تحت رعايتهِ. وكان في النهار الى الساعة الرابعة مشغولاً في تفسير الكتب المقدَّسة. ومن الساعة الرابعة الى المساء كان يسمع دعاوي المؤمنين والصائبين

ومع هذا كلهِ قدر آبا الجاثليق ان يُؤلّف عدَّة تآليف جليلة وقد ذكرها عبد يشوع الصوباوي ومُؤلف كتاب التواريخ السعردي وهي الآتية : ترجمة العهد القديم من اليوناني الى السرياني وتفسير سفر التكوين والمزامير والامثال ورسائل بولس الرسول. وقوانين المزامير وميامر وتراجم ورسائل سنهادوسيّة وقوانين بيعية وتسابيح

اما قوانين المزامير فمكتوبة في كتاب المزامير بموجب الطقس الكلداني وهي خشوعية. ولكل مزمور قانون يقال عند الآية الاولى او الثانية منه. ورسائلهُ السنهادوسية مع القوانين البيعية طبعها العلامة شابو في كتاب السنهادوسات النسطورية. وبعض من الاناشيد التي الّفها موجودة في كتب صلواتنا وهي خشوعية

---

١) مارى وعمرو في كتاب المجدل . وكتاب التواريخ السعرديّ وقصتّهُ التي طبعها بيجان J. Labourt. Le Christianisme dans l'Emp. Perse, p. 163-191

٢) ص ٢٢٦

جدًّا · اما تفسيرهُ للكتب الالهية فلم يصلنا منهُ سوى بعض القطع في كتاب جنّة النعيم وغيرهِ من الكتب الحاوية تفسير الكتاب المقدَّس · ومنها يبان انهُ كان كاتبًا نحريرًا

٢ً وابراهام الكشكري درس اولاً في بلدهِ كشكر · ثم انطلق الى الحيرة حيث تلمذ جمًّا غفيرًا من اهاليها · ثم زار اديرة مصر · وفي رجوعهِ انكبَّ على الدرس في مدرسة نصيبين · ثم انقطع الى مغارة في جبل الازل لخدمة الله واجتمع اليه اخوة كثيرون · وبنى هناك ديرًا صار من أجلّ الاديرة الشرقية حتى انهُ أُطلق عليهِ اسم الدير الكبير · وهو الذي رجَّع السيرة الرهبانية الى بهائها الاول وصار ابًا للرهبان وتتلمذ لهُ كثيرون شيَّدوا في المشرق اديرةً لا تُحصى (١ · وقد وصلتنا القوانين التي رسمها لرهبانهِ سنة ٥٧١ وقد طبعها العلامة شابو · وتوفي مار ابرهام سنة ٥٨٨ (٢

وابرهام الكشكري هذا ليس كما قال السمعاني (٣ آبا الكشكري الذي ذكرهُ الصوباوي وقال عنهُ انهُ الف تفاسير ورسائل وكَتَب شرح فلسفة اريسطوطاليس · فان آبا الكشكري (ܐܒܐ ܟܫܟܪܝܐ) كان معاصرًا لمار سبريشوع وغريغوريوس الجاثليقين (٥٩٦—٦٠٩) وكان بخدمة كسرى الملك (٤

٣ً ان سيرة بَرْعِدتا محفوظة في دير السيّدة للكلدان · وكان من قرية رصفا على شاطئ الفرات · ولما مات ابواه اخذتهُ اختهُ حانه يشوع (ܚܢܢ ܝܫܘܥ) وسافرت بهِ الى نصيبين ووضعتهُ في المدرسة · فلزم ابرهام الكشكري وترهّب معهُ في جبل

---

١) كتاب العفّة العدد ١٤ · وتوما المرجي طبعة بيجان ص ١٠—١١ · وكتاب التواريخ السعردي

٢) هذا التاريخ موجود في كتاب الاحكام الكنائسية تاليف عبد يشوع الصوباوي

٣) المكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ١٥٤

٤) كتاب التواريخ السعردي · وهذا كلامه : « آبا · من كان في خدمة كسرى من النصارى · مار آبا من اهل كشكر · وكان اولهم والمتقدم والخصيص · وكان عالمًا بالفلسفة والنجوم والطبّ عالمًا بلسان الفارسية والسريانية واليونانية والعبرانية · وعمل كتبًا كثيرة وفسّر احرفًا لم تكن فسّرت من العبرانية الى السريانية · فانفذه كسرى الى موريقي · وما زال يقوم بامور البيعة في ايام مر سبريشوع وايام جريغور »

الازل. ثم اتى الى بلاد نينوى وتبعتـهُ اختهُ ايضاً. وبنى ديرًا اجتمع اليهِ اكثر من اربعمائة راهب. وبنت اختهُ ايضاً ديرًا للنساء وسمتهُ باسم فيرونيا الشهيدة. ونقرا في سيرته انهُ كتب احتجاجاً عن الديانة النصرانية. اما ما قالهُ عنهُ هنري كوسين وروبانس دوفال ورويكت وغيرهم انهُ كتب كتاب التواريخ فلا صحة لهُ. فانهم قد اسندوا قولهم هذا الى ما قال عنهُ توما المرجي انهُ علم من قصة برعدتا (ܡܢ ܬܫܥܝܬܐ ܕܐܒܘܗܝ ܕܒܪܥܕܬܐ) ان سهدونا كان من قرية هلمون (١. والمراد من قول توما المرجي ليس ان برعدتا كتب قصَّةً ما بل انهُ قرأ ذلك في ترجمتهِ. وبالحقيقـة ان سيرة برعدتا تتكلَّم عن سهدونا

٤ ويونان كان مماوكاً لبعض المجوس في بـلاد حدياب ثم أُعتق على اثر معجزة ظهرت منهُ. وقصد مدرسة نصيبين. وترهب في جبل الازل على يد داديشوع خليفـة ابرهام الكشكري. ثم رجع الى بلاد حدياب وبنى هناك ديرًا (٢. وداديشوع المذكور درس ايضاً في المدرسة ذاتها. وكان من بلاد الاراميين وخلف ابرهام في رياسة الدير سنة ٥٨٨ (٣. وعمل قوانين لرهبانهِ وقد طبعها العلامة شابو. وتوفي داديشوع سنـة ٦٠٤ (٤

ان السمعاني (٥ ومعهُ المستشرقون ظنوا ان داديشوع هـذا هو داديشوع الذي يذكرهُ الصوباوي وينسب اليه كتاب تفسير فردوس المغربيين وتفسير كتـاب الانبا اشعيا وغير ذلك من الكتب الروحية. لكن الامر بعكس ذلك. فـان داديشوع صاحب هذه التأليفات كان من بلاد القطاريين وكان يعيش في اواخر الجيل السابع كما يتضح ذلك مما يقولهُ في كتابه الذي فسَّر فيه كتاب الانبا اشعيـا. وهو محفوظ في مكتبتنا السعردية

١) كتاب توما المرجي ص ٣٦ و٥٣
٢) كتاب العفَّة العدد ٢٧ وكتاب التواريخ السعردي
٣) كتاب توما المرجي ص ١٢ وكتاب العفة العدد ٣٨ وكتاب التواريخ السعردي
٤) كتاب التواريخ السعرديّ في ترجمة باباي الكبير
٥) المكتبة الشرقية ٣: ١ ص ٩٨–٩٩

٥ً واما ايشوعياب الارزنيّ وابرهام النصيبيني وسبريشوع الجاثليق وغريغوريوس المطران فسيأْتي ذكرهم

٦ً واما يوسف الاهوازي فلم يصِر مفسّرًا في المدرسة ولا رئيسًا عليها كما ظنّ الجميع. فان برحد بشبّا لم يذكر اسمهُ بين الرؤساء. وانما كان مُقرّئًا فيها كما يتضح ذلك من عنوان كتاب النحو السرياني الذي أَلَّفهُ هو. والعنوان هو هذا: ܡܐܡܪܐ ܕܐܗܘܙܝܐ ܪܒܢ ܡܪܝ ܝܘܣܦ ܩܕܝܫܐ ܡܩܪܝܢܐ ܕܒܝܬ ܪܒܢ ܡܪܝ ܢܪܣܝ ܕܥܠ ܝܘܠܦܢܐ ܕܒܪ ܡܦܩܢܘܬܐ. وهذا تعريبهُ: مقالة ربّان مار يوسف الاهوازي القديس المقرّئ في مدرسة ربّان مار نرساي في النحو. وهذه المقالة محفوظة في كتابين في القلاية البطريركية في الموصل وفي مكتبة برلين. وهو اقدم تأليف وصلنا في النحو السرياني. وأَلَّف ايضًا يوسف مقالةً في الاسماء المتشابهة. وقال عنهُ ماري بن سليمان (١ انهُ اخترع تسع فوحامات (٢ «اي محددات»

قال ابن العبري في كتاب النحو: «ان يوسف الاهوازي قلب اللفظ الغربي الى اللفظ الشرقي. وكان السريان الشرقيون يلفظون السريانية ويقرأونها من قبل مثلنا». غير ان ابن العبري متوهم غاية التوهم في هذا الامر وقد فنَّدهُ علماء الموارنة والمطران يوسف اقليمس داود وثبَّتوا براهين قاطعة ان طريقة الشرقيين افصح واقدم. فلا حاجة الى ذكر ذلك (٣. هذا ما كان من امر تلاميذ مار ابرهام دي بيت ربّان

(١ طبعة جيسموند ص ٤٥

(٢ ܦܘܚܡܐ هي نقط كبار او خطيطات لتسهيل القراءة

(٣ انّ هذا الاختلاف الموجود في اللغة الارامية بين الغربيين والشرقيين ليس كما قال المطران اقليمس يوسف داود جاريًا مجرى سائر الاختلافات التي ترى في كل زمان وكل مكان بين اهل بلد واهل بلد آخر في التكلم وشكل الصورة وغير ذلك بل نقول انهُ هو من صنيع تعمده بعض العلماء من السريان الغربيين والا لما كان اهل مدينة واحدة بعضهم يلفظون السريانية لفظ الشرقيين وبعضهم لفظ الغربيين. وانّ اعظم واقطع دليل على ذلك هو انّ الغربيين يلفظون بدون خلاف كحرف o الافرنجي ليس فقط الزقاف الذي في الالفاظ السريانية بل الزقاف الذي في الكلمات الاعجمية ايضًا وكذا ايضًا جعلوا الرواح الذي فيها رباصًا بقياس مطرّد فقالوا مثلًا [illegible] الخ الخ الخ...

واما يوحنا دي بيت ربّان فلم يقم هو برياسة المدرسة كما قال بعض الكتبة بل كان معضدًا لمار ابرهام كما يُوكد برحد بشبّا عربايا الذي يثني عليهِ كل الثناء وهذا كلامه : « ان ليوحنا افضالًا كثيرة على المدرسة. لا بل واذا قلنا الحق فانّ جميع الترتيبات الحسنة الموجودة في المدرسة هي منهُ. وفسّر هو ايضًا الكتب المقدسة ولهُ جدال مع اليهود والهراطقة. وكتب ايضًا ثلاث قصائد واحدة في انتصار كسرى الملك على مدينة نجران لانهُ كان على باب الملك بخصوص اشغال المدرسة والأُخرى في التوبة والثالثة في الوَبا. ولهُ تاليفات أُخرى. ومات في الوَبا العظيم. وبقي كل التعب على مار ابرهام » اه

ان الوَبأ الذي يتكلّم عنهُ برحد بشبّا هو الذي فتك فتكًا ذريعًا بالمشرق في ايام يوسف وحزقيال الجاثليقين (٥٥٢ — ٥٨٠) (١. وعن تاليفاتهِ يقول الصوباوي (٢ : « انه فسّر اسفار الخروج واللاويين والعدد وايوب ونبوة ارميا وحزقيال والامثال. وكتب ضد المجوس واليهود والهراطقة. وله قصائد في التوبة وفي موت كسرى وفي الوَبا الذي صار بنصيبين. وتعزيات شتى وكتاب الاسئلة في العهد القديم والجديد. وتسابيح ومداريش وتركيب القالات وعونيثات »

ان القصيدة التي يقول عنها الصوباوي ان يوحنا ألّفها في موت كسرى لعلها القصيدة التي قال عنها برحد بشبّا انها أُلفت في ضبط كسرى لمدينة نجران. فانّ كسرى انوشروان مات سنة ٥٧٨. واما يوحنا فيقول عنهُ برحد بشبّا انهُ مات قبل ابرهام

فجميع هذه الاسماء وغيرها هي بالعبرانية بلفظ الزقاف او كالفتحة وبلفظ الرواح اي كحرف o الافرنجي أي ܐܒܪܗܡ ܘܐܝܣܚܩ ܘܝܥܩܘܒ الخ. أفما لنا ان نستنتج من هذا أنّ الكتاب المقدّس لمّا تُرجم الى السريانية كان السريان الغربيون يلفظون الاراميّة لفظ الشرقيين وأنّ بعضًا من ايمتهم أمروا كلّما أتى الزقاف ان يُلفظ كحرف o الافرنجي وكلّما أتى الرواح ان يُلفظ كالرباص والا فكيف تشتمل هذه القاعدة الألفاظ الاعجميّة ايضًا

١) طالع عن هذا الوَبا كتاب التواريخ السعردي وكتاب المجدل في ترجمة حزقيال الجاثليق وتاريخ الدول السرياني تاليف ابن العبري. طبعة بيجان ص ٨٠–٨١ وقصص يوحنا اسقف أفسس. طبعة لاند ص ٣٠٤–٣٢٥

٢) في المكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٧٢

الذى قضى اجلهُ سنة ٥٦٩

ثم ان برحد بشبّا يستتلي كلامهُ ويقول: «انّ ابرهام دبَّر المدرسة ستين سنة (١ مواظباً على الصوم والصلوة ومحيياً الليالي بالمطالعة والتاليف ولم يزل يعلّم تفسير الكتب المقدسة. وله تفسير كتب الانبياء وابن سيراخ وايشوعبون والقضاة. واما الاتعاب التي احتملها من اجل المدرسة والابنية الكثيرة التي بناها واليد الطولى التي له عليها ليست محتاجة على كلامنا وهي اشهر من ان تُذكر. واستنارت كل ارض فارس بتعليمه. وولد اولاداً روحانيين لا يُعدّون ولا يُحصون. وذاع صيتهُ في مملكتي الفرس والروم معاً » اه

والصوباوي ينسب اليهِ ايضاً تفسير سفر الملوك ونشيد الانشاد ومقالةً في سبب الجلوس في المدارس مقسومة الى فصول (٢

٥. في رياسة ايشوعياب الارزنيّ وابرهام النصيبيني

وقام بعد ابرهام دي بيت ربّان باعباء رياسة المدرسة ايشوعياب الارزني سنة ٥٦٩. وكان من اهل باعربايا (٣. وكان عالما فاضلاً وعلّم مدة سنتين بكل دقة ونشاط. ثم انتُخب اسقفاً على ارزون. وبعد وفاة حزقيال صار بطريركا سنة ٥٨١ (٤. وكان مار ايشوعياب معزّزاً مكرّماً عند هرمزد الملك وكسرى الثاني ابنهِ. وكان

---

١) كذا يقول كتاب التواريخ السعرديّ ايضاً

٢) جاء في النسخة السمعانيّة: ܥܠ ܥܠܬܐ ܕܝܬܒܘܬܐ ܘܕܘܪܫܐ ܕܡܕܪ̈ܫܬܐ (المكتبة الشرقية ٣: ١ ص ٧١) وهو غلط ويجب ان يُقرأ: ܥܠ ܥܠܬܐ ܕܝܬܒܘܬܐ ܒܝܬ ܕܘܪܫܐ ܕܡܕܪ̈ܫܬܐ: كما أتى في جميع النسخ الاخرى وكذا ايضاً مكتوب في النسخة الحلالية التي طبعت في رومية سنة ١٦٥٣. فيكون اذا أحد النسّاخ قد قلب ܝܬܒ ܒܝܬ الى ܘܕܘܪ في النسخة السمعانيّة فصارت ܘܕܘܪ̈ܫܐ

٣) ܒܝܬ ܥܪ̈ܒܝܐ ليس المراد بهِ هنا جزيرة العرب بل البلاد الممتدة من نصيبين حتى الدجلة

٤) برحد بشبا عربايا

النعمان ابن المنذر ملك الحيرة الذي كان قد تنصَّر حديثًا يبجّلهُ و يوقّرهُ كثيرًا . وتوفي ايشُوعياب سنة ٥٩٦ . ودفنتهُ هند اخت النعمان المنذر في الدير الذي ابتنتهُ في الحيرة ويُعرف بدير هند (١ . ومن تاليفاتهِ اثنان وعشرون قانونًا عملها في السنة الرابعة من رياستهِ ليعقوب اسقف ديرين الجزيرة ضمَّنها ما يحتاج اليهِ في تدبير رعيتهِ وهي محفوظة مع اعمال وقوانين المجمع الذي عقدهُ سنة ٥٨٨ في كتاب السنهادوسات الذي طبعهُ العلامة شابو وهي تنطق بعلمه الواسع . ولهُ ايضا كتاب ردًا على اونميس وكتاب آخر ردًّا على اسقف هرطوقي ورسائل واحتجاج عن الديانة المسيحية (٢ وكتَب ايضًا تفسير المزامير وتفسير الاسرار الالهية وكتاب التعازي والتراجم (٣

ولما انتُخب ايشُوعياب اسقفًا خلفهُ في المدرسة ابرهام النصيبيني سنة ٥٧١ . ويقول عنهُ برحد بشبَّا انهُ كان رجلًا ذا همة عظيمة متفنّنًا في جميع العلوم غيورًا نشيطًا تقيًا نقيًا ولكن رياستهُ لم تدم الا سنة واحدة لان المنية اختطفته . ويلقبهُ الصوباوي بابن القرداحي (ܒܪ ܩܪܕܚܝܐ) (٤ ويقول عنهُ انهُ ألّف تراجم وتعازي وقصائد ومواعظ وكتب رسالةً ردًّا على واحد اسمهُ شيسبان

وفي ايام ابرهام دي بيت ربّان كان بولس تلميذ مار آبا الكبير اسقفًا على نصيبين ويكون جلوسهُ بين سنة ٥٢٤ التي فيها نرى سلفهُ كوسى جالسًا على كرسي نصيبين (٥ وبين سنة ٥٣٠ التي فيها نراه في التاريخ مطرانًا على نصيبين . لانهُ في نحو السنة

---

١) كتاب المجدل وكتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخيَّة التي في كتاب السنهادوسات الخ . ان ما أتى بهِ كتاب المجدل عن ذهاب ايشوعياب برسالة الملك هرمزد الى موريقي الملك يبان انهُ خالٍ من الصحَّة . فان كتاب التواريخ السعردي لا يذكر هذه الرسالة . فيكون كتاب المجدل قد نسب رسالة ايشوعياب الجدلي الى ملوك الروم الى ايشوعياب الأرزني

٢) عبد يشوع الصوباوي في المكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ١٠٨—١١١

٣) عمرو بن متى ص ٤٩

٤) في المكتبة الشرقيَّة ٣ : ١ ص ٢٢٣ . كذا يسميهِ ايضًا كتاب التواريخ السعرديّ في ترجمة حزقيال الجاثليق وهذا كلامهُ : « وفي هذا الوقت كان المفسّر بنصيبين ايشوعيب ثم ابرهيم بن الحداد وصار بعدهُ حنانا المفسّر الماهر وكان لهُ ثلثمائة تلميذ منهم جبابرة »

٥) عمرو بن متّى طبعة جيسموند ص ٣٨ . وكتاب التواريخ السعردي يسمّيه جَوْهَرًا

المذكورة (١ اجتمع اليهِ تلاميذ مدرسة نصيبين وانفقوا وكلفوا انفسهم على رؤوس الملأ في ان يحفظوا قوانين مار نرساي. وكان كاتب المدرسة يومئذٍ الشماس نرساي (٢. وبولس هذا تعلَّم في المدرسة ذاتها وعلَّم فيها كما يقول يونيليوس الافريقي (٣. ونحو سنة ٥٣٢ ذهب الى القسطنطينيَّة وبقي هناك مدة من الزمان يفسّر الكتاب المقدس لبعض وزراء الملك منهم يونيليوس المذكور الذي يثني عليه كل الثناء. وألف هناك كتابهُ المعروف بضوابط الشريعة الالهية (Instituta regularia divinæ legis) (٤ واذ كان بولس في قاعدة المملكة جاءها مار ابا مع تلميذهِ توما كما سبق الكلام

هذا وانّ المؤرخين الشرقيين ايضاً يذكرون سفر بولس مطران نصيبين الى القسطنطينيّة. فقد جاء عنهُ في كتاب التواريخ السعردي في ترجمة ايشوعياب الجدلي أنهُ مضى برسالة كسرى بن قباذ الى يوسطيانوس ملك الروم. وجاء ايضاً في ترجمة يوسف الجاثليق ما نصه: «قيل انّ يوسطيانوس عند تمام الصلح بينهُ وبين كسرى سألهُ ان ينفذ اليهِ جماعةً من اللافنة من بلاد الفرس. فبعث اليهِ فولوس مطران نصيبين. ماري اسقف بلد. برصوما اسقف قردى (٥. وايشي المفسر بالمدائن وايشُعيب الارزني الذي صار جاثليق المشرق وبابي اسقف سنجار. فاكرمهم جميعهم ووقعت المناظرة بينهم ثلثة ايام وهي مدوَّنة... وقوم قالوا ان ابراهيم ويوحنا تلميذا مرّ نرسي كانا مع القوم المُنفَذين الى ملك الروم وانهُ استحسن عبارتهما واستصوب قولهما وشركهما في البرّ مع فولوس». وقال ايضاً يوحنا اسقف اسيا وديونوسيوس التلمحري اليعقوبيّان: «انّ يوسطيانوس الملك جمع اليهِ للمجادلة بعض العلماء من نساطرة ويعاقبة». وقال

---

١) Chabot, L'Ecole de Nisibe, etc. p. 14

٢) قوانين مدرسة نصيبين

٣) المكتبة الشرقية المجلَّد الثالث الجزء الثاني ص ٩٢٧

٤) J. Labourt. Le Christianisme dans l'Empire Perse, p. 166-167

٥) كان هذا فيلسوفاً جليلاً. جاء في الكتاب نفسهِ أنّ كسرى انوشروان كان عالماً بالفلسفة وقيل أنهُ تعلَّمها على مر برصوما اسقف قردا في وقت مقامهِ بها وعلى فولوس الفيلسوف الفارسيّ الذي كفر بالنصرانيَّة لمَّا لم تتمّ لهُ مطرنة فارس»

ايضًا أبو بركات : « فولوس البصريّ مطران نصيبين لهُ رسالة ضمنهـا ما اتفق لهُ من الجدل في اصول الدين مع الملك يوسطيانوس ملك الروم لما اشخص اليهِ كتبها الى قشوى طبيب الملك (١ » . وعبـد يشوع الصوباوي هو ايضًا يقول : انّ فولوس مطران نصيبين كتب جدالًا مع قيصر ويضيف الى قوله انّ لهُ رسائل وتفسـير للكتاب المقدَّس (٢

وتوفّي بولس سنة ٥٧٣ (٣ . وصار ايليا مكانه مطرانًا على نصيبين . وهو الذي اجتذب ابيمالك الذي كان يُعلّم في مدرسة بلد ليكون معلّمًا ومفسّرًا في مدرسة بيت ساهدي (٤ التي بناها اليشاع الشمّاس . وبنى هو فيها ديرًا . وكان اصل ايليـا من بلاد قردو وتتلمذ لابرهام الكشكري (٥

اعلم انهُ بعد وفات ابرهام الكشكري صار مكانهُ معلّمًا مار ابرهام غيره وكان هذا من ناحية بيهقواد في بلاد الاراميين . ودرس في مدرسة نصيبين وعلّم فيهـا . ثمّ تتلمذ لابرهام الكشكري وأمرهُ ان يكون معلّمًا في مدرسة بيت ساهدي . وابرهام هذا معدود بين الشهداء (٦ . ولعلّهُ هو الذي يذكرهُ الصوباويّ (٧ ويقول عنهُ انهُ كان من ماحوزا وكتب تعازي ورسائل واسباب الاعياد وتراجم

٦ في رياسة حنانا الحديابيّ

وبعد وفاة ابرهام النصيبينيّ عُيّن حنانا الحديابيّ رئيسًا لمدرسة نصيبين سنة ٥٧٢ وكان مسقط رأسه بلاد حدياب اي اربيل كما يدلّ على ذلك لقبـه . ويثني عليهِ

---

١) المكتبة الشرقيّة ٣ : ١ ص ٦٣٢
٢) كذا ص ٨٧
٣) كتاب التواريخ السعرديّ في ترجمة حزقيال الجاثليق
٤) ܒܝܬ ܣܗܕܐ اي مرقد الشهداء
٥) كتاب العفّة العدد ٤١
٦) كذا العدد ٤٢
٧) في المكتبة الشرقيّة ٣ : ١ ص ١٧٢

برحد بشَّبا ثناء جزيلاً ويصف فضائلهُ العديدة الحميدة ومناقبهُ الحسنة الفريدة وصفاً تاماً. وكتاب التواريخ السعردي يقول انهُ كان تلميذ موسى وبقي مدة طويلة في المدرسة. فيظهر من هنا انّ موسى هذا كان هو ايضاً معلّماً في مدرسة نصيبين وهو الذي على طلبهِ كتب توما الرهاوي مقالتيهِ في الميلاد والدنح كما سبق القول. وكان بولس مطران نصيبين قد طرد حنانا من المدينة في ايام ابرهام دي بيت ربّان وذلك من اجل تعاليمهِ ومكث حنانا يدور في البلدان بالمشرق حتى مات ابرهام. فرجع حينئذٍ الى المدرسة وقام برياستها. وعاش حنانا الى بداية الجيل السابع. حتى اننا سنة ٦١٠ نراه بعد في قيد الحيوة (١

وصار لحنانا تلاميذ كثيرون جهابذة في العلم والتاليف. قال ماري بن سليمان: انّ عدد تلاميذ حنانا بلغ ثمانمائة (٢. وقال كتاب التواريخ السعردي: انهم كانوا ثلاثمائة. وكتاب اخر عنوانه: مختصر قوانين المجامع الغربية والشرقية وموجود في مكتبتنا السعردية يقول: انهم كانوا خمسمائة. واما برحد بشَّبا فلم يبين عددهم بل قال فقط انّ صيت حنانا ذائع واسمه شائع في كل المدارس القريبة والبعيدة وذلك بواسطة تلاميذهِ

انّ تعاليم حنانا سبّبت في الكنيسة الشرقية سجساً عظيماً دام زماناً طويلاً فانّ باباي الكبير الذي سيأتي ذكرهُ في جهاد كيوركيس الشهيد (٣ روى عن حنانا انهُ قال بالقدر وانكر قيامة الاجساد والدينونة والقصاص الابدي وما شاكل ذلك ولكن في قول باباي مبالغة. وهذا لعمري شان اغلب الكتبة فانهم يبالغون اغلب الاحيان في ما قالهُ اخصامهم ساندين اليهم ما لم يقولوهُ ولا علّموهُ. ونرى من المقالتين اللتين ألّفهما

---

١) كتاب التواريخ السعردي. في ترجمة جريغور مطران نصيبين وفي خبر الحراطقة وفي ترجمة كيوركيس الشهيد

٢) طبعة جيسموند ص ٥٦

٣) طبعة بيجان ص ٤٧٧ و٤٩٦

حنانا في الباعوث (١ وفي جمعة الذهب (٢ انّ هذا الملفان الشهير كان بعيدًا عن هذه التجاديف بُعدَ المشرق عن المغرب. والاصحّ هو ان حنانا لم يتبع في تعليمهِ آراء تاودور المصيصيّ الذي كان كرُكنٍ للايمان عند النساطرة. وهذا ما قالهُ الصوباوي في قائمة مؤلفي السريان (٣ وتؤكد ايضًا ذلك اعمال مجمع ايشوعياب الارزني وغريغوريوس الجاثليقين (٤ : وكتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخية التي في كتاب السنهادوسات

لكن ترى ايّ مذهب تبع حنانا في تعليمهِ هل تبع المذهب الكاثوليكي ام علّم تعليمًا كان يقرب الى مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح ؟ نقول ان معتقد حنانا كان كاثوليكيًا محضًا. فانهُ من المؤكد ان سهدونا تمسك بالاعتقاد الكاثوليكي. فيكون سهدونا قد صار كاثوليكيًا إما على يد حنانا نفسهِ كما سنرى وإما على يد تلامذتهِ كما يُؤكد ذلك كتاب التواريخ السعردي. هذا وان شهادة ايشوعياب الحديابي اكثر ايضاحًا. فانهُ في احدى رسائلهِ الى سهدونا يقول له: اذكر ان اشعيا التاحليّ الجاهل العديم العقل الذي قبلك كتب هذه الاشياء (في سر التجسد) على هذا النمط وفي هذه الغاية وفي هذه الاقوال نفسها». اذًا تعليم سهدونا كان تعليم اشعيا التاحليّ نفسه. وتعليم اشعيا كان تعليم حنانا ايضًا لانهُ كان من الذين تبعوهُ في آرائهِ كما سنرى. لا بل ان باباي الكبير يقول واضحًا ان حنانا كان يقول بطبيعتين و باقنوم واحد في المسيح (٥

---

١) ܒܥܘܬܐ اي طلبة. انّ الكنيسة الكلدانيَّة تصوم صوم نينوى في الاسبوع الثالث قبل الصوم الكبير وتسمّيهِ ܒܥܘܬܐ ܕܢܝܢܘܝܐ. وتُطلق ايضًا ܒܥܘܬܐ على كل طلبة يعملها جمهور النصارى ابتغاء ان ينالوا المطر او يدفعوا عنهم ضررًا وما شاكل

٢) ܥܪܘܒܬܐ ܕܕܗܒܐ هي الجمعة الاولى من سابوع الرسل فيها تذكار اوَّل معجزةٍ عملها مار بطرس ومار يوحنا وسُمّيت جمعة الذهب. لان الرسولين قالا للمخلَّع: ليس لنا ذهبٌ ولا فضة

٣) في المكتبة الشرقية ٣ : ١ ص ٨٤

٤) كتاب السنهادوسات. طبعة شابو ص ١٣٦–١٣٨ و٢١٠

٥) في قصَّة كيوركيس الشهيد. طبعة بيجان ص ٤٩٧: « ܘܐܦ ܗܘ ܚܢܢܐ ܗܘܐ

وفي تلك الاثناء كان جبرائيل بن روفينا مطرانًا على نصيبين. وكان منكبًا على علم الفلك والتنجيم. فطردهُ اهل نصيبين (١. وصار مكانهُ غريغوريوس الكشكري. وكان اصلهُ من كشكر. وتعلَّم في مدرسة المدائن. ثم انتقل الى نصيبين حيث تعلم بين يدي ابرهام دي بيت ربان. واتصل خبره باهل حزة. فجعلوه مفسرًا في مدرستهم. وبعد ان بقي عندهم احدى عشرة سنة عاد الى بلدهِ وفتح مدرسةً اجتمع فيها ثلاثمائة نفس. ثم نصب مدرسة ثانية في بعض قرى كشكر وطالب المتعلمين بالصوم وملازمة الصلوة. وكان كل سنة في وقت الصوم يخرج الى القرى ليدعو الناس الى الايمان ويحتمل الضرب والرجم. واتّصل خبره بايشوعياب الارزني. فجعلهُ قهرًا اسقفًا على كشكر. ثم نُقل بامر الملك الى مطرنة نصيبين. فلما بلغهُ امر حنانا وما يبثّ من التعاليم المخالفة لتعليم تاودوروس المصيصيّ ومذهب النساطرة وبّخهُ توبيخًا شديدًا. فاصرَّ حنانا على رايهِ. فحرم غريغوريوس كتب حنانا. وكتب الى مار سبريشوع الجاثليق يعرّفهُ بفساد اعتقاده. وانفذ ايضًا حنانا الى الجاثليق رسالةً فيها يعرّفهُ صحّة معتقدهِ. ووقف الاساقفة على كتاب حنانا فحرموه. غير ان سبريشوع الجاثليق لم يسمع لقولهم (٢

وسبريشوع نفسهُ كان من تلامذة مدرسة نصيبين. وكان من قرية فيروزاباد من أعمال باجرمى. وكان تقيًا نقيًا فاضلًا غيورًا ينسب اليهِ المؤرخون معجزات كثيرة. وصار اسقفًا على لاشوم ولهذا يلقب ايضًا باللاشوميّ (ܣܒܪܝܫܘܥ ܕܠܫܘܡ). وارتقى الى ذروة الرياسة سنة ٥٩٦ وتوفّي في نصيبين سنة ٦٠٤ (٣. وكان يكرمهُ كثيرًا ملوك الفرس والروم معًا. ولهُ رسالة كتبها سنة ٥٩٨ الى رهبان دير برقيطي بجانب سنجار وقد طبعها شابو مع اعمال وقوانين المجمع الذي عقدهُ في السنة الاولى لجثلقتهِ (٤

ܬܫܥܝܬܐ ܥܕܬܢܝܬܐ ܕܒܝܬ ܣܢܗܕܘܣ »

١) النبذة التاريخيّة التي في كتاب السنهادوسات

٢) كتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخية التي في كتاب السنهادوسات وكتاب العفّة العدد ٥٦

٣) قصّة سبريشوع الجاثليق طبعة بيجان. وكتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخية وكتاب المجدل الخ

٤) كتاب السنهادوسات طبعة شابو ص ١٩٦–٢٠٧

قد توهّم السمعاني بقولهِ عن سبريشوع انــهُ كتب كتاباً تاريخياً (١ . والذي دعاه الى هذا القول وقوفهُ في كتاب مئات ايليا الانباريّ على نبذة تاريخية عنوانهــا : ܡܢ ܬܫܥܝܬܐ ܥܕܬܢܝܬܐ ܀ ܒܬܫܥܝܬܗ ܕܡܪܝ ܣܒܪܝܫܘܥ ܩܬܘܠܝܩܐ ܩܕܡܝܐ . وتعريبها : من كتاب التواريخ الكنائسي في قصَّــة مار سبريشوع الاول الجاثليق . فالمعنى ظاهر وهو ان تلك النبذة مأخوذة من كتاب التواريخ من ترجمة مار سبريشوع . فالمؤلف اذاً ليس هو سبريشوع بل غيره . هذا وان هذه النبذة تحوي معجزةً عملها مار سبريشوع . فكيف يكون هو المؤلف

ولنرجع الى غريغوريوس فانهُ حرم كثيرين من أشراف نصيبــين لكونهم تحزَّبوا لحنانا . وكان قاسياً على الكهنة . وطرد الرهبان من جبل سنجار لانهم سقطوا في هرطقة المصليّين . فكثرت عليهِ الشكايات . حينئــذٍ امره كسرى بالانصراف الى بلدهِ . وأراد مار سبريشوع ان يحرمهُ ولكن الاساقفة منعوه . فخرج غريغوريوس من نصيبين ورجع الى كشكر . وبنى في موضع يُعرف ببزّ الانهر ديرًا كبيرًا . وصار لهُ تلاميذ كثيرون . وكانت وفاته في سنة ٦١٢ (٢ . ويقول عنهُ كتاب العفَّة انــهُ كتب تواريخاً وألَّف كتباً أُخرى كثيرة (٣

وقبل وفاته بنحو سنتين قُتل شهيدًا احد رفقائهِ في مدرسة نصيبين وهو ئئنائيــل اسقف شهرزور . وذلك اذ كان كسرى يحاصر مدينة دارا سنــة ٦٠٤ هدم احد الحكام كنائس شهرزور . فهيّج عليهِ مار ئئنائيل الشعب وطردوه من المدينة . فاستدعى كسرى ئئنائيل والقاه في السجن . وبعد مرور ست سنين على حبسهِ أخرجهُ وصلبهُ (٤ . وئئنائيل هذا هو الذي يسميهِ كتاب العفَّة (٥ مفسّرًا وشهيدًا ويقول عنهُ انهُ كان من ناحية شهرزور ودرس في مدرسة نصيبين وفسّر كتاب المزامــير وكتب ضدّ المجوس .

---

١) المكتبة الشرقيَّة ٣ : ١ ص ٤٤٨
٢) كتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخية التي في كتاب السنهادوسات
٣) العدد ٥٦
٤) كتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخية
٥) العدد ٦٧

وايشوعياب الحديابي يثني عليهِ في احدى رسائلهِ الى يعقوب الذي خلفهُ في اسقفية شهرزور. وقال عنهُ الصوباوي انهُ وضع كتاب الجدال مع اليعاقبة والمانيين والكنتيين والمندرّيين وفسَّر كتاب المزامير (١ وهنا ايضاً توّهم السمعاني (٢ وظنّ ان ثنائيل هذا الذي ذكرهُ الصوباوي هو ثنائيل الراهب الذي ذكرهُ توما المرجي (٣ وقال أنهُ كان معاصراً لحنانيشوع الاول الجاثليق (٦٨٦—٧٠٠)

وانّ ما فعلهُ مار سبريشوع الجاثليق من نَصْرهِ حنانا الحديابي على غريغوريوس المطران شقّ على تلاميذ المدرسة. فكرهوا الاقامة فيها وخرجوا حاملين معهم أناجيل وصلباناً في مقبلان (٤ اسود ومباخر. وخرجوا من المدينة وهم يُصلّون صلاة الباعوث (٥ وكانوا نحو ثلثمائة نفس. وكان اهل المدينة ينوحون ويبكون على خروجهم. ولم يبق في المدرسة غير عشرين نفراً ودونهم صبيان. غير انّ بعض الذين تركوا المدرسة رجعوا اليها ثانيةً وهم الذين تمسكوا بتعليم حنانا اعني بهم اشعيا التاحليّ ومسكينا العربيّ وأَحّا ونفر يسير من أتباعهم. وأمّا الأخر فلما بلغوا باب المدينة ختموا الصلاة وودّع بعضهم بعضاً وتفرّقوا. فمضى بعضٌ منهم الى دير مار ابرهام الكشكري وغيرهم قصدوا مرقس اسقف باد. ففتح لهم مدرسة خارج المدينة وجمعهم فيها. وكان من جملة الخارجين من مدرسة نصيبين ايشوعياب الجدلي وبرحد بشبّا عربايا وايشوعياب الحديابي وميخائيل الملفان وبولس المفسّر الذي في دير ابيالك (٦ وسيأتي ذكرهم

وكان خروجهم من المدرسة سنة ٥٨٢ (٧ . ومنذ ذاك الحين انحطّ كثيراً

---

١) في المكتبة الشرقيّة ٣ : ١ ص ٢٢٤ ٢) ايضاً

٣) كتاب الرؤساء طبعة بيجان ص ٤٥

٤) ܡܩܒܠܢܐ يطلق اسم المقبلان في الكنيسة الشرقيّة على منديل ونحوه يستقبل بهِ مُتناول القربان الجوهرة المقدَّسة اذا سقطت

٥) ܕܒܥܘܬܐ هي كلّ صلوة خشوعية فيها نطلب من الله ان يغفر سيّئاتنا ويدفع عنا البلايا المحتاطة بنا

٦) كتاب التواريخ السعردي

٧) هذا التاريخ موجود في كتاب تواريخ دير ربّان هرمزد من سنة ١٨٠٨ الى سنة

شأن مدرسة نصيبين فنشأ فيها فتن كثيرة. فاراد حنانا ان يتدارك الامر. ففي سنة ٥٩٠ وضع قوانين جديدة وثبّتها مار شمعون مطران نصيبين خليفة مار غريغوريوس. ولكن لم تستقم الامور حسب المرغوب. بل افضت الوقاحة ببعض التلاميذ الى ان سرقوا نسخ القوانين وخبأوها. فاضطر مار احا دابوي (ܐܚܐ ܕܐܒܘܝ) خليفة مار شمعون ان يكلّف بعضاً من التلاميذ الغيورين على التفتيش عليها. فامتثلوا امرهُ وأتوهُ بالقوانين الموضوعة على ايام مار هوشاع سنة ٤٩٦ وبالتي وُضعت على ايام مار شمعون. واقرّ رأيهم على ان الذي لا يحفظها يُطرد من المدرسة وكان ذلك سنة ٦٠٢ (١

اما تآليف حنّانا فهي كثيرة العدد. و يقول عنهُ برحد بشبّا أنهُ لم يترك فصلاً او آيةً من الكتاب المقدّس الاّ وانشأ فيها مقالات. وألّف ايضاً قصائد ومجادلات كثيرة. والصوباوي يقول: « ان تاليف حنانا الحديابي المقبولة هي هذه: تفسير كتاب المزامير وأسفار الخليقة وايوب والامثال والجامعة ونشيد الانشاد والانبياء الاثني عشر وانجيل مرقس ورسائل بولس الرسول وشرح قانون الايمان والاسرار. ولهُ ايضاً أسئلة ومقالات في عيد الشعانين وجمعة الذهب والباعوث ووجدان الصليب وقصيدة في عيد الشعانين وألّف ايضاً كتباً أُخرى كثيرة رُذات بسبب المفسّر (٢ »

ولم يصلنا من تاليف حنانا سوى مقالتين في الباعوث وجمعة الذهب. محفوظتان في مكتبتنا السعردية (٣ . وهما في غاية الفصاحة والبلاغة

وأما تلاميذهُ الذين تبعوا تعاليمهُ الى النهاية فلم يحفظ لنا التواريخ سوى اسماء ثلاثة منهم وهم أَحا ومسكينا العربيّ واشعيا التاحليّ. أما مسكينا فقد كتب كتاباً ردّ عليهِ حنانيشوع الراهب (٤ . وكذلك اشعيا ألّف ايضاً كتاباً ضدّ المعتقد النسطوري

١٨٦٢ تأليف الانبا اليشاع رئيس الدير المذكور. فانهُ في صحيفة منهُ يضع بعض أرقام تاريخية قائلاً: انهُ وجدها في كتاب قديم ومنها التاريخ المذكور

١) قوانين المدرسة

٢) في المكتبة الشرقيّة ٣: ١ ص ٨٤

٣) A. Scher, Catal. des manus. etc, cod. 82.

٤) كتاب التواريخ السعردي (طالع عنهُ ايضاً كتاب العفّة العدد ٣١)

وردّ عليهِ باباي الكبير (١ ․ ثم حرمَهُ ايشوعياب الحديابي (٢ ․ والذي اشتهر منهم اكثر من غيره سهدونا اسقف ماحوز ارنون وسيأتي الكلام عنهُ

فنقدر ان نقول انّ الميل الذي صار يومئذٍ في الكنيسة النسطوريّة الى اتّباع حنانا الحديابي في آرائهِ الكاثوليكيـة كان عظيماً․ فانّ اشراف اهل نصيبـين تحزّبوا لهُ قاطبةً (٣ ․ وبيان أنّ مطارنة تلك المدينـة تبعوهُ هم ايضاً في رأيه وساعدوهُ․ فانّ شمعون واَحاداَبوي ساعداهُ بنظم امور المدرسة كما سبق القول․ وانّ قرياقس الذي رافق ايشوعياب الجدليّ في سفرهِ الى بلاد الروم سُعي بهِ أنّهُ يعتقد معتقد الملكيين (٤ وايشوعياب الجدلي نفسهُ في سفرهِ هذا أقرّ علانيةً في حضور هرقل الملك بالمعتقد الكاثوليكي كما سنرى․ لا بل من المحتمل انّ حنانا جذب ايضاً مار سبريشوع الجاثليق الى تعاليمهِ والاّ فلماذا تحزّب لهذا الملفان كما سبق القول․ ويقول كتبـة النساطرة عن هذا الجاثليق الجليل انهُ منذ فضّل حنانا على غريغوريوس ارتفع منهُ عمل المعجزات (٥ ․ هذا وان تلامذة حنانا تبـدّدوا في كل المشرق النسطوري وبثّوا فيهِ تعاليم معلّمهم الكاثوليكية (٦ ․ وقيل انّ يوسف حزَّايا ايضاً تبع تعاليم حنانا (٧ ولكن هذا الملفان العجيب الذي لهُ الف وتسعمائة تاليف لم يكن من تلامذة مدرسة نصيبين

---

١) كذلك
٢) كتاب مختصر القوانين السنهادوسيّة تاليف عبد يشوع الصوباوي
٣) كتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخيّة التي في كتاب السنهادوسات
٤) كتاب التواريخ السعردي
٥) كتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخية ٦) كذلك
٧) إن يوسف حزَّايا في كتابهِ المعروف بروؤس المعارف (ܪ̈ܫܐ ܕܝ̈ܕܥܬܐ) والمحفوظ في مكتبتنا السعرديّة في بداية الفصل الذي عنوانهُ ܥܠ ܗܢܘܢ ܕܡܘܕܝܢ يقول: « ܕܠܘܬ ܕܡܘܬܗ ܕܩܪܝܒ ܠܗ ܩܕܡ ܐܪܥ ܐܘܕܝܢ ܕܡܬܬܩܢ ܡܣܬܦܩܢ ܗܘ̈ܝ ܒܢܘܗܪܐ ܕܐܠܗܐ ». لكن لسوء الحظ انّ الكتاب ناقص فما عرفنا في اي شيء خالف تاودوروس المصيصيّ ». لكنّهُ في كتاب الاسئلـة والاجوبة يثني على تيادوروس ويقول انّ في المسيح اقنومين

٧ في تلاميذ حنانا وأخصّهم باباي الكبير وايشوعياب الجدليّ

١ من تلامذة حنانا في مدرسة نصيبين باباي الكبير . وُلد باباي في قرية بيت عيناثا (ܒܝܬ ܥܝܢܬܐ) من اعمال بازبدي سنة ٥٥٣ . وكان والداهُ من أرباب النعم والاموال والعبيد . ولما تخرّج في كتب الفرس سافر الى نصيبين وانضمّ الى المستشفى ليخدم المرضى ويقرأ كتب الطبّ . وبقي في المدرسة هناك يتعلّم العلوم الالهية ايضاً خمس عشرة سنة وتمهّر فيها . ثم وزّع اموالهُ على الفقراء وتتلمذ لمار ابرهام الكشكري . فلازم الصوم والصلاة وكان يُقيم في مغارتهِ أشهراً . ثم رجع الى قريتهِ وبنى فيها ديراً كبيراً وفتح فيهِ مدرسة . لكنهُ رجع ثانيةً الى دير مار ابرهام وخلف داديشوع في رياسة الدير سنة ٦٠٤ (١

وفي تلك الاثناء تلألأ شهرةً ايليا الراهب الذي من الحيرة . فهذا من بعد ان ختم دروسهُ في مدرسة نصيبين ترهّب في دير الإزل . وكان غيوراً ذا مناقب حميدة . وقد وصفهُ وصفاً تامّاً توما المؤرخ اسقف المرج في كتابهِ المعروف بكتاب الرؤساء (٢ . وكتاب العفّة (٣ يتكلّم ايضاً عن واحد اخر كان هو ايضاً من الحيرة وكان يُدعى يوحنا . وقال عنهُ انهُ ترك وطنهُ وأتى نصيبين امّ العلوم وانكبّ على العلم في مدرستها . ثم صار يرعى الغنم في جبل سنجار . ثم أتى وسكن في جبل الإزل في موضع يُسمّى معرّى . وبنى فيهِ ديراً عُرف بدير يوحنا الطائي (٤

---

١) هذا التاريخ وتاريخ ميلادهِ ووفاتهِ موجودة في كتاب التواريخ السعردي و يقول عنهُ أنهُ دبّر الدير ٢٤ سنة ومات ولهُ من العمر ٧٥ سنة في السنة ٣٨ للملك كسرى (الثاني) . طالع ايضاً عن باباي كتاب الرؤساء طبعة بيجان ص ١٣—١٤ و٢٠ و٤٢—٤٧ و٥٥—٥٦ . وكتاب العفّة العدد ٣٩ . والنبذة التاريخية التي في كتاب السنهادوسات و Chabot, L'Ecole de Nisibe etc. p. 44-47 ; Labourt, le Christ. dans l'Emp. Perse, p. 229-230 ; etc.

٢) طبعة بيجان ص ١٦—٢٠

٣) العدد ٤٦

٤) انّ السريان يطلقون اسم ܛܝܝܐ على جميع العرب

وفي ايام باباي الكبير اشهر كسرى الثاني اضطهاداً شديداً على كنيستنا الشرقية. فانهُ بعد وفاة مار سبريشوع الجاثليق سنة ٦٠٤ انتخب الاساقفة غريغوريوس مطران نصيبين المار ذكره وكان حينئذٍ في المنفى. ورضي بهِ الملك ايضاً. لكن ابرهام الطبيب النصيبيني وغيرهُ من الاطباء واعيان نصيبين الذين كانوا في خدمة الملك خافوا خوفاً شديداً لانهم كانوا قد اضطهدوهُ لما كان في نصيبين. فحملوا شيرين الملكة على ان تسمي بطريركاً غريغوريوس اللفان الذي كان من بلدها اي من ميشان (البصرة). فجُعل هذا بطريركاً. ولما عرف الملك ذاك غضب غضباً شديداً ووبَّخ شيرين واضطهد الجاثليق الجديد الذي لم تطل مدَّتهُ وتوفي سنة ٦٠٩. فحينئذٍ أمر الملك ألَّا يُنصب جاثليق غيره. فبقيت الكنيسة مترملة الى وفاة الملك (سنة ٦٢٨) (١

وفي ذاك الزمان كان اليعاقبة قد تقوّوا بواسطة جبرائيل السنجاري طبيب الملك (٢ وضبطوا من النساطرة بعض الاديرة منها دير مار بثيون ودير شيرين (٣ ودير مار متى الذي في جبل مقلوب (٤. وكذلك انتشرت في تلك الاثناء بالاديرة هرطقة المصليّين فاجتمع الاساقفة وقلّدوا باباي وظيفة الزائر العموميّ (ܣܥܘܪܐ ܓܘܢܝܐ) ليزور الاديرة وينقّيها من هذه الهرطقات. فقام باباي باعباء وظيفتهِ أحسن قيام (٥. وقاوم ايضاً حنانا واصحابهُ اشدّ المقاومة (٦

ومع هذه الاشغال الشاقّة الكثيرة قدر باباي ان يُؤلف ثلاثة وثمانين كتاباً (٧. وكتاب التواريخ السعردي يذكر منها الآتية:

---

١) كتاب المجدل وكتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخية وكتاب الرؤساء ص ٣٩–٤٢ الخ

٢) كان هذا نسطوريّاً. ولكونهِ تزوّج بامرأتين حرمهُ مار سبريشوع الجاثليق فتبع القائلين بالطبيعة الواحدة (النبذة التاريخيّة وكتاب التواريخ السعردي)

٣) النبذة التاريخية

٤) قصّة برعدتا

٥) كتاب توما المرجي ص ٤٢–٤٣

٦) كتاب التواريخ السعردي

٧) المكتبة الشرقيّة ٣: ١ ص ٩٤. وتوما المرجي يقول انهُ ألّف اربعة وثمانين (كتاب الرؤساء ص ٤٣)

« ١ : كتاب الرد على من يقول أنّ الاجسام تقوم يوم القيامة مثل الكرة لا بموجب ترتيبها

٢ : كتاب الرد على اصحاب قسطا المعروفين بالمصلّيين الذين يقولون بانهم بلغوا الكمال واستغنوا عن الصوم والصلوة وتناول القربان

٣ : كتاب ذكر فيهِ فضائل مار ابراهيم وجماعة من تلاميذه

٤ : كتاب في تدبير الرهبنة للمبتدئين

٥ : كتاب في الاتحاد

٦ : كتاب فيهِ نقض رسالة يوحنا المخالف الرهاوي

٧ : كتاب فيهِ تفسير كلام مار اوغريس مختصر مشروح

٨ : تفسير رسالة يوحنا حربابا (١

٩ : كتاب في نقض رسالة موسى الهراطيق المخالف

١٠ : كتاب فيهِ السبب الذي عمل لهُ (٢ عيد السعانين المقدّس

١١ : كتاب جمع فيهِ دلائل من كتب الآباء المحققين اليونانيين والسريانيين على سبيل الجدل

١٢ : كتاب فيهِ نقض كلام فروبلا فطرك القسطنطينيّة واخسنايا صاحب منبج وموسىً الهراطيق

١٣ : كتاب مسائل تدبير الرهبنة

١٤ : كتاب فيهِ نقض ما عملهُ يوسطانس ملك الروم في الاعتقاد

١) كذا جاء في النسخة: واظنّ انّ اللفظة تكون حَزَايا وهو لقب [illegible] ([illegible] طبعة بيجان ص ٣٣٤ و٣٥٦) وفي دير مار متى الذي في جبل مقلوب كتاب في السيرة الروحيّة تاليف يوحنا حزّايا ([illegible] ܝܘܚܢܢ ܚܙܝܐ [illegible]). وفي قائمة مُؤلّفي السريان تاليف الصوباوي عوض يوحنا جاء ܝܘܣܦ ܚܙܝܐ وهو غلط من النسّاخ. فان يوسف حزّايا عاش بعد باباي بزمن كثير اذ كان في نهاية الجيل السابع (كتاب العفّة العدد ١٢٦)

٢) الاصحّ: الذي عمل لعيد

١٥ : كتاب فيهِ نقض كلام مرقوس الراهب المخالف

١٦ : كتاب فيهِ نقض مذهب اشعيا التاحلي المخالف . وغير ذلك ممّا لم يقع الينا »

والصوباوي (١ يذكر ايضًا الكتب الآتية :

١٧ : تفسير الكتاب المقدّس كلهِ

١٨ : قصّة ديودوروس وأصحابه

١٩ : كتابًا تكلّم فيهِ عن مناقب مريم البتول و يوحنا المعمدان وجميع القديسين الذين تذكرهم الكنيسة على مدار السنة

٢٠ : كتابًا فيهِ تكلّم عن عيد الصليب المقدّس

٢١ : كتابًا جمع فيهِ فضائل متى المنتقل وابرهام النصيبيني وجبرائيل القطري

وباباي هو ايضًا يقول عن نفسهِ في قصّة كيوركيس الشهيد (٢ انهُ كتب القصص الآتية : ١:قصّة كرستينا الشهيدة . ٢:قصّة ابرهام الكشكري (وقد سبق الكلام عنها) . ٣:قصّة داديشوع خليفة مار ابرهام . ٤:قصّة يوحنا الكاهن من بلاد المرج . ٥:قصّة راميشوع الكاهن من كشكر . ٦:قصّة جميع الاخوة الذين ماتوا برائحة القداسة في دير الازل . ٧:قصّة يوحنا الطائي . ٨:قصّة دانيال رئيس الدير من بلاد بابل الذي بنى ديرًا لاستراحة الغرباء . ٩: قصّة ابيملك الشهيد من بلاد قردو . ١٠:قصّة غريغوريوس مطران نصيبين . ١١:قصّة كيوركيس الشهيد . ١٢:قصة مريم المعترفة اخت كيوركيس الشهيد

ولم يصلنا من تاليف باباي سوى كتاب شرح اوغريس وقصة كيوركيس الشهيد وكتابه في الاتحاد . والاول محفوظ في مكتبة الواتيكان والثاني طبعهُ بيجان . والثالث محفوظ في قرية ايتيل في بلاد النساطرة و يوجد منهُ نسخة في دير السيدة للكلدان . وهو لعمري من أجلّ ما كُتِب في هذا الشان وهو مقسوم الى سبعة اقسام وكلّ قسم الى فصول يتكلّم فيها المؤلف بنوع بديع عن الله وعن الثالوث الاقدس وعن سرّ التجسد . وقد وصل الينا ايضًا بعض من نصائحهِ للرهبان وهي مقسومة الى اربعة فصول (٣

١) في المكتبة الشرقيّة ٣ : ١ ص ٩٤ ٢) طبعة بيجان ص ٤٣٤–٤٣٨

٣) Addaï Scher, Catal. des manus. Syr. etc. Cod. 109, IV.

ان غيرة باباي على الديانة ومناقبه الحميدة وتاليفاته العديدة الجليلة وعلمهُ الواسع جعلتهُ من اعظم رجال عصرهِ. فعظم شانهُ لدى الجميع ولاسيما عند الاساقفة. ولما أَذِن الملك شيرويه للنصارى ان ينصبوا لهم جاثليقًا سنة ٦٢٨ اختار جميع الاساقفة باباي ليكون عليهم بطريركًا (١ لكنهُ أَبى. فاختير ايشوعياب الجدلي. وكان هو ايضًا من تلامذة مدرسة نصيبين. وأما باباي فقضى اجلهُ في تلك السنة عينها ولهُ من العمر ٧٥ سنة وقد قضى منها اربعًا وعشرين في رئاسة الدير (٢. وكان حلوَ الطبع غضوبًا (٣

٢ً اما ايشوعياب الجدلي فكان من اهل باعربايا من قرية تدعى جدال. وكان من جملة الذين خرجوا من مدرسة نصيبين مع غريغوريوس المطران كما مر بك. وصار معلّمًا في بلد ثم اسقفًا. ولما رقي ذروة الرئاسة قام بالامور أحسن قيام. واكرمهُ ملوك الفرس كثيرًا. وفي سنة ٦٣٠ سألتهُ بوران بنت كسرى الثاني ان يذهب برسالتها الى ملك الروم لتجديد الصلح. وكان هرقل الملك حينئذٍ في مدينة حلب. ويقول المؤرخون الغربيون (٤ انهُ ردّ الى الملك خشبة الصليب الحيّ التي اخذها الفرس سنة ٦١٤ حين فتحهم مدينة اورشليم. وسألهُ الملك عن معتقدهِ فاظهر أن لا فرق بين الملكيين والنساطرة لا بل انهُ حرم تادوروس وديودوروس ونسطوريس وأقرّ ان مريم هي والدة الله. وقرَّب الذبيحة الالهية فتناول من يدهِ الملك واعوانهُ وجميع الاساقفة الحاضرين. وكان هو ايضًا قد شرط عليهم ألّا يذكر الشماس في سفر الموتى اسم قورلّس الاسكندري. وخلعَ عليه الملك فرجع مكرَّمًا مسرورًا. لكنَّ المشارقة شقّ عليهم ذلك. وكتب اليهِ برصوما اسقف مدينة السوس (٥ رسالتين فيهما وبّخهُ توبيخًا شديدًا على أنهُ حرم

---

١) توما المرجي ص ٥٥

٢) كتاب التواريخ السعردي

٣) كتاب الرؤساء طبعة بيجان ص ١٤ وقصّة برعدتا

٤) Chabot, l'Ecole de Nisibe etc. p. 47

٥) انّ برصوما الذي يذكرهُ الصوباوي (في المكتبة الشرقية ٣: ١ ص ١٧٣) ويقول عنهُ أنهُ ألّف تاليفًا يُعرف بكتاب الكبد وتشكرات وتعازي وتراجم هو هذا برصوما نفسهُ لا برصوما مطران كرخ سلوخ الذي كان معاصرًا لفتيون الجاثليق (٧٣١–٧٤١) كما يقول السمعاني. وكتاب التواريخ السعردي يقول ان كتابهُ المذكور كان في الامانة

ملافنة النساطرة الثالثة (١ وصورة هاتين الرسالتين محفوظة في كتاب التواريخ السعردي
وقال كتاب المجدل (٢ ان ايشوعياب كاتبَ صاحب شريعة الاسلام وسيّر لهُ هدايا جليلة. وأخذ منهُ العهد لجميع النصارى ان يكونوا تحت حمايتهِ مطمإِنين. اما كتاب التواريخ السعردي فجاء فيهِ انّ جبرائيل اسقف ميشان رسول ايشوعياب لما وصل الى يثرب مع اصحابهِ كان صاحب شريعة الاسلام قد توفّي. فاوصلوا ما كان معهم الى أبي بكر فسُرَّ وكتب لايشوعياب عهداً. ونسختهُ موجودة في الكتاب المذكور
وعن تاليفاتهِ جاء في كتاب المجدل (٣ انهُ صنّف كتاب الرؤوس في توبيخ المخالفين على المذهب وكتاباً في الالفاظ المترادفة وكتاباً يحوي اثنين وعشرين مسألة عن اسرار البيعة. والصوباوي (٤ يقول انهُ كتب ايضاً تفسير المزامير ولهُ رسائل وقصص وقصائد متنوّعة. وقد وصلتنا إحدى رسائلهِ في امر التجسد الالهي وهي مكتوبة في كتاب السنهادوسات (٥
ولما توفّي ايشوعياب وقع الانتخاب على احد تلامذة مدرسة نصيبين ايضاً. اعني بهِ مار إمّه وكان ذلك سنة ٦٤٧ . وكان من اهل ارزون من قرية تدعى قوزيعار. فهذا بعد ان درس في المدرسة ترهّب في دير مار ابرهام الكشكري. ثم صار اسقفاً على نينوى. وقلّدهُ مار ايشوعياب مطرنة كونديشابور. وكان فاضلاً طاهراً يستكثر من تلامذة المدارس. وهو اوّل من امر التلامذة بشدّ الزنّار على الحقوين ليتميزوا من غيرهم. وكان مكرَّماً عند ولاة الاسلام لانهُ اذ كان اسقفاً على نينوى حمل اليهم الميرة وقت نزولهم على تلك البلاد لفتحها وكانت وفاتهُ سنة ٦٥٠ (٦

١) عن ايشوعياب الجدلي راجع كتاب التواريخ السعردي. والنبذة التاريخيّة. وكتاب المجدل. وكتاب تواريخ ابن العبري الكنائسي. القسم الثاني: والمكتبة الشرقيّة للسمعاني ٣: ١ ص ١٠٥-١٠٨. وغيرها من مؤلفات المستشرقين

٢) طبعة جيسموند ص ٥٤ ٣) عمرو بن متي ص ٥٣

٤) في المكتبة الشرقيّة ٣: ١ ص ١٠٥

٥) Addai Scher, catal. des manus. etc. cod. 65, Ve.

٦) كتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخيّة وكتاب المجدل وكتاب تواريخ ابن العبري الكنائسي القسم الثاني

٨ في تلاميذ حنانا واخصّهم سهدونا وايشوعياب الحديابي

لما سافر ايشوعياب الجدلي الى ملك الروم كان مصحوبًا بقرياقس مطران نصيبين (خليفة احا دابوي المـار ذكره) وبولس مطران حدياب وجبرائيـل مطران باجرمي وايشوعياب الحديابي اسقف نينوى وسهدونا اسقف ماحوز ارنون (١. وهذان الاخيران اشتهرا اكثر ما يكون الاول بارتقائهِ الى ذروة الرئاسة والثاني باعتنـاقهِ المذهب الكاثوليكي

١ كان سهدونا من قرية هلمون من ابرشيّة بيت نوهدرا وهي اليوم ابرشيّـة دهوك وزاخو. ويُسمّى ايضًا مرطوريس (٢. وكانت والدتهُ تقيَّة نقيَّـة. فبجّنت في قلبهِ منذ نعومة اظفارهِ حبّ التقوى والرغبة في العيشة الرهبانيـة. وهي تكرّر عليهِ مرارًا: «يا بنيّ انَّ الموت أَحب اليَّ من ان اراك مستـأسرًا لحب العـالم كاغلب الناس (٣». ولما بلغ سهدونا اشدَّهُ قصد مدرسة نصيبين (٤. وكان المفسّر فيها يومئذٍ حنانا الحديابي. فلا بدَّ من ان يكون قد زُرِع هناك في قلبهِ الميل الى المعتقد الكاثوليكي. وهو نفسهُ يشير الى ذلك في كتابهِ في السيرة النسكية حيث يقول: أَنهُ استقى علومهُ من معلّميهِ الاذكياء (٥. وقصة برعدتا تقول عنهُ انهُ من بعد وفـاة معلّمهِ مار يعقوب مؤسس دير بيت عابي بدأ يتظاهر بالهرطقة (يريد بذلك الكثلكة). اما كتاب التواريخ السعردي فيقول ان تلاميذ حنانا هم الذين أضلّوا خلقًا ومنهم سهدونا

فلما ختم سهدونا دروسهُ ترك نصيبين وجاء وتتلمـذ لمار يعقوب مُؤسس دير بيت

---

١) كتاب الرؤساء تاليف توما المرجي طبعة بيجان ص ٦٢–٦٣

٢) سَهْدونا بالكلدانيَّة الشهيد الصغير و يوافقهُ باليونانيَّة Μάρτυς, υρος

٣) ܟܬܒܐ ܕܫܘܡܠܝ ܕܘܒܪܐ : تاليف سهدونا طبعة بيجان ص ١١–١٢

٤) كتاب الروساء ص ٥٣. ان كتاب العفَّة (العدد ١٢٨) يقول انهُ درس في مدرسة ايثالاها في بيت نوهدرا

٥) ܟܬܒܐ ܕܫܘܡܠܝ ܕܘܒܪܐ ص ٤٧٣–٤٧٤

عابي في ابرشية المرج وهي الآن ابرشية العقر. وهناك صنّف كتابهُ الشهـير في العيشة النسكية. ولهُ من العمر ثماني وعشرون سنة (١ . وكتب ايضاً مناقب الرهبان في بلاد المشرق وترجمة معلّمهِ يعقوب وألّف لهُ تابيناً. وقال توما المرجي عن تاليفهِ هذا الاخير: «انّ كل من تصفَّح في هذا الرثاء تحقَّق ما لسهدونا من متانة الكلام وبلاغة المعـاني واتّضح لهُ انهُ كان جهبذاً بين المؤلفين (٢ ». وكتب ايضاً ترجاماً (ܬܘܪܓܡܐ) عن يوحنا الذي خلف مار يعقوب في رياسة الدير (٣

ومن هذه التآليف لم يصلنا سوى كتابهِ في العيشة النسكيـة وخمس رسالات وقليل من الحكم الدينية في كتـاب مخطوط بالخطّ الاسطرنجيلي يقرب ان يكون معاصراً لمؤلفهِ. والكتاب وُجد في جبل سينا واليوم دخل في مكتبة سترسبورغ. وقد طبعهُ الاب بيجان سنة ١٩٠٢ . ويُقسم هذا الكتاب النفيس الى جزئين يحتوي الجزء الاول على اثنين وعشرين فصلاً لم يبق لنا منها سوى ستة. والجزء الثاني كامل وفيهِ اربعة عشر فصـلاً ففي الجزء الاول مدار الكلام على مناقب وفضائـل الرهبان القديسين المعاصرين للمؤلف. وكان هذا الجزء كامـلاً في ايام ايشوعدناح مطران البصرة. فانهُ في ترجمة يعقوب الحبيس (٤ قال ما نصه: «ܗܢܐ ܩܕܝܫܐ ܗܘܐ ܣܗܕܘܢܐ : ܡܛܠܗ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܡܚܘܙܐ ܕܐܪܝܘܢ ܕܒܝܬ ܓܪܡܝ : ܒܟܬܒܘܗܝ ܡܕܒܪܢܘܬܐ ܥܠ ܕܘܒܪܐ ܕܝܚܝܕܝܘܬܐ : ܡܠܝܬܐ ܠܟܘܠܗܝܢ ». فترى من هنا ان ايشوعياب الحديابي لما اجبر سهـدونا على حذف ستَّة عشر فصلاً من كتابه لم يكن هذا الكتاب الذي نحن الآن بصددهِ كما قال بودج (Budge) وغيرهُ بل التاليف الذي أَلَّفهُ بنوع خصوصي ردًّا على المعتقد النسطوري وذلك بعد ارتقائه الى الدرجة الاسقفية. واما في الجزء الثـاني فيتكلَّم المؤلف بنوع عجيب عن الايمان والرجاء والمحبّة والعفّة والبتوليّة وما شاكل ذلك. وتعاليـمهُ صحيحـة

١) كذلك ص ٤٧٨ و ٤٧٩

٢) كتاب الرؤساء ص ٥٣–٥٤

٣) كذلك ص ٤٩

٤) كتاب العفّة العدد ٢٤

مستقيمة . واما ما قالهُ عن سرَّي الثالوث والتجسُّد فهو احكم واجمل بحث جاء في الكتب السريانية عن هذين السرَّين الاقدسين . وكلامهُ في غاية الفصاحة والبلاغة والعذوبة . ولقد صدق الذي قال : « لا نعرف لسهدونا شبيهاً بين الاباء في رشاقة الافكار وسبك العبارة سوى يوحنا فم الذهب (١ »

فلما تجثلق ايشوعياب الجدلي انتخب اهالي ماحوز ارنون في مقاطعة باجرمى سهدونا ليكون اسقفاً عليهم (٢ . ورافق سهدونا مار ايشوعياب في بعثتهِ الى الملك هرقل سنة ٦٣٠ كما سبق القول . وقال عنهُ توما المرجي (٣ « انهُ لما كان في مدينة افامية دخل على رئيس دير هناك كان ساحراً . فوضع الرئيس يمينهُ على رأسه . فقلب عقلهُ واجتذبهُ الى الهرطقة » يريد بذلك الكثلكة . لكن مما قلنا سابقاً يتَّضح جلياً ان سهدونا اعتنق الايمان الكاثوليكي من قبل . فلم يواجه اذًا رئيس ذلك الدير الاَّ للتبرّك منهُ . ومن المؤكد ان هذا الشيخ شجعهُ وحرَّضهُ على ان لا يكتم الديانة الكاثوليكية بل ان ينذر بها ويحامي عنها . وفي الحقيقة انما من بعد رجوعهِ من تلك البعثة صنّف كتاباً رداً على المعتقد النسطوري مثبّتاً المعتقد الكاثوليكي . وكتابهُ هذا هو غير الكتاب الذي ألَّفهُ في العيشة النسكية الذي سبق الكلام عنهُ . قال توما المرجي (٤ : انَّ سهدونا من بعد رجوعهِ الى بلاد المشرق ألّف تاليفاً ضد المعتقد الصحيح القائل بطبيعتين واقنومين في المسيح . وكذلك ايضاً قال كتاب التواريخ السعردي . وهذا كلامهُ : « ان سهدونا كان اوّلاً صحيح الاعتقاد وعمل كتاباً في تدبير الرهبنة ولما أُسيم اسقفاً على البوازيخ عدل عن مذهبهِ والف كتاباً في الاعتقاد » . وقال ايشوعدناح مطران البصرة (٥ : انهُ الف كتابين رداً على المعتقد النسطوري . وايشوعياب الحديابي نفسهُ في احدى رسائلهِ الى اساقفة باجرمي يقول : ان سهدونا الف كتباً فيها يُسمّينا فولانيين وقائلين بابنين (٦ .

---

١) المشرق السنة ٦ العدد ١٨ الصحيفة ٨٤٨

٢) كتاب الروساء ص ٦١

٣) كذا ص ٦٤–٦٦

٤) كتاب الرؤساء ص ٦٦

٥) كتاب العفّة العدد ١٢٨

٦) المكتبة الشرقيَّة للسمعاني ٣ : ١ ص ١٢٠

فترى من هذا ان سهدونا عدا كتابهِ الذي وصلنا قد كتب ايضاً كتباً أُخرى فند فيها المعتقد النسطوري

هذا وان سهدونا تتلمذ لهُ جميع اولاد ابرشيّتهِ كما يتّضح من رسالة ايشوعياب الحديابي اليهم · ولا بدَّ من ان اشعيا التاحلي ساعده كثيراً · فان مدينة تحل التي اليها نسب اشعيا هذا كانت قرية من ماحوز ارنون وكانت في غربي كركوك تبعد عنها مسافة ستّ ساعات

ومنذ ذلك الحين ثار الاضطهاد على سهدونا · وكان من اشد المقاومين لهُ ايشوعياب الحديابي صديقهُ وكان يومئذٍ مطران اربيل · ولم يدع وسيلة الاَّ واتخذها ليردَّهُ الى المذهب النسطوري · وهو يقول عنهُ هكذا : « ان سهدونا قد تزعزع مراراً كثيرة وجحد رأيهُ ثماني مرات في المجمع · وانزلهُ مار إمه الفطر يرك عن كرسيه · فانفرد في جبلٍ منقطعاً فيهِ للصلوة · ثم ترك خاوتهُ وانطلق الى بلاد الروم · فاقامهُ هرقيل الملك اسقفاً على الرها · غير ان الرهاويين الذين كانوا قد اعتنقوا المذهب اليعقوبي لم يقبلوا عليهم اسقفاً يعتقد بالطبيعتين · فوشوا بسهدونا لدى الملك بانهُ نسطوري · ونالوا عزلهُ · فاعتزل في تلّ بقرب الرها وهناك قضى نحبهُ (١) » اه

٢ً اما ايشوعياب الحديابي فكان ابن رجل غني يدعى باسطهماغ من قرية كوفلايا من اعمال اربيل · وبعد خروجهِ من مدرسة نصيبين ترهّب في دير بيت عابي الشهير · ثم ارتقى الى اسقفية الموصل ثم الى مطرنية اربيل واخيراً بعد وفاة مار إمه الجاثليق انتُخب مكانهُ سنة ٦٥١ · وكان ايشوعياب فعّالاً نشيطاً · وكانت حياتهُ كلها ممتلئة خصومةً ونزاعاً · فانه في المدرسة تحزَّب لغريغوريوس مطران نصيبين وقاوم معلّمهُ حنانا · وفي الموصل قاوم اليعاقبة ولم يتركهم ان يبنوا لهم فيها كنيسة · وفي اربيل اضطهد سهدونا اشدَّ اضطهاد · وفي بطريركيّتهِ خاصم شمعون مطران ريواردشير في فارس الذي عصى على جثالقة المدائن · وفي نهاية عمرهِ اضطهدهُ حاكم المدائن فاتى وسكن دير بيت عابي وهناك ايضاً قاومهُ الرهبان · فانهُ اذ اراد ان يبني فيه مدرسةً قام عليهِ

١) راجع عن سهدونا كتاب الرؤساء ص ٤٩ و٥٣–٥٤ و٦١–٦٦ . وكتاب العفّة العدد ١٢٨ . ورسائل ايشوعياب الحديابي و بيجان . كتاب سهدونا في العيشة النسكيّة . المقدّمة

قاميشوع رئيس الدير وهيّج عليهِ الرهبان. فاضطرّ ان يبني المدرسة في قريتهِ كوفلايا. وكانت وفاتهُ سنة ٦٦٠. وهو من أَمجد مؤلفي السريان وافصحهم (١

واما تآليفاتهُ فهي كثيرة. وعبد يشوع الصوباوي (٢ وعمرو بن متى (٣ يذكران منها الآتية. ١: كتاب عكس الآراء فيهِ فنّد تعليم اليعاقبة. ٢: كتاب النصائح للمبتدئين أَلّفهُ اذ كان راهباً في دير بيت عابي. ٣: كتاب الريشا اي الرؤوس. ٤: كتاب الترجمة. ٥: كتاب الوعظ والعذلان. ٦: عونيثات. ٧: قصائد. ٨: مداريش. ٩: كتاب التعازي. ١٠: مجادلات. ١١: رسائل كثيرة وهي بديعة فصيحة وصل الينا منها نحو ١٠٤ وهي محفوظة في كتب قديمة في المكتبة الواتيكانية ومكتبة دير السيدة وفي خزانة القلاية البطريركية في الموصل. وقد كتبها مار ايشوعياب في اسقفيتهِ وفي مطرنيتهِ وفي بطريركيتهِ. ١٢: جهاد ايشوعسبران الذي صلبهُ كسرى الملك نحو سنة ٦٢١ وقد طبع شابو هذا الكتاب النفيس. ١٣: ترتيب طقس العماذ. ١٤: ترتيب رتبة تقديس المذبح. ١٥: ترتيب رتبة الاسياميذ

١٦: وهو الذي نظّم ورتّب الحذره اعني الفرض الالهي الذي تستعملهُ الكنيسة الكلدانية الى اليوم. ولله درّهُ. فانهُ بدقّة عقل صائب وذكاء متوقد قسمهُ الى سابوعات ممتازة اي الى اسابيع السبّار والميلاد والدنح والصوم والقيامة والرسل والقيظ وايليا والصليب والى اسابيع تقديس البيعة. وهو يحتوي باسلوب عجيب بديع على حياة الكنيسة ومسلكها منذ خلقة العالم الى انتهائه لا بل من الازل والى الابد اذ ان عونيثات اسابيع السبّار تتكلّم عن ولادة الله الكلمة الازليّة وعن النبوّات التي صارت عليهِ والامور التي جرت قبل ميلادهِ. ثم ان الكنيسة في السابوعات الاخرى تضع قدّام

---

١) كتاب المجدل وكتاب تواريخ ابن العبري الكنائسي القسم الثاني. والسمعاني المكتبة الشرقيّة ٣: ١ ص ١١٣-١٤٣ وكتاب الرؤساء ص ٤٧-٤٩ و٦٣-٦٤ و٦٦-٧١ و٧٣: وكتاب رسائلهِ. ومن المستشرقين Chabot l'Ecole de Nisibe, etc. p. 49-52; B. Duval, Littér. Syr. p. 371-372; Wrght, Syr. lit., 2me édition p. 171-174 etc.

٢) المكتبة الشرقيّة ٣: ١ ص ١١٣

٣) طبعة جيسموند ص ٥٦

اعيننا حياة يسوع المسيح من ميلادهِ الى صعودهِ . وفي سابوع الرسل تُكلّمنا عن حلول الروح القدس على الحواريّـين وانذارهم الامم . وسابوع القيظ ليس الاَّ منهاجاً للتوبة يجعلنا ان نتوغَّل في التأمُّل بعواقبنا الاخيرة فنندم على خطايانا . وسابوع ايليـا يصوّر قدام اعيننا كيف انهُ بعد انتشار الانجيل في الخليقة يصير انتهاء العالم فالدينونـة العامة وقبيل ذلك يُرسَل ايليا الغيور فيخزي الدجّال ويظهر حينـئذٍ صليب ابن الانسان فيصعد سبحانهُ بالصالحين الى السماء ويُدخل عروسهُ الكنيسة الى الخـدر السموي ويُجلسها عن يمينهِ . وهذا ما تريناً اياه ُ كنيستنا الكلدانية بنوع بديع في اسابيع تقديس البيعة (١

ومن جملة الذين ساعدوا مار ايشوعياب الحديابي على ترتيب كتاب الحذره هو عنانيشوع الراهب . وكان هو ايضاً من بلاد حدياب ودرس هو واخوهُ ايشوعيـاب مع مار ايشوعياب الحديابي في مدرسة نصيبين على ايام حنانا . ثم ترَّهبـا في دير ابرهام الكشكري . وزار عنانيشوع مدينة اورشليم ورهبان مصر . وفي رجوعهِ أخذ اخاه وذهب بهِ الى دير بيت عابي . وكان عنانيشوع عالماً فاضلاً ذكياً و يثني عليهِ تومـا المرجي كل الثناء و يقول عنهُ انهُ فاق عقلاً وذكاءً كل الذين سبقوهُ ولحقوهُ . وامـا اخوهُ فصار اسقفاً على مدينة سنّا وهي قرديلابد على شاطئ الدجلة بين الموصل وتكريت . ومن تآليف عنانيشوع كتاب شرح الالفاظ المتشابهة وهو معروف بكتاب القوانـين تاليف ربَّان عنانيشوع و يوجد منهُ نسخ كثيرة ان كان في شرقنا وان كان في المغرب . وقـد طبعهُ العلامة هوفمان (M. Hoffman) . وكتب ايضاً تحديدات وتقسيمات فلسفية مع شرحها . ومقالة في لفظ الاسماء الصعبة الموجودة في كتب الاباء . ومقالة أُخرى في الالفاظ الغامضة التي في الكتاب المقدَّس . وهذه المقالة الاخيرة محفوظة في مكتبة دير السيدة للكلدان . ومن اجمل وانفع مصنَّفاتهِ الكتاب المعروف بفردوس الآباء تاليف مار هيرونيمس وفالاديوس . فنظّمهُ ورتَّبهُ وأضاف عليهِ اشياء كثيرة (٢ . وقد طبعـهُ بيجان سنة ١٨٩٧

---

١) راجع المشرق السنة ٥ العدد ١٦ الصحيفة ٧٣٠–٧٣٧

٢) كتاب الرؤساء ص ٧١–٧٤

٩ في ما بقي من تلاميذ حنانا الشهيرين

من تلاميذ حنانا ايضًا ميخائيل الملفان و برحد بشبّا عر بايا وربّان أُوكاما و بولس المفسر ·

أَما ميخائيل الملفان فيقول عنهُ الصوباوي (١ أَنهُ فسَّر الكتاب المقدَّس بثلاث مجلَّدات. وظنّ السمعاني ان ميخائيل هذا هو ميخائيل اسقف الاهواز الذي ذكرهُ كتاب المجدل في ترجمة تياداسيس الجاثليق اذ يقول انهُ انتُخب ليصير فطريركًا لكنهُ توفي قبل ان يُسام (سنة ٨٥٤) (٢ . اما ميخائيل الملفان الذي نحكي عنهُ فهو المعروف بباذوقا (ܡܝܟܐܝܠ ܒܕܘܩܐ) . كذا جاء اسمهُ في عنوان مقالاتهِ التي وصلت الينا وفي كتاب الاسياميذ وفي تفاسير الكتاب المقدَّس. ويعمل لهُ النساطرة تذكارًا مع مار افرام ونرساي وقيورا ورفاقهم في الجمعة السادسة من الدنح. ولم يصل الينا تفسيرهُ للكتاب المقدَّس لكنّ قطعًا كثيرة منهُ محفوظة في كتاب ايشوعداد اسقف الحديثة وفي كتاب شرح الغوامض التي في التوراة وفي كتاب جنّة النعيم وفي غيرها

وكان لميخائيل الملفان تاليفات أُخرى والتي وصلت الينا ورأَيتها هي هذه

١ : تحديدات وتقسيمات فلسفيّة مع شرحها

٢ : لماذا يُسمى الانسان العالم الصغير. وهتان المقالتان محفوظتان في مكتبة دير السيّدة

٣: التشبيه بالنفس . وهذه المقالة رأَيتها في كتاب في بيت احد السريان الكاثوليك في الموصل

٤ : جدال مع الهراطقة (بعض قطع منهُ محفوظة في مكتبتنا السعردية (٣)

---

١) في المكتبة الشرقيّة ٣ : ١ ص ١٦٩

٢) عمرو بن متي ص ٧٢

٣) A. Scher, Catal. des manus. etc. cod. 87, III.

٥ : مقالة نفيسة في تذكار مريم البتول الطاهرة محفوظة في مكتبتنا السعردية (١ وهي مقسومة الى سبعة فصول يتكلم فيها المؤلف عن نسب مريم ومناقبها وفضائلها واعيادها وعباداتها . وقد طبعنا منها بالوصل قطعاً في كتاب اكليل مريم

ولنأخذ الان بالكلام عن برحد بشبّا عربايا — كان هذا من بيت عربايي كما يدل على ذلك لقبه . وكتب كما سبق الكلام في المقدمة مقالةً في تاسيس المدارس . ومع كونهِ يثني فيها كل الثناء على تعليم معلّمهِ حنانا الحديابي لم يتبع مع ذلك تعاليمهُ . بل كان من جملة التلاميذ الذين تحزّبوا لغريغوريوس المطران وخرجوا من المدرسة (٢ . وجُعل بعد ذلك مطرانا على مدينة حلوان كما يدل على ذلك عنوان مقالتهِ ويؤكد ذلك ايضاً كتاب التواريخ السعردي والنبذة التاريخيّة التي في كتاب السنهادوسات . حيث قيل : انهُ في زمان فراغ كرسي المدائن (٦٠٩—٦٢٨) اشتهر في التاليفات مار برحد بشبّا مطران حلوان . وفي سنة ٦٠٥ كان حاضراً في المجمع الذي عقدهُ غريغوريوس البطريرك (٣ . والمقالة التي كتبها يتكلم فيها اولاً بنوع عجيب عن معرفة الله ثم عن المدارس التي اسّسها سبحانه لكي يعرفهُ الملائكة وآدم وذريّتهُ . ثم ياتي الى مدرسة موسى وسليمان والانبياء والفلاسفة والى مدرسة مخلّصنا وتلاميذهِ والى مدرستَي انطاكية واسكندرية واخيراً يتكلم عن مدرستي الرها ونصيبين

وكان لبرحد بشبّا تاليفات أُخرى كثيرة نفيسة لم تصل الينا . وقد ذكرها عبديشوع الصوباوي (٤ . منها كتاب الكنوز في ثلاثة اجزاء . وكتاب الجدال مع كل المذاهب وكتاب التواريخ ومقالة في ديودوروس اسقف طرسوس واتباعهِ . وتفاسير المزامير وانجيل مرقس

اما ربّان أُوكاما فكان من رفقاء ايشوعياب الجدلي في مدرسة نصيبين . وطبقتهُ من الملافنة . ولما تبدّد التلاميذ قصد هو مار باباي الكبير وانقطع في مغارة للصلوة

---

١) اكليل مريم تأليف أدي شير ص ٨

٢) كتاب التواريخ السعردي

٣) كتاب السنهادوسات طبعة شابو ص ٢١٤

٤ في المكتبة الشرقيّة ٣ : ١ ص ١٦٩

والعبادة الى ان شاخ . ثم رسمه مار قرياقس مطران نصيبين اسقفًا على ارزون وكان هو يتمنّع . وبعد ثلث سنين ترك الكرسي وقصد مغارة يوحنا تلميذ مار اوجين بقرب قرية كمول وبنى هناك ديرًا (١

واما بولس المفسّر فما نعرف من امرهِ شيئًا سوى انهُ كان من تلاميذ حنانا ومفسرًا في دير ابيملك (٢

١٠ في انحطاط مدرسة نصيبين

قلنا سابقًا انهُ منذ النزاع الشديد الذي صار في مدرسة نصيبين من جرآء تعاليم مار حنانا الحديابي وخروج التلامذة منها بدأت ان تنحطّ سنةً فسنة . ولم تقم من سقطتها هذه . وان التلاميذ الذين خرجوا منها نصبوا مدارس كثيرة في كشكر وفي بلد وارداشير وليذان وغيرها . وكان مار ابا الجاثليق قد نظّم ووسّع مدرسة المدائن . فنجحت اكثر من رفيقاتها . ولكن لم يمكنها ابدًا ان تبلغ ما بلغتهُ مدرسة نصيبين من النجاح والبهاء العجيبين

وما نعرف بالتحقيق من خَلَفَ حنانا الحديابي في رئاسة مدرسة نصيبين . غير اننا نعرف من كتاب الاسئلة والاجوبة تاليف يوسف حزايا (٣ انهُ في نحو منتصف الجيل السابع كان سورين مفسّرًا في نصيبين . وهذا كتب مناقب رهبان دير باباي الصغير (٤

---

١) كتاب التواريخ السعردي

٢) ايضًا

٣) A. Scher, Catal. des manus. etc. cod. 79.

٤) انّ السمعاني (المكتبة الشرقيّة ٣ : ١ ص ١٧٧) وروبانس دوفال (كتاب الاداب السريانيّة ص ٣٨٠) قد توهما بقولهما انّ باباي الصغير وباباي الجَبلي (ܓܒܠܝܐ) وباباي الكاتب (ܣܦܪܐ) هم شخص واحد . فانّ باباي الصغير ويُسمّى ايضًا باباي ابن النصيبينيّ كان من نصيبين وترهَّب في دير ابرهام الكشكري . وسكن مدَّة في جبال اربيل ثم رجع الى جبل الازل وبنى فيهِ ديرًا (كتاب التواريخ السعرديّ وكتاب العفّة العدد ١٧) وكان معاصرًا لباباي الكبير (٥٥٣—٦٢٨) وكان بينهما عداوة شديدة (النبذة التاريخيّة) وألّف باباي

وان سورين المفسر الذي ذكرهُ عبد يشوع الصوباوي وقال عنهُ انهُ أَلَّف كتاباً فيهِ فنَّد الهراطقة هو هذا سورين نفسهُ لا سورين مطران حلوان الذي جلس قهراً على الكرسي البطريركي سنة ٧٥٤ (١ كما يقول السمعاني (٢ . فانّ سورين مطران حلوان لم يُذكر عنهُ ابدًا انهُ كان مفسرًا وانهُ أَلَّف كتباً

ومن تلاميذ مدرسة نصيبين الذين اشتهروا ايضاً في اواخر الجيل السابع جبرائيل تورتا وجبرائيل راقودا . اما الاول فكان من بلاد شهرزور . وبعد ان اكمل دروسهُ في المدرسة ترّهب في الدير الكبير . ثم انتقل الى دير بيت عابي . وصار فيهِ رئيساً على ايام حنانيشوع الاول الجاثليق (٦٨٦—٧٠١) . وجادل شديدًا اذ كان في الدير الكبير الرهبان اليعاقبة الذين في دير قرطمين وأَلَّف كتاباً ردًّا عليهم . وجادل ايضاً سهدونا . وقد اخبر هو نفسهُ انهُ قصدهُ في مدينة الرها ولكنهُ لم يقدر ان ينتصر على ثباتهِ ولو ادَّعى هو انهُ جادلهُ وغلبهُ . وكتب ايضاً قصَّة نرساي الذي خلف باباي الكبير في رئاسة الدير الكبير . وألف ميمرًا يقال عند غسل الارجل يوم خميس الفصح . وكتب جهاد آذرفروا وميهرنرسا واختهما ماهدوخث الذين استشهدوا في باجرمي على ايام شابور الملك سنة ٣١٩ (٣ . وقد طبع بيجان هذه القصة في المجلَّد الثاني من سيرة الشهداء .

الصغير عدَّة تآليف ذكرها الصوباوي (في المكتبة الشرقيَّة ٣ : ١ ص ١٧٧ و١٨١) منها قصائد ورسائل وتسابيح وقصص . وباباي الجَبيلي كان من مدينة جَبيلة (ܓܒܝܠܬܐ) من اعمال طيرهان بقرب تكريت . وكان معاصرًا لصليبا زخا الجاثليق (٧١٤—٧٢٨) . وقال عنهُ توما المرجي أَنهُ فتح ستّين مدرسة وأَلَّف تراجم وتعازي ورسائل وعونيثات وغير ذلك (كتاب الرؤساء طبعة بيجان ص ١٤٢—١٤٩) . وأَمَّا باباي الكاتب فكان من اطراف الحيرة وكان كاتباً لمرزبان اسمهُ روزبي بن مرزوق . وتتلمذ لراهب وتبوّأ معهُ مغارةً وهناك قضى حياته . ويقول عنهُ كتاب التواريخ السعردي انّ لهُ كتاباً في تدبير الرياسة . والصوباوي يسمّي كتابهُ هذا: ܣܦܪ ܦܘܩܕܢܐ (في المكتبة الشرقيَّة ٣ : ١ ص ١٨٨) . وكتاب العفَّة (العدد ٧٥) يقول انهُ أَلَّف كتاباً في العيشة النسكيَّة . وكان هذا في نهاية الجيل السابع

١) عمرو بن متى طبعة جيسموند ص ٦٢—٦٣

٢) المكتبة الشرقيَّة ٣ : ١ ص ١٦٨

٣) كتاب الرؤساء ص ٨٥—٨٧

وقد ترجمناها الى العربيّة وهي مطبوعة بالموصل في كتاب سيرة اشهر شهداء المشرق (١

واما جبرائيل راقودا فكان مسقط رأسهِ مدينة نصيبين. وبعد ان ختم دروسهُ في مدرستها ترهّب في دير بيت عابي. وانكبّ على ممارسة الفضائل. وكان يفرط في إماتة نفسهِ. فذاع صيتهُ. وانتخبهُ اهالي كركوك ليكون مطرانًا عليهم. فرسمهُ صليبازخا الجاثليق (٧١٤—٧٢٢) ومن تاليفاتهِ تأبين مار يعقوب مُؤسس دير بيت عابي (٢

هذا ما امكننا ان نعرفهُ عن مدرسة نصيبين الشهيرة وعن رؤسائها وتلامذتها. ولنتكلّم الآن قليلًا عن قوانينها ونظامها

١١ في نظام مدرسة نصيبين (٣

ان مدرسة نصيبين كانت جمعيّة حقيقيّة منظومة ومقيّدة بقوانين وضوابط. يسوسها رئيس يُدعى ربّان (ܪܒܢ) اي معلّمنا. ويُسمى ايضًا ܡܦܫܩܢܐ اي المفسر لانهُ من اخصّ وظائفهِ ان يفسّر الاسفار الالهية. وفي شرحهِ اياها كان يعتمد على تادوروس المصيصيّ (٤ وعلى مار افرام الملفان. فشرح تادوروس للكتاب المقدَّس يسمُّونه

---

١) ص ١٤٣—١٦١

٢) كتاب الرؤساء ص ١١٠—١١٢

٣) انّ ما نقولهُ في هذا الفصل مأخوذ من قوانين مدرسة نصيبين المحفوظة في كتاب السنهادوسات والتي طبعها العلامة كيدي

٤) انّ تادوروس اسقف مصيصة (٣٩٠-٤٢٨) ذاع صيتهُ في اقطار الارض وتآليفهُ كانت عديدة موعبة حكمة. لكن المجمع الافسسيّ رفضها لِمَا فيها من الاقوال النسطوريّة. وكان تلاميذ مدرسة الرها قد استخرجوها الى السريانيّة. ولم يصلنا سوى تفسير انجيل يوحنّا الذي طبعهُ العلامة شابو. وفي مكتبتنا السعرديّة كتاب في سرّ التجسد غير مذكور فيهِ اسم مُؤلفهِ لانهُ ناقص من بدايتهِ ومن نهايتهِ. لكن في يدي برهانين قاطعين على انهُ من تآليف تادوروس المصيصي. ١ً: ان القطع التي طبعها العلامة لاكرد (Lagarde) في Analecta Syriaca (ص ١٠٠-١٠٦) من تاليف تادوروس في التجسد من الفصول ١١ و٣٣ و٣٥ و٣٦ الخ موجودة في كتابنا السعردي هذا في الفصول المذكورة. لكن الكلام الأرامي الذي في الكتاب السعردي افصح بكثير. ٢ً. ان يوسف حزّايا في كتاب الاسئلة والاجوبة يذمّ كوماي (ܟܘܡܝ) على انهُ لما ترجم كتاب

ܦܘܫܩܐ اي التفسير وشرح مار افرام يدعونه ܡܫܠܡܢܘܬܐ اي التقليد . وانما سُمّي تقليدًا لانهُ كما قيل حديث مار أَدي مُؤسس كنيسة الرها اتاها بالتقليد من فم الى فم ودوَّنهُ مار افرام ومار نرساي في مؤلفاتهما . فالذي دوَّنهُ مار افرام في مصنفاته كان يدعى ܡܫܠܡܢܘܬܐ ܕܡܪܝ ܐܦܪܝܡ (تقليد مار افرام) . واما الذي دوَّنهُ مار نرساي في كتبهِ فيسمونهُ ܡܫܠܡܢܘܬܐ ܕܐܣܟܘܠܐ (١ (التقليد المدرسي) ولهذا يُطلق كتبة السريان الشرقيين اسم التقليد على تفاسير الكتب المقدَّسة فقط

وكان المفسّر في شرحهِ الكتب الالهية يُعلّم ايضًا الفلسفة او اقلّها يكون المنطق . كما نرى ذلك من التفاسير التي وصلت الينا . لا بل ان ايشوعدناح مطران البصرة يُشير الى ذلك اذ يقول عن برعدتا انهُ تخرَّج في مدرسة نصيبين في الفلسفة الكنائسية وفي الآداب اليونانية (٢

انّ عبد يشوع الصوباوي (٣ أورد قانونًا كأنهُ من قوانين مدرسة نصيبين اتى فيهِ ان الدروس كانت تدوم ثلاث سنين . وهذا نص كلامهِ : « ليكتبوا في السنة الاولى القسم الاول من بيت موتبا (٤ . ورسائل بولس الرسول وكتاب التوراة والذي يُعلم الالحان مع القراءة على اللوح ليعلّم ايضًا الالحان التي في كتاب دفن الموتى — وفي السنة الثانية ليكتبوا القسم الثاني من كتاب بيت موتبا والمزامير والانبياء ومع القراءة

تادوروس في التجسد حرَّف فيهِ بعض اقوال اذ انهُ حيث كان المصيصي قد كتب أنّ في المسيح اقنومين كتب هو اقنومًا واحدًا . وفي الحقيقة ان الكتاب السعردي المذكور مع كونهِ يحوي بعض اقوال نسطوريّة يقول ان في المسيح اقنومًا واحدًا (ܚܕ ܩܢܘܡܐ)

١) برعدتا بشبا عربايا

٢) كتاب العفّة العدد ١٥

٣) مختصر القوانين السنهادوسيّة . الميمر السادس الفصل الثالث

٤) ان لفظة بيت موتبا (ܒܝܬ ܡܘܬܒܐ) ليس المراد بها قسم من الفرض الكلداني الذي يقابله Χαθίσματα من الفرض اليوناني كما ظنّ السمعاني وجميع المستشرقين بل هو الكتاب الذي يحوي أسفار ايشوع بن نون والقضاة وصموئيل والملوك والامثال والجامعة وراعوث ونشيد الانشاد وايوب (طالع A. Scher, Catal. des manus. conserv. dans la bib. de Séert, cod. I.

التى تعلّم على اللوح ليعلّموا عونيثات القداس (١ — وفي السنة الثالثـة ليكتبوا القسم الثالث من بيت موتبا والعهد الجديد . ودع لوح القراءة ليعلّموا العونايات (٢ »

واظن ان هذا القانون كان موضوعاً في ايام انحطاط المدرسة لا في ايام نجاحهـا . فعلى كل حال وان كان موجوداً فيها من قبل فلم يكن موضوعاً الآ للتلاميذ الذين كانوا يتعلمون تفسير الكتاب المقدس . والقانون يقول : ليكتبوا . فكان اذاً التلاميذ يدوّنون في بطون الاوراق كل ما كان ينثر من افواه المفسّرين وعلى هـذا الاساوب كُتِبت جميع تاليفات اولئك الجهابذة في شرح الكتاب المقدس

ومن بعـد المفسّر يأتي المقرّي والمهجئ (ܡܩܪܝܢܐ ܘܡܗܓܝܢܐ) . ويأتي مراراً اسماؤهما في قوانين المدرسة . وبرحد بشبّا ايضاً يشير الى ذلك في مقالتهِ اذ يقول عن قيورا : ܘܗܢܐ ܥܠܝܗ ܒܟܠܗ ܗܘܐ ܒܪܝܫܢܘܬܗ ܕܡܠܦܢܘܬܐ : ܐܦ ܕܪܫܐ ܕܗܘܐ ܢܗܘܐ ܠܟܠܗܘܢ ܣܘܟܠܐ ܕܡܦܫܩܢܘܬܐ ܘܕܡܩܪܝܢܘܬܐ ܘܕܡܗܓܝܢܘܬܐ . وقال ايضاً عن نرساي انهُ لما اختـير ليكون رئيساً في مدرسة الرها قال للتلاميذ : ܐܝܬܐ ܠܢ ܕܢܗܘܐ ܡܩܪܝܢܐ ܘܡܗܓܝܢܐ (٣ ܕܒܪ ܡܦܩܐ ܐܢܬ . وقال ايضاً عن يوسف الجاثليق انهُ كان يبغض مدرسة نصيبين وأخبر الملك ان المقرئين والمهجئين (ܡܩܪܝܢܐ ܘܡܗܓܝܢܐ) يريدون ان يعصوا عليهِ (٤

---

١) في الطقس الكلداني لكلّ أحد وعيد وتذكار عونيثتان ترتّلان في القـدّاس احداهما قبل صلاة ܠܒܘܫܐ وتُسمَّى ܕܒܣܡܐ والاخرى قبل التقدمة وتُسمَّى ܕܐܪ̈ܙܐ . وفي ايام القيظ يضيفون عونيثة ثالثة ترتَّل بعد الانجيل وتُدعى ܕܐܘܢܓܠܝܘܢ

٢) في طقسنا الكلداني لكلّ يوم أحد وعيد وتذكار ترتيل خصوصي يقال في وقت التناول يُسمى ܡܘܢܝܐ . واصل معناهُ الزدة . ويُدعى ايضاً ܕܒܝܡ وتعقبهُ ܬܘܕܝܬܐ . ويبان إنهُ كان في القديم لحن مخصوص لكلّ ܡܘܢܝܐ (طالع كتاب الرؤساء ص ١٣١–١٣٢)

٣) جاء في نسخة القس الفونس منجنا : (ܡܐܡܪܐ ܕܢܪܣܝ المقدمـة ص ٣٣) ܡܩܪܝܢܐ ܘܡܦܫܩܢܐ وهو غلط . لانّ التلاميذ طلبوا الى نرساي أن يصـير مفسّراً . واذ اجاب هو الى سؤالهم لم يطلب منهم أن يقيموا مقرّئاً ومفسّراً بل مقرّئاً ومهجّئاً

٤) ܒܡܐܡܪܐ ܕܢܪܣܝ المقدّمة ص ٣٩

و يظهر ان المقرّئ كان يُعلّم صناعة النحو. فاننا نرى ان يوسف الاهوازي الذي كان مقرّئاً ألّف لتلاميذهِ كتاب النحو ومقالةً في الاسماء المترادفة ومقالة أُخرى في النقط الكبيرة. وكان المقرّئ يعلّم ايضاً الالحان الكنائسية كما يتّضح ذلك مما اورد عبد يشوع الصوباوي من قوانين مدرسة نصيبين. فانهُ اتى في القانون المذكور كما رأينا الساعة : ܘܢܗܘܐ ܠܗܘܢܐ ܕܩܪ̈ܝܢܐ ܡܠܦܢܝܢ ܒܗܘܢܐ. واتى ايضاً في القوانين ذاتها : ܩܪ̈ܝܢܐ ܕܡܫܒ̈ܚܬܐ. ولعلّهُ هو او المهجّئ كان يعلم ايضاً تأليفات الآباء اليونانيين

والمهجّئ لسنا نعرف بالتحقيق ماذا كان يُعلّم. ولعلّهُ كان يُعلم التهجئة والقراءة الفصيحة للمبتدئين

انّ سبريشوع البطريرك المعروف بالدمشقي يخبرنا انهُ من قبل كان الاولاد يتعلّمون في المدارس اوّلاً المزامير ثم يقرأُون التوراة فالانبياء فالعهد الجديد. وحينئذٍ كانوا يخرجون من المدارس فيتعلّمون الصنائع (١. ولا بدّ من ان هذه القاعدة كانت جارية ايضاً في مدرسة نصيبين. فكان التلاميذ الذين يختمون تلك الدروس ينتقلون الى الصف الذي كان تحت ادارة المقرّئ الذي كان اعلى درجةً من المهجّئ. فانهُ في مقدمة القوانين نرى اوّلاً اسم الرئيس ثم اسم المقرّئ ثم اسم المهجّئ ثم اسم الوكيل ولنات بالكلام عنه

ان تدبير امور المدرسة كان الرئيس والتلاميذ يسلمونه الى الوكيل ويسمى ܪ̈ܒܝܬܐ واصل معناهُ رئيس البيت. ويجب ان يكون انتخابهُ بلا سجس وقلق. ووظيفتهُ كانت ان يتسلّم دخل المدرسة و ينفق عليها. و يجمع الصدقات للتلاميذ الفقراء اما لقوتهم واما لمساعدتهم في المحاكمة اذا صار لهم دعوى. و يناظر التلاميذ و يقاصص من كان فيهم مذنباً. ولم يكونوا ينتخبون وكيلاً الاَّ من كان مستقيماً مقتدراً على ادارة امور المدرسة منصفاً بين الاخوة بدون محاباة. ومع ذلك لم يكن يقدر الوكيل ان يعمل شيئاً مهمّاً دون مشورة رئيس المدرسة والخاصّة من الاخوة. وكل وكيل يتغافل عن وظيفتهِ

١) مختصر القوانين السنهادوسيّة تاليف عبد يشوع الصوباويّ الميمر ٦ الفصل ٣

او يعمل شيئاً خارجاً عن القوانين يوخذ منهُ جزاء نقدي مقدارهُ عشرة دنانير ويُطرد من المدرسة ومن المدينة ايضاً . وكان انتخاب الوكيل الى سنة واحدة فقط

وياتي ايضاً في القوانين اسم ܣܦܪܐ الكاتب ܘܐܚ̈ܐ ܝܕ̈ܝܥܐ ܘܡܗ̈ܝܡܢܐ (١ (الاخوة المعروفون) ܘܒܨܘ̈ܩܐ (المفتشون) . فالكاتب كان يُعلم التلاميذ الخط او كان كاتباً للوكيل ومساعداً لهُ . والاخوة المعروفون والمفتشون لست اعلم بالحقيقة ماذا كانت وظيفتهم . ولعلَّهم الكهنة او العلماء في المدرسة وكانت درجتهم او وظيفتهم اعلى من التلاميذ الاخر . فكان اذاً الرئيس والوكيل لا يعملان شيئاً مهماً دون مشورتهم

هذا ما يخص المعلمين والدروس . واما التلاميذ وتسميهم القوانين اخوة فكان يجب عليهم ان يلتمسوا الدخول في المدرسة من الوكيل ومن الاخوة الخاصة وان يكون لهم معرفة في القوانين وكانوا يعدون ان يحفظوا البتولية ويسيروا سيرةً صالحة لا عيب فيها بنوع انهم كانوا ملزومين مدة اقامتهم في المدرسة ان يعيشوا عيشة لا تفرق كثيراً عن عيشة الرهبان . وكان لهم زيّ خصوصي يفرقهم من غيرهم . واما شعر رؤوسهم فلم يكن يؤذن لهم ان يحلقوهُ ولا ان يخصّلوه مثلما كان يفعل اهل العالم بل كانوا يحلقون فقط قمة راسهم فتصير على رؤوسهم دائرة كأَنها اكاليل

وكل مساء بعد تلاوة المزامير كان كل واحد منهم يذهب الى قلايتهِ . وصباحاً عند صياح الديك كان الجميع مضطرين ان ياتوا الى غرفة الدرس فيلازم كل منهم مكانهُ حتى المساء . وكانوا يجلسون صفَّين . فيصطفّ الكهنة وراء الذين لم يكونوا حائزين على هذه الدرجة . وكل من كان ينقطع عن الدرس والكتابة ولا يحضر ساعة التدريس والالحان الطقسية كان رؤساء القلالي (ܪ̈ܫܝ ܩܠܝ̈ܬܐ) يوبخونهُ توبيخاً شديداً . وان لم يسمع منهم يقاصصهُ الوكيل . وكانوا يلتزمون ايضاً ان يحضروا فرض الموتى والاحتفالات البيعيّة . وكل من ينقطع دون سبب كافٍ يُوبّخ جهاراً قدام كل اعضاء الجمعية

---

١) كلما أَتت لفظة ܐܚ̈ܐ ܝܕ̈ܝܥܐ او ܡܗ̈ܝܡܢܐ في القوانين ترجمناها بالاخوة الخاصّة

ولم يكن يُؤذن للتلاميذ الجدَد ان يسكنوا وحدهم او مع واحد آخر في القلالي بل مع التلاميذ جملةً · وكانت السكنى في المدينة او في محلّ آخر ممنوعة عنهم اللهم الا اذا لم يبقَ مكان في المدرسة · ولكل قلاية رئيس تجب له الطاعة يُسمى ܪܫ ܩܠܝܬܐ اي رئيس القلاية · والذين يسكنون قلاية واحدة كانوا مضطرين ان يتناولوا الطعام سويّةً وفي القلاية نفسها · فكان ممنوعًا عنهم تناول الطعام في الجنائن والبساتين والحضور في المآدب والولائم في المدينة وزيارة أديرة الراهبات · واذا مرض احدهم كان الاخرون يقومون بخدمتهِ

لكن المدرسة اسّست لها فيما بعد مستشفى وخصّصت لهُ اوقافًا · والذي يتولى فيهِ خدمة المرضى يجب عليهِ ان يقوم بخدمتهم احسن قيام · فاذا قصّر في وظيفتهِ او سرق شيئًا من المستشفى قوصص وأُخذ منهُ جزاء نقدي مقدارهُ خمسون استارًا فضة (اي نحو ٢٢٥ مثقالاً) · ويُطرد ليس فقط من المدرسة بل من المدينة ايضًا · ويظهر انهُ كان في المستشفى مدرسة واطباء ماهرون يعلمون الطب ايضًا · فانّ باباي الكبير درس فيهِ علم الطب (١ وعلَّم فيهِ مدة من الزمان (٢

وكل من كان يختم دروسهُ كان الرئيس يجبره ان يذهب فيعلّم في المحل الذي يعيّنهُ لهُ

انّ التلاميذ كان لهم سلطة على اموالهم · وذلك لانهم كانوا مجبورين ان يتكلّفوا اسباب معيشتهم · فمن كان يريد منهم ان يُقرض ما كان يتوفّر لهُ من المال لم يكن يؤذن له ان يأخذ عليه اكثر مما عيّنته الكنيسة · وكان القطوع يومئذٍ واحد في المائة · وكان بين التلاميذ فقراء ايضًا · فهؤلاء في ايام العطلة كانوا يشتغلون ويحصّلون ما يعيشون بهِ · وزمن العطلة كان منذ بداية شهر آب الى نهاية تشرين الاول كما اتى في القوانين نفسها · لكن برحد بشبّا عربايا قال انهُ كان يُؤذن للتلاميذ ان يشتغلوا مرّتين في السنة · اي في زمان الحصاد وفي وقت قطف الزيتون والعمل في الطين · ويُشترط على

---

١) كتاب التواريخ السعردي

٢) كتاب العفّة العدد ٣٩

الذين يشتغلون في زمن العطلة ان يسيروا سيرة صالحة ويتجنَّبوا الرذائل لئلا يُرذل بسببهم اسم المدرسة. واما الذين لاجل ضعفهم او مرضهم لم يكونوا قادرين على الشغل فكانوا يراجعون الوكيل وهو كان يساعدهم على قدر الامكان. ولم يكن يُسمح لهم بالتسوّل على الابواب. ومن تجاسر ومشى خلاف هذا القانون كان يُطرد حالًا من المدرسة ومن المدينة ايضًا

كذلك ايضًا يُطرد من المدرسة ومن المدينة كل من كان ينكث بوعدهِ فيتزوَّج او يسرق او يعاشر السحرة والهراطقة او يزرع الفتنة بين الاخوة او في المدينة. ومن يذهب فيشتكي على رفيقهِ عند الخوارج من دون اذن الوكيل والاخوة الخاصة. ومن يدرّس الراهبات ويعاشر النساء. او من وجد شيئًا مفقودًا لا يخبر الوكيل حتى يسأل عن صاحبهِ. او من اخذ كتابًا من الوكيل لكي يقرأ فيهِ او ينسخهُ لا يردهُ اليهِ اذا رآه ناسيًا. ومن لم يكن يقبل القصاص الذي يضعهُ عليهِ الوكيل والاخوة الخاصة لاجل قباحةٍ تصدر منهُ بل يلتجئ الى الاقليريقيين او الى العلمانيين. او بعد ان قوصص ثلاث مرَّات قدَّام اعضاء الجمعية لاجل ضربهِ رفيقهُ يتجاسر فيعود يضربهُ مرَّةً رابعةً

وكذلك يُطرد من المدرسة جميع الذين بلا رخصة الوكيل والاخوة الخاصة يسافرون الى بلاد الروم ان كان لاجل اكتساب العلوم او لاجل زيارة الاماكن المقدَّسة. غير انهُ في بعض الاحيان كانوا يشفقون عليهم ويقبلونهم في المدرسة من بعد ان يوبخوهم توبيخًا شديدًا وياخذوا منهم العهود ألاَّ يرجعوا ثانيةً. واما الذي لاجل التجارة يسافر الى بلاد الروم فكان يؤخذ منهُ كل ما ربحهُ هناك او اقلَّها يكون نصفهُ فيُعطى للمدرسة. غير ان هذا القانون لم يكن جاريًا الاَّ في بدء تاسيس المدرسة. فقد رأينا من بعد ذلك ان تلاميذ كثيرين قصدوا بلاد الروم لاجل تحصيل العلوم او لاجل زيارة الاماكن المقدَّسة (١

اما الذي يلاحظ ذنبًا صدر من رفيقهِ فكان يجب عليهِ ان ينصحهُ فاذا كان المذنب لا يقبل نصيحتهُ التزم حينئذٍ ان يكشف امرهُ الى الوكيل وان لم يفعل ذلك

---

١) ومنهم مار أبا الجاثليق وتلميذه توما. وابرهام الكشكريّ وعنانيشوع الراهب

قوصص هو والمذنب بقصاص واحد. واما الذي يستعمل النميمة والكذب والبهتان في حقّ رفيقهِ ثم ينكشف امره فكان يعاقب بالعقوبة التي يستوجبها الذنب المنسوب الى رفيقهِ

ونختم هذه المقالة في مدرسة نصيبين قائلين مع العلامة لابورت (١ ان المدينــة المطرابوليتيّة الكبيرة للنساطرة رأَت ناشئةً داخل اسوارها أوَّل كليّة لاهوتيّــة وأوَّل جامعة دُرِّس فيها علم الالهيات. لعمري ان هذا الامر الغريب الذي كان يحرّك وزير بلاط يوسطنيانوس (٢ المقدَّس (quæstor sacri palatii) الى الاندهــال والتعجب يجعلنا ان نعتبر ما كان للاقليروس النسطوري في ذاك الزمــان من التروّض في العلوم » اه



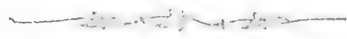
1) J. Labourt, le Christianisme dans l'Empire Perse, p. 301.

٢) يعني بهِ يونيليوس الافريقي

فهرست اسماء العَلَم

الاشخاص المذكورين في هذا الكتاب

تنبيه — الاسمُ المعلّم بنجمة * اطلبهُ في الحاشية





فهرست